8
مع العدد
هدية

التواصل
AT-TAWASUL
فصلية ثقافية شاملة
السنة الثانية - العدد الثامن - الكانون 1373 من وفاة الرسول ﷺ ديسمبر 2005 مسيحي

د. محاضر بن محمد / ماليزيا:
تقرير عن حالة الأمة

ماذا يريدون بالقرآن؟!

محمد السماك / لبنان:
المتغيرات العالمية والثوابت الإسلامية

د. علي حسين الحلو / إسبانيا:
المغامر دومنغو باديّا في مكة وفلسطين

د. عبد الهادي التازي / المغرب:
دعوة إلى تصحيح رحلة ابن بطوطة

أطفال المالديف يرسمون لـ (التواصل) ذكرياتهم عن تسونامي

يريدون أن
يطفئوا نور الله بأفواههم
ويأبى الله إلا أن يتم نوره
ولو كره الكافرون

الإعلام في الدول القوية

د. عبد العاطي محمد عبد الجليل *

❖ ليس من الضروري الدخول في جدل حول (القوة والتقدم)، فالقوة لا تعني بالضرورة التقدم، وما يقال عن حكاية الفيل والنحلة إلا دليل من آلاف الأدلة على ذلك.

❖ الإعلام في الدول القوية استمد قوته من قوتها، ولذا فهو يحمل خصائصها، إيجابية كانت أم سلبية. وهو يحاول إقناع المتلقي أنه ـ أي الإعلام ـ ليس ترساً في آلة جبارة رغم أنه مكون أساس من مكونات قوة تلك الآلة، صحيح أن دوره ليس دور الآلة لكنه لا يستطيع إلا أن يكون جزءاً منها.

❖ مشكلة الإعلام في الدول القوية تكمن في أنه صنع جملة من المصطلحات وسوقها مستنداً على قوة الدولة التي يكتسب قوته منها، دون أن يدرك أنه في الحقيقة والواقع يقوم بتسويق سلعة تم صنعها في دهاليز صنع القرار في تلك الدولة القوية، ومطلوب تسويقها بأي شكل وبأي ثمن. وهو يحاول إيهام المتلقي بأنه إعلام حر، مستقل، رائد، صريح، ولذا بات يرى في إعلام الدول الضعيفة صور التخلف وانعدام الحرية وغياب الصراحة، وعدم التمتع بأي قدر من الشفافية.

❖ مشكلة الإعلام في الدول القوية تكمن في أنه يعاني من انفصام واضح، فهو لا يفصل بين المتغير والثابت في الدول التي يتبعها، سواء كان يعيش فيها أو يمارس نشاطه منها، بينما يطالب ـ وبسوء نية لا لبس فيه ـ إعلامَ الدول الضعيفة الخلط بين المتغير والثابت، بحيث يصبح تجاوز الخطوط الحمراء مطلباً ديمقراطيا، وحرية إعلامية، بينما نجد أن الإعلام في الدول القوية لا يفكر مجرد التفكير في الاقتراب من أي خط برتقالي، فكيف بتجاوز الخطوط الحمراء ؟!!.

❖ حرية الإعلام مصطلح تم تصنيعه في الدول القوية بهدف تسويقه لا بهدف تطبيقه داخل هذه الدولة القوية أو تلك، ولدينا من الأمثلة الكثير، على أنه نتيجة لصراع مصالح حزبية أو طبقية أو اقتصادية أو سياسية، فالنيل من (وزير) أو (رئيس) في الدول القوية هو في الحقيقة صورة من صور الصراع بين المصالح، وهو أيضاً تحرك في دائرة المتغيرات دون المساس بأي من الثوابت. فالرؤساء والوزراء وأعضاء مجالس النواب والشيوخ صور للمتغيرات وليسوا أمثلة للثوابت.

❖ ما بات يعرف بحرية الإعلام في الدول القوية لا يمكنه في تلك الدول أن يقترب أو يتطرق للاستراتيجيات مهما كانت درجة سلبيتها، لا يمكنه على سبيل المثال أن يقترب من أماكن صنع القرار الخاص بأسلحة الدمار الشامل التي تُطور كل يوم، لأن ذلك من محاذير وغوامض الدول القوية، كما لا يمكنه أن ينظر من ثقب أي باب يؤدي إلى أي مختبر ترسم فيه السياسات المستقبلية، مهما كانت تلك السياسات عدوانية أو تدميرية أو استغلالية.

❖ مشكلة الإعلام في الدول القوية تكمن في أنه استطاع ـ أغلب الأحيان ـ التنسيق بين العقيدة الإعلامية للدول القوية وعقيدتها الأمنية، لكنه وفي نفس الوقت يحاول جاهداً أن يخلط الأوراق حين يتعلق الأمر بالدول الأضعف، فهو يطالب وسائل الإعلام في الدول التي لا حول لها ولا قوة بأن لا تراعي التناغم السائد بين العقيدتين.

❖ حين تتصادم العقيدة الإعلامية مع العقيدة الأمنية لأي دولة قوية فإن كبش الفداء هو وسيلة الإعلام، مقروءة أو مسموعة أو مرئية، وأمامنا أمثلة عديدة، منها جريدة (البرافدا)، فهي من النماذج الواضحة الدلالة على أن الغلبة في الدول القوية دائماً للعقيدة الأمنية، (البرافدا) حين كانت تنشر خبراً أو تحليلاً كانت بذلك تصيب المحللين والساسة بالصداع، فينكبون جميعاً لتحليل وقراءة ما بين أسطرها، لا لشيء إلا لأنها جريدة دولة قوية، حدث ذلك لأن العقيدة الإعلامية لـ (البرافدا) كانت تتناغم وبشكل مطلق مع العقيدة الأمنية لتلك الدولة القوية، وحين أصاب الاتحاد السوفييتي الضعف، ودب الوهن في أوصاله فذاب أو تلاشى بقيت (البرافدا) بعقيدتها الإعلامية، ولم تدرك أن تغيراً عميقاً قد حدث في العقيدة الأمنية لروسيا الاتحادية وريثة الاتحاد السوفييتي، وبالطبع لم يستمر الانسجام بين عقيدة (البرافدا) الإعلامية وعقيدة روسيا الاتحادية الأمنية.. فاختفت، أو توارت (البرافدا) لأنها فقدت القوة التي كانت تسندها .

❖ الـ CNN والمعروف أنها قناة فضائية أمريكية، شغلت الناس وملأت الدنيا حين اختارتها الإدارة الأمريكية لتكون لسانها الناطق وسفيرها للمواطن الأمريكي وغيره من مواطني الدول الأخرى، القوية منها والضعيفة، إلا أن تصادماً حدث بين العقيدة الإعلامية للـ CNN والعقيدة الأمنية للولايات المتحدة الأمريكية، ما أدى إلى تواري تلك القناة الفضائية قليلاً لتفسح المجال لغيرها من القنوات، لكن الثمن كان باهظا، صحيح أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تتلاش، لكن CNN لم تدرك أنها حاولت الاقتراب من أحد الخطوط الحمراء، وأنها وقعت في خطأ الاقتراب من الثوابت عوضا عن المتغيرات، وقد حاولت ـ ربما عن غير قصد ـ أن تضيف جملة موسيقية إلى المعزوفة الأمنية للدولة التي تمتلكها، فإذا بها تصطدم بحائط أشد قوة وقساوة، وأكثر ارتفاعا من سور برلين.

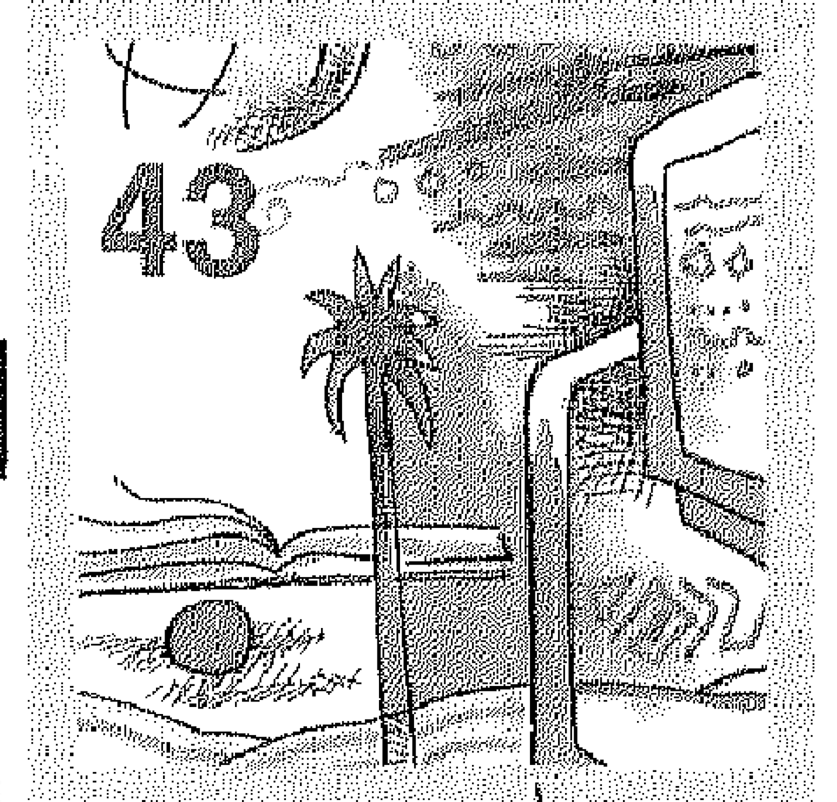
❖ في المملكة المتحدة تطالع بين الحين والآخر قصة بطلها وزير وامرأة، ويصفق بعضنا إعجابا بجرأة الجريدة أو المجلة التي أماطت اللثام عن تلك القصة، لكن أغلبنا لا يدرك أن القضية برمتها لم تزد عن كونها تعاملا مع متغير (وهو الوزير)، لكن السؤال الذي يظل معلقا من أذنيه هو: هل أقدم سعادة الوزير على تسريب معلومات خاصة وسرية تتعلق بثوابت دولته القوية لتلك المرأة ؟! القاعدة العامة التي لا مفر من التسليم بها على ما يبدو، سواء في الدول القوية او الأقل قوة، أو التي لا حول لها ولا قوة، يمكن اختصارها في أن ما بات يُعرف بـ (حرية الإعلام والصحافة) يظل مصطلحا متغيرا لا يمكنه أن يقترب من الثوابت. الإعلام في الدول القوية لا يريد الاعتراف بحقيقة كونه مجرد آلة تشارك في عزف موحد لهذه الدولة القوية أو تلك، بينما يريد من الإعلام في الدول الأضعف أن يكون نشازاً في معزوفة هذه الدولة الضعيفة أو تلك، الإعلام في الدول القوية لا يخرج عن النص إلا باتفاق مسبق مع دوائر صنع القرار، ومع ذلك يريد من الإعلام في الدول الأضعف أن يلغي النص بكامله..

---

* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي ـ ليبيا

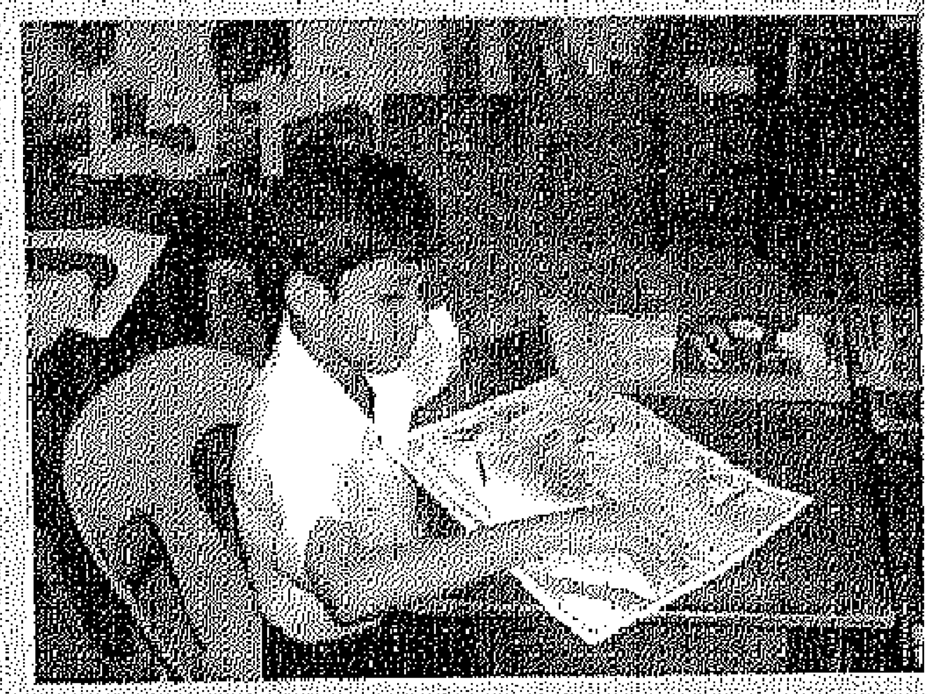


في هـذا العـدد



دراسات

النظام العالمي الجديد ودور الإعلام في عرض صورة الإسلام



استطلاعات

أطفال المالديف يرسمون لـ (التواصل)



تقارير

مسابقة (واعتصموا) النسائية العالمية الأولى لحفظ القرآن الكريم

الافتتاحية

مقالات

دراسات

حوارات

محاضرات

التواصل
AT-TAWASUL
تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
السنة الثانية ـ العدد الثامن
الكانون 1373 من وفاة الرسول ﷺ
ديسمبر 2005 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4800730 / 4808461.5
بريد مصور: 4800736 – 4800730
ص.ب: 86086
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
INFO@AT-TAWASUL.INFO
ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الانترنت
WWW.AT-TAWASUL.INFO

شــروط النشــر في مجـلة

التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- ❖ أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة؛ وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ❖ ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ❖ ألاّ يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.
- ❖ أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- ❖ أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- ❖ في حالة الترجمة لا بدَّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة.



- تقرير عن حالة الأمة
- المتغيرات العالمية والثوابت الإسلامية
- إعجاز القرآن .. رؤية جديدة
- الوقف وفلسفته التنموية
- المعرفة أساس رقي المجتمعات
- المغامر دمنغو باديا في مكة وفلسطين

تقرير عن حالة الأمة*

د. محاضر بن محمد**

بناءً على مبادرتي الخاصة ودون تخويلي الصلاحية من أية جهة أودُّ أن أقدّم تقريراً حول حال الأمة الإسلامية حالياً..

وأودُّ القيام بذلك لأننا غالباً ما نتحدث عن الأمة وكأننا ننتمي لمجتمع إسلامي واحد.. لكن الحقيقة هي أننا لا ننتمي لمجتمع إسلامي واحد. إننا نتصرف في الغالب كدول من منطلقات قومية، وإذا سعينا إلى الوحدة عبر حدود دولنا نعرّف بأنفسنا بأننا أعضاء في طوائف الإسلام المختلفة كسنّة أو شيعة إلخ. وإلى جانب الدول التي ننتمي إليها فإن الاختلافات بين الطوائف التي ننتمي إليها تقسمنا إلى مزيد من الجماعات، ذات الأغلبية أو الأقلية في الدول الإسلامية وغير الإسلامية.

ينقسم المسلمون اليوم إلى أكثر من خمسين دولة وأكثر من ألف طائفة وفروعها، والتي لا تتصرف كأعضاء في الأمة، أي المجتمع الإسلامي، ولكن تتصرف كأتباع لديانات يدّعون أنها الإسلام، ولكن آخرين هؤلاء الذين يدّعون بأنهم مسلمون لا يقبلونهم كإخوة لهم في الإسلام.. الاختلافات بينهم تتعلق بتفسيرهم للإسلام والمعتقدات، بل إنهم مستعدون في بعض الحالات حتى للاقتتال وقتل بعضهم البعض.

إنني لست متأكداً ولكن أعتقد بأن عدد المسلمين الذين يُقتَلون من قبل مسلمين آخرين أكبر ممن يقتلهم غير المسلمين، وحتى عندما نُهاجَمْ من قِبَل أعداء غير مسلمين فإننا نساعدهم على قتل إخوتنا المسلمين. أما بالنسبة لأعدائنا فالاختلافات الطائفية التي ننتمي إليها لا تعني شيئاً، بالنسبة لهم جميعنا من المسلمين وجميعنا أعداءهم.

لم تكن للإسلام دولة قومية في البداية، منذ عهد الرسول كان المسلمون ينتمون إلى جماعة المسلمين «الأمة» وجميع المسلمين إخوة بصرف النظر عن العرق أو اللون أو الوطن الجغرافي وجميعهم ينتمون إلى مجتمع إسلامي واحد، الأمة.

كان رئيس المجتمع: الخليفة، ومن أجل إدارة الأراضي الشاسعة للأمة كان يتم تعيين ولاة من قبل الخليفة.. الولاة أداروا الأراضي نيابة عن الخلفاء وباسمهم.. إنهم لم يكونوا ملوكاً وبالتأكيد لم يكونوا ملوكاً مستقلين.. كان ولاء الأمة الإسلامية ليس للولاة، لكن للإسلام وللأمة وللخليفة أو أمير المؤمنين.

(*) قدّم الدكتور محاضير بن محمد هذا التقرير باللغة الإنجليزية في الكلمة التي ألقاها في طرابلس - ليبيا بعد تسلمه جائزة القذافي العالمية لحقوق الإنسان للعام 1373 و.ر الموافق 2005 مسيحي.

(**) رئيس وزراء ماليزيا السابق.

أن النبي محمد ﷺ لم يؤسس سلالة ملكية، فالأمة هي التي اختارت خليفة له، لكن رفض بني أمية قبول سيدنا علي رضي الله عنه، والذي اعتبره بعض أتباعه بأنه الخليفة الصحيح للنبي، قسم الأمة إلى اثنتين وبدلاً من اختيار خليفة ليخلف نظيره المتوفى أسس بنو أمية سلالة حاكمة، وبدأ الولاة في الأماكن البعيدة عن مركز الخلافة يتولون ألقاباً خاصة بهم لإعلان أنفسهم ملوكاً وذوي سلالة حاكمة، وذهبوا حتى إلى حد إعلان أنفسهم أمراء للمؤمنين وخلفاء.

وعليه انقسمت الأمة قبل ظهور المفهوم الأوروبي للدولة القومية بوقت طويل. نستطيع إلقاء اللوم على الأوروبيين على تقسيمنا إلى دول عديدة، لكن حقيقة الأمر هي أننا قبلنا ودعمنا الانقسام بسبب الجشع والطمع.

ينقسم المسلمون اليوم إلى أكثر من 50 دولة قومية وأكثر من ألف طائفة وفروعها، والتي لا تتصرف كأعضاء في الأمة أي المجتمع الإسلامي، ولكن تتصرف كأتباع لديانات يدعون أنها الإسلام.

وعليه لا وجود للأمة اليوم سوى بالاسم فقط. فإننا ننتمي لدولنا القومية وندين لها بالولاء، وبصفتنا مواطنين في هذه الدول فإننا مستعدون للقتال، وقتل بعضنا البعض، ونحن مستعدون حتى للتحالف مع غير المؤمنين في حروبنا ضد بعضنا البعض، ولم نتمكن أبداً من العمل معاً للدفاع عن الأمة، لأننا نتمسك بالدول التي ننتمي إليها بدلاً من المجتمع الإسلامي.. (الأمة) كما يأمرنا القرآن الكريم.

غير أننا لم ننجح حتى كدول قومية، حيث أن جميع الدول الإسلامية ضعيفة، وغير مستعدة، وغير قادرة على مواكبة التطور.. منذ أفول العثمانيين لم ينظر إلى أية دولة إسلامية على أنها قوة عالمية، بل لا تعتبر أية دولة إسلامية بأنها دولة متطورة.

إن ضعف الدول الإسلامية أدى إلى استعمارها في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وحتى بعد تحقيق الاستقلال أُجبرت على الخضوع للضغوطات الأجنبية، وغالباً ما يتم التلاعب بها لمقاتلة بعضها البعض.. إنها لم تكن قادرة على الوحدة وحماية الأمة.

عندما كان شعب فلسطين يكافح لمنع قيام إسرائيل على أراضي بلاده لم تتمكن أية دولة إسلامية من التقدم للدفاع عن فلسطين.. إن الأوروبيين مع الصهاينة حوّلوا جزءاً من فلسطين إلى دولة إسرائيل.. فقد تم طرد المسلمين والمسيحيين العرب من فلسطين، وصادر الصهاينة منازلهم وأراضيهم ومزارعهم، وأجبروا على العيش في مخيمات اللاجئين منذ ذلك الوقت.

وفشلت محاولات الدول الإسلامية المتواضعة في استرجاع فلسطين لشعبها الشرعي، حتى عندما كانت القوة العسكرية لإسرائيل ضعيفة في ذلك الوقت، وفشلت المحاولات اللاحقة رغم الدعم الروسي.

اعتمدت الدول الإسلامية على أسلحة الحروب التي زُودت من قِبَل الدول غير الإسلامية المتعاطفة، إذ لم تكن لدى الدول الإسلامية القدرة على تطوير وإنتاج أسلحتها، وذلك رغم الأمر في القرآن بأن يعد المسلمون القوة ورباط الخيل، وإنزال الخوف على عدوهم بدفاعاتهم القوية.

اليوم، من الناحية العملية، كل فلسطين محتلة من قبل المستوطنات الإسرائيلية اليهودية التي شيدت على جميع الأراضي الفلسطينية، ولا أحد يستطيع زيارة فلسطين دون إذن الإسرائيليين، فيما على الجميع إما أن يعترفوا بدولة إسرائيل أو أن

يدانوا من قبل الغرب ولن تكون للفلسطينيين دولة فلسطين المعروفة تاريخياً. واليوم الإسرائيليون وحدهم من يسمح «للسلطة الفلسطينية بالعمل».



منذ 11 سبتمبر 2001 تم غزو واحتلال أفغانستان والعراق وتهديد سوريا وإيران، وتتم إهانة وإدانة المسلمين كإرهابيين في كل مكان، وشوّه الإسلام ودنّس القرآن الكريم.

لقد نجح أعداء المسلمين في تحويل الدول الإسلامية إلى دول تدور في فلكها، مجبرين إياهم على تمويل الحروب ضد المسلمين، وحتى محاربة المسلمين الآخرين بالنيابة عنهم.

حقيقة إن المسلمين انحدروا إلى أدنى مستوى لهم من أعالي المستويات التي وصلوا إليها في الماضي. فالحضارة الإسلامية العظيمة لم تعد هناك ولا يحمل المستقبل وعوداً باحيائها، ولم تعد موجودة حتى حسنات للآخرة، فهل يستطيع المسلم الفوز بالحسنة في عالم الآخرة في وقت سمح فيه للإسلام دينه بأن يدنّس إلى حد وصم النبي محمد ﷺ بزعيم العقيدة الإرهابية، وليس بنبي الديانة العظيمة؟!

جميعنا آثمون، لأنه لا أحد منا له القدرة على الدفاع عن ديننا، وعن الأمة، لقد أخفقنا في الامتثال لمتطلبات فرض الكفاية، وجميع عباداتنا المتعلقة بفرض العين تنقذنا من إثم الإخفاق في أداء فرض الكفاية.

ليس ثمة جدوى من إلقاء اللوم على أعدائنا إذا قلنا إنهم مسئولون عن تقسيمنا إلى دول ضعيفة، والتحريض لقتال بعضنا البعض، عندئذ لماذا لا نمنع أنفسنا من أن يتم التلاعب بنا ومن القتال ضد بعضنا البعض؟!.

أننا لم ننجح حتى كدول قومية، حيث أن جميع الدول الإسلامية ضعيفة وغير مستعدة وغير قادرة على التطور..

الحقيقة هي أننا نسمح لأنفسنا بأن نكون منقسمين، وإننا نقوم وبدراية على تنفيذ أوامرهم.. والحقيقة هي أننا نختار أن نتجاهل أوامر ديانتنا ونتخذ القرارات مدركين التغاضي عن الأخوة الإسلامية، وبدلاً من ذلك نساعد غير المسلمين على قمع المؤمنين.



وهب الله بعضنا الثروة التي لا نستطيع تخيلها، لدينا أموالاً كافية لجعل مليار وثلاثمئة مليون مسلم في جميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية أثرياء، نستطيع أن نضع حداً لآفة الفقر بين المسلمين.. نستطيع ضمان أن يمتلك جميعهم القوة الداخلية والقدرة، لكن ماذا فعلنا؟

إن الأموال تفقد القيمة كل الوقت.. إن الأموال التي لا تستخدم تنقص قيمتها بسرعة، لكن المعرفة والمهارات تزداد قيمة بالخبرة وبمرور الوقت.. إن ثروة النفط في باطن الأرض التي نعيش عليها لم تعطنا المنفعة، لأننا لم نمتلك المعرفة والمهارة لإخراجها من باطن الأرض لتزيدها قيمة، ولزيادة استعمالها.

لقد أتى آخرون بالمعرفة والمهارات لاستخراج النفط لنا، ولتكريره وبيعه واستخدامه.. بعد قرن من استغلالهم لمواردنا، ورغم أن كل دولة نفطية رئيسية أغنى وأكثر قوة من العديد من بلدان العالم في الغرب ما زلنا لا نعرف كيف ننتج نفطنا.. نجلس في راحة نقبض عوائد النفط معتمدين بالكامل على هؤلاء الأجانب الذين يستخرجونه من باطن الأرض وذلك على الرغم من أنه لا توجد ديانة تولي أهمية للمعرفة والمهارة أكثر من ديانتنا.. إن أول رسالة استلمها النبي محمد ﷺ هي ﴿إقرأ﴾ وهي تعني السعي وراء العلم.

هل تشترط هذه الرسالة الأولى بأن تنحصر القراءة والسعي وراء المعرفة على معارف الدين الإسلامي؟ عندما أُستلمت الرسالة لم تكن هناك أدبيات متوفرة عن الإسلام.. كانت هناك التوراة والإنجيل، ولكن لم يأت القرآن بعد.

لكن الآيات التي تلي «إقرأ» أشارت إلى المعرفة التي ينبغي السعي للحصول عليها، لقد ذكرت السورة، سورة العلق كيف خلق الله الإنسان من علق، وأن الله يُعلم الإنسان بالقلم ما لم يعلم.

لم يذكر شيء في هذه السورة يحرم القراءة، أي السعي وراء المعرفة خلافاً للدين الإسلامي، مع أن المسلمين قبل 500 سنة قيل لهم من قبل العلماء والفقهاء بأن دراسة الدين وحده.. يكسبهم التقدير في هذه الحياة وفي الآخرة، والدراسات الأخرى لا تكسبهم التقدير.

لقد درس المسلمون الأوائل جميع أنواع المعارف، بما في ذلك تلك التي كان اليونانيون روادها، إنهم رفضوا الكثير من الفلسفة اليونانية، لكنهم ركّزوا على العلوم والرياضيات والطب وعلم الفلك إلخ.. إنهم بنوا الحضارة الإسلامية العظيمة التي أسهمت في قوة وعظمة الأمة.. إنهم كانوا أكثر الشعوب تطوراً عندما كان الأوروبيون يتخبطون في غياهب الجهل والشعوذة في العصور المظلمة.

لقد انحسرت الحضارة الإسلامية وهوت إلى مستواها اليوم، بعد أن تجاهل المسلمون دراسات غير الدين الإسلامي.. وبالمصادفة حتى عندما قرّر المسلمون بأنه لا جدوى من دراسة أي شيء سوى الدين، بدأ الأوروبيون في دراسة أعمال العلماء المسلمين العظام: علماء الرياضيات والفيزياء، وبتطبيقات عملية لهذه المعارف أخرجوا أنفسهم من «العصور المظلمة» ليبدأوا بناء حضارتهم الحديثة.

لكننا اليوم ما زلنا لا نستجيب للأمر الأول في الإسلام: القراءة والسعي وراء العلم.. ولا نعرف حتى كيف نستخرج الثروة التي حبانا بها الله. بدلاً من ذلك نحن نجلس ونتمتع بالثروة التي يستخرجها الآخرون لنا.

لقد حبا الله الإنسان صفات معينة يمكن أن تساعدنا في التمتع بالحسنات في هذا العالم، وكذلك تحضير أنفسنا لكسب الحسنات في الآخرة.. عليه يجب استخدام عضلات أجسامنا بصورة مستمرة من أجل أن تمكننا من الوقوف والمشي والقيام بأعمال جسدية.. وإذا قمنا بجهود إضافية فإن العضلات في الواقع سوف تنمو وتقوى، ونتمكن من القيام بمزيد من العمل الجسدي. والأكثر من ذلك فإننا سوف نطور قوة ومهارة أعظم كلما استخدمنا عضلاتنا.

ما زلنا لا نستجيب للأمر الأول في الإسلام: القراءة والسعي وراء العلم.. ولا نعرف حتى كيف نستخرج الثروة التي حبانا بها الله. بدلاً من ذلك نحن نجلس ونتمتع بالثروة التي يستخرجها الآخرون لنا.

وذات الأمر فيما يتعلق بأدمغتنا.. إذا استخدمناها فإن تخزينها للمعرفة وذكاءها سوف يزداد، وسنكون أفضل في كل ما نفعله بسبب تراكم المعرفة والخبرة. وإذا لم نفعل ذلك فإن الدماغ لن يتطور، وفي الواقع سوف يضمر من حيث القدرة على التفكير واستخدام العقل وحل المشاكل.

الكثيرون منا أغنياء كثيراً، بحيث نريد فقط أن نتمتع بحياتنا وثروتنا، وأن بثروتنا نستطيع الدفع للآخرين للقيام بأعمال لنا، وللتفكير وحل مشاكلنا، وإدارة أعمالنا.. بأموالنا غير المحدودة أصبحنا مستهلكين لكل شيء، لا ننتج شيئاً بأنفسنا ما دام الآخرون يقومون بذلك لنا. لقد جعلنا آخرين يستخرجون ويبيعون الموارد التي وهبنا الله إياها، نحن فقط نقبض الأموال، لا نقوم بأي مجهود للتعلم،

والأسوأ من ذلك، إننا نؤمن بأن المسلمين لا يستطيعون التعلم والحصول على المعرفة والمهارات بالطريقة التي يستطيعها الآخرون، خاصة الأوروبيون. وعليه نثق بهم، ولا نثق في المسلمين الذين نعلم إنهم قادرون على القيام بما يستطيع الأوروبيون القيام به.

إننا غير قادرين على التفكير، وعلى إدارة وحل مشاكلنا، ويتضح ذلك من الطريقة التي نتعامل بها مع معضلتنا الحالية.. وفي مواجهة الهجمات ضدنا أصبحنا مولعين بالقتال، ونذهب إلى الانتقام القصير الأجل.. نحن لا نخطط للانتصار النهائي ولحل بعيد الأمد.. نحن فقط نسعى إلى الانتقام.. إذا قتلوا مواطنينا، نقتل مواطنيهم.. نحن لا نكترث حقاً بمن نقتل، ما دام من نقتل هم مواطنيهم، ربما كانوا أبرياء وربما حتى متعاطفين مع قضيتنا.. لكن إذا كانوا مواطنيهم فإن حقيقة أن يكونوا أبرياء أو ربما يساعدوننا لا تعني شيئاً، ربما لديهم نوايا شيطانية وعليه نقوم بقتلهم،

الكثيرون منا أغنياء كثيراً، بحيث نريد فقط أن نتمتع بحياتنا وثروتنا، وأن بثروتنا نستطيع الدفع للآخرين للقيام بأعمال لنا، وللتفكير وحل مشاكلنا، وإدارة أعمالنا..

ولكن المذنبين حقاً هم الجنود والسياسيون الذين يعطون لهم الأمر بالقتل، والذين نتجنبهم، لأنه من الصعب الوصول إليهم، بينما يكون من السهل قتل الأبرياء.

إن انتقامنا من مضطهدينا وغزاتنا لم يعطنا شيئاً سوى الإضرار بسمعة الإسلام والمسلمين، فالاضطهاد وإهانة المسلمين مستمر ويزداد سوءاً بمرور الوقت.

حتى الآن لم نجلس للتفكير والتخطيط ووضع استراتيجيات، والسعي للحصول على الاسترشاد من ديننا حول كيف نستطيع الإيفاء بواجبنا نحو الأمة، وكيف نؤدي فرض الكفاية من أجل إنقاذ أنفسنا والابتعاد عن الإثم.. سوف نقضي الساعات والأيام والشهور والسنوات في مناظرات وجدل عقيم حول العديد من التفسيرات في ديننا، نحن محنكون في ذلك لأننا هكذا نستخدم عقولنا كل الوقت.. لكننا لا نستطيع التفكير في خططنا واستراتيجياتنا للدفاع عن الأمة، لأن أدمغتنا لم تستعمل لذلك.



نحن ندين الانتحاريين، لكن ذلك هو الشيء الوحيد الذي يعرفون كيفية القيام به والقادرين على القيام به، إذا ما استطاعت الأمة عرض طريق أفضل، لو أنها تقيدت بما أمرنا به القرآن لتجهيز أنفسنا بالقدرة على الدفاع عن الأمة، وإرهاب أعدائنا كما يحثنا ديننا، لما احتاجوا إلى القيام بتفجيرات انتحارية لقتل الأبرياء أكثر من أولئك المذنبين حقاً بقتل مواطنينا، لكننا لسنا غير قادرين فحسب، في الواقع نحن لا نريد أن نكون قادرين، ونترك إخواننا المسلمين يعانون ما دمنا ناجين بأنفسنا.

نحن غير مهتمين للقيام بما في وسعنا من أجل إنقاذ الأمة، بل نحن غير مهتمين حتى بسماع كيف يمكن القيام بذلك حتى عندما نكون مطمئنين من أن الخطر والاضرار بأنفسنا سيكون في أدناه، نحن لسنا راغبين.. نحن مستمرون في القيام بما يضر بالأمة لأنه يجلب لنا الشعور الخاطئ بالأمن.



هذا هو حال الأمة.. وإلى هذا المنزلق هبطنا، ما قلته هنا نحن كأمة، أو نحن في هذه القاعة نعرفه جيداً، وإنني لا أخبركم شيئاً جديداً، ولكن هل فقط سنقوم بمناقشة المشاكل وإثارة الجدل إلى ما لا نهاية بشأنها؟ عن الأسباب ومن يجب إلقاء اللوم عليه؟ أو

هل سنفعل شيئاً ما إزاءها؟ لا توجد مشكلة غير قابلة للحل تماماً، ربما لن نكون قادرين على التغلب عليها بالكامل، ولكن نستطيع على الأقل تخفيفها.

لا يجب أن يكون الانتقام الهدف الذي نسعى إليه.. الانتقام مرحلة قصيرة الأجل، قد يعطي ارتياحاً مؤقتاً، لكن الانتقام يولد الانتقام، يقتلون مواطنينا ونقتل مواطنيهم، ثم يقتلون مواطنينا ثانية فنقتل مواطنيهم ثانية، ويستمر القتل إلى ما لا نهاية، وعند المواجهة فإن الغلبة لهم، فهم مجهزون بصورة افضل، واستراتيجيتهم موجودة لإرهابنا، إنهم يستطيعون غزو بلداننا، ويستطيعون استغلال اختلافاتنا، فبدلاً من الهجوم عليهم نهاجم ونقتل بعضنا البعض، وعندما يحدث ذلك يستطيعون إعلان النجاح لأننا نقوم بأعمالهم بالنيابة عنهم.

ندعي بأن ذلك ليس صحيحاً، وإنها دعايتهم، ولكن عندما يقوم انتحاري بتفجير نفسه في مسجد مكتظ بالمسلمين وهم يصلون، هل نستطيع القول بصدق بأن الانتحاري ليس مسلمًا؟ وأنه مسلم مأجور من قبل الكفار.؟ إن مثل هذا الانتحاري سيذهب إلى جهنم، إنه قتل مسلم لمسلم، حتى وإن أعلنا بأن أولئك المصلين هم ليسوا من المسلمين، لأنهم ينتمون إلى مذهب آخر، أي أنهم الشيعة ونحن السنيون، أو هم السنة ونحن الشيعة.

إذا كنت جاداً أو مسلماً جيداً قاتل الأعداء، اقتل الناس الذين يقتلون مواطنيك، قاتل الغزاة، بالطبع لن يكون ذلك سهلاً، لكن ستموت كمسلم جيد، لأنك لم تقتل مسلماً، لأن قتل المسلم حرّمه القرآن، ولأنك لم تضر بالاسم الجيد للإسلام.

كما قلت إن الانتقام ليس هو الهدف، علينا التخطيط لنجاح نهائي.. علينا أن نبني قوتنا وقدرتنا لفرض الاحترام والخوف على أعدائنا حتى لا يستأسدوا علينا ويهاجموننا ويضطهدوننا ويهينوننا.

إن ذلك سيستغرق وقتاً طويلاً، لكن فكروا في كفاح النبي محمد ﷺ.. إنه عانى من الهزيمة، وقد رجم من قبل أعدائه، وكان عليه الهجرة من مكة وتحمل مصاعب عظيمة.

إنه نبي الله الذي كان يستطيع تيسير الأمور له لو أراد سبحانه وتعالى، لكن الله لم يفضل رسوله بتيسير الأمور له، كان على محمد ﷺ الكفاح وحده، لكنه انتصر على أعدائه وكسب دعمهم واعتناقهم الإسلام، لقد قاتل، وحبيب الله ذاته أصيب، لكنه استمر في كفاحه.

علينا أن نبني قوتنا وقدرتنا لفرض الاحترام والخوف على أعدائنا حتى لا يستأسدوا علينا ويهاجموننا ويضطهدوننا ويهينوننا.

الحمد لله بفضل إصراره وعزيمته وتكريس نفسه من أجل الإسلام أدى كفاحه إلى انتشار الإسلام من إسبانيا غرباً إلى الصين وجنوب شرقي آسيا شرقاً.

إذا كان النبي ﷺ قد ناضل لمدة ثلاثة وعشرين عاماً، فمن نحن لنتمنى النصر بين يوم وليلة؟!.. كوننا أناساً عاديين، يجب أن تستعد الأمة لكفاح لفترة أطول وأن تخطط بصبر لاستراتيجية فعالة، وأن تقوم بالتحضيرات الضرورية.

قد يستغرق الأمر عقوداً أو حتى قرناً، ربما لن نعيش لنرى النجاح والانتصار، لا سيما وأن النبيﷺ لم يعش ليرى نفراً من أتباعه الذين كانوا في المدينة يزداد عددهم ليصل إلى أمة تعدادها 3, 1 مليار اليوم.. عليه يتعين علينا التخطيط بصبر حتى نستعيد قوانا في متغيرات القرن الحادي والعشرين من عهد المسيحية الموافق للقرن الخامس عشر للهجرة.. علينا تنفيذ خططنا باجتهاد، وعلينا استرجاع مكانة الأمة إن لم يكن مجد الحضارة الإسلامية العظيمة، علينا الكفاح بجهد لاسترجاع عظمة الإسلام الذي تركه محمد ﷺ تحت رعايتنا.

المتغيرات العالمية والثوابت الإسلامية

د. محمد السمّاك *

يقول المستشرق الإنجليزي (مونتغمري وات) في كتابه (الفكر السياسي الإسلامي): إذا ألقينا نظرة عامة على العلاقة بين الدين والسياسة، فإن من المفيد الاهتمام أولاً بموقع الدين في حياة الفرد.

فبالنسبة للشخص الذي يشكل عنده معنى خاصًا، وليس مجرد تعلّق شكلي، يمكن التأكيد على نقطتين:

النقطة الأولى: هي أن الأفكار التي تتضمنها ديانته ترسم له الإطار الثقافي الذي يحيط بنشاطاته وبأعماله كلها، ومن خلال هذه العلاقة تكتسب نشاطاته أهميتها كما أن هذه العلاقة قد تؤثر بطرق معينة على البرنامج العام لحياته.

النقطة الثانية: هي أن الدين من حيث أنه يؤدي بالمؤمن إلى وعي المضمون الأوسع الذي تقوم عليه الأهداف الممكنة لحياته، يولد - الدين - لديه الحوافز المحركة لسائر النشاطات التي يقوم بها.

وبالفعل فإنه من دون هذه الحوافز الدينية، لا يمكن القيام بالكثير من هذه النشاطات.

ومن خلال هاتين النقطتين يتبين لنا كيف أن الدين يحتلّ موقعًا مركزيًا في حياة الإنسان، ليس من حيث أنه يقرر الكثير من التفاصيل (مع أنه يفعل ذلك بالفعل في بعض الحالات)، ولكن من حيث أنه يوفر للإنسان أهدافًا عامة في الحياة، ويساعده على تركيز وعلى تجميع قواه من أجل تحقيقها [1].

وهذا يعني أنه لا قيمة لحياة الإنسان إذا لم تكن له خلفية ثقافية يستمد منها معنى لحياته، وبالتالي فإن تذويب أي ثقافة خاصة هو تذويب للقيم التي تقوم عليها إنسانيته، وتدمير لها. وعندما يتداخل الدين مع الثقافة، أي عندما يكون الدين مكونًا بامتياز، أو المكوّن الأساس للثقافة، يأخذ الدفاع عن الخصوصية الثقافية بعدًا مقدسًا على النحو الذي نشهده اليوم في مواقع متعددة من العالم، بما في ذلك - بل وخاصة - في عالمنا العربي - الإسلامي.

If we look more generally at the relation between religion and politics, it is helpful to consider first the place of religion in the life of an individual. In the case of a person to whom religion means something and is not a merely nominal adherence, two points may be emphasized. First, the ideas of his religion constitute the intellectual framework within which he sees all his activity taking place.

It is from this relationship to a wider context that his activities gain their

---

* كاتب، رئيس لجنة الحوار الإسلامي - المسيحي / لبنان

Montgomery Watt, Islamic Political, Edinbugh Uni. Press, 1968, P.28 (1)

significance, and a consideration of this relationship may influence his general plan for his life in particular ways. Secondly, because religion brings an awareness of this wider context in which the possible aims for a man's life are set, it may often generate the motives for his activity; indeed, without the motives given by religion some activities cannot be carried out. From these two points it is seen that religion has a central position in a man's life, not because it determines many of the details (though in some cases it may), but because it gives him general aims in life and helps to concentrate his energies in the pursuit of these aims.

إذا كان هذا الدور المركزي للدين في ثقافة الفرد والمجتمع يشكل أساسًا ثابتًا ومستمرًا، فإنه يواجه اليوم عالمًا دخل مرحلة جديدة تتلاشى معها الحدود السياسية وتتداخل فيها الثقافات والتقاليد الدينية والاجتماعية. فقد تحولت القضايا الوطنية (مثل حقوق الأقليات وحقوق الأفراد وحرية العبادة وسواها) إلى قضايا عالمية تتجاوز الأطر الوطنية أو المجتمعية المحدودة. وكذلك تحولت القضايا العالمية (مثل السلام والتنمية وحركة رؤوس الأموال والاستثمارات والخدمات وتبادل السلع) إلى قضايا وطنية وداخلية.

تضع هذه المتغيرات العميقة والشاملة العالم العربي والإسلامي، الذي يعاني من التخلّف من جهة ومن الخوف على الذات من جهة ثانية، أمام تحديات تحتم عليه صياغة نهج جديد وأسلوب جديد للتعامل مع هذا العالم. إن مظاهر هذا التخلف تصفع الإنسان العربي والمسلم قبل أن تثير تساؤل الإنسان الغربي. إلا أن البحث عن أسباب التخلف عن مواكبة العصرنة والحداثة يقودنا إلى التوقف أمام العوامل التالية:

أ ـ تعريف الحداثة والعصرنة وتحديد مقاييسها ومواصفاتها.

ب ـ دور الدين كحافز أو كعائق في التحديث والتطور (نظرية ماكس فيبر ـ الأخلاق البروتستنتية والرأسمالية).

ج ـ ربط التحديث بالاستتباع في الثقافة الغربية (نظرية بنجامين كيد).

د ـ ربط التحديث بالمحافظة على الذات في الثقافة المشرقية العربية ـ الإسلامية (نظرية الإصلاحيين من رفاعة الطهطاوي ـ محمد عبده ـ رشيد رضا ـ جمال الدين الأفغاني ـ شكيب أرسلان حتى مالك بن نبي).

في الأساس ينفتح العالم العربي والإسلامي ثقافيًا وحضاريًا على الآخر بكل ثقة وبلا تحفظ. من عهد المأمون الذي أسس بيت الترجمة عن التراثات اليونانية والفارسية والهندية، حتى عهد عبدالناصر الذي وضع مشروع ترجمة الألف كتاب، مرورًا بعهد محمد علي الذي أوفد إلى الغرب العشرات من البعثات الطلابية لمواكبة التقدم العلمي والتقني في أوروبة. مع الإشارة السريعة إلى الدور المهم للأديرة في لبنان في الترجمة والطباعة باللغة العربية.

لم يكن الدين عائقًا في وجه هذا الانفتاح. بل إن في الدين الكثير من الحوافز التي مارست دورها الفعّال في عملية السعي وراء المعرفة والعلم «ولو في الصين».

لم يكن الدين عائقًا في وجه هذا الانفتاح. بل إن في الدين الكثير من الحوافز التي مارست دورها الفعّال في عملية السعي وراء المعرفة والعلم «ولو في الصين».

غير أن هذا التوقع للانفتاح كان يصطدم دائمًا بنظريات معاكسة لعل آخرها نظرية (صراع الحضارات) التي طلع بها المفكر الأميركي صموئيل هنتغتون، ذلك إن هذه النظرية قد تكون وجهًا عصريًا لنظرية بنجامين كيد Benjamin Kidd التي يدعو

فيها إلى هيمنة العنصر الانكلوسكسوني على العالم لأنه كما يدّعي «العنصر الأقوى، والأفضل ولأنه رائد التحديث والتطوير الإنسانيين».

ولقد ذهب ألبرت بايت Albert Bayet إلى حد اعتبار الاستعمار إثراء للشعوب المستعمرة فكريًا وعلميًا وحضاريًا ما يجعل منه ـ أي من الاستعمار ـ واجبًا على الشعوب المتقدمة وحقًا للشعوب المتأخرة.

طبعًا من السذاجة ربط عدم مواكبة العالم الإسلامي إنتاجيًا ـ وليس استهلاكيًا فقط ـ للنهضة الحضارية المعاصرة، بالدور الخارجي وحده، وإن كان من السذاجة في الوقت نفسه التقليل من فعالية هذا الدور.

إن الوعي العربي ـ الإسلامي بواقع التخلف، والوعي بضرورة بذل قصارى الجهد لمواكبة التقدم، والوعي بالثمن المطلوب أداءه من أجل التغيير المنشود ليس مسألة بسيطة ولا هي مسألة قابلة للتجاهل، وكما يقول الفيلسوف النمساوي غادامر: «صحيح أن الوعي يملك مقومات ثقافية بارزة، ولكن التغيير لا يتم في الوعي، بل في الواقع، وهو سياسي واجتماعي وفردي».

وكما يقول غادامر أيضًا، فإنه «في ظروف الأزمنة الصعبة المزلزلة يتراجع الوعي بالمصالح لصالح ثقافة الهوية فيبدو أنه لا مخرج من الأزمة أو المأزق إلا بالصدام مع الخصم الحقيقي أو الموهوم».

إن التعامل مع المتغيرات العالمية بفكر اعترافي لا إنكاري، وبروح استيعابية لا تصادمية، وبأسلوب نقدي للذات لا رفضي للآخر، يقتضي استلهام الحكمة في الموقف وفي السلوك معًا من الثوابت الإسلامية.

فالإسلام يقول بوحدة الإنسانية وبتنوعها، ويرسي أسسًا ومبادئ لاحترام التنوع والتعدد الاثني والثقافي والديني بحيث تشكل هذه الأسس والمبادئ جوهر العقيدة الإسلامية، لا يكتمل إيمان المسلم بل لا يكون أساسًا من دونها.

وفي القرآن الكريم عدد كبير من الآيات الكريمة التي تؤكد على ذلك.

فالله سبحانه وتعالى كرّم بني آدم، أي أن الكرامة الإلهية للإنسان تشمل الناس جميعًا وليست وقفًا على مؤمن دون آخر، أو على المؤمنين دون سواهم.

ثم إن الله سبحانه استخلف الإنسان في الأرض ولم يستخلف أمة دون أخرى.

والله سبحانه خلق الناس جميعًا من نفس واحدة تأكيدًا للمساواة بينهم، ثم جعلهم أممًا وشعوبًا متعددة الألسن، مختلفة الألوان والأجناس، متنوعة الشرائع، ولو شاء غير ذلك فإنما يقول له كن فيكون.

التعامل مع المتغيرات العالمية بفكر اعترافي لا إنكاري، وبروح استيعابية لا تصادمية، وبأسلوب نقدي للذات لا رفضي للآخر، يقتضي استلهام الحكمة في الموقف وفي السلوك معًا من الثوابت الإسلامية.

تفصيلاً لهذه القواعد الكلية، سوف أقتطف ثلاث آيات كريمة من بين العشرات من القرآن الكريم.

تقول الآية الأولى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [سورة الحُجرَات: الآية 13]

تكشف هذه الآية الكريمة عن ثلاث قواعد:

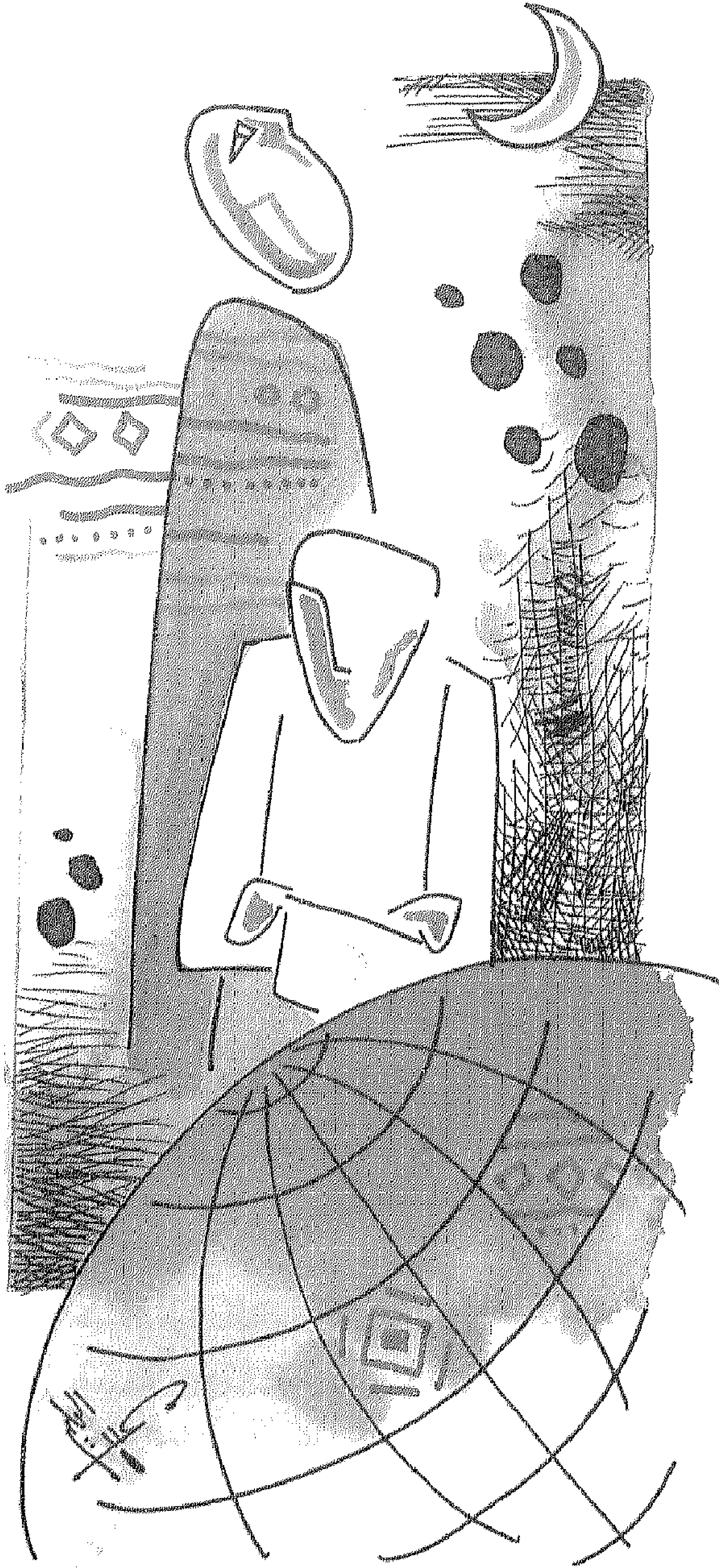
القاعدة الأولى: هي الوحدة الإنسانية، بمعنى أن الناس جميعًا يشكلون أمة واحدة، خلقهم الله من نفس واحدة، ولقد قال القرآن الكريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾

[سورة الحُجرَات: الآية 13]

القاعدة الثانية: هي التنوع الإنساني، حيث تتابع الآية الكريمة ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾، أي أن هذا التنوع جُعل بإرادة إلهية، وأن وجوده هو تجسيد لهذه الإرادة الإلهية وتعبير عنها.

القاعدة الثالثة: هي أن الهدف من هذا التنوع هو التعارف بين الناس تحقيقًا لوحدة تحفظ التنوع وتحترمه وتصونه، حيث تكتمل الآية القرآنية بتحديد الحكمة من التنوع بقولها:



﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾

[سورة الحُجرَات: الآية 13]

فالتعارف هو الجسر الذي يربط بين الجماعات المتنوعة والمختلفة، ولكن لا تعارف من دون معرفة، ذلك أن التعارف يقوم أساسًا على المعرفة، ويفترض بالآخر أن يكون مختلفًا حتى نتعرف إليه، ويفترض أن نكون نحن مختلفين عنه حتى يتعرّف إلينا، ومن دون هذا الاختلاف ما كانت هناك حاجة للمعرفة، وما كان للتعارف أساسًا أن يكون، من هنا فإن الدعوة القرآنية للناس ليتعارفوا هي في حدّ ذاتها دعوة لهم للتعرّف على ما بينهم من اختلافات، وللاعتراف بهذه الاختلافات، ولإدراك حتمية استمرارها، ولبناء مجتمع إنساني واحد ومتناغم على قاعدة معرفة المختلفين وتعارفهم. كثيرة هي الإشارات إلى الاختلاف والتنوع التي وردت في القرآن الكريم، أذكر منها:

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾

[سورة يُونس: الآية 19]

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ [سورة هُود: الآية 118]

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾

[سورة الشّورىٰ: الآية ٨]

لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يكون الناس رغم وحدة الخالق ووحدة الخلق أممًا وشعوبًا مختلفة. فالوحدة الإنسانية تقوم على الاختلاف والتنوّع وليس على التماثل والتطابق. ذلك أن الاختلاف آية من آيات عظمة الله، ومظهر من مظاهر روعة إبداعه في الخلق، يقول القرآن الكريم:

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾

[سورة الرُّوم: الآية 22]

وبالتالي فإن الاختلاف العرقي لا يشكل قاعدة

لأفضلية ولا لدونية. فهو اختلاف في إطار الأسرة الإنسانية الواحدة، يحتم احترام الآخر كما هو وعلى الصورة التي خلقه الله عليها.

إذا كان احترام الآخر كما هو لونًا ولسانًا (أي إثنيًا وثقافيًا) يشكل قاعدة ثابتة من قواعد السلوك الديني في الإسلام، فإن احترامه كما هو عقيدة وإيمانًا هو إقرار بمبدأ تعدد الشرائع السماوية، واحترام لمبدأ حرية الاختيار، والتزام بقاعدة عدم الإكراه في الدين.

فالقرآن الكريم يقول:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 148]

وفي إشارة واضحة إلى تعدد التوجهات يقول أيضًا:

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾

[سورة البَقَرَة: الآية 145]

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الحَجّ: الآية 67]

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة الجاثية: الآية 28]

معنى ذلك، أنه مع اختلاف الألسن والألوان، كان من طبيعة رحمة الله اختلاف الشرائع والمناهج، وهو ما أكد عليه القرآن الكريم بقوله:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

[سورة المائدة: الآية 48]

فالاختلاف الثقافي والعرقي والديني والمذهبي باق حتى قيام الساعة، والحكم فيه يومئذ لله. والتعامل مع بقائه لا يكون بالغائه ولا بتجاهله، بل بالتعرّف إليه وتقبّله واحترامه كسنّة دائمة من سنن الكون.

في الأساس الحق واحد كما يقول أبو الوليد الباجي في كتاب (أحكام الفصول في أحكام الأصول) «وإن من حكم بغيره فقد حكم بغير الحق، ولكننا لم نكلف إصابته، وإنما كلفنا الاجتهاد في طلبه، فمن لم يجتهد في طلبه فقد أثم، ومن اجتهد فأصابه فقد أجر أجرين: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة للحق. ومن اجتهد فأخطأ فقد أجر أجرًا واحدًا لاجتهاده، ولم يأثم لخطئه».

هذا يعني أن الاجتهاد كعمل فكري إنساني مفتوح على الصواب والخطأ، وبالتالي فإنه ليس مقدسًا، وإنه ليس لأحد حقّ احتكار الصواب بالمطلق، أو حقّ توجيه اتهام الفكر المختلف بالخطأ بالمطلق، فمن أبرز صفات السماحة الإسلامية أن المفكر أو المجتهد المخطئ لا يؤثم على خطئه، بل يؤجر على اجتهاده، حتى إذا أصاب يؤجر ثانية لإصابته الحق، من هنا قول أبي حنيفة «رأيي صحيح يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب».

إن الاعتقاد بأن جماعة ما هي وحدها التي تفهم النص الديني فهمًا صحيحًا، وبالتالي، فإن هذه الجماعة وحدها المؤتمنة على الدين، وإن كل من هو خارج الالتزام بمفهومها، وبها، هو خارج على الدين، هذا الاعتقاد يتناقض في الجوهر، وفي الأساس مع الدين كمعطي إلهي، ويتناقض مع الموروث الفكري الديني كمعطي ثقافي واجتهادي والذي يشكل ثورة فكرية لسلسلة غنية من التجارب الإنسانية في الفهم الإنساني للنصّ الإلهي المقدس، يرسي الإسلام قواعد لعلاقة الإنسان بنفسه، ولعلاقته بأخيه الإنسان (سواء كان مؤمنًا أو غير مؤمن) ولعلاقته بمجتمعه، ولعلاقته بربه، هذه القواعد الكلية تشمل قضايا وأمورًا حياتية تتغير بتغير الأزمان والمجتمعات، ولذلك فإن الحكمة الإلهية قضت بصياغة النصوص الدينية بحيث تترك المجال مفتوحًا أمام الفكر الإنساني لفهمها وهضمها ولاستنباط الأحكام منها وفقًا للمستجدات والمتغيرات التي تواكب حركة التطور الإنساني.

وفي الأساس أيضًا لا تكون الوحدة إلا مع الآخر،

والآخر لا يكون إلا مختلفًا، وإلا فإنه لا يكون آخر، هذا يعني أن المحافظة على الوحدة تتطلب المحافظة على الآخر، وان استمرارها هو استمرار له، وهو يعني بدوره أن الوحدة يجب أن لا تؤدي بل يجب أن لا تعني أساسًا محاولة إلغاء الآخر أو تذويبه، وإلا تصبح وحدة مع الذات، فما من وحدة قامت واستمرت وازدهرت إلا وفيها تماه للآخر، وما من وحدة تهاوت وتفتّتت إلا نتيجة امتهان حق الآخر المكّون لها في أن يكون نفسه، أي أن يتحدث فرويد عن نرجسية الاختلاف، ويقول أنه مهما كان الاختلاف محدودًا فإنه يحتل موقع القلب في هوية كل منا.

أرسى الإسلام ثلاث قواعد أساسية تقوم عليها الوحدة في التنوع، لا يتناقض الاختلاف مع الوحدة الإنسانية، فالعلاقة التكاملية بين الوحدة والاختلاف تبرز من خلال المبادئ الثلاثة التالية التي قال بها القرآن الكريم.

المبدأ الأول هو التداول:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾

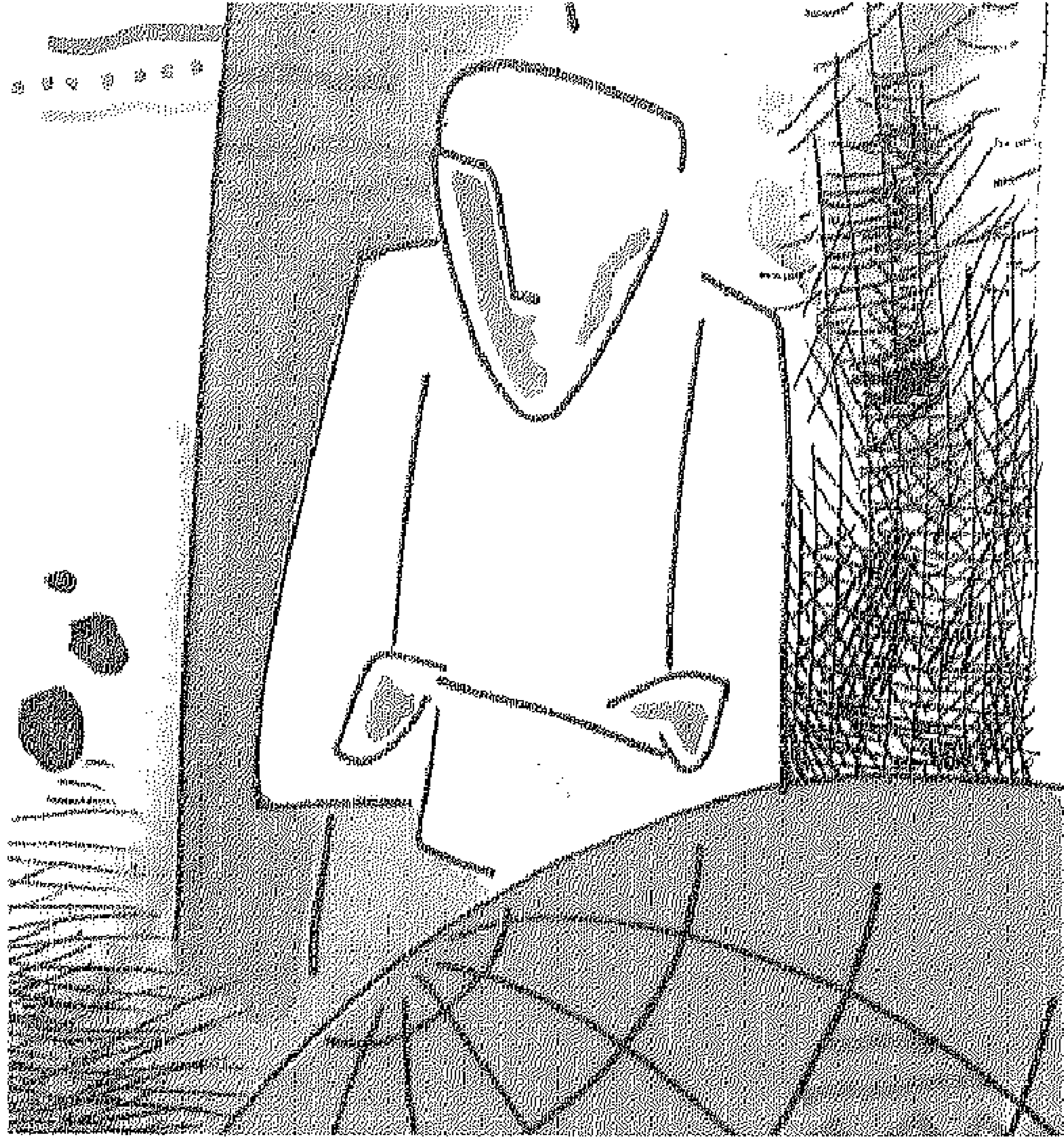
[سورة آل عِمرَان: الآية 140]

إذ لو كان الناس كلهم شعبًا واحدًا أو إثنية واحدة أو على عقيدة واحدة وفكر واحد، لما كانت هناك حاجة للتداول، ولأنهم مختلفين، ولأن الإرادة الإلهية شاءت أن يكونوا مختلفين، كان لابد من التداول، والتداول يعني تواصل الإنسانية واستمرارها بما هو مناقض لمقولة نهاية التاريخ، فالتداول حياة، والنهاية موات.

المبدأ الثاني هو التدافع:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 251]

فالتدافع - وليس التحارب ولا التصادم - هو تنافس ارتقائي وتطويري للمجتمعات الإنسانية المختلفة، ذلك أن المجتمعات هي كالمياه، إذا ركدت أسنت، وإذا تحركت وتدافعت أمواجها تعانقت مع حركة الضوء والريح، مما يوفر لها عناصر الحياة



والانتعاش والنمو والتقدم، فمن دون الاحتكاك الفكري والتلاقح الثقافي والتدافع الحضاري بين الناس المختلفين والمتنوعي الثقافات، يفقد الذهن عطشه إلى المعرفة التي هي عود الثقاب الذي يلهبه، إن الاختلاف بين الناس وما يشكل الاختلاف من تدافع هو أحد أهم مستلزمات عدم فساد الأرض.

المبدأ الثالث هو التغاير:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعَام: الآية 38]

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾

[سورة الرّعد: الآية 30]

فالتغاير والاختلاف هو القاعدة، وهي قاعدة عصية على التجاوز، تشكل الثابت الدائم في المجتمعات الإنسانية منذ بدء الخلق وحتى نهاية الزمن.

ولذلك أرسى الله قاعدة التعارف المكملة لقاعدة الاختلاف والتغاير، والقاعدتان معًا تشكلان الأساس الذي تقوم عليه الاخوة الإنسانية التي لا سلام ولا استقرار من دونها.

لقد قال الإسلام بالتعارف بين الجماعات البشرية ولم يقل التسامح، كان نيتشه على حق عندما

اعتبر «التسامح اهانة للآخر» لما يتضمنه من فوقية المتسامِح تجاه المتسامَح معه.

إن علاقة الإسلام بالرسالات السماوية التوحيدية ليست علاقة تسامحية ولكنها علاقة إيمانية، ذلك أن إيمان المسلم لا يكتمل إلا بالإيمان بالمسيحية وباليهودية رسالتين منزلتين من عند الله، ففي القرآن الكريم نصّ واضح بذلك:

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة آل عِمرَان: الآية 84]

وشتان بين العلاقة القائمة على الإيمان، وتلك القائمة على التسامح، فالعلاقة الأولى نديّة تقوم على الاعتراف بالحق واحترام الاختلاف، بينما الثانية فوقية تقوم على إنكار الحق والاستعلاء على المختلَف معه.

الآية الثانية: التي أقتطفها من القرآن الكريم تخصّ أهل الكتاب من مسيحيين ويهود، وتقول الآية:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾

[سورة آل عِمرَان: الآية 64]

فالدعوة إلى كلمة سواء هي في الأساس دعوة إلى البحث عن جوامع مشتركة تقوم عليها العلاقات بين المؤمنين بإله واحد وإن تعدّدت وسائل تعبيراتهم عن هذا الإيمان وممارستهم له.

أما الآية الثالثة: فهي الدعوة إلى معالجة الاختلافات والتباينات بالتي هي أحسن، تقول الآية الكريمة:

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فُصِّلَت: الآية 34]

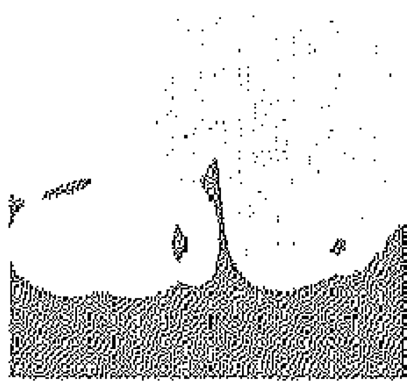
والدعوة إلى التعامل حتى مع العدو بالتي هي أحسن تناقض اللجوء إلى العنف والإرهاب، وترفض الالغائية وتنكر التكفير، فالدعوة الإلهية إلى الدفع بالتي هي أحسن ليست مقتصرة على العلاقات بين المسلمين خاصة أو المؤمنين عامة، بل إنها تتسع لتشمل العلاقات بين الناس جميعًا.

إن من شأن التعصب للدين أو للمذهب أو للجماعة أن يقيم جُزُرًا من التنوع المتباعدة والجاهلة للآخر، وبالتالي المتشككة فيه والمستنفرة دائمًا لمواجهته، وهذا تنوع خارج إطار الوحدة، بل رافض لها، أما التعارف فإنه على العكس من ذلك يقيم وحدة في إطار التنوع تتعرف على الآخر وتعترف به، وتبادله الاحترام والثقافة والمحبة، وهذه وحدة في إطار التنوع.

إن منطق رفض الآخر، وإنكار فكره المختلف الذي يقول به، أو تجاهله، أو محاولة إلغائه، هو منطق الغائي للذات، إنه منطق يوسع دائرة الخصوم والأعداء، ويوفر المبررات لاستدراج العالم العربي - الإسلامي إلى جبهات صراع غير صحيحة وغير متكافئة، بل إنه يضع العالم العربي - الإسلامي في مواجهة مع العالم، الأمر الذي يتخذ حجة لتبرير الاتهامات الجماعية التي توجه إليه ظلمًا، والمسافة واسعة جدًا بين الدعوة إلى الله ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ التي يقول بها الإسلام السمح، والدعوة التكفيرية الالغائية التي يقول بها الغلاة المتنطعون.

في العلاقات الإنسانية سلبيتان لا تصنعان إيجابية: «وحدة تعسفية تطمس الاختلاف والتنوع» (كما كان الأمر في الاتحاد السوفياتي السابق)، وتعددية مطلقة تدير ظهرها للآخر المختلف وتأبى الوحدة على قاعدة احترام الاختلاف والتنوع، (كما هو الأمر اليوم في البلقان وفي مناطق أخرى من العالم).

من هنا أهمية مبدأ التعارف الذي قال به الإسلام من حيث أنه يقوم على العلم والمعرفة، وهما من أسمى هبات الله للإنسان «وعلّم (الله) آدم الأسماء كلها». والأساس الذي تقوم عليه أخوة إنسانية تغتني بالاختلاف وتحترمه وتجعل منه قاعدة للائتلاف والتوافق وليس للخلاف والتنابذ.



إعجاز القرآن .. رؤية جديدة

عمر لطفي العالم *



«وماذا عن الصيني والهندي والمالوي ولُسُنٍ أخرى عُجْم لا تميز بين الضاد والدال، تطالبونها أن تؤمن بداعي البلاغة العربية، أسوة بابن بادية تأصل جمال اللغة في عقله الباطن على وقع الأهازيج وحداء الإبل؟!»

وردت هذه العبارة في ختام مقالة لمستشرق قرأ للعسكري أبي هلال، الذي لم يكن إلاّ واحداً من عديد قرأ لهم حول بدائع إعجاز القرآن الكريم، ما مكّنه من تكوين فكرة جامعة، جريًا على عادة حميدة تأصلت فيهم: أن لا يقولوا قبل أن يطالعوا..!

لا غرابة إنْ صدر رأي كهذا عن رجل دخيل على العربية، لكنَّ الغرابة كل الغرابة أن تسمع الرأي من علاّمة عربي مشهور (أبو بكر محمد بن زكريا الرازي) حين يقول: (وأيمُ الله لو وجب أن يكون كتابٌ حجةً، لكانت كتب أصول الهندسة، والمجسطي الذي يؤدي إلى معرفة حركات الأفلاك والكواكب.. أولى بالحجة مما لا يفيد نفعًا ولا ضررًا، ولا يكشف مستورًا، يعني به القرآن الكريم) وقال أيضًا: (ومن أنكر ذلك، أي إعجاز القرآن، فليأت بمثله، ونحن نقول لكم كذلك: ائتونا بمثل ما في كتاب أصول الهندسة والمجسطي وغيرهما.. إنا نطالبكم بالمثل

* كاتب وباحث ليبي / سورية

الذي تزعمون أنا لا نقدر أن نأتي به، وهو بهذا التحدي يشير إلى أن الحجة نفسها ترتدُّ على الخصم، فليس في وسع إنسانٍ أن يأتي تمامًا بما أتى به آخر..).

بنى عبد الرحمن بدوي على ما أورده المستشرقان الألمانيان ـ باوك كراوس، وفوستنفلد شايدر. كشاهد في جملة ما جاء في كتابه: «من تاريخ الإلحاد في الإسلام».

وسواءً صحّت النسبة أم لم تصح، ما كان لباحث مرموق مثل بدوي أن يغرُب عن باله، بأنّ تحدي القرآن الكريم في بدايات عهده لم يكن موجهًا إلى من لا يتقن فنون القول وأسرار العربية، والقاعدة المتبعة في التحدي المذكور ليست بالصيغة التي نسبت إلى الرازي وفرّح بها بدوي، بل إن التجانس كان وما يزال شرطًا لازمًا بين طرفي المعادلة، أعني المتحدّي، والمتحدَّى، تنطبق فيه القاعدة على هذه الحالة كما تنطبق على غيرها، لا يستثنى منها شأنٌ في البلاغة كان أو في غيرها.

على أية حال فالذين جردوا أقلامهم للكتابة في جوانب الإعجاز اللغوي لم يكونوا يمزحون، وكانوا مثلنا عربًا وأعرابًا، يزيدون علينا بفارق الزمن، وبالقرب من مورد صناعة الكلمة في عصرها الذهبي، لاسيما حين رطنت الألسنة، وباتت الكلمة البليغة تشعر بنوع من الغربة والاستحياء وسط عالم غير عالمها، وفي أمة هانت عليها، وتمادى الأغيار في أسلوب التطاول عليها.

برغم هذا فإن تتبع جوانب الإعجاز اللغوي ليس بالأمر العسير، وتمييز خصوصيات الكلمة المنزلة ممكنٌ إذا انعقدت النية وتوفرت الوسيلة.

إن المولى عز وجل لم يُنزل على نبيه الكريم طلاسم يحار العقل الآدمي في فهمها، بل أنزلها آيات بينات لتصبح مشروعًا كونيًا. فإذا كان هذا هو الرأي لزم إذن أن تبتعد عن الحوشي في اللفظ، والتقعر في المعنى، وعن الإسفاف والتغاير، وعمّا في سائر كلام البشر من عيوب وابتذال. ولقد جمع التنزيل إليه هذا كلّه وأضاف خصيصةً لم تتوفر لغيره، قاسمٌ مشترك في التعبير ألّف بين قبائل العرب، واختزل أحسن ما في لهجاتهم رقةً وعذوبة وبيانًا وفصاحة، مع ذلك فإن إعجاز القرآن ليس دائمًا في تقديم الخبر وتأخير المبتدأ، في الحذف والقصر، في الإيجاز أو الإسهاب أو المساواة، في التذييل أو الغلُو أو الالتفات أو الإيغال، إعجازه الأكبر في أنه وحّد الأمم حول إله واحد وقبلة واحدة، جمعهم على كلمة سواء، في أنه وضع قدم المنسيين في شرق الكرة كما في غربها، وشمالها وجنوبها، وأنه هو الذي أعطاهم حق العضوية في منتدى الحضارات. مع ذلك فمن مقتضيات الإعجاز التطرق بليونة إلى مسألة البلاغة التي تبرز فيها أمامنا أسماء كبيرة، لم تترك لغيرها شاغرًا برغم ما مرّ عليها من قرون، لكنها لم تستطع تجاوزها لغيرها. كان المنهج قبل «السكاكي» على عدم الفصل لما في ذلك من خدمة للأدب وإمداده بأسباب القوة والوضوح والجمال. وكان لهذا المنهاج أثره في تنبيه المواهب وإرهاف الملكات، وعلى التذوق والتمييز بين جيد الكلام ورديئه، بعبارة أخرى على تنمية القدرة لدى القارئ على أن يستحسن ويستقبح، يوازن ويفاضل، أن ينقد النص الذي بين يديه، لكنّ الذي حدث في دراسة البلاغة بعده أن أصّل منهاجه على أسس منطقية حولت المعيار من فن إلى علم، علم له قواعده ونظرياته، إنْ نجحت في تكوين طبقة من البلاغيين فقد فشلت في تكوين بلغاء. من المنعطف ذاك بدأت

إعجاز القرآن ليس دائماً في تقديم الخبر وتأخير المبتدأ، في الحذف والقصر، في الإيجاز أو الإسهاب أو المساواة، في التذييل أو الغلُو أو الالتفات أو الإيغال.

بوادر الأزمة التي امتدت بسخرية: (ذلك رأي أبي هلال فما رأيك أنت؟). ومن هنا كانت الخطورة التي جعلت الحديث عن القرآن وإعجازه عرضًا وتكرارًا لما قاله الجدود قبلنا، لأنه شكل بنظر بعض النقاد المعاصرين بداية لطور الجمود. وكان من أحد مظاهر الجمود أن نال كتابه (مفتاح العلوم) شهرة فائقة في ميدان البلاغة بالذات، وقد فُتن العلماء لدرجة أنهم نسوا أنفسهم واستهانوا بملكاتهم، ولهذا ظلوا قرابة خمسة قرون ابتداء من القرن الخامس عاكفين على شرحه وتلخيصه، ولا داعي لذكر أسماء من نظم متنهم أو لخص أو شرح. وإذا دلّت تلك الشروح والمنظومات والتلخيصات على شيءٍ فعلى جمود الفكر البلاغي الذي يُعد إلى جانب علوم العربية الأخرى أساسًا لفهم القرآن. ومن يقرأ هذه الشروح والمتون يخرج بانطباع، كأن علماء البلاغة لم يكونوا علماءَ بلاغةٍ بل مجرد معلمين لها، وهو ما نعاني منه اليوم، فهم يذكرون الكلمة أو العبارة من الأصل ثم يتبعونها بشرح المراد، وفي ذلك يقول السبكي: (إنهم يتناولون المعنى الواحد بالطرق المختلفة، ويتناوبون المشكل والواضح على أسلوب واحد.. لا يخالف المتأخرُ المتقدمَ إلا بتغيير العبارة) فصارى جهدهم أن يُعزوا أبياتًا من الشواهد لقائلها.

إن المقارنة بين ما كانت عليه البلاغة العربية في عصورها الأولى، وما آلت إليه في العصور المتأخرة، تُرينا كيف ازدهرت وتوهجتْ شعلتها على أيدي علمائنا الأوائل، ثم كيف جفّت وخبتْ شعلتها على أيدي المتأخرين منهم.

ولا يجوز للقارئ هنا، وهو يتابع نكبة البلاغة العربية، أن ينسى بأن الهدف الخاص من الإقبال على علوم البلاغة أصلاً كان هدفًا دينيًا يرمي إلى معرفة إعجاز كتاب الله، ومعرفة معجزة رسوله ﷺ الذي أوتي جوامع الكَلِم، وكان أفصح من نطق الضاد. إن ذلك الهدف يدل على مقدار الأثر الذي خلّفته الدراسات الأولى في البلاغة، ألا وهو البحث في أسرار الإعجاز وأسبابه، واعتبارها مكملةً للايمان بالنبي ﷺ ورسالته. والجرجاني في (دلائل الإعجاز) لم يفُته أن يُذكّر بالقول: (إن الجهة التي قامت منها الحجة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت، هي أنه كان على حدٍّ من الفصاحة تقصُرُ عنه قوى البشر، منتهيًا إلى غاية لا يُطمح إليها بالفكر، وكان محالاً أن يَعرف كونه كذلك إلاّ من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان أدبهم، والذي لا يُشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان). ترى ما الذي حدث بعد رحيل الأسماء الكبيرة، ومن أين جاء الاعتلال الذي أصاب فورة الذوق بالذبول والخمول؟ فإلى العوامل السابقة نضيف عاملاً مهمًا آخر: فالاتفاق بين المشتغلين في حقل تاريخ اللغة والأدب قائم، لأنه تكون نهاية القرن الرابع للهجرة خاتمة لما يُطلق عليه اسم «نهاية عصر الاحتجاج»، معنى هذا أن خمسة قرون تقريبًا انتهى بانتهائها أجل العمل على وضع ضوابط اللغة وقوالبها، وعلى كل من أتى بعد هذا التاريخ أن يتقيد بما خلّف المفكر الذي سبق، مدرسةً كان أو رجلاً، بالقواعد والمعايير التي تواضع عليها علماء البلاغة والنحاة، وغدا الخروج عنها عيبًا وربما مروقًا.

ترى ما الذي حدث بعد رحيل الأسماء الكبيرة، ومن أين جاء الاعتلال الذي أصاب فورة الذوق بالذبول والخمول؟

لم يحدث ذلك بالطبع بعيدًا عن الموروث الشعري والمقول بعامة، ولا تمّ في معزل عن القرآن الكريم مصدر اللغة الأول. في هذا لم يزدْ متقدمونا على أن كانوا أمناء حافظين للتركة الثقافية الهائلة الغنية بكل فنون القول. فقد أحاطوها بما رأوه ضروريًا من ضروب الحفاوة التي تليق بأمة متحضرة استكملت كل شروط التدوين، فطفقوا يقننون ويقعدون ويصنفون

ويؤلفون، هذا في النحو، وذاك في الصرف، وثالث ورابع في البحور والأوزان، وأفرع البيان. وما كان لذلك أن يتم لولا ريادة القرآن في إعراب وإعجاز الألفاظ، وكان الحرف العربي قبلها حرفًا منطوقًا لا مكتوبًا، لا يدحض هذا القولَ ولا يفسده أن فحول شعراء الجاهلية علقوا حولياتهم على الكعبة، وأنّ وثيقة مقاطعة المسلمين كتبت هي الأخرى وعُلّقت، وأن النبي ﷺ أمر بعتق أسرى المشركين، من يُعلِّم منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وأنّ ما كان ينزل من آي كان يُدونه كتاب الوحي المعروفون، وأنّ مصحف «سمرقند»* الذي يعود تاريخ نسخه إلى عهد الخليفة الراشد عثمان ابن عفان ـ رضي الله عنه ـ كُتب بخط تتعذر قراءته اليوم. كلُّ ذلك لا يتعارض مع حقيقة مقابلة يرفضها المستشرقون، وهي أن النبي العربي الذي كان أفصح العرب لم يعرف الكتابة، وأن أمته كذلك كانت أمة حافظة لا كاتبة. تفسير ذلك أن كلام الله القديم أريد له أن يكون مُعجزًا قبل أن ينزل منجمًا، وأن يتجلى هذا الإعجاز في النقيض، في السالب قبل الموجب، أي أن يكون قدرُ العرب الثقافي والمعرفي مرتبطًا ارتباطًا عضويًا بساعة نزول أول حرف من هذا الكتاب العجيب، أقول العجيب لأن الله تعالى هو القائل:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [سورة الجنّ: الآية 1]

ومن ثم فإن عناية العرب بكتابهم ولغتهم، وكان أمره مقضيًا، هي التي هيأت لهذا الكتاب الذي لم يكن مقروءًا إلا في دائرة ضيقة جدًا، أن ينتشر وأن يحمل معه لغته حيثما ذهب، وأن يؤديا معًا دورًا مزدوجًا، دينيًا وحضاريًا.

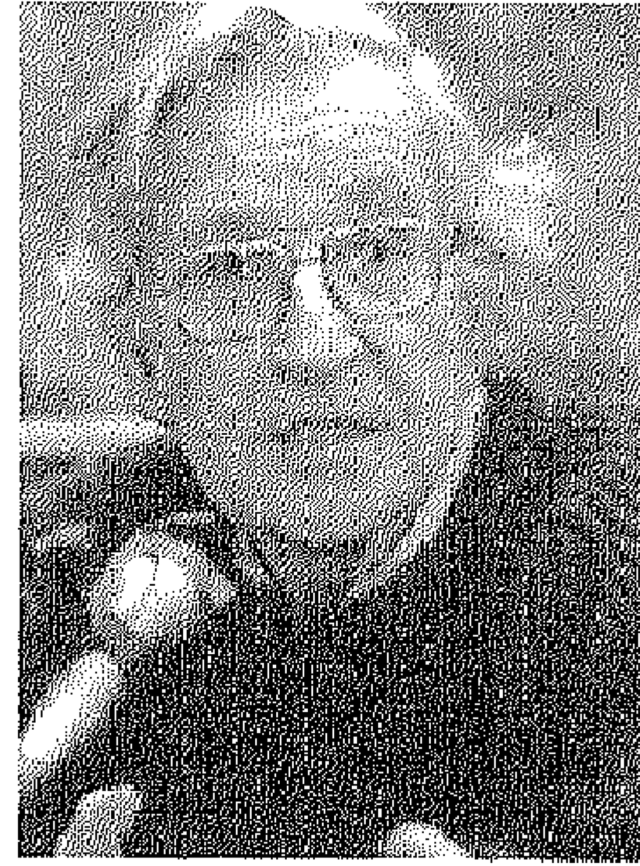
لقد تحدث النقاد طويلاً وما زالوا عن تطور (رسم النص المقدس)، وهم لا يريدون قطعًا الانتقال البريء إلى وضعه الحالي من حالة الرسم الأقرب في الشكل إلى الرسم الآرامي العتيق، ثم إلى الرسم بالشكل والتنقيط الذي أطلعنا عليه كتاب المصاحف بالتفصيل، ثم إلى الرسم الهندسي الماثل في الخط الكوفي، لا، لقد أرادوه غير ذلك، أرادوه نصًا بدائيًا منقوصًا أنضجته يدٌ بشريةٌ لا يدٌ إلهية. وفي أثناء تنقُّله الطويل من منشئه الأصلي في شبه جزيرة العرب إلى الأقاليم، أي في الفترة الفاصلة بين الكتبة الأولى والشكل النهائي، أصابه ما يمكن أن يُصيب أي مخطوط من تحريف وتصحيف، «ماذا يضمن؟!» ـ يقول أحدُ أدعيائهم ـ أن لا تكون يدٌ قد عبثت به، نُقط قبل أن تنقطه السلطة المشرفة؟ على هذه الدرجة من السذاجة يتخيل دارس أوروبي معاصر أن المعنى يمكن أن يتغير بإضافة نقطة أو حذفها أو بجعل الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً!! إن هذا صحيحٌ نظريًا لكنَّ المستحيل أن يُزيل صاحب الاقتراح نقطة واحدة مما اختزنته ذاكرات ألوف الحفظة بدءًا بلحظة نزول القرآن وصولاً إلى يومنا هذا. يقول الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (كان الواحد منا إذا نزلت عشر آيات لا يجاوزهن لغيرهن حتى يحفظهن ويعمل بهن). إذن كانت النقطة والفتحة والكسرة والضمة والسكون، كان الإعراب وكل ما قنّنه النحاة العرب موجودًا في العقل الباطن وفي أفعال البيئة وأقوالها قبل أن يولد القرطاس، أم حسبوا أن مؤسسات دولة الإعجاز قامت على قرارات مهزوزة، ومعانٍ مبهمة، وافتراضات سخيفة من هذا القبيل؟!

يتخيل دارس أوروبي معاصر أن المعنى يمكن أن يتغير بإضافة نقطة أو حذفها أو بجعل الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً!!

* انظر ما ورد حول مصحف سمرقند في هذا العدد ضمن المواد المنشورة في (قضايا وآراء). التحرير

ونحن ـ أبناء الضاد ـ يحدث أحيانًا ألاّ نفرق بين حروف الجر مثلاً، نخطئ في مواضع استعمال (على) الدالة على المكان و(حتى) الغائية وغيرها وغيرها، فأي حظ لأعجمي إن لم يجلس القرفصاء ويصغي كما أصغى قبله رواد المساجد والأسواق؟!

تلك هي قصة النص المعجز الذي اختلط فيه المعنى الديني بالمعنى البلاغي، وهي قصة القرون الخمسة التي أنتجت أثمن ما في المكتبة العربية، وعشنا عيالاً عليها مُذ تصلبت شرايين العقل، وأجدبت رياض المعرفة، ولم يجد المتأخرون ما يدفعون به عن ثقافتهم سوى هذا الرصيد البالي الذي لم يعرف من وقتها حراكًا ولا تجديدًا. ومن ثم فقد اتخذ النقد المحليُّ شكل السخط على الملكات العربية لأنها لم تتوسع في استنطاق النص، لكنّ طائفة أخرى دافعت بأن ما أصاب العقل من تحجر، إنما يرجع إلى شكل من أشكال التشكيك في قدرات المتأخرين.


تشومسكي

من هذا المنظور شبه الفوقي نبعت الفكرة التي جرت مجرى المثل «لم يُبق الأولون للآخرين شيئًا»، ولطالما عبّر المتأخرون عن ضيقهم واستيائهم، لا لأن الجدود كدوا واجتهدوا، بل لأن من جاء بعدهم نظر إلى الموروث الثقافي بعين التقديس. ولم يقتصر أمر هذه النظرة التكبيلية على حقل فكري بعينه، بل امتد أثره إلى البلاغة والنحو والفقه، ولم يعُد مستغربًا إن وُجد من بين المعترضين من يدعو إلى نزع هالة الاجلال عن كل ما يتصل باللغة من قوالب ومعايير، سواء كان ذلك في النحو والصرف، والبلاغة والبديع، أو في غيرهما من العلوم. أما المحافظون فقد عدُّوا الدعوة للتحرر من القيود ردّة، تأتي موائمة لدعوات مشبوهة أخرى، تشكك في قدرة اللغة عمومًا على مواكبة روح وتلبية مطاليب التنمية. تلك حصيلة الموقف ويبقى السؤال: ماذا قدّم المعترضون من بدائل؟ لقد عملت الأسماء الكبيرة قرونًا قبلنا حتى استقام حال العربية، وأصبحت لغة مكتوبة بالمعنى الإيجابي للكلمة بعدما كانت وحسب، بعبارة أخرى فقد أصبحت على كل شفة، جلستْ على مقاعد العلم والبحث، تربعتْ فوق أروقة الحضارة، زاحمت الألسن التقليدية العتيقة، اليونانية واللاتينية، لم تعُد لغة للعبادة وأداء الشعائر فحسب، بل خرجت من المساجد وانطلقت إلى الحياة اليومية لرجل الشارع شرقًا وغربًا، هذا بعض ما قدّمه السابقون فما الذي يحمله المتأخرون؟

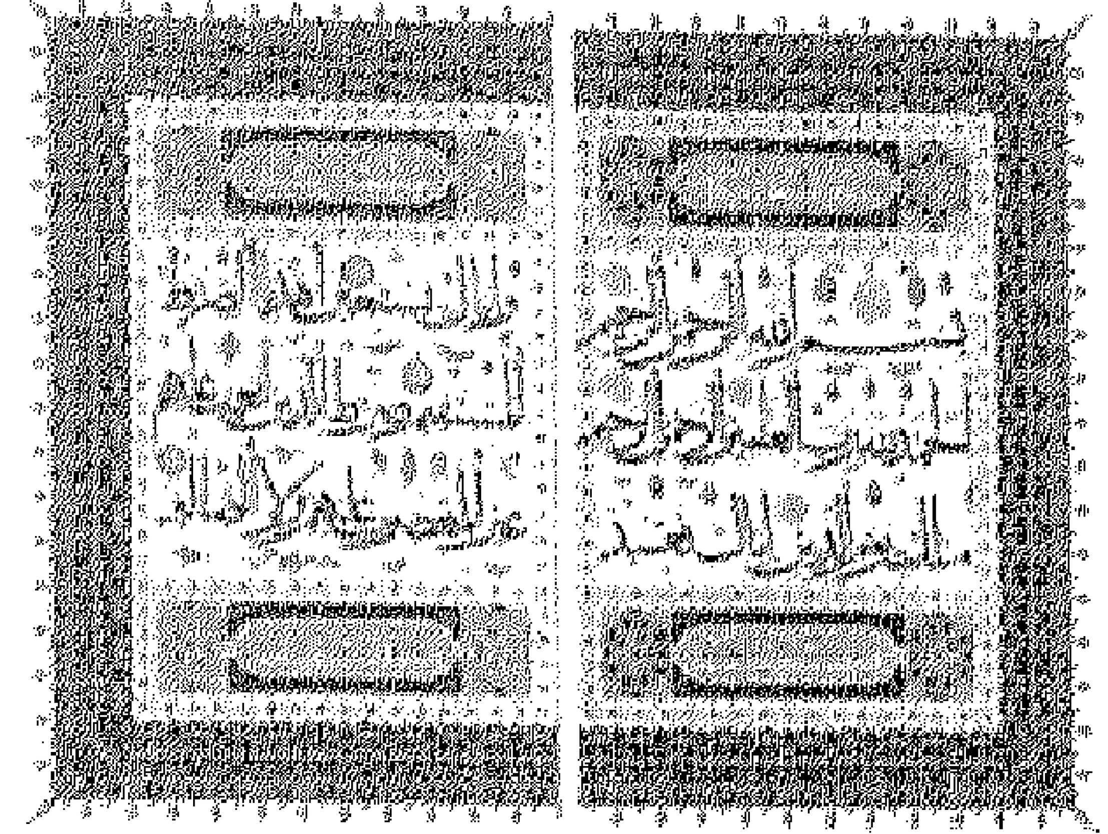
لقد مهدت نظريات تشومسكي ومالينوفسكي في (علم اللغة) لظهور طائفة من المقترحات الداعية إلى التحلل من القيود اللغوية الصارمة. جهاتُ الإصلاح المزعومة هذه لم تتحرك من البنية الداخلية للغة كما فعل السلف، نذكر هذا لأنه الجزء المكمل للبلاغة والبديع، بل ارتفعت عقائرها بالدعوة إلى تصفية العربية تحت شعارات وأعاذير مختلفة.

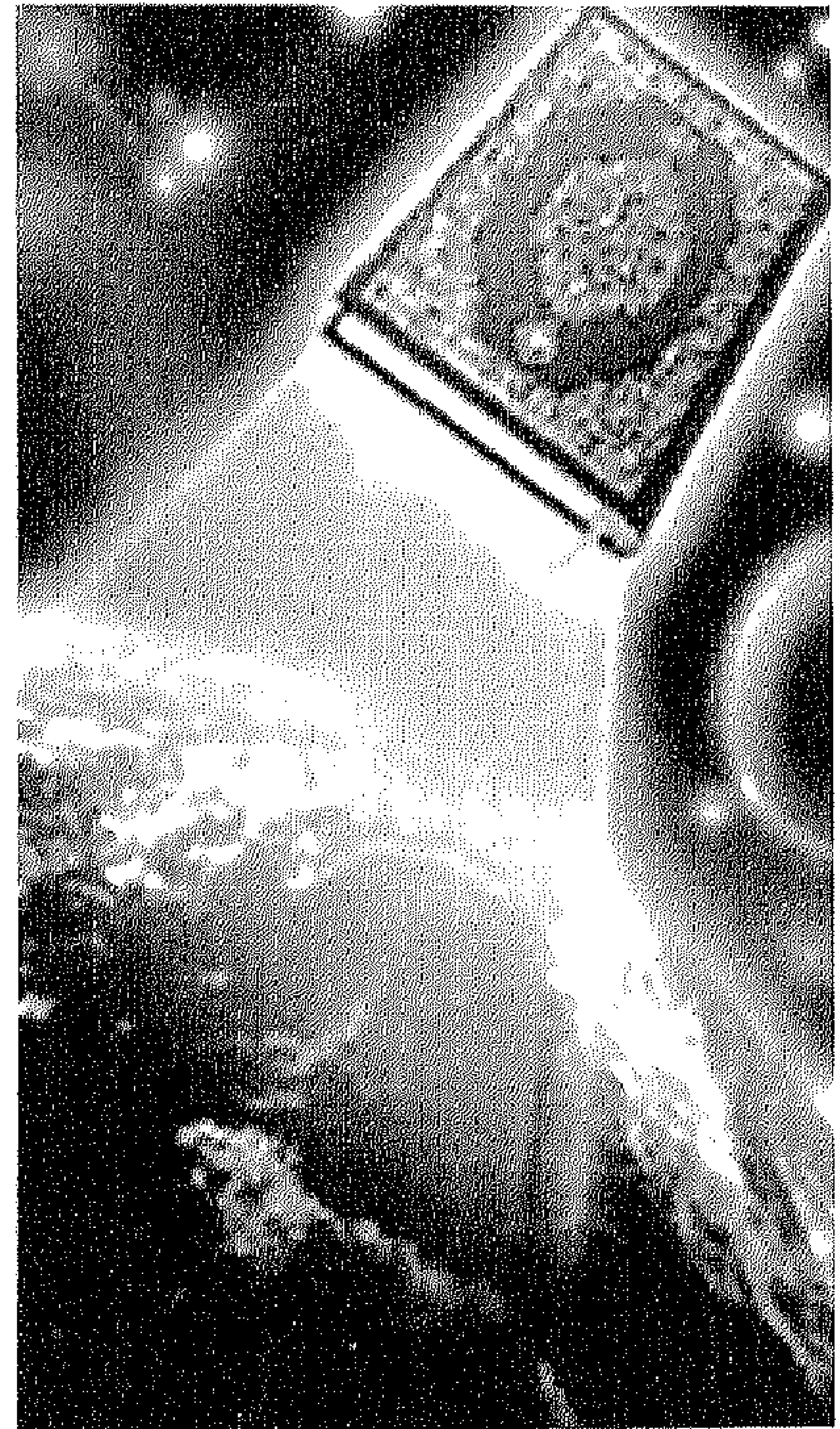
أين الصحيح وأين الخطأ في هذا الطرح؟!

إذا تحدرت اللغات الأوروبية الحية من اللغة اللاتينية، فليس معنى هذا أن اللاتينية الأم قد أُبعدت وأقصيت وأهينت، وتحدث عنها أصحابها الأوروبيون بمثل ما يتحدث أبناء هذه اللغة المظلومة من قبح وكراهية وعقوق. ليطمئنوا فلا خوف على اللاتينية، واليونانية القديمة ما زالت هي الأخرى على مكانتها، لغة مقدسةً مكرّمة للأناجيل والعبادات والصلوات في الكنائس شرقية وغربية.

كانت ولم تزل على أهميتها في المراجع العلمية والفلسفية. لقد تراجعت، هذا صحيح ولكنْ لاعتبارات إقليمية وقومية واجتماعية، لا بتحريضٍ شعوبي ولا بعامل التقليد الأعمى!!

هذا الغثاء الطافي على السطح، أَلعيِّبٍ هو في





العربية نفسها أم لعيب في الناطقين بها؟ بَوْنٌ زمني شاسع يفصل بين عصرين وموقفين ودعوتين. تجربةٌ أصيلةٌ قامت على نظرة تبجيل لحرفٍ موغلٍ في القدم، دخل في النسيج النفسي والثقافي والاجتماعي والتاريخي لهذه الأمة منذ آدم وحواء، نريد شنّها حربًا عليه الآن، ألأن الطورانيين قد سبقوا لاعتماد القبعة؟ لا، بل لسبب قوي آخر، أنهم أفلسوا من مقومات خوض معامع الثقافات!!

«ما اللغةُ إلا وسيلةٌ للتخاطب والتعبير»، هكذا اختزلت المرجعيات اللغوية الحديثة مهمة الإعجاز اللغوي في عصر الآلة والتصنيع، قد يكون هذا صحيحًا ولكنْ ليس بالنسبة لأمة يرتبط اسمها الكبير. سمعتها الثقافية الماضية وحضورها المستقبلي الفاعل بمصير هذه اللغة وقرّائها رفعة وانحطاطًا.

من قال إن العربية كانت يومًا وسيلة رخيصة في أيدي المكتشفين والمخترعين العرب؟ من فهم علاقة جده العربي بلغته على هذا النحو الانفصامي الدخيل فقد ضلّ ضلالاً كبيرًا.

هي الدين والدنيا معًا، مزجٌ حتى النخاع لم يفارق شعبةً من شعب الحياة على ما قرأنا في تاريخ علم الكلام وعلم التوحيد، الفقه والتفسير، حتى العلوم الوضعية لم ترزح تحت خشونة اللفظ أو الاختناق في عرض الأفكار والمعلومات. الحلاوة والطلاوة، رقة الحاشية وجزالة اللفظ، سماتٌ تقابل المتصفح لأي كتاب قديم، وسواء كنت تبحث في الفُلك والافلاك أم في الجبال والقيعان فلن يصدمك الأسلوب العلمي غير المتأدب، وإلاّ فمن أين جاءت العبارة المشهورة: (كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانيًا)؟!

ألف بيت في علم النحو صيغت شعرًا، في علم القراءات والتجويد أيضًا، لا تذهب بعيدًا وفي علم البحار والإبحار والأقاليم.

فعلى من يفكر في هدم البقية الباقية.. قبل أن يضرب الأرض بمعوله فتنشق عن أبالسةٍ وشياطين، أهمس في أذنه: يا صديقي أنت مخطئ، إن معادلةَ النهضة التي تبحث عنها لا تقع حتمًا في هذا الجزء الكريم من حضارتك، إنها في العقول البائرة، والعزائم الخائرة، والانبهار المذلّ بأضواء المدنيات الخلبيّة الساحرة.

الوقف الإسلامي وفلسفته التنموية...

عطية فتحي الويشي *

منذ فجر الدعوة الإسلامية وقيم العطاء تتوارد ضمن مقررات الاستخلاف الرباني ومسئولياته، لتنعطف بالإنسانية في طور هداياتها النبوية الأخيرة، شطر جيل إنساني جديد، يجسّد الفكرة الاستخلافية بكامل قيمها وتمام معانيها الأخلاقية والحضارية على مختلف أصعدة الحياة، وذلك بعد أن غابت دهرًا عن دنيا الوجود، لتعطي للحياة معنى جديدًا، ولتكسب الحركة الإنسانية قدرًا من الشعور الصادق بالالتزام الأخلاقي والتعاطف المادي والوجداني تجاه بعضها البعض، فالحياة بغير عطاء يفقد فيها الإنسان الشعور بكل معنى نبيل..!

ويُعدُّ الوقفُ واحدًا من أهم مرتكزات النهوض الحضاري والتي يمكنُ بها أن نتجاوز بها حالة التعثر والتراجع والإخفاق التي تنتابُ الأمة المسلمة في مناح عديدة من واقعها المعاصر، وذلك من خلال تخليق المعطيات التنموية المكلفة بتحرير الذاتية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحضارية من أسر التبعية للخارج، وإطلاق يد الإبداع الوطني والقومي لتحقيق الهوية الحضارية الجديدة بخير أمّةٍ أخرجت للناس..!

والوقف في اللغة، من مصدر الفعل وقف، هو: الحبس، يقال وقف فلان الشيء وقفًا، أي حبَّسه حبسًا، وجعله في سبيل الخير موقوفًا[1]، ويجمع الوقف على: أوقاف، ووقوف، وفي اصطلاح الفقهاء: هو حبس العين على حكم ملك الله تعالى، والتصدق بالمنفعة حالاً أو مآلاً[2]، وللفقهاء بشأن الوقف تعاريف متعددة وتصاريف متشعبة، تبعًا لمراد كل منهم ودلالة المصطلح لديه، ويمكننا، على أي حال، أن نجمل هذه التعاريف للوقف بأنه: حبس العين التي يمكن الانتفاع بها، مع بقاء أصلها، عن جميع التصرفات الناقلة لملكيتها وتسبيل منفعتها لجهة من جهات الخير ابتداء وانتهاء.

وينقسم الوقف تبعًا لأغراضه إلى أنواع ثلاثة:

أ - الوقف الخيري: وهو ما رصده الواقف لوجه لا ينقطع من وجوه البر، سواء كان على أشخاص معينين، كالفقراء والمساكين والمسنين، وذوي الحاجات الخاصة، أم كان على صعيد بر عام، كالمساجد والمستشفيات والمدارس، ومعاهد العلوم الشرعية، وتدعيم مؤسسات الدعوة إلى الدين، وإعداد العدة لمواجهة الأخطار المحدقة بالأمة، وغيرها من المرافق والمصالح ذات النفع العام.

---

* كاتب وباحث / مصر

1 ـ انظر الخطيب الشربيني ـ مغنى المحتاج ـ تعليق محمد جويلي الشافعي ـ دار الفكر ـ بيروت 1415هـ ـ ص510.

2 ـ الخطيب الشربيني ـ مغنى المحتاج ـ المرجع السابق ـ ص510، الفتاوى الإسلامية ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ مصر ـ 1983 ـ ج11 ـ ص931.

ب ـ الوقف الذُّرّي أو الأهلي: وهو ما كان ريعه مصروفًا على الواقف نفسه أولاً، ثم على أولاده وذريته والأقربين من بعده، وهكذا إلى حين انقراضهم كلهم، أو حتى جيل معين، ثم يؤول في الأخير إلى جهة خيرية عامة للمسلمين...

ج ـ الوقف المشترك: وهو الحبس الذي أُحبس على الذرية، وعلى جهة من جهات البر في وقت واحد، بمعنى أن الواقف قد جمعها في وقفه، فجعل لذريته نصيبًا من العين الموقوفة، وللبر نصيبًا محددًا أو مطلقًا في الباقي أو بالعكس، وهذا سائغ لا يتنافى مع مشروعية الوقف، إذ يتحقق الخير ولو بقدر محدود حالاً، ولا تثريب في ذلك على الواقف، يقول الله تعالى:

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [سورة التوبة: الآية 91]

وغالبًا ما تؤول الحال بالوقف المشترك بمرور الزمن إلى النوع الخيري.

ولقد لعب الوقف دورًا حضاريًا متميزًا في تغطية جانب كبير من متطلبات الحياة الاجتماعية، وفي سدِّ الثغرات الاقتصادية لفئات عديدة من أفراد المجتمع، كما أنه يعمل على دفع وتنمية المسيرة الاقتصادية، ويحقق المتطلبات الدينية التي تساعد على استمرارية الفكرة الإسلامية في مجتمع مترابط ومتعاطف ومتعاون، يعمل على إنجاح مسيرة المسلمين في كافة مناحي الحياة بلا معوقات أو مشاكل تفتّ في عضد المجتمع، وتأكل في بنيان الأمة بسبب الحقد أو البغضاء التي تتولد في نفوس بعض المحرومين إذا لم يجدوا من يسد حاجاتهم بغير مَنٍّ ولا أذى، فالوقف على هؤلاء المحرومين من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل يغل في نفوسهم نوازع الشر، ويبعث في قلوبهم المودة، ويدفع سواعدهم إلى المشاركة في بناء المجتمع المسلم، يقدم لهم عوائد الأوقاف الموقوفة عليهم لتحقيق الحياة الكريمة بلا أدنى تمييز من باب التعاون على البر والتقوى.

ولقد أدّى الوقف على امتداد العصور الإسلامية دورًا متميزًا في خدمة الدين والمجتمع والعلم، واستطاع الفقهاء من خلال الأوقاف أن يقوموا بوضع قواعد موضوعية تتفق مع محددات الوقوف بأنواعها، فكان الوقف بمنزلة تنظيم وتوجيه للبر والإحسان إزاء المجالات الحيوية في أرجاء المجتمع.

◆ يلعب الوقف، كسُنّة نبوية وشعيرة حضارية ماضية، دورًا فاعلاً ممتنع النظير في تخليق عمليات التنمية الذاتية على مختلف أصعدة الحياة.

ولعل حكمة الوقف تعكس بشكل عام صيرورة الوجود بأسره من أفراد وأفكار وأشياء.. إلى نصابها الطبيعي في تلك المنظومة الكونية المربوبة، التي بسط الله أرضها، وبثّ فيها من مقومات الحياة المادية والأدبية، ثم إنه جل وعلا يمنح الإنسانية تفويضًا بالاستخلاف في منحه وأعطياته جميعًا:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة الجاثية: الآية 13]

ولقد ربط الله تعالى في غير موضع من نداءات السياق القرآني إلى الإنسانية بين المعطيات الربانية ومقتضى ذلك الاستخلاف، فقال ـ جل جلاله ـ:

﴿ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الحديد: الآية 7]

فعلى الرغم مما تشترك فيه نظم البر والعطاء الإسلامي، من حيث إنها تنزع في مجملها من الشعور الذاتي بحالة من التكيُّف الإجمالي والاندماج الشعوري والوجداني مع مفردات وشرائح المجتمع الأخرى.. بيد أن أهم ما يتميز به العطاء الوقفي الإسلامي كعطاء اختياري ـ عن وجوه العطاء

الأخرى: كونه يمنح المستفيدين به حقًا من الغير دون تحديد في الغالب لأولئك، ودون أن يفقد المستفيدون احترامهم لذواتهم والآخرين.. وهو الحال الذي يتلاشى معه إحساس المستفيد بالدونية.. وتتلاشى، من ثم النفسيات المنهزمة بذُلِّ الاستعطاء.. هنا يحدث نوع من التنمية الرأسية في المحيط الوجداني والعاطفي والنفسي والأخلاقي، ثم المحيط الفكري والعقدي والحضاري- الذي يشمل الواقف والموقوف عليه سواء بسواء - في إطار منهجيات التنمية الحضارية للأمة المسلمة، وهو ما يرفد المجتمع الإنساني بـ«النموذج الحضاري الخيري» بعيدًا عن نزق الاستلاب وضغوط الهيمنة الخارجية..

وهكذا يلعب الوقف، كسُنَّة نبوية وشعيرة حضارية ماضية، دورًا فاعلاً ممتنع النظير في تخليق عمليات التنمية الذاتية على مختلف أصعدة الحياة الإسلامية عبر امتداد مراحل حياتنا الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل.

فالوقف، في إطار التوصيف الفلسفي، عبارة عن امتناع عن التصرف الإنساني في ملكية أشياء لا تنبغي بصفة مطلقة إلا لوجه الله جل وعلا.. باعتبار أن الله تعالى هو المالك الأصلي للأشياء، بل لهذا الوجود بأسره..

فحين يشرع الإنسان في وقف شيء مما تحت يده.. حينئذ تكون إرادة ذلك الإنسان على موعد مع إرادة الله عز وجل عند موارد الخير.. وهو معنى جميل حين يلابس القلوب السخية.. تدرك حظها الموفور من رضوان الله رب العالمين..!

وعلى الرغم مما يعتبره فقهاء شريعتنا عطاءً اختياريًا من دون إلزام، فقد كشفت سنة الوقف الإسلامي عن مدى عمق الأثر التربوي النبوي الشريف الذي انبث في حركة الوجود الإسلامي عبر الأجيال والقرون، وأبان بصدق عن أصالة معدن هذه الأمة وعن مدى وفائها لمبادئها. وهنا يمكن أن ينظر للوقف في فلسفة الفكر الإنساني على أنه وقف للحواس والضمائر، والعواطف والمشاعر والجوارح على رباطات الخير وثغور البر ابتغاء مرضاة الله - جل جلاله -:

ودلالات الوقف المعنوية تشير إلى معنى خطير جليل القدر، تشير إلى إسلام الأشياء كلها لمالكها الحقيقي، وهو الله تعالى، وذلك بمقتضى وثيقة الاستخلاف، التي تخوّل للإنسانية المؤمنة تفويضًا بعمارة الأرض بقيم الخير، والنهوض بمعالجة وإصلاح كثير مما عنَّ للإنسانية من قضايا دنيوية تلح بحلول ربانية..

العولمة تنظر إلى الوقف الإسلامي بشيء من عدم الارتياح والنفور.. باعتباره ذا خصائص مضادة للعولمة بمختلف وجوهها.

ولقد جعل الإسلام الوقف بمنزلة الدّرع الواقي والإجراء العلاجي لما يمكن أن يعترض مسيرة الأمة وهي بسبيل أهدافها وغاياتها الاستخلافية، ومن عند هذه المعلمة ينبغي أن تتعين وجوه المعرفة الوقفية المرتبطة بالفهم الدقيق والاستيعاب العميق والعاطفة الجياشة التي تتجاوز بالظواهر الوقفية المعاصرة طور التحنيط التاريخي.. لتنفذ إلى لباب من القيم والمعاني الحية، التي تحيل كل القوى الفاعلة في حركة المجتمع بعامة، والإسلامي بخاصة، إلى خلية حيوية لقولبة هذه المعاني وتلك القيم في نماذج وقفية، ترتقي إلى مستوى المسئولية التاريخية إزاء تحديات العولمة التي تنظر إلى الوقف الإسلامي بشيء من عدم الارتياح والنفور.. باعتباره ذا خصائص مضادة للعولمة بمختلف وجوهها..

ولعلنا ندرك مدى ما يمكن أن يلعبه الوقف إزاء تحديات واقعنا المعاصر، حين نتأمل الظروف والملابسات التاريخية التي تمخض فيها الفكر النبوي الشريف عن هذه الشعيرة الوقف إذ «استنبطه

النبي ﷺ لمصالح لا توجد في سائر الصدقات، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالا كثيرًا، ثم يفنى، فيحتاج أولئك الفقراء تارة أخرى، ويجيء أقوام آخرون فيبقون محرومين؛ فلا أحسن ولا أنفع للعامة من أن يكون شيء حبسًا في سبيل الله للفقراء وأبناء السبيل تصرف عليهم منافعه، ويبقى أصله على ملك الواقف[3]، وهو قوله ﷺ لعمر - رضي الله عنه -: (إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها)[4]، فتصدق بها عمر - رضي الله عنه - أنه لا يباع أصلها، ولا يوهب، ولا يورث، ويُتصدق بها في الفقراء، وفي القربى، وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف، لا جناح على من وَلِيَها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول.

ولعل أحاديث النبي ﷺ في هذا الباب ومواقف الصحابة - رضوان الله عليهم - كاعتبار عمر أراضي السواد فيئًا عامًا لمصلحة الأمة كلها، وغير ذلك من العوامل هي التي أصلت في أذهان فقهائنا مفهوم الوقف بأنواعه المتعددة.. وهكذا كان الوقف بصفة عامة مخاض ضمير مستنير بوحي الله (جل جلاله).

وقد يبدو لبعض الباحثين أن «ليس في الشرع نص صحيح يتناول مدلول الوقف تناولاً مباشرًا، وقد يكون هذا صحيحًا من بعض الوجوه، ولكن لا بأس بذلك ما دامت الأمة استنتجت من السنة النبوية ومن وقائع العهد الراشدي، أن من الخير تحويل بعض الممتلكات إلى مصالح للمسلمين عن طريق إرادة الواقفين»[5].

إن تعداد المسلمين في واقعنا المعاصر يتجاوز مليارًا وربع المليار نسمة، لكن دوائر مأساوية تضرب بحصارها حول الأغلبية من هذا التعداد.. فكم من فقراء ضائعين لا يفطن إليهم، وكم من نفوس أبية تبيت على الطوى أيامًا وليالي؟ وكم من عقول موطوءة بالجهل، والأمية والتخل؟ وكم من طاقات مبعثرة أو مصروفة في الهباء؟ وكم من مأساة تفترش أرضًا للمسلمين؟ وكم من غافل ساهٍ وهو ميسور لا يدرك حجم المأساة؟ فلولا آلية شرعية تدرأ عن الأمة هذا الهم الوبيل وذلك الشر المستطير ولولا شبكة مؤسسية جادة قوية تربط المسلمين وجدانيًا ببعضهم البعض، فتعبئ طاقاتهم وتصل بينهم وتدفعهم نحو التلاحم والتعاون والتكافل كشفًا لما ألم بهم لزاد وتفاقم البلاء. وفي مثل هذه الأحوال قد تنتقل مشروعية الوقف من حالة الجواز إلى الوجوب، ولكن تبقى الحال مرهونة بمن يقذف بحجر كريم في تلك المياه الراكدة!!

إن تعداد المسلمين في واقعنا المعاصر يتجاوز مليارًا وربع المليار نسمة، لكن دوائر مأساوية تضرب بحصارها حول الأغلبية من هذا التعداد..

إن طبيعة التحديات التي يفرضها الواقع العالمي تقتضي حشد كل الطاقات والجهود إزاء مواقع التحدي، فليس فيما مر من عصور الإسلام كهذا الذي نحياه بجهد وعناء، إنه عصر تعددت فيه الحاجات المادية والروحية، وزادت مؤشرات التخلف والضمور الحضاري على أصعدة سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية، حيث لا مجال للخوض في غير الحديث عن حماية أهداف الأمة ورعاية أحوالها كافة، بعيدًا عن وصفات الديون والتبعية:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة البَقَرَة: الآية 219]

3 - شاه ولي الله دهلوي - حجة الله البالغة - دار التراث - مصر - 1355هـ - 2/ 11.
4 - رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما.
5 - صبحي الصالح - الإسلام ومستقبل الحضارة - دار قتيبة - بيروت - 1990 مسيحي - ط2 - ص11.

ومما يُعْجَبُ له أن أغلب الدراسات الفقهية الحديثة - وكذلك الفكرية - بشأن قضية الوصايا لم تعن إلا بالجانب الاجتماعي كمسوّغ وحيد - كما يعتقد أصحابها - للتكافل الإسلامي. وهو التصور المرحلي الذي أمعن في تغييب المفاهيم والمأثورات الوقفية على مستوى النسق الفكري للأمة المسلمة، بل أمعن في تكريس التخلف ذاته!

والحقيقة أن حكم الوقف قد ينتقل من دائرة الجواز إلى الوجوب الكفائي بغير جدال أو تعسف، ووجه هذا الوجوب أن الأمة قد تحتاج في بعض أزماتها إلى قدر كبير من الأموال والأعطيات والأحباس حتى تستطيع تجاوز أزماتها هذه دون أن تتخلى عن شيء من ثوابتها أو تحيد عن توجهها الحضاري الأصيل، إذ غالبًا ما ترضخ الأمم، في ظروف عوزها، تحت وطأة الابتزاز الخارجي وتبعية الخصوم - وهو ما يعرضها للتخلف والانهيار - ومن ثم كان الوقف في هذا السياق الخطير من أفعل آليات النهوض الحضاري على صعيد الترميم أو البناء الذي يوجب على أفراد الأمة أن يبذلوا لها الحماية ومقومات التعالي الحضاري دون آثار جانبية أو مضاعفات!

الأمة قد تحتاج في بعض أزماتها إلى قدر كبير من الأموال والأعطيات والأحباس حتى تستطيع تجاوز أزماتها هذه دون أن تتخلى عن شيء من ثوابتها أو تحيد عن توجهها الحضاري الأصيل.

إن الكمال الحضاري الإسلامي لا يدرك إلا بالتفاعل الإيجابي مع مقاصد الشريعة الإسلامية، ومن وجوه هذا الكمال أن يتحرر المال من قبضة الأفراد إلى مالكه الأصلي، وذلك عن طواعية واستحباب، وهذه الظاهرة لا تتحقق إلا في الوقف الإسلامي، إذ غالبًا ما تستهلك الأنصبة المقررة لمصارف البر في وجه الحياة اليومية، فتبقى حاجة المجتمع إلى مصرف لا ينقطع رجاء الخير فيه، وهو الوقف.

ولعله من الملاحظ أن الشارع الحكيم لم يقرر في الوقف حكمًا ملزمًا، بل اكتفى بإرشاد أهل الطول واليسار إلى البذل، والتأكيد على قيم العطاء دون ضغط أو تعسف بتأميم فوائض أموالهم، وهو ما يتضح من قوله ﷺ (إن شئت حبّست أصلها وتصدقت به) لعلنا نلاحظ قوله (إن شئت) فلهذه القضية تبرير على محورين:

الأول: أن النبي ﷺ تعمد ألا يقول في الوقف قولاً حاسمًا، لئلا تعوّل الأمة على أوقاف ضخمة حبسها لها الآباء والأجداد، بدلاً من أن تنمي ثروتها القومية بالكد والجهد والسعي إلى الكمال، ويتحول المجتمع الإسلامي إلى قطعان من الكسالى والخاملين المترفين، وما يكون في ذلك من أسباب هلاكهم، وهذا المحور يتصل بالوقف الذري تحديدًا، ويهمنا الإشارة إلى أن مراعاة أحوال الذرية وتعهد مصالحها أمر داخل في التكافل الذي حض عليه الإسلام بشكل عام.

الثاني: أن مقاصد الشريعة تضرب في مجموعها للموسرين ما بين المثالية والواقعية طريقًا وسطًا، ليكون ما ينفقونه على مرافق الكمال الحضاري ووجوه الخير العام غاية وهدفًا يسعى إليهما عن طيب نفس وقناعة بما عند الله وحده من الأجر العظيم:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [سورة الليل: الآيات 5-7]

ولعل الإنفاق في هذا الوجه إنما يزيد مناشط التنمية - أفقيًا أو رأسيًا - بركة وفاعلية، ويسد على صعيد آخر ذرائع الانهيار ومنافذ التخلف والانتكاس الحضاري بوجه عام

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 131]

فليس أجمل من أن تستند فكرة الإدارة المالية الإنسانية إلى وحي الله عز وجل، حينئذ تفيء أحوال المجتمع المسلم إلى مرافئ الكمال المستمد من منهج البر والتقوى، كمال المنهج الرباني العاصم من الدنايا ومن التعلق المهين بأستار هذه الدنيا البالية!

المعرفة
أساس رقي المجتمعات

د. أحمد عبدالرحيم السايح *

المعرفة: إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره. وهي أخص من العلم، ويقال: فلان يعرف الله، ولا يقال يعلم الله، متعديًا إلى مفعول واحد.

وعرفه، يعرفه، معرفة، وعرفانًا، فهو عارف. والعلم والمعرفة. يفرق بينهما من جهة اللفظ، ومن جهة المعنى.

أما اللفظ: ففعل المعرفة يقع على مفعول واحد. قال تعالى:

﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [سورة يُوسُف: الآية 58]

وفعل العلم يقتضي مفعولين كقوله تعالى:

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [سورة المُمتَحنة: الآية 10]

وإذا وقع على مفعول واحد كان بمعنى المعرفة كقوله تعالى:

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [سورة الأنفال: الآية 60]

وأما الفرق من جهة المعنى. فمن وجوه:

أحدها - أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحوال الشيء، فتقول: عرفت أباك وعلمته صالحًا، ولذلك جاء الأمر في القرآن الكريم بالعلم دون المعرفة. كقوله تعالى:

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمَّد: الآية 19]

فالمعرفة: تصور صورة الشيء، والعلم حضور أحوال الشيء وصفاته، والمعرفة نسبة التصور، والعلم نسبة التصديق.

ثانيًا - أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه قيل عرفه، أو تكون لما وصف له بصفات قامت في نفسه. فإذا رآه وعلم أنه الموصوف بها قيل: عرفه. قال تعالى:

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [سورة يُوسُف: الآية 58]

فالمعرفه نسبة الذكر في النفس وهو حضور ما كان غائبًا عن الذاكر. ولهذا كان ضدها الإنكار، وضد العلم الجهل. قال تعالى:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [سورة النّحل: الآية 83]

ويقال: عرف الحق. فأقر به، وعرفه فأنكره.

ثالثًا - أن المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تميز ما يوصف به عن غيره.

رابعًا - أنك إذا قلت: علمت محمدًا، لم تفد المخاطب شيئًا، لأنه ينتظر أن تخبره على أي حال علمته. فإذا قلت: كريمًا أو شجاعًا حصلت له الفائدة، وإذا قلت: عرفت محمدًا، استفاد المخاطب أنك أثبته وميزته عن غيره، ولم يبق أن ينتظر شيئًا آخر.

* كاتب وباحث / مصر

خامسًا - أن المعرفة تعني أن يعين الشيء مفصلاً عما سواه بخلاف العلم. فإنه يتعلق بالشيء مجملاً. والمعرفة عند المحققين: هي العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده[1].

ولكن إذا كانت المعرفة لها كل هذا. فهل هي فطرية، أم مكتسبة، أم مزيج بينهما ؟

تؤكد بعض الآراء الفلسفية، أن المعرفة الإنسانية مكتسبة، وأن طريق اكتسابها الحواس. يقول أصحاب هذه الآراء: إننا ندرك الأشياء بطريق الحواس، فالشخص الذي يولد أصم لا يمكن أن يعرف الأصوات: وهي موضع السمع، وكذلك الشخص الذي يولد أعمى. لا يمكن أن يعرف الألوان، فنحن ندرك الأشياء الخارجية عن طريق الحواس: البصر، أو السمع، أو اللمس، أو الشم.

جوهر المعرفة موجود وجودًا محققًا، ولكن نعت المعرفة من قلة أو كثرة، أو نسبية، أو مطلقة، أو فطرية، واكتسابية، هو الذي اختلف فيه الفلاسفة منذ أقدم عصور الفلسفة الإنسانية.

وبمعنى آخر: إن الأجسام الخارجية، هي مجموعة من الإحساسات، أو بمعنى ثالث: نحن لا ندرك الأشياء الخارجية وإنما ندرك أنفسنا، لأننا لا يمكن أن نعرف الشيء الخارجي، كهذا الكتاب. إلا عن طريق هذه النوافذ التي نطل منها على العالم الخارجي، وعن طرق هذه الإحساسات، التي تتجمع وتتنظم بعد نفاذها من هذه النوافذ «الحواس» فنعرف الأشياء.

معنى هذا: أن هناك عقلاً يتلقى هذه الإحساسات، وأن العقل كالصفحة البيضاء يتلقى الإحساسات فتتكون المعرفة.

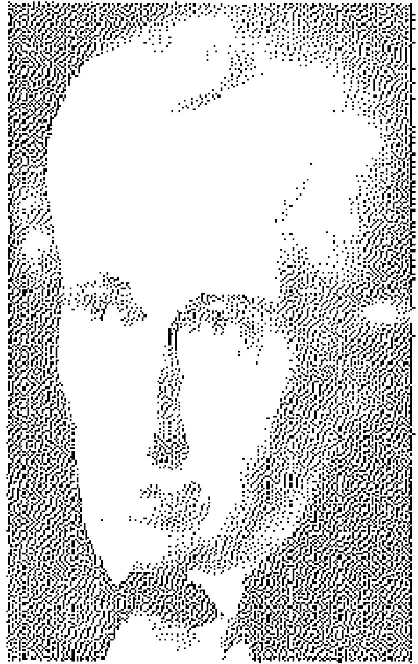
وقالت فئة أخرى: إن المعرفة فطرية، بمعنى: أن الإنسان يولد ونفسه قد فطرت على الأشياء. فإذا عرفت النفس شيئًا، أو أدرك الإنسان شيئًا فإنه ـ في الواقع ـ لا يدرك شيئًا جديدًا، ولا يكتسب معرفة جديدة، ولعل بعض الآراء في التصوف تنحو هذا النحو، وترى إمكان المعرفة بغير الحواس[2].

ويذهب آخرون إلى أن العقل البشري بطبيعته يحتوي على جزء من المعرفة الفطرية، يضاف إليه جزء آخر مكتسب.

ولقد اختلف العلماء في هذا الجزء الفطري، فقال بعضهم: إن المعرفة البديهية هي المعرفة الفطرية، مثل الكل أعظم من الجزء، ويذهب «كانت» الفيلسوف الألماني إلى أن العقل البشري حين يكتسب المعرفة المحسوسة للأشياء الخارجية يضيف إليها شيئًا من جوهره وطبيعته، ويصوغ المعرفة للمحسوسات الخارجية في قالبين هما: المكان والزمان.

وكأنه بهذا يريد أن يقول إن المكان والزمان لا يتعلقان بالأشياء الخارجية فحسب، فمن طبيعة العقل وجود هاتين الصورتين، صورة المكان، وصورة الزمان، اللتين لا نستطيع أن ندرك الأشياء المحسوسة إلا داخلة فيهما.

والرأي الذي يذهب إليه علماء الطبيعة، وخصوصًا الذين يأخذون بنظرية «آينشتاين» يتضمن: أن المعرفة في عقولنا لا تنفصل عن جملة الحضارة، أو الثقافة السائدة في العصر الذي يعيش فيه صاحب المعرفة [3].


كانت

ومما لا ريب فيه: أن الباحثين قد أجمعوا على أن الثقافة البشرية سلسلة متماسكة الحلقات، تؤثر سوابقها في لواحقها على صورة جلية أو غامضة.

وجوهر المعرفة موجود وجودًا محققًا، ولكن نعت المعرفة من قلة أو

1 ـ راجع: الفيروزآبادي ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز4 ـ ص 47 ـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة.

2 ـ راجع: الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ـ معاني الفلسفة ص 88 الطبعة الأولى ـ القاهرة.

3 ـ انظر: الدكتور أحمد السايح، المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة ص 18 ط ـ دار الطباعة المحمدية 1400هـ ـ القاهرة.

كثرة، أو نسبية، أو مطلقة، أو فطرية، واكتسابية، هو الذي اختلف فيه الفلاسفة منذ أقدم عصور الفلسفة الإنسانية فهي تارة نسبية، وأخرى مطلقة، وثالثة فطرية كلها، ورابعة مكتسبة كلها ترتكن على التجارب، وكذلك تعيين القوة العارفة، وتحديد مدى اختصاصها.

فمرة هي الحواس وحدها كما عند «هيراقليطس»، وأخرى هي الحواس مع العقل كما يرى «أرسطو» وثالثة هي البصيرة كما يرى «أفلاطون»، ورابعة هي العقل وحده كما يقول «ديكارت»، ويعنينا أن نعرف أن المعارف الإنسانية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول ـ المعارف العامة وهي مجموعة المشاعر والإحساسات المادية المتحصلة للإنسان بواسطة بعض أجزاء بدنه، وهي تمتاز بأنها بسيطة وخالية من الدقة والتعميق، ويصفها الفيلسوف «هيراقليطس» بأنها: أشبه بما يسير بين شطآن غير محددة سيراً غير محدد المصير.

ونحن مدينون بهذه المعارف لحواسنا التي تستعين في توصيلها إلينا بالزمان والمكان. ولكن ليس هذا هو كل شيء، بل إن الحواس تبذل في نقل تلك المعارف جهداً خلال عمليتين لا بد منهما لحصولهما لدينا وهما:

- ❖ ارتسام تلك الأشياء المادية المراد نقلها.
- ❖ نقل تلك الرسوم إلى مكانها الطبيعي من النفس البشرية.

فالمعرفة العامية لها بالضرورة درجتان:

الدرجة الأولى ـ المعرفة الإحساسية البحتة، وهي لا علاقة لها بذكريات الماضي، ولا بأخيلة المستقبل.

الدرجة الثانية ـ هي ما تشترك النفس في عمله، وهو منظم ثابت يتناول ماضي الحياة وحاضرها ومستقبلها.

اعتماد الصوفيين ينهض على صفاء القلب، ومجاهدة النفس، حتى تصل إلى مرتبة من الصفاء تتيح لها من المعرفة ما لا تصل إليه الحواس والعقول معاً.

وثاني القسمين من المعارف الإنسانية، هو



المعرفة العملية، وهي التي يعول عليها في الحياة، وأظهر الفروق بين المعرفة العامية والمعرفة العملية الفلسفية هو:

- ❖ أن المعرفة العامية مقصورة على النواحي المادية والاجتماعية من الحياة، بينما المعرفة الفلسفية تتناول فوق هذا: تدبر أسرار الكون والوجود.
- ❖ أن المعرفة العامية موجودة لدى جميع أفراد بني الإنسان، على حين أن المعرفة الفلسفية مقصورة على أصحاب العقول المفكرة.
- ❖ أن المعرفة العامية فطرية توجد لدى كل من توفر فيه القدر المحقق للإنسانية من العقل، ولكن المعرفة الفلسفية مكتسبه بالمران والتطبيق الدقيق.
- ❖ أن المعرفة العامية معرضة للتأثر بالغريزة أو بالعاطفة، في حين أن المعرفة الفلسفية خليقة بأن تكون بعيدة من أثر هذين الباعثين (4).

فالمعرفة تشمل محيطات واسعة، تبدأ بالمعرفة العامية التي يشترك فيها جميع أفراد النوع البشري، ثم تصعد إلى درجة التجارب الحسية على أيدي

الطبيعيين أو الكيميائيين، ثم تستمر في صعودها إلى درجة النظر العقلي عند الرياضيين والفلاسفة، لكي تنتهي عند مرتبة التجارب التنسكية.

ومن هذا يتبين: أن المعرفة تتطلب جهوداً ضخمة، للإحاطة الشاملة التي تضمن القدرة على منح كل غصن من أغصان دوحتها المترامية الأطراف، الطابع الذي يميزه عن غيره.

وإذا أردنا أن نتبين المعرفة في الإسلام، فيجدر أن نشير إلى نظريات المعرفة في أكثر الآراء الفلسفية، مع إبعاد الآراء المتطرفة، التي ابتدعها المنحرفون وسنكتفي بالآراء التي تتمتع بالسيادة الفكرية.

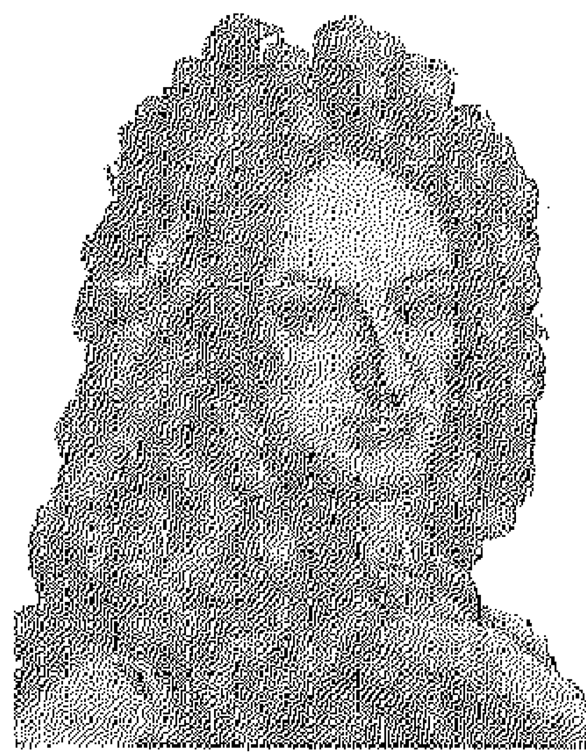
❖ الرأي التجريبي: وطريق المعرفة فيه هو الخبرة الحسية، وإذا أغلقت الحواس أبوابها انعدمت المعرفة، فلن تنشأ في العقل أفكار، إلا إذا سبقتها مؤثرات حسية.

❖ الرأي العقلي: وطريق المعرفة فيه لا يرتكز على الحواس وحدها، لأنها تخطئ وتصيب، ولهذا لا تصلح أساساً للمعرفة. وإنما أساس المعرفة هو الحل الذي يدرك إدراكاً مباشراً. العقل الذي يشك، ويفهم، ويدرك، ويثبت، ويريد، ويشعر، كما يقرر ديكارت صاحب الرأي العقلي في الفلسفة الحديثة.

والعقليون لا يرفضون ما تجيء به الحواس، ولكنهم لا يعتمدون عليها اعتماداً كلياً.

❖ الرأي النقدي: ومضمونه أنه يجمع بين الرأي التجريبي والرأي العقلي، وقد رأى «كانت» هذا الرأي، مقرراً أن المعرفة لا تتم إلا بالخبرة الحسية والمبادئ العقلية معاً(5).

فالمعرفة في الرأي النقدي يأتي جانب منها من الخارج وهو جانب الحسية، وحينما يتلقى العقل ذلك،



ديكارت



أفلاطون

ينظمه في حدوده. ومن ثم يكون كل جزء معتمداً في مضمونه على خبرة الحواس، وفي قالبه على فطرة العقل.

❖ الرأي الصوفي: إذا كانت وسيلة المعرفة عند التجريبيين هي الحواس ووسيلتها عند العقليين هي العقل ووسيلتها عند النقديين هي الحواس والعقل معاً فإن وسيلة المعرفة عند الصوفيين تختلف عن الآراء التي ذكرناها. لأن الصوفيين يرون أن العلم اليقيني إنما يجيء عن طريق الحدس ويسمونه: الذوق الصوفي أو الوجدان، فاعتماد الصوفيين ينهض على صفاء القلب، ومجاهدة النفس. حتى تصل إلى مرتبة من الصفاء تتيح لها من المعرفة ما لا تصل إليه الحواس والعقول معاً(6).

❖ الرأي العملي ـ البراجماتزم حيث يقدم العمل ثم يستخلص منه المعرفة. ومن هنا أجاز هذا الرأي جميع الظواهر.

والمعرفة في حقيقتها ليست مجرد العلم بالواقع كما هو، بل هو أداة السلوك العملي الذي جاء بالنفع(7).

وتلك هي أهم آراء المعرفة التي اهتدى إليها علماء الفلسفة، وقد تفرعت عن هذه الآراء نظريات فكرية عديدة.

---

4 ـ انظر الدكتور محمد غلاب، المعرفة عند مفكري المسلمين ـ ص 21 ـ ط الدار القومية القاهرة.

5 ـ راجع: الدكتور محمد خلف الله، الموسم الثقافي الثاني للأزهر ـ ص 90 ـ طبع الأزهر 1960 مسيحي.

6 ـ المصدر السابق.

7 ـ انظر: الدكتور أحمد السايح. المعرفة في الإسلام ـ ص 19.

أما المعرفة في الإسلام، فهي غير هذه الآراء كلها. وذلك: أن الإسلام قد وثب وثبتين هائلتين.

الوثبة الأولى: كانت على أثر إشعاع القرآن الكريم في جنبات الأمة. فأنارها بعد ظلمة، وهداها بعد حيرة، ونظمها بعد اضطراب وفتق أذهان أبنائها بعد ارتتاق، ونبه إلى جوب النظر في الكون العام وفي النفس الإنسانية، وفي الأسباب والمسببات.

والوثبة الثانية: كانت بعد نقل الحكمة والعلوم إلى اللغة العربية، وبهذا تفتحت العقول إلى ألوان مختلفة من الثقافات والمعارف.

والإسلام في ظلال هاتين الوثبتين قد وضع أسس المعرفة الحقيقية، وأحاط بجميع الجوانب، واستوعب الطرق والوسائل جميعًا وجعل منها كلاً متكاملاً غير قابل للتمزق والشتات.

تقوم المعرفة في الإسلام على أساس التعادل بين الكم والكيف، والمادة والروح، والغاية والسبب، فلا افراط ولا تفريط.

لذا تقوم المعرفة في الإسلام على أساس التعادل بين الكم والكيف، والمادة والروح، والغاية والسبب، فلا إفراط ولا تفريط، طبقًا لقوله تعالى:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [سورة الأنعام: الآية 153]

وبهذا ربط الإسلام بين الحواس المرهفة، وبين العقل الباحث المنظم، أو الوجدان النقي الملهم. فالقرآن الكريم يدعو إلى استعمال الحواس، وبخاصة حاستي ـ السمع والبصر:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سورة ق: الآيات 6 ـ 8]

إلى غير ذلك من الآيات التي تدعو إلى التدبر، والتبصر، والتفكر واستعمال الملكات العقلية.

ولكن الحواس لا تغني وحدها ما لم تستعن بالبصيرة الملهمة، والعقل الراجح النفاذ:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة الحج: الآية 46]

أما طريق الحدس الوجداني الذي يصل إليه الإنسان بمجاهدة النفس وتقوى الله، فقد أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [سورة البقرة: الآية 282]

فالإسلام قد جمع بين جميع المواهب والملكات، سواء منها الحسية أو المعنوية، المنطقية أو الروحية، ليصل الإنسان إلى ما قدر له في ظل الإيمان[8].

وقد سجل القرآن الكريم طرقًا شتى لكشف الحقيقة، ليتخذ كل فرد من بني الإنسان الطريق الذي يلتئم مع مستواه، ويتسق مع عقليته وهي:

الطريق الأول ـ طريق النظر إلى السموات والأرض وما فيهما، ولهذا الطريق مرحلتان: أرضية محضة وأرضية سماوية.

المرحلة الأولى: أخفض المراحل وأشدها بدائية، وألصقها بالأرض، وهي تخاطب العامة بما بين أيديهم من مرئيات، ثم توجههم إلى استنباط ما هو بعيد عنهم لعلهم يهتدون، قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [سورة الغاشية: الآيات 17 ـ 20]

المرحلة الثانية: استطاعت أن تظفر بحظ من تطور الإنسانية، ورقي العقلية، وهذا دليل على أن الإنسانية قد ارتقت بعض الشيء، وأصبحت جديرة

8ـ راجع: الدكتور أحمد السايح. أضواء حول الثقافة الإسلامية ص 40 ط الدار المصرية القاهرة.

بالنظر إلى السماء، ثم النظر في السماء قال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سورة ق: الآيات 6 ـ 8]

الطريق الثاني: طريق الأسباب والمسببات. لأن هناك فريقًا من البشرية لا يقنعه غير أفاعيل الأسباب في مسبباتها، ولا يرضيه سوى التأمل في نشوء المسببات عن أسبابها قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة النّحل: الآيات 8 ـ 11]

الطريق الثالث: طريق المعقولات المحضة. وكما وجدنا في الآية:

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذّاريات: الآية 21]

طريق الشعور النفسي كوسيلة من وسائل المعرفة، كذلك يمكن الظفر فيها بطريق المعقولات الخالصة التي لا يدركها إلا علية الصفوة من المفكرين الذين يعتمدون على العقل النقي، لينفذوا إلى ما وراء حجب المرئيات.

الطريق الرابع: طريق البدهيات العقلية، ويعد هذا الطريق في عالم الفكر المنطقي، أسمى الطرق وأقربها إلى القمة، وأدناها إلى أوج الإمكان الإنساني وهو منبثق من داخل النفس وهو الفكر المحتوي آية

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذّاريات: الآية 21]

من هذا يتبين لنا في وضوح أن طرق المعرفة في الإسلام تلائم الإنسانية كلها حسب درجاتها في الكمال الفكري، وأن القرآن الكريم خاطب الناس على قدر ثقافتهم وفكرهم ليصل بهم إلى ذروة ما قدر لكل من الفهم والصواب [9].

الحضارات الإنسانية ليست ملكًا لأمة بعينها، ولا هي وقفًا على جماعة من الناس. لأنها صرح هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب.

والمعرفة وسيلة لغاية أبعد، وهدف أكبر، وهل ثمة أجل وأسمى من أن تستحيل المعرفة إلى طاقة محركة، وقوة دافعة تصبغ الواقع الإنساني في إطار الضمير، والشعور، والسلوك بصبغة المفاهيم النقية الخيرة، وتتمثل في حياة البشر نظامًا، وخلقًا، وجهادًا، وحكمًا، وقيادة صالحة. تحمل مشاعل الحق، والنور لهذه الإنسانية؟

والمعرفة أساس رقي المجتمعات وتقدم الإنسانية، وليس هناك أرقى من نهضة تقوم على المعرفة، ولا أبقى على حضارة تكون الحكمة رائدها.

والعلم يصل إلى المعرفة عن طريق البحث المستمر، والدراسة الجادة، والاستقراء والقياس والعمل المثمر.

والعقل البشري استطاع بما اكتسب من تجارب، وخبرة، ومران أن يصنف المعارف الإنسانية، وأن يحكم ما بينها من وشائج، وأن يستفيد بما بينها من صلات.

والنتائج العلمية متصل بعضها ببعض، ويعتمد بعضها على بعض، والحضارات الإنسانية ليست ملكًا لأمة بعينها، ولا هي وقفًا على جماعة من الناس. لأنها صرح هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب.

والحضارات الإنسانية قد تتشابه في مظاهرها، وفي عناصرها، وفي أسلوبها ـ ولا سيما ـ إذا تعايشت في جهات متقاربة.

والحضارات الإنسانية سلسلة محكمة متينة الحلقات، يؤثر سابقها في لاحقها. ويتأثر حاضرها بماضيها.

---

9 ـ انظر: الدكتور محمد غلاب ـ المعرفة عند مفكري المسلمين ص 65.

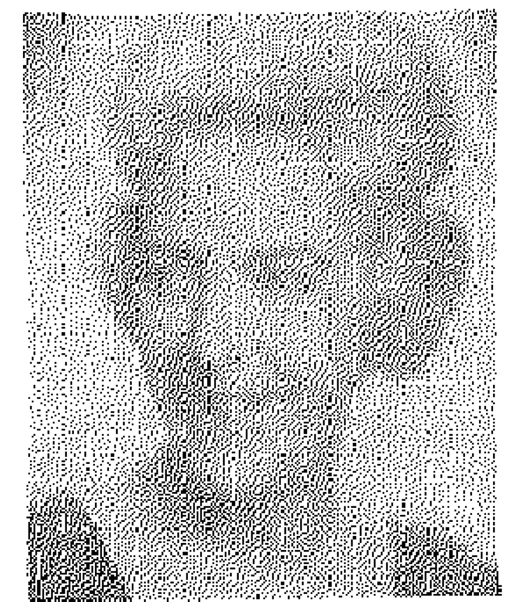
وإيمانًا من المسلمين بفوائد العلم والمعرفة، وإيمانًا من المسلمين بأن المعرفة حلقات متصل بعضها ببعض، ومؤثر بعضها في بعض. وانطلاقًا من مفهوم (اقرأ) والتي كانت أول كلمة يتلقاها الرسول الأمين من الوحي، ومن آيات القرآن الكريم، وتوجيهات الرسول محمد ﷺ عرف المسلمون الأولون منزلة العلم، وأدركوا مبلغ الحاجة إليه في العادات والمعاملات وبناء المجتمع ورقي الإنسانية، وعرفوا في صدق أنه هو الذي يوضح لهم معالم السير على النهج القويم، ويفتح لهم آفاق الحياة، ويكشف لهم عن أسرار العوالم الكونية، ويقيم لهم وسائل الحياة والقوة، ويبني لهم قواعد السعادة والسيادة [10].

عرف المسلمون كل هذا فوجهوا العزائم إلى طلب العلوم على اختلاف أنواعها، ولم يشغلهم عن طلبها ترف الحضارة، ولم يثن عزائمهم عنها بأساء الحياة وضراوتها وبحثوا عنها في آيات الله التشريعية، وآيات الله الكونية.

الحضارات الإنسانية سلسلة محكمة متينة الحلقات، يؤثر سابقها في لاحقها. ويتأثر حاضرها بماضيها.

ولم يقفوا بجهودهم عند نتاج عقولهم وأفهامهم، بل اتجهوا إلى علوم السابقين، وفتحوا عليها نافذة واسعة. أطلوا منها على الحضارات الإنسانية التي سادت، وكان لها دورها.. فترجم المسلمون كل ما وصل إليهم، وأبدعوا، وحسّنوا، واخترعوا، وأوجدوا علومًا جديدة، لأنهم كانوا يطلبون العلوم طلب الناقد البصير..

وقد اكتمل لهم من ملكات العلوم والفنون في جيل واحد ما لم يكتمل لأمة من الأمم الناهضة في عدة أجيال. وفي ذلك يقول أحد المؤرخين الاجتماعيين من علماء الغرب: إن ملكة الفنون لم يتم تكوينها في أمة من الأمم الناهضة إلا في ثلاثة أجيال: جيل التقليد، وجيل الخضرمة، وجيل الاستقلال والاجتهاد إلا المسلمون فقد استكملت لهم ملكة الفنون في الجيل الأول الذي بدءوا فيه بمزاولتها[11].



زيجريد هونكه

ومن العجيب حقًا أن المسلمين قاموا بالحركة العلمية التي تخطت مراحل النهوض. قاموا بها رغم الأحداث العاتية التي حملوا أعباءها، والحروب الطاحنة التي خاضوا غمارها. لأن الأحداث والخطوب، وإن بلغت من العنف ما بلغت، لا تستطيع أن تقف في طريق العقائد القوية التي انطوت عليها القلوب، وانفعلت بها النفوس، ولا أن تمنع العزائم المشرقة من الوصول إلى أغراضها.

تقول الكاتبة الألمانية الدكتورة «زيجريد هونكة» في كتابها: «شمس الله تشرق على الغرب».. «إن هذه الطفرة العلمية الجبارة، التي نهض بها أبناء الصحراء من العدم، من أعجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ العقل البشري. فسيادة أبناء الصحراء التي عرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وفريدة في نوعها، وإن الإنسان ليقف حائرًا أمام هذه المعجزة العقلية الجبارة، التي حار الإنسان في تعليلها وتكييفها.

وإن أوروبا تدين للمسلمين والحضارة العربية، وإن الدَّين الذي في عنق أوروبا وسائر القارات للعرب كبير جدًا[12]».

وبهذه النهضة العلمية استطاع المسلمون أن يعملوا على منافسة الأقوياء. والعمل لبناء المجتمعات لا يصدر إلا عن إرادة قوية، والإرادة الدافعة لا تنبثق إلا من العلم.

فالأمة التي افقدها الجهل قوة الإرادة، وصدق العزيمة، لا تهتم بمعالي الأمور، ولا تحفل بمعطيات الحياة، وبجانب هذا، فإن الجهل يقتل مواهب الفكر،

10 ـ انظر: الدكتور أحمد السايح: أضواء حول الحضارة الإسلامية ص 45 ـ ط دار اللواء ـ الرياض.

11 ـ راجع الدكتورة زيجريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب ـ ص90 ـ ط القاهرة.

12 ـ راجع مجلة رسالة الإسلام ـ ص 60 ـ القاهرة.

ويطفئ نور القلوب، ويعمي البصائر، ويميت عناصر القوة، ويفسد على الناس مناهج الإصلاح.

وكان المسلمون في دراساتهم وبحوثهم. ينتقلون من المعلوم إلى المجهول ويقومون بدراسة الظواهر دراسة دقيقة بقصد الانتقال من المعلول إلى العلة، وكان طريقهم إلى الحقائق العلمية خطوات منهجية من شأنها التأصيل والعطاء.

وهذه الخطوات نجدها فيما يلي:

أولاً ـ في التحرر من قيود العرف، والتخلص من رواسب التقاليد، وبهذا تزال الأنقاض، قبل أن يوضع حجر الأساس، ويرفع البناء لتكون القاعدة نظيفة، تعتمد على تربة صالحة، ولهذا تمكن المسلمون في ظل التوجيهات القرآنية من أن يقيموا أسس الحضارة الإنسانية على دعائم أصلية.

ثانيًا ـ في التأمل والمشاهدة، وجمع المعلومات الحسية والعقلية، تمهيداً للبحث والدرس. قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾

[سورة الإسراء: الآية 36]

فهذه الآية تنهى عن اتباع ما لم يقم به علم يستند إلى حجة سمعية، أو رؤية بصرية، أو براهين عقلية. وهي طرق الاستدلال التي تنحصر في العقليات والسمعيات والمحسوسات. فالمسائل العملية في الإسلام لا تأخذ طابعًا عمليًا ولا ترتقي إلى درجة معلومات إلا إذا قامت عليها بنية، واستندت إلى دليل.

ثالثًا ـ في الموازنة والاستقراء.. وإذا كانت مرحلة التأمل ووزن المعلومات، وتمييز صحيحها من زائفها، تعتمد على المشاهدات الحسية والعقلية. فإن مرحلة الموازنة والاستقراء. تضم إليها خطوات التفكير العقلي.

رابعًا ـ في الحكم المبني على الدليل والبرهان الصادق. فإذا قام الدليل القاطع والحجة البالغة. اتضحت الحقيقة قال تعالى:

﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾

[سورة الأنعام: الآية 148]

وقال تعالى:

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

[سورة النمل: الآية 64]

وقد استقرت دعائم الخطوات المنهجية في أعماق النفوس، فكانت الرائد الأمين للعقول والأفكار، والمرشد الواعي للغرائز والمواهب.

وقد طبع المسلمون على حرية الفكر، واستقلال الإرادة. ولهذا تعمقوا في علوم الحياة والحضارة الإنسانية. فكان منهم نوابغ الأطباء والفلكيين، وعلماء الهندسة والجبر والحساب، وكبار علماء الجغرافيا والكيمياء، والزراعة، والعمارة، والأدب، والفقه، والتفسير، والتاريخ، واللغة. وكانوا أوائل من اكتشفوا حقائق علمية، فكانت أول المعالم على طريق الباحثين والدارسين.

كل هذا كان بفعل الاتجاهات العقلية التي غرسها الإسلام في قلوب الناس، والتي أدت إلى تنمية القوى العقلية الكامنة في الإنسان. فبحث علماء الإسلام، ودرسوا وأضافوا، وجددوا وابتكروا، فكان ذلك النتاج الحضاري الإسلامي الأصيل، الذي أعطى الإنسانية ذخيرة ضخمة من المعارف، أفاد منها الغرب في عصر الإحياء والنهضة.

وإذا كانت الأمة الإسلامية في هذا العصر تخطو على طرق العلم. فهذا هو التاريخ الإسلامي، قد أثبت في صدق أن الحضارة الإسلامية هي خير حضارة عرفتها الإنسانية.

ونحن لا نريد للحضارة الإسلامية أن تكون درسًا يتناوله العلماء والطلاب بالبحث والتأمل، ولا نريد للحضارة الإسلامية أن تكون ثقافة عامة يحصل عليها الناس ليقال إنهم مثقفون. إنما نريد أن تكون الحضارة الإسلامية موصولة الأخذ والعطاء. نأخذ منها القيم والمنهج، ونعطيها الفكر والعمل.



المغامر دمنغو باديّا في مكة وفلسطين

د . علي حسين الحلو *
نقله عن الإسبانية : د . عبدالله محمد الزيات **



ولد دومنغو باديّا ليبلتش Domingo Badya Liblich في برشلونة في اليوم الأول من أبريل من عام 1767 مسيحي، وعُمِّدَ في اليوم نفسه في سِئو Seu [1] باسم دومنغو فرانثيسكو جوردي Domingo Francisco Jordi، كان أبوه يدعى بيدرو، أما أمه ذات الأصل البلجيكي فتدعى كاتالينا ليبلتش، وقد كانت تسكن برشلونة منذ القرن السابع عشر.

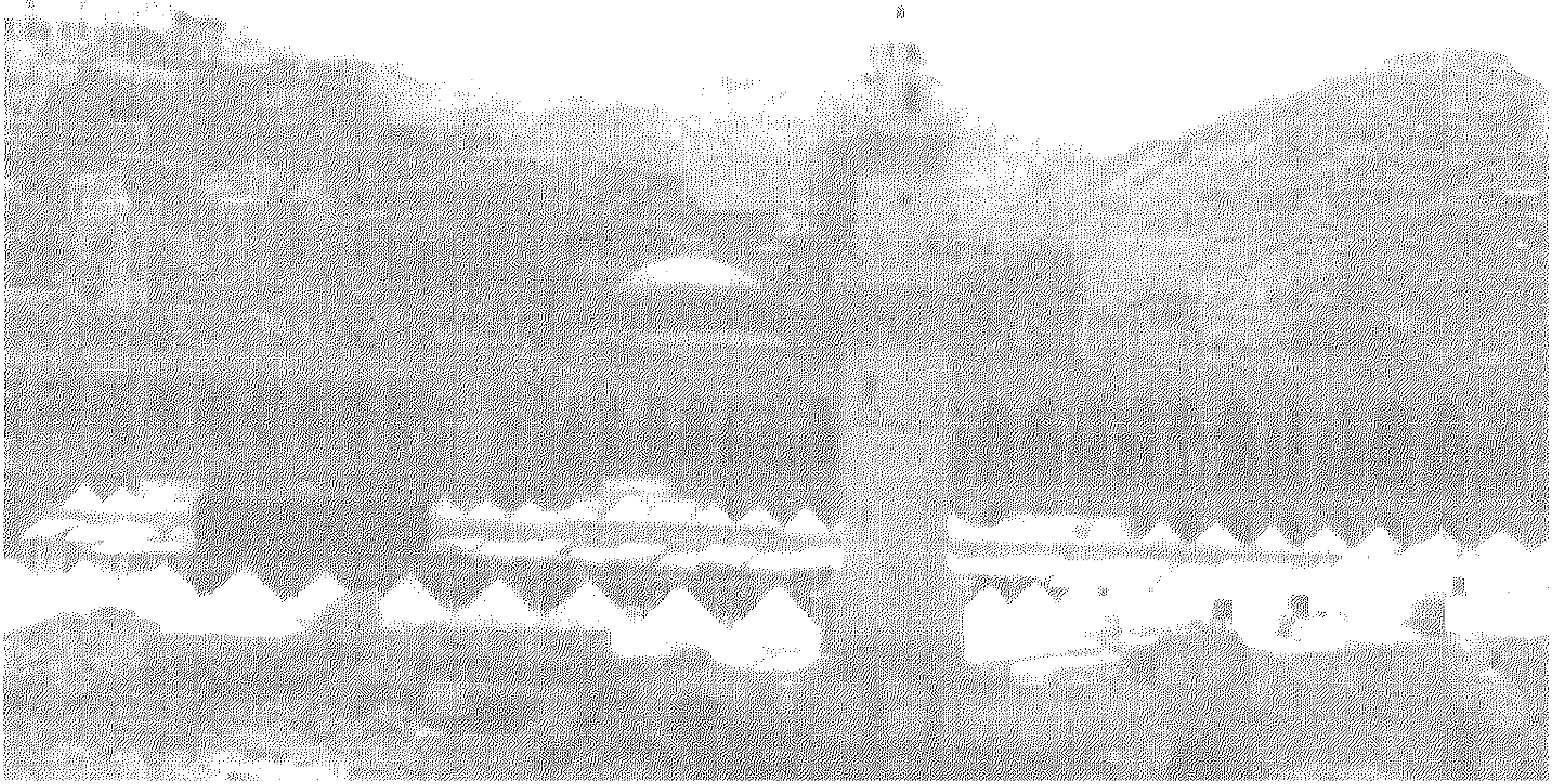
أمضى دومنغو طفولته في برشلونة، وعند بلوغه سن التاسعة عشرة انتقل صحبة أسرته إلى مدريد، وذلك لأسباب كانت توجبها ظروف عمل والده.

عندما بلغ سن الرابعة والعشرين اقترن بسيدة مدريدية تدعى ماريا لويسا بُرّويِثو إي كامبوي Maria Luisa Burruezo y Camboy, التي أنجبت له بعد ثلاث سنوات من زواجهما طفلة دعيت بماريا دي لا أسونثيون كاتالينا Maria de la AsunciÓn Catalina،

---

* كاتب / سفير فلسطين السابق في المكسيك - إسبانيا
** كاتب وباحث وأستاذ جامعي / ليبيا

(1) هي مدينة صغيرة لا يتجاوز سكانها في بعض الإحصاءات الحديثة مائة ألف نسمة، تقع في شمال مقاطعة قطلونية، قرب حدود إسبانيا مع دويلة أندورا (المترجم).



صورة قديمة لمكة المكرمة

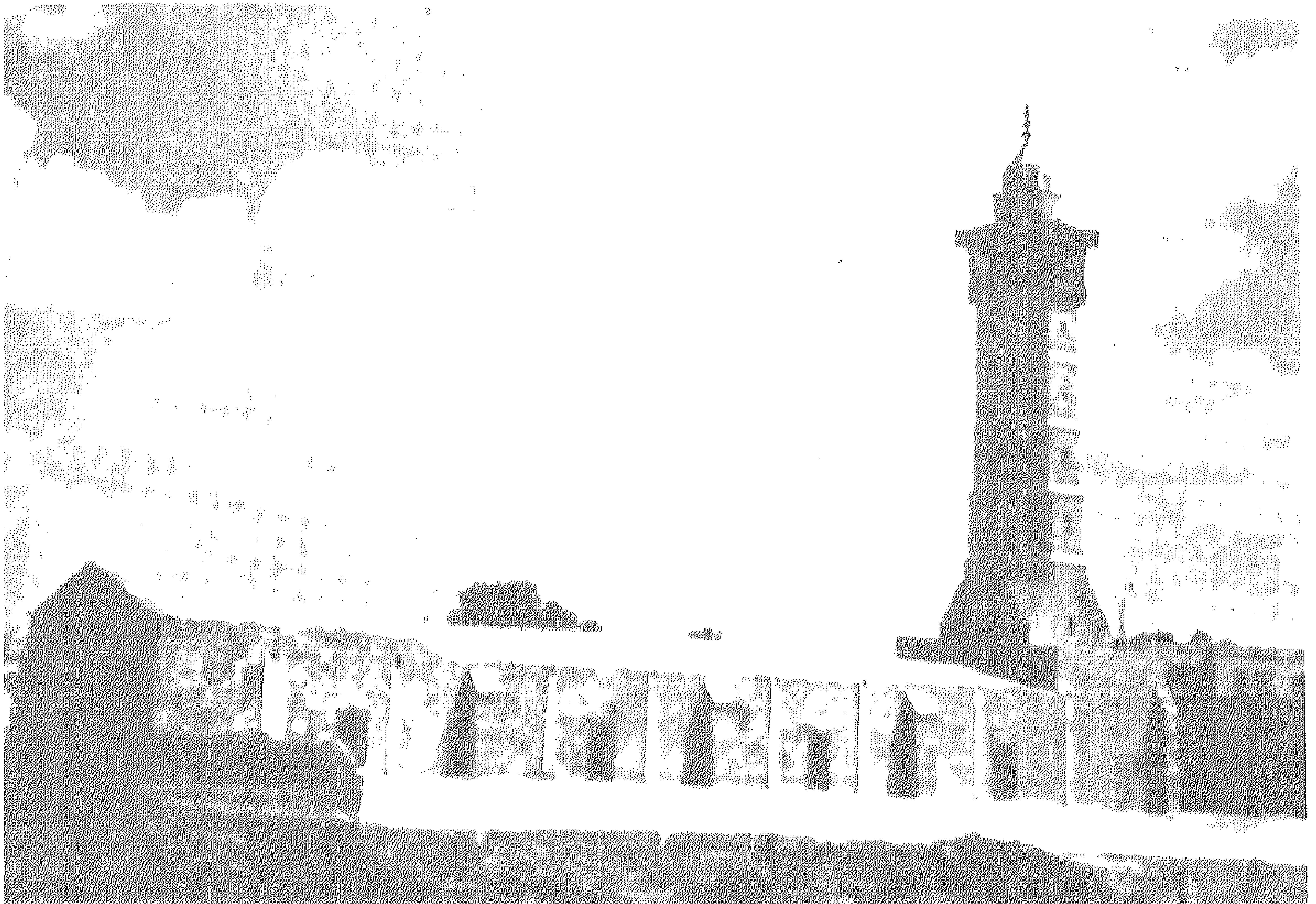
وقد انتقل في العام نفسه الذي ولدت فيه ابنته إلى قرطبة بوصفه إداريا في المؤسسة الملكية للتبغ.

في تلك المرحلة وظف «دومنغو» جزءاً كبيراً من وقته في تعلم الفيزياء والنبات والرياضيات والفلك وعلم الظواهر الجوية، والجغرافيا، وقد كان يتعلم العربية هواية له منذ شبابه المبكر.

في خطوته الأولى قدم دومينغو في الثامن من شهر إبريل من العام 1801 خطته للسفر أمام الوزير الفذ مانويل غودوي Manuel Godoy «أمير السلام» (2)الذي كان يحظى بمحبة الملك الإسباني آنذاك كارلوس الرابع، وقد كانت جهة زيارته أفريقيا وآسيا، وكان غرضها أهدافاً سياسية وعلمية كما يذكر دومينغو في مذكرته التي أرفقها لخطته التي قدّمها أمام مانويل غودوي مع رسالة تتعلق بأمور جغرافية واكتشافات جديدة.

وبعد استعراض العوائق التي كانت تعترض الرحالة والمسافرين التي يذكر أن من أهمها: «تعصب الأمم الإسلامية»، الذي يلخصه في نظرة هذه الأمم إلى ممارسات كل مختلف عنها في الثقافة بأنها «عدوى» تنتقل اليهم من بلاد النصارى، كما تنتقل عدوى الطاعون، وكانوا يتوجسون أكثر إذا كان ذلك الوافد مسيحيًا، حيث يحكم على أي نشاط ضد ما هو مسيحي أو أية إهانة له بأنه عمل جدير بالاحترام، أو محاولة تتطلع إلى هدم فرد كافر، وهو ما يخيفه ـ بكونه أوروبياً مسيحياً ـ من تلك الزيارة.

(2) شخصية سياسية عسكرية بارزة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر (1767-1815) تولى عدة مناصب ومهام فقد كان وزيرا، وكان قائدا للجيش الذي قاوم نابليون عند اجتياحه إسبانيا، كما كان شخصية بارزة في حرب إسبانيا مع البرتغال في تلك الفترة (المترجم).



المسجد الكبير في غزة بني في القرن السابع عشر

وبدأ «دومنغو» يفكر في الانتحال والتخفي؛ فإن أوربياً يخفي دينه ووطنه يحضر إلى أفريقيا منتحلا شخصية المسلم سيحظى بزيارة كل مناطقها، وكان ذلك يقتضي التمكن قليلاً من العربية، وتعلم بعض الآيات من القرآن، وارتداء جلابية أو عباءة، والمشاركة في الحفلات والأعياد التي تقام هناك، وفوق ذلك أن ينتحل اسما مسلماً».

أواصر القرابة العائلية لم تجعل باديا يتنازل عن مخططه للسفر، بل قام بكل مسؤولية بالتزامات تلك القرابة قبل انطلاقه في ذلك السفر، فأدى ما يفرضه عليه الواجب من دفع نفقات إلى زوجته وابنته خلال المدة التي سيستغرقها سفره.

أحصى «دومنغو» ما مجموعه 3250 فرسخاً قطعها في ثلاث سنوات، وهو ما سمح له باكتساب معلومات واسعة عن السياسة والتجارة والصناعات البدائية والعادات، وذلك ماجعل الوزير الإسباني غودوي يوافق على سفر المغامر القطلوني مرة أخرى وربما مرات عديدة، وعلى تموين هذا السفر.

اتخذ دومينغو باديا اسم «علي بي العباسي»، حتى لا يثير حوله الشكوك، وليحيط نفسه بنوع كبير من الشهرة والصيت أثناء رحلته، ولذلك ادعّى أنه سليل أسرة تنتمي إلى الخلفاء العباسيين.

لقد سافر علي بي إلى فرنسا ثم إلى انجلترا ؛ حيث حسّن عربيته وتمكن منها، وأجرى عملية ختان كما يفعل المسلمون، وفي طريق عودته من انجلترا حط في شاطئ طنجة في اليوم التاسع والعشرين من يونيو من العام 1803 مسيحي.

الأبهة التي كان يتظاهر بها، والألقاب التي كان يحملها مكتوبة بلغة عربية فصحى صحيحة، وفوق ذلك الملاحظة الدقيقة للتعاليم القرآنية، كل ذلك جعل له قيمة عند سلطان المغرب مولاي سليمان، ولئلا يثير شكوكا حول حقيقته استطاع أن يقنع السلطان بأن

يغدق عليه عدة امتيازات، حتى وصل الأمر إلى أن يبعث إليه برغيفي خبز هدية، هي دليل على الثقة فيه والإحساس بالأخوة نحوه.

زار المدعو علي بي عقب ذلك مدينة فاس، وبعض الأمكنة في المغرب، وطرابلس ليبيا، وجزيرة قبرص، ومصر؛ حيث استقبله محمد علي استقبالاً حاراً، ثم وصل إلى مكة ـ التي كانت هدفاً أولياً لرحلته في بدايات 1807 مسيحي ـ وقد واصل رحلته تلك ؛ فزار القدس ودمشق والقسطنطينية، وعندما هيأ نفسه للعودة إلى إسبانيا بهدف نشر كل الوثائق المتعلقة بالرحلة، ووثائق أخرى خاصة به جمعها في سفره، أخبر بغزو نابليون لإسبانيا، لقد شجعه كارلوس الرابع على الانخراط في خدمة نابليون الذي نصحه به أخوه الملك خوسي José.

لكن دومنغو قدّم معلوماته الأولى في رحلته للويس التاسع عشر، وليس لنابليون،كما يبدو منطقياً.

لقد كان عنوان كتابه : رحلات علي بي في آسيا وإفريقيا أثناء الأعوام 1803ـ 1807 مسيحي، الذي نشر باللغة الفرنسية في باريس في عام 1814 مسيحي مصحوباً بأطلس وعدة خرائط ولوحات ورسائل جغرافية، وقد ظهرت ترجمة هذا الكتاب في اللغة القشتالية عام 1836، كما كانت ترجمته إلى القطلونية قد ظهرت قبل ذلك بنحو عام.

واعتبر علي بي مُتفرنسا أو مُفرنَسا، ولم يستطع العودة إلى وطنه، كما أن طابعه غير الهادئ لم يستطع التأقلم مع الحياة المستقرة، وهو ما تسبب في أن يخطط لرحلات جديدة، ستكون هذه المرة في خدمة العسكرية الفرنسية، حيث اتخذ اسماً جديداً هو: علي عثمان، وانطلق متجهاً إلى سوريا، ويزعم بعض الكتاب أن غرض هذه الرحلة كان إقامة علاقات تجارية جديدة بين وطنه الثاني، أو وطنه بالتبني، وشرق إسبانيا، ولكنه لم يستطع أن يكمل ما تعهد به ؛ حيث وافته المنية في مدينة حلب، متأثراً بمرض الزحار «دوسنتاريا»، لكن آخرين مثل: لادي ستانهوب Lady Stanhope يقولون: «إنه قتل بالسم ونتيجة لحسد الأوروبيين له» ويفهم بأن المعني بالأوروبيين هم الإنجليز، كذلك فإن العقيد الفرنسي مارنيير Marnier يتهم ـ في وجهة نظر مشابهة ـ الغادرة ألبيون Albion (إنجلترا) بتصفيته جسدياً، وطبقاً لرواية هذا العقيد فإن لويس الثامن عشر كان قد حذر علي بي قائلاً : «لا تثق ببعض الأجانب خصوصاً الإنجليز، هل تفهمني..؟ لا تثق بالإنجليز».


لويس الثامن عشر

ولكن ماذا شاهد المغامر والمستكشف والمستشرق القطلوني دومنغو باديا (علي بي) في فلسطين؟ وماذا كتب عنها؟

انطلق علي بي إلى فلسطين بعد رجوعه إلى مصر في يوليو، وبعد خمسة عشر يوما فقط من استراحته في القاهرة، وهنالك، أي في فلسطين وقف على أن ثلثي الرهبان والقسس هم من الإسبان، وأن نصف نفقات الرعاية للأراضي المقدسة تغطيها إسبانيا، بما في ذلك كل النفقات في ذلك الوقت، وذلك نتيجة للظروف السياسية، فإن البقية من الأمم الكاثوليكية كانت قد توقفت مؤقتاً عن دفع مساهماتها في تلك النفقات.

لقد استطاع علي بي في أقل من إسبوعين، وفي ظروف تمتعه بحرية كبيرة، أن يكتب وأن يلاحظ ما يشاء، وأن يصف أوصافاً مفصلة لمعبد كنيسة القبر المقدس أي قبر، داود وقبور إبراهيم وآله في مدينة الخليل، كما حرر في وصف مفصل أيضاً زيارته إلى جبل كارميلو الذي هو بداية الناصرة، وزيارته إلى جبل الطبور (لعله الطور) وزيارته إلى جسر يعقوب وكذلك أضرحة السيدة العذراء وأسرتها في القدس وجبل كالباريو.

فلسطين التي زارها دومنغو باديا (علي بي أو علي عثمان) لم تكن تلك الأرض القفراء الجدباء غير الآهلة والمهجورة، التي يتحدث عنها الصهاينة دائما في دعاياتهم الفارغة. في هذا المعنى يمكن أن نتذكر كلمات الصهيوني البريطاني إسرائيل ثانغويل قبل وعد بلفور عندما قال: «إن معظم الصعوبات تأتي من حيث إن فلسطين ليست فقط هذه المستعمرة من قبل العرب، وإنما إضافة إلى ذلك الأرض التي غزاها العرب، ولتخفيف هذه التأكيدات بعض التخفيف يضيف: «لكن العرب رحلوا ولم يتركوا في فلسطين أي أثر مادي أوروحي، ولهذا فإن خيرما كان يجب القيام به هو دعوة السكان العرب إلى ترك فلسطين بهدف أن يقيم فيها العبريون بيتهم أو يبنون فيها مكاناً لهم تحت الشمس». ومع هذا فإن خير جواب على هذه الكلمات غير الدقيقة هو ما قاله المغامر القطلوني باديا في كتابه الذي كتبه عن رحلته عندما أوضح أن فلسطين «منطقة أو إقليم مزدهر، يتكون من رواب دائرية منعطفة متدرجة وأرض خصبة تشبه تقريباً طينة النيل، وتغطيها خضرة واسعة ويحوطها جمال أكبر».


محمد علي باشا

في الحقيقة فإن كلمات باديا هذه ووصفه هذا لأرض فلسطين في عام 1807 جعلت ادعاءات الحركة الصهيونية ونظرياتها تفتقر إلى الصحة .

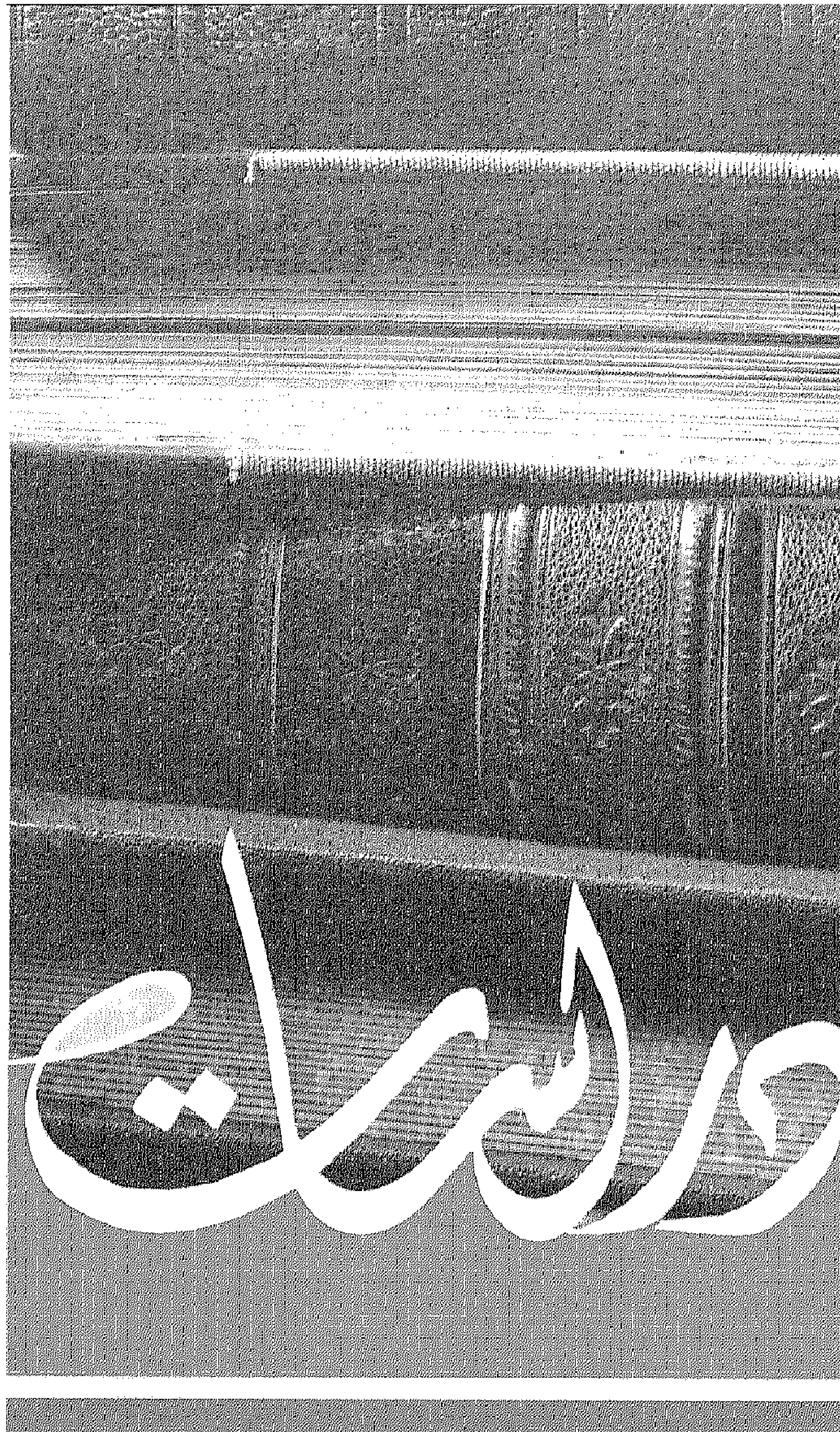
هكذا إذن فإنه يجب الاعتراف المطلق بأن دومنغو باديا أو علي بي هو المسيحي الغربي الأول الذي درس بعمق عادات العرب، وزار مكة والكعبة جامعاً معلومات ومعارف كثيرة عنهم، وعن عاداتهم التي كانت مجهولة عند الغربيين حتى ذلك الوقت، ومع ذلك فإنه ليس صحيحاً ما يقال بأن دومنغو كان الأوروبي الأول الذي زار مكة، فقد زارها قبله الفارس الروماني لودوبكو بارتيم Ludovico Bartem في عام 1503 مسيحي، وزارها الأسير الإنجليزي جوزيف بيتس Joseph Pitts في عام 1680، ولكن دومنغو هو الأول الذي قوم موقع مكة الجغرافي، ووضع الصور والرسومات التخطيطية المجملة لمكة، كذلك كان هو أول من وضع الصور والرسومات التخطيطية الأولى للأراضي المقدسة (فلسطين)، ومن بينها وضع خارطة لمعبد بيت المقدس، وهو عمل ينطوي على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للحركة الصهيونية التي كانت تركز على الجانب الديني لليهود في فلسطين، ومن هنا لم يعدم دومنغو من يقول عن رحلاته:

فلسطين التي زارها دومنغو باديا (علي بي أو علي عثمان) لم تكن تلك الأرض القفراء الجدباء غير الآهلة والمهجورة.

«إن هذا المجموع العظيم من الأعمال المتنوعة التي قام بها رجل واحد فقط في وقت قصير جداً، وفي ظروف حرجة جداً، ليسمح بأن يقدر صاحبه تقديراً كبيراً».

وهكذا فعندما يشرح دومنغو باديا الدين الإسلامي يصرح: «الدين الإسلامي في بساطة متناهية ليس فيه أسرار كنسية ولا غير كنسية، و ليس فيه بين الإنسان وربه وسطاء يعرفون بالكهنة والأعوان، وليس فيه مذابح تقدم عليها القرابين، وبالتالي ليس فيه زخرفة كاذبة؛ فالله لايُرى، والقربان الذي يقدم إليه هو قلب الإنسان، وكل مسلم هو حبر عظيم أو بابا كبير».

أخيراً فإنه من المناسب أن نذكر أن باشا مصر محمد علي الذي كان يحكم مصر وفلسطين ومناطق في الشام قد عرف عن طريق مخبريه السريين أن علي بي ليست إلا شخصية مزورة، وقد ذكر هو نفسه ذلك لرفيقه في الرحلة المشرقية الفرنسي الكوندي دي فوربين El conde de Forbin .

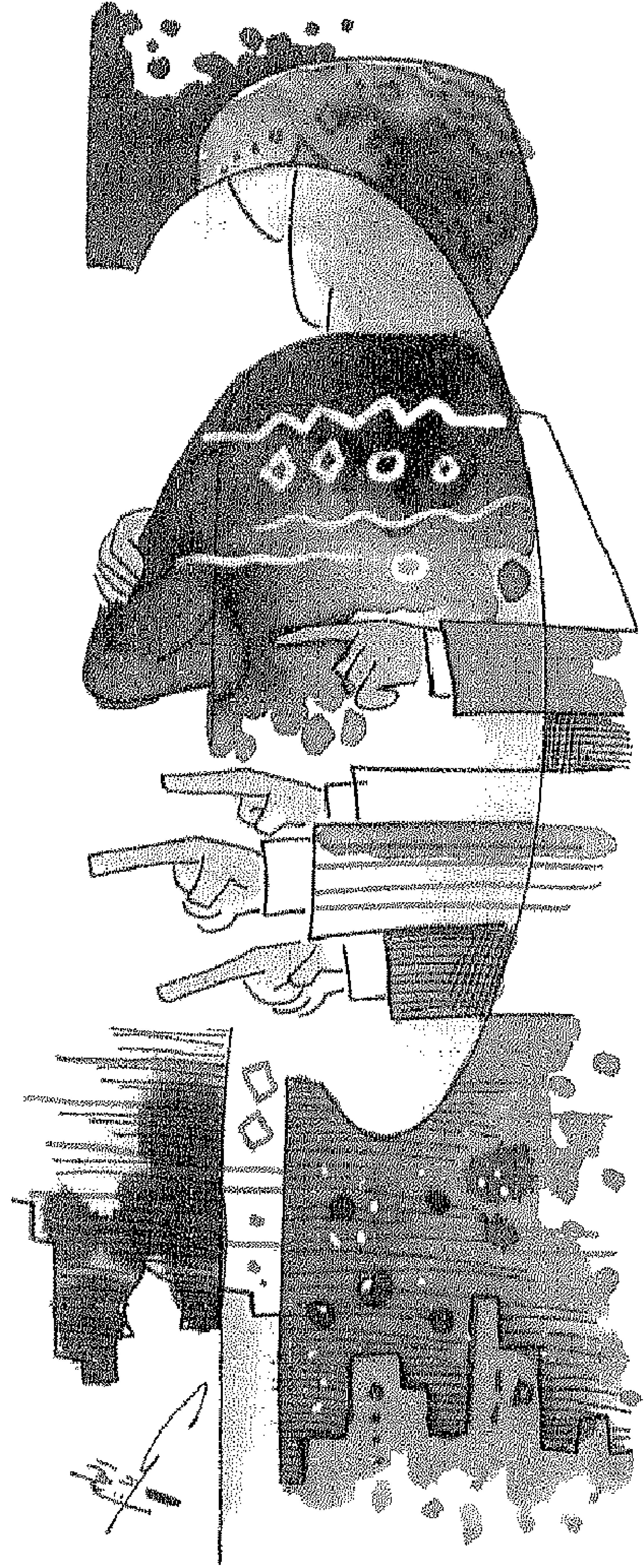


❖ الإسلام والغرب والهوية العربية الإسلامية

❖ النظام العالمي الجديد وصورة الإسلام في الإعلام

الإسلام والغرب
والهوية العربية الإسلامية

د . محمد الحبيب بن الخوجة *



لا تزال عقدة الكراهية والعداء تتضاعف بين الشرق والغرب وبين الإسلام والعرب من جهة، وبين العالم الغربي وأمريكا من جهة ثانية. وقد صُنفت في ذلك الكتب العديدة والمقالات المختلفة في كثير من البلاد بشتى اللغات. ولعل من أول ما صدر من ذلك في القرن الماضي سنة 1937 عمل المؤرخ البلجيكي هنري بيرين المعروف بـ «محمد وشرلمان»، الذي أسماه ناشره الهولندي «الإسلام والديمقراطية». وهو يصوّر القطيعة القديمة التي فرضها الإسلام في اعتقاده بانتشاره وهيمنته على حوض البحر الأبيض المتوسط. فدمر أسس التوازن للإمبراطورية الرومانية وللمسيحية. وكان التنافس والصدام بين الديانتين المسيحية والإسلام، وازداد الأمر حدة وخطرًا باحتلال العرب إسبانيا، رغم خضوع الحرب عند المسلمين إلى ما تقتضيه سياستها من آداب وشروط. واستمر من ذلك الوقت النزاع قائمًا بين الطرفين المتقابلين إلى العهد الحاضر، وتفاقم الوضع اختلافاً وافتراقاً بين الدول الاستعمارية الحديثة وإسرائيل وبين معظم الدول العربية.

ويعلق أركون في كتابه (الإسلام، أوروبا، الغرب) أو مترجمه هاشم صالح، وهما من عنصر فكري واحد

* الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي / جدة

قائلاً: وأصبحت النظرة لكل ما هو غربي أو أوروبي مشوّهة ومشبوهة، كما صارت النظرة العدائية متبادلة بين كلا الطرفين.

وهذه الحقيقة التي تحتاج إلى مزيد من التحليل والبحث قد يضعفها ما لاحظناه من زمن الفتوحات الإسلامية الأولى إلى اليوم، إذ بات اعتداء دول الفرنجة وعدوانها وبغيها منتشراً في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي، فعظم الخطب واشتد البلاء[1]. وربما كان من الضروري أن نقسم البحث إلى محاور ثلاثة: الإسلام والغرب والهوية، ليكون التصور واضحاً، والواقع بيّناً لكل دارس أو ناظر.

وقد توالت سلسلة من الاعتداءات الغربية الآخذ بعضها برقاب البعض منذ القديم، حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى، واعتمدت تقارير الصلح التي بات العالم الإسلامي أجمع خاضعًا بمقتضاها خضوع الذل والخنوع للسيطرة الغربية [2].

ولعل مما كان يبرر هذه الأحداث استخفاف الدول النصرانية بدول المسلمين، واعتبارها دونها منزلة لما نزل بها من الانحطاط والتدني يلابسها ويعوقها عن أن تكون قوامة على شؤون نفسها بنفسها[3].

وازداد هذا الشعور حدة مع ما كانت دول الغرب تتطلع إليه من امتداد نفوذها، ومن الهيمنة على جزء من البلاد العربية والإسلامية التي جاءت اتفاقية سايكس بيكو 1916 بتحقيقها. وفي الوقت الذي لم يكن هناك مفهوم للشرق الأوسط يشير في الواقع إلى حيز جغرافي معين له، ولا إلى تاريخ محدد مشترك لشعوب المنطقة، كان التقسيم المعتمد بأوروبا يستند في الأساس إلى نظرة السياسات الاستعمارية، وإلى التعبيرات المختلفة بخصوص مناطق التوسع الاستعماري، انطلاقا من المركزية أو من التمحور حول أوروبا الذي شكل عالمًا تميز بكونه ذا قطب واحد هو المحور الاستعماري العالمي بدوله المختلفة. وعلى هذا الأساس امتد سلطان بريطانيا في سواحل الجزيرة العربية المطلة على البحر العربي والخليج، وكونت ألمانيا علاقات ثنائية مع الدولة العثمانية. وباتضاح المطامع الاستعمارية وتجسّدها بشكل مشاريع للتنفيذ دخلت بريطانيا وفرنسا ومعها الصهيونية، وكذا إيطاليا وأسبانيا عملية تقسيم واستعمار الوطن العربي. ولما صاحب هذا الاحتلال من استنزاف للثروات وتغيير للحقائق الاجتماعية والعقدية وغيرها، اشتد العداء بينها وبين المحتلين لها وأصبح الغرب بالنسبة إليها مرفوضًا[4].

يختلف الحديث عن الإسلام في مقالات العلمانيين وتصوراتهم، ويبعد كثيراً عما يردده غير المؤمنين من آراء محدودة ومعان ضيقة ومزاعم باطلة. وسبب ذلك إنكارهم الوحي والدين وكل ما جاء عن طريقهما من تعاليم.

وعندما نتتبع ما جاء في كثير من البحوث والدراسات نجد موضوعنا الذي نريد بحثه، وهو تصوير أوضاع المسلمين والعرب جميعاً تحت هيمنة الاستعمار، موضوعاً غامضاً غير واضح، لأن بعض الباحثين لم يعددوا مصادرهم أو لم يتحروا في تحديد المصطلحات. فأطلقوا الإسلام على العرب مرة، وكذا العكس، وكان ذلك بسبب ما كانت أفكارهم منشغلة به، فلا ينتبه إلى ما بين الأمة الإسلامية والأمة العربية من اختلاف في الأصل. وقد يحصل هذا من شدة التباس الواحدة منهما بالأخرى، خصوصا في القضايا العقدية والتاريخية، وفي الثقافة العامة والسلوك. ويدعونا هذا إلى التذكير بما بين المصطلحين من فرق في الدلالة. فالإسلام في الأصل الدين، والعربية في الأصل اللغة،

---

1 ـ حاضر العالم الإسلامي ط:5 : 308/1.

2 ـ حاضر العالم الإسلامي: 321/1.

3 ـ حاضر العالم الإسلامي: 307/1.

4 ـ سعدون حمادي. الغرب والوحدة العربية: 401.

وأول ما تشكل بوضعه أمة الإسلام البلادُ الإسلامية. فالإسلام أمة وهي في الأصل مطلق الجماعة إذا تميزت عن غيرها أيا كان مضمون ذلك التميز. وبهذا المعنى كانت الأمة أكثر استعمالاً في اللغة. ومما وردت فيه من السياقات القرآنية قوله تعالى :

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة آل عمران: الآية 104]

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾

[سورة الأعراف: الآية 159]

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾

[سورة الأعراف: الآية 181]

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ﴾

[سورة يونس: الآية ١٩]

ويقول الإمام الأكبر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: أصل الأمة في كلام العرب الطائفة من الناس تؤم قصداً واحداً من نسب أو وطن أو دين، أو مجموع ذلك. ويتعين ما يجمعها بالإضافة أو بالوصف[5]. الأول كأمة العرب وأمة غسان، وأمة النصارى، والثاني كما في قوله عز وجل:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة آل عمران: الآية 104]

وقوله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ﴾

[سورة آل عمران: الآية 110]

وتطلق الأمة على الصحابة، فهم أهل العصر الأول من المسلمين. وقد كان الخطاب موجهًا إليهم في قوله عز وجل :

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ [سورة آل عمران: الآية 104]

وقد تميزوا عن بقية المسلمين بتلقّيهم الشريعة من رسول الله ﷺ مباشرة، وهم أولى الدعاة بتبليغها إلى الناس، وهم الأعلم بمشاهدها وأصولها. فهم ما صدق الأمة، ولذلك خاطبهم الرسول في مواطن كثيرة بقوله: «ليبلغ الشاهد الغائب. ألا هل بلغت!». وإلى هذا التأويل مال ابن عطية ناقلا عن الزجاج وغير واحد من المفسرين أن المراد من قوله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ البيان لا التبعيض، بمعنى ولتكونوا كلكم أمة يدعون [6].

وأطلقوا الأمة أيضًا على مجموع أهل البلد الواحد، وعلى أهل القبيلة. وورد في القرآن ذكرها بمعنى القدوة. وذلك في قوله تعالى:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: الآية 120]

أورث الإسلام أهله بتمسكهم بالعقيدة الصحيحة جملة من الأخلاق والمكارم مثل عزة النفس، وأصالة الرأي، وحرية العقل، ومساواة الناس، فيما عدا ما يتفاضلون به عادة من الشيم والمكارم.

واستعملت بمعنى الأجل في قوله عز وجل:

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ﴾

[سورة هود: الآية 8]

وفي آيات أخرى جاءت بمعنى العقيدة أو الطريق، كما في قوله جل شأنه:

﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: الآية 22]

﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: الآية 23]

وكما أطلقت على الجماعة من الناس أطلقت بنفس الشكل على الجماعة من الجن. قال تعالى:

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [سورة الأعراف: الآية 38]

وأطلقت أيضًا على الحيوان والطير. قال جل وعلا:

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا﴾ [سورة الأنعام: الآية 38]

فالأمة بهذا الاعتبار لفظ مشترك، ومقوّم الأمة

5 ـ التحرير والتنوير : 37/4.

6 ـ ابن عطية. المحرر الوجيز : 254/3، محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: 38/4.

وهويتها الدين الذي أمر به الله.

وفي هذا المقام تعرض علماء التفسير إلى جملة قضايا ترتبط بالإسلام. فعرفوا معناه وهو الدين، وذكروا أقسامه وأنواعه، وبينوا أسسه وأصوله، وفصّلوا القول في الشريعة والعمل بها، كما تحدثوا عن أحوال المجتمعات البشرية وما كان يلائم كل طور من أطوارها من التشريع، وفرقوا بين الإسلام والإيمان، وجمعوا بين الفطرة الإنسانية والآداب العتيقة الراسخة، ودعوا إلى كثير من الأوصاف، وحددوا الغاية والهدف من الإسلام وتشريعاته.

وبهذا يختلف الحديث عن الإسلام في مقالات العلمانيين وتصوراتهم، ويبعد كثيراً عما يردّده غير المؤمنين من آراء محدودة ومعان ضيقة ومزاعم باطلة. وسبب ذلك إنكارهم الوحي والدين وكل ما جاء عن طريقهما من تعاليم.

وجوهر الإسلام وأساسه الدين. وهو لغة الجزاء، وقد أطلق على ما يكون للقيام به والوفاء بتعاليمه من ثواب وأجر، ومن انتساب حقيقي للمنهج الرباني الذي جاء به الإسلام.

وحقيقة الدين العرفية موضوعه، وهو مجموع العقائد والأعمال التي تولى الرسول ﷺ تلقينها الناس وتعليمهم إياها بإذن من الله، ووعد ملبّي الدعوة المتمسكين بها بالجنة، والمعاندين المعارضين لها بالعقاب.

ومن الدين ما هو باطل، كالذي يدعو إليه الآحاد من الناس، ليكون لهم بذلك تبع يأخذون بمنهجهم ومذهبهم، ويلتزمون بما يدعونهم إليه وإن لم ينزل به سلطان.

وهكذا تتميز الأديان. فمنها ما هو حق كأول دين إلهي كان حقًا، وبه كان اهتداء الإنسان.

ومنها ما هو باطل كالأديان المكذوبة المتشبهة بالأديان الصحيحة. وقد فرق الله سبحانه بين الدينين في قوله :

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون: الآية 6]

ووصف القرآن الإسلام بكونه دينًا قيّمًا، أي مستقيمًا لا عوج فيه، يقتضي الاستقامة على نهجه وتعاليمه.

ووصفه مرة أخرى بالكامل والتام، ومعنى ذلك الذي كملت الشرائع العبادية به من حج وفرائض وأحكام وحلال وحرام. فلم ينزل بعدها شيء من ذلك على الرسول ﷺ.

جعل الله للمجادلة في القضايا المهمة أصولا وآدابًا يتمكن الناس بها من الدفاع عن الحق وصيانة الدين، وأعد لكل فئة من الناس مسلكًا هم سالكوه، ومنهجًا يتعين عليهم الأخذ به كتعليل الأحكام، والجدل والخطابة، والترغيب والترهيب، ورد المعارض للرأي السديد البين بالحكمة والجدال بالتي هي أحسن إلى الصواب.

وما أن بلغ عباد الله عن طريق الأديان الصحيحة السابقة، الدرجة التي أصبحوا معها مستعدين لتلقي الرسالة الكاملة والعمل بها، حتى جاءهم الإسلام في صورته النهائية التي تعينهم على تحقيق ما يطلبه الله منهم، وضمان الأمن والخير والسعادة التامة لهم في الدارين. وهذا لا يكون إلا بالتزامهم الإسلام في حياتهم وكل أعمالهم وتصرفاتهم. ذلك أنه الوضع الإلهي السائق لأولي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير باطنًا وظاهرًا. وهذه الحقيقة تتضمن جوانب كثيرة تظهر بها وتتجلى فيها بالخصوص العقيدة والشريعة والسلوك. ويشمل الإسلام مجموع الدين الذي جاء به الرسول الخاتم ﷺ وما قام به المؤمنون الموحدون. فما كان منه من أعمال تفرّد بها المتقلدون له والعاملون به دعي إسلامًا، وما كان من التزام له وتصديق به كان إيمانًا. والإسلام والإيمان وجهان لحقيقة واحدة تقوم على الاستجابة للداعي، وعلى العمل بما جاء به من أخلاق وآداب وسلوك. ومن أجل ذلك أطلقوا على أصحاب هذه الديانة الخاتمة وصفي المسلمين والمؤمنين، وإن كان بينهما عند التأمل فرق دقيق، هو الذي نبه إليه الله في قوله:



﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
[سورة الحُجرات: الآية 14]

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [سورة الحُجرات: الآية 15]

والقاعدة الأساس لهذا الدين هي التوحيد، وهو نفي الشريك عن الله. فأبطل الإسلام الوثنية بجميع صورها، وألغى ربوبية الأصنام والملائكة والجن والكواكب والأسلاف، وصرف عباد الله المؤمنين عن الأساطير الساذجة والخرافات السخيفة، ودعاهم جميعًا إلى عبادة الله وحده، وتطهير عقائدهم من رجس الأوثان، وعقولهم مما تلطخت به من العقائد الضالة والتصورات السقيمة، مناديا إلى الحق وإلى الإيمان الثابت الصحيح بقوله عز وجل:

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾
[سورة آل عِمرَان: الآية 64]

وقد أورث الإسلام أهله بتمسكهم بالعقيدة الصحيحة جملة من الأخلاق والمكارم مثل عزة النفس، وأصالة الرأي، وحرية العقل، ومساواة الناس، فيما عدا ما يتفاضلون به عادة من الشيم والمكارم.

وقد جعل سبحانه للمجادلة في القضايا المهمة أصولا وآدابًا يتمكن الناس بها من الدفاع عن الحق وصيانة الدين. وأعد لكل فئة من الناس مسلكًا هم سالكوه، ومنهجًا يتعين عليهم الأخذ به، كتعليل الأحكام، والجدل والخطابة، والترغيب والترهيب، ورد المعارض للرأي السديد البين بالحكمة والجدال بالتي هي أحسن إلى الصواب باستعمال القوارع والزواجر عند اللزوم بحسب الحال. ودعاهم أيضًا إلى اتباع

المنهج القرآني في معالجة أحوال الناس بتزكية النفوس وتهذيبها، وفي إصلاح نظام الحياة باتباع التشاريع الإلهية والاجتهاد فيها والتحليل لها والاستنباط منها والعمل بها. فإن في ذلك ما يتحقق به الصلاح في الدنيا والأجر عليه في الآخرة. قال العلي القدير:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النّحل: الآية 97]

ومن كمال الإسلام عموم دعوته لسائر البشر. وقد اقتضى ذلك كونُه خاتم الأديان، وأنّ رسوله مدعو إلى التوجه بالدعوة إلى عامة خلق الله، وكان النبيون من قبله يرسلون إلى أقوامهم خاصة، فلما طلع نور الإسلام بإرسال الله نبيه وعبده محمداً وأنزل عليه قرآنه، أمره أن يؤذن الناس بذلك:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآية 158]

وقال ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي... كان الرسول يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة».

وبمثل هذه الخاصية التي تميزت بها شريعة الإسلام كان دوام الشريعة خلافًا للأديان السابقة المحصورة في القوم والزمن، فإنه لم يدّع من قبل رسول الله نبي بأن شريعته دائمة، وما من رسول ولا كتاب إلا تجد فيه بشارة برسول يأتي من بعده.

واعتباراً لكون الإسلام يدعو إلى الإيمان بالرسالات جميعها وبالكتب المنزلة كلها نراه يحفل بوصايا الأديان ويتخذها أصلا من أصول الحكمة ومكارم الأخلاق.

ونصر الله عباده المؤمنين فقاموا بأحكام دينهم من غير أن يمنعهم أحد. وكان هدم منار الجاهلية ومناسكها، والنهي عن حج المشركين، وعن طواف العرايا، وتم بفتح مكة للمسلمين دخولها آمنين ظاهرين. وهكذا أنجز الله تعالى وعده للمؤمنين في قوله جل وعلا:

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [سورة المائدة: الآية 3]

وكان في هذا المنهج الإلهي الإسلامي تعريف بالحق، وهداية إليه، ودعوة إلى الثورة على الباطل والجور والظلم في كل شأن من شؤون الإنسان، فرداً كان أو جماعة، رجلا كان أو امرأة. ذلك أن الإسلام هو منهج الحياة الوحيد الذي حرر البشر من عبودية البشر. وبذلك تلقى الناس عن ربهم التصورات والمبادئ والموازين والقيم والشرائع والقوانين والأوضاع والتقاليد التي حباها إياهم. وهو العزيز الحكيم.

إن الإسلام غيَّر كثيراً من العادات والتقاليد التي كان عليها العرب في جاهليتهم، فوقف إلى جانب البنت الموءودة والمرأة المنكودة ليحررها من طغيان الجاهلية، وحرم الخمر والقمار والعلاقات الجنسية الفوضوية، والتبرج والاختلاط مع احتقار المرأة ومهانتها، وحرم الثارات والغارات والنهب والسلب. وكما امتد منهجه إلى جملة من التغييرات والتطورات يظنها الناس سطحية، كما عني بقضايا أساسية أخرى وضع لها أحكامًا وتشريعات ليقيدها فلا يطال الأيتام ولا اليتيمات، ولا يجار على الضعاف من الأطفال الصغار، ولا على النساء، ولا على العاجزين من الأقارب غير القادرين على حماية حقوقهم من الأقوياء الغالبين عليها. وبفضل هذه التغييرات والأحكام التي جاءت بها الشريعة أحس الناس بعدالة الإسلام وازدادوا به معرفة ودخلوا فيه أفواجًا.

ومن مميزات الشريعة الإسلامية تكرر ذكر الأحكام فيها تأكيدًا لها باعتبارها القواطع التي لا يذهل عنها، ولا يتردد في تطبيقها، ولأنها تدفع عن الناس كل التباس يعرض لهم بسبب تحريفات الكتب السابقة ،أو بفعل التأويلات الباطلة.

ولا تغني الشريعة عن سلطان يقيم لها الدين. «ولا معنى للتشريع إلا تأسيس قانون للأمة، ولا قيمة لقانون

لا تحميه القوة والحكومة، وإن في امتزاج الحكومة مع الشريعة ما يمكن من تعميم الشريعة، وتحقيق اتحاد الأمة في العمل والنظام»(7).

والظاهرة الخلقية السياسية في القرآن هي الرأفة بالناس في حملهم على مصالحهم، وإبراز التشريع في صورة لينة لا تنفر منه ولا تعطل العمل به، ولا يكون صالحا للبقاء إلا بذلك. قال جل وعلا:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 185]

وورد في الحديث (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة) (8). وقوله ﷺ: (إن الدين يسر ولن يشادَّ هذا الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) (9).

وما زالت الأمة الإسلامية في علو وانتشار حتى صارت أوسع الأمم مواطن، وأكثرها عناصر. ودخلت في وحدتها وجامعتها أجناس متعددة كالعربية والفارسية والطورانية والهندية. وظهر مع التوحيد الخالص، والتمسك الطوعي بالإسلام التفوق الحضاري الذي شارك فيه كل أفراد الأمة الإسلامية من هندها وتركها وفرسها وعربها. وقد كانت منزلة العرب في بناء هذه الجامعة الكبيرة منزلة لا تداني، ولعل أساس ذلك هو قوله تعالى يخاطب رسوله:

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [سورة الرّعد: الآية 30]

فهو رسول الله للعرب ورسوله إلى الناس جميعًا.

ولهذه الأمة الإسلامية قوة بناءة ورائدة، هي التي حملتها على المنهج العقدي السوي. فكانت لها منشئة وموقظة وباعثة ومحيية. وهذه الأمة في الأصل هي أمة العرب التي وصفها بعض المؤرخين بأنها لم تصل بعد إلى «أمة» ولكنها قومية.

القومية في الحقيقة هي ما عرّفوها به في العصر الحاضر لا تخرج عن إحدى صورتين، إما أن تكون قومية موضوعية ترى العروبة ظاهرة طبيعية تتعلق بمجموعة من البشر على لغة واحدة، وعادات وتقاليد واحدة، وينحدرون من أصل واحد، ويقطنون بقعة إقليمية محددة، وتحدوهم آمال واحدة ومصالح مشتركة، ويشعرون بالحاجة إلى أن تحكمهم سلطة واحدة ذات سيادة.

وإما أن تكون قومية تكشف عنها النظرة الذاتية التي تعتبرها ظاهرة سيكولوجية لا تتعلق بمقومات خارجية عنها بقدر تعلقها بوعي الأفراد بتلك المقومات التي تجعلهم يشعرون بأن لهم شخصية متميزة ومنفصلة، وتدفعهم إلى التعبير التنظيمي عن هذه الشخصية(10).

رغم هذا الوضع المتردي الذي يعيشه العالم الإسلامي والعربي ارتفعت أصوات المصلحين بوجوب الأخذ عن الغرب بما يزيد من استحثاثهم لتغيير أوضاعهم، ويبعث فيهم عزما وإقداما ونشاطا. وتطورت الحياة تطورا بدت دلائله في كل قطر إسلامي.

العروبة:

وللعروبة صلة كبيرة ووثيقة بالإسلام، وبمثل هذه القوة والمتانة علاقتها بالقومية. واختلف اللغويون والمؤرخون في تعريف العربي والعروبة، فمن قائل: العرب اسم جنس لا واحد له من لفظه، وهو مقابل للعجم، ويطلق على جيل من الناس. والنسب إليه أعرابي إذا كان من سكان البادية، وعربي إذا كان من سكان المدن.

ويطلق اسم العرب على كل من كان نسبه من العرب ثابتًا.

والعرب كما ورد في المعاجم اللغوية فرق مختلفة

7- محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير: 3/ 196.

8- خ. كتاب الإيمان 29، حم: 1/ 236.

9- خ. كتاب الإيمان: 29.

10- د. هبة رؤوف عزت. في البدء كانت أمة، إسلام أون لاين: سبتمبر 2000.

منهم العرب العاربة، وهم الخلص منهم. وقد نشأ إسماعيل بن إبراهيم معهم فتكلم بلسانهم. وهذا اللسان قديم. وروي عن النبي أن خمسة من الأنبياء عرب هم: محمد ﷺ وإسماعيل وشعيب وصالح وهود صلوات الله عليهم، وكلهم كان يسكن بلاد العرب. فمحمد وإسماعيل عليهما السلام كانا من سكان الحرم، وشعيب وقومه كانا من سكان مدين، وكان صالح وقومه بأرض ثمود يقيمون بناحية الحجر، وكان هود وقومه عاد ينزلون بالأحقاف من رمال اليمن[11]. وهؤلاء الرسل كما سبقت الإشارة إلى ذلك كانوا من أصحاب الرسالات الخاصة، وانفرد صاحب الرسالة العامة خاتم النبيين. والمتعربة والمستعربة دخلاء ليسوا بخلص.

ويطلق هذا الاسم على من سكن بلاد العرب وجزيرتها، ونطق بلسان أهلها. فالعربي من سكن الجزيرة العربية جنوبيها أو شماليها. وقد كانوا قبل الإسلام قبائل متنافسة، وفي أحيان كثيرة متحاربة. ثم تفرق عدد كبير منهم بعد الإسلام في البلاد المفتوحة جنوداً وقادة وولاة. وانتهى الأمر بهم إلى الاندماج في طبقات المحكومين عندما انتقلت السلطة السياسة في الأقطار المفتوحة إلى عناصر وأقوام آخرين من السكان المسلمين، أو الفاتحين الذين سيعتنقون الإسلام ويحكمون باسمه [12].

ومن ذلك الوقت ولفترة طويلة سمي هؤلاء السكان بالمسلمين بدل العرب، وهم يجمعون بين الأصل العرقي والمقوّم العقدي. وفرّق بعض الباحثين بين الانتماءين الديني والقومي بقوله: إن الانتماء إلى دين الإسلام انتماء إلى دين خالد في الزمان، بحكم أنه خاتم الرسالات والأديان... أما الانتماء إلى العروبة فهو مقصور على شعب معين من بين الشعوب، ومكان معين من الأرض[13].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ﴾[سورة الرّعد: الآيتان 36-37]

ففي الآية الأولى تقرير لعقيدة التوحيد، ونفي للشريك، وتحقيق لمعنى الإسلام. وفي الآية الثانية بيان لما جاء به الكتاب بلسان عربي مبين يدعو إلى الله ويبين للناس أحكام شريعته.

ومن هنا يتضح وجه ارتباط الإسلام بالعروبة، وتكون تلك الثنائية بينهما. فالعرب مادة الإسلام. والإسلام عربي لأن القرآن عربي، والنبي عربي، والعروبة جزء من ماهية الإسلام. وأنه لا تناقض بين العروبة والإسلام ولكنه التكامل بينهما.

والعرب هم حملة شريعة الإسلام إلى سائر المخاطبين بها، وهم من جملتهم. واختارهم الله لهذه الأمانة لأنهم امتازوا يومئذ من بين سائر الأمم باجتماع صفات أربع لم تجتمع في التاريخ لأمة من الأمم. وتلك هي: جودة الأذهان، وقوة الحوافظ، وبساطة الحضارة والتشريع، والبعد عن الاختلاط ببقية أمم العالم[14].

ومضمون هذا الكلام وصف العرب بكونهم أهلاً لفهم الدين وتلقينه، كما أنهم أهل لحفظه وعدم الاضطراب في تلقّيه، وأنهم سريعو التخلق به لكونهم أقرب من غيرهم إلى الفطرة السليمة، ولم يكونوا على شريعة معتدٍّ بها كالنصارى واليهود، حتى يصمّموا على نصرها، وأنهم جمعوا إلى كل ذلك إمكانية معاشرة بقية الأمم، إذ لا حزازات مباشرة بينهم وبين غيرهم من الأمم، كالذي كان بين الأقباط

---

11 ـ اللسان.

12 ـ د. محمد عابد الجابري. مسألة الهوية: 33، 34.

13 ـ د. عصمت سيف الدولة. عن العروبة والإسلام: 24، 25.

14 ـ محمد الطاهر بن عاشور. مقاصد الشريعة الإسلامية: 261/3.

والإسرائيليين أو بين الفرس والروم.

وبدأ الإسلام ظهوراً كدعوة ودين، وآمن أصحاب محمد ﷺ بما جاءهم به من الهدى. وكان من المدينة انتشار الإسلام وذيوعه، وحمله الدعاة إلى الكافة. ومن قاعدة الإسلام الأولى التي هاجر إليها النبي ﷺ بدأت مسيرة الحضارة الإسلامية تدعمها المؤاخاة بين المؤمنين، وتؤصل لهم أحوال مجتمعاتهم التي أقيمت على أسباب مشروعة للتعامل بينهم في المال والأرض وأسباب الحياة وحفظها. وهكذا كان ميلاد الأمة العربية. وانتشر العرب والمسلمون في الشرق والغرب، قائمين بالدعوة ونشر الدين، ففتحوا الأقاليم والأمصار، ونافست عقيدتهم وحضارتهم ما كان حولها من الاتجاهات والمذاهب. ورغم هذا لم يصد ذلك كله الكنيسة والملاحدة عن الوقوف في وجوه الدعاة. ونبّه القرآن على عناد أصحاب الديانات السابقة قائلاً:

التنوع والتمازج الحضاري يعتبر عنصر إثراء لا عنصر تشتيت أو تفرقة الهوية.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 120]

وكذلك صوّر بغضهم وحسدهم للمؤمنين بقوله:

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة البَقَرَة:الآية 105]

وبقيت هذه الروح العدائية سارية ومسيطرة حتى اليوم. وأشعلت أعظم فتنة وأكبر حرب اجتاحت الشرق كله. وهي الحروب الصليبية التي امتدت من 1096 إلى 1270 مسيحي. وكان الداعي إليها البابا أربان الثاني حين طلب من المتحاربين بالولايات الأوروبية أن يحقنوا دماء أمراء الإقطاع وأتباعهم، ووجههم إلى بلاد المشرق قائلا: «إن الأرض التي تقيمون عليها لا تكاد تنتج ما يكفي غذاء للفلاحين». وقد كانت هي السبب في اقتتالهم طلباً لتوسعة إقطاعاتهم. فنصحهم بالتوجه إلى الشرق، إلى الأماكن المقدسة. فهناك ستكون ممالك الشرق جميعها بين أيديهم فيقتسمونها. وفهم من ذلك أحد النصارى أن في مقالة البابا إذناً لاستغلال الدين. وأقنع كبراؤهم وزعماؤهم الشعوب الأوروبية بأن تقدم أبناءها ضحايا لبلوغ تلك الغاية. وكانت تعلة المسيحيين يومئذ أن لهم سابق عهد بفلسطين. وقد أصبح من الواجب استعادتها من الغزاة المسلمين. وما كان من المسيحيين في ذلك العهد هو ما تعللت به الصهيونية في القرن الماضي حين ادعت أن لها وجوداً تاريخياً قديماً بفلسطين.

الولايات المتحدة والصهيونية :

ومن يوم تجزأت البلاد واستقر اليهود بجزء مهم منها بعد التقسيم، بفضل إعانة الغرب أولاً الذي كان يترقب تحول أكثر اليهود من أوروبا إلى إسرائيل، وبفضل موقف أمريكا المساند لإسرائيل مساندة لا تنقطع ثانياً في أي ظرف من ظروف الصراع من أجل تكوّن وطن متميز لليهود ببلاد المشرق.

ويرجع تفسير العلاقة الحميمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل إلى ما تجده الثانية من الأولى من دعم وحماية. وقد فسرت الدكتورة هالة سعودي العوامل التي أكدت ذلك في بحثها عن السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي في أعقاب الحرب العالمية الثانية [15].

ومن هذه العوامل: الحفاظ والرعاية للمصالح الأمريكية العالمية مثل احتواء الاتحاد السوفييتي إبان الحرب الباردة، وحماية مصالح الولايات المتحدة البترولية في المنطقة. وقد أكدت الباحثة ما كان من تعاطف بين الطرفين وهو ما يبدو في ضمان أمن إسرائيل الذي يعتبر مصلحة أساسية للولايات المتحدة، كما يظهر في نوع آخر من الارتباط العضوي

15ـ مركز دراسات الوحدة العربية: 14.

بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية يتمثل في قيم مشتركة، وتواصل ثقافي بين المجتمعين الأمريكي والإسرائيلي. وكذلك في وجود جماعات المصالح اليهودية في الولايات المتحدة، وما تقوم به من تلوين للسياسة بما تقتضيه أهدافها، وكذلك وسائل الإعلام الامريكية. وقد خلق هذا كله بيئة سياسية مؤيدة لإسرائيل في الولايات المتحدة، ورأيا عاما معروفًا بتعاطفه وتأييده القوي لها. فلا بدع إذا غضت الولايات المتحدة وغيرها الطرف عما يجري بفلسطين من تفجير إسرائيل للعنف المتواصل، الذي جعل من المنطقة مرتعًا خصبًا للصراعات الدينية، ومستقرًا للجماعات المتطرفة التي احتضنتها الولايات المتحدة، وغذّتها ووظّفتها لتنفيذ استراتيجيتها ومخططاتها [16]، ومثل هذه التحرشات كان من أعقابها اجتياح القوات الإسرائيلية لأراضي السلطة الفلسطينية وارتكابها مجازر وحشية.

ورغم هذا الوضع المتردي الذي يعيشه العالم الإسلامي والعربي ارتفعت أصوات المصلحين بوجوب الأخذ عن الغرب بما يزيد من استحثاثهم لتغيير أوضاعهم، ويبعث فيهم عزماً وإقداماً ونشاطاً. وتطورت الحياة تطورا بدت دلائله في كل قطر إسلامي، لكن هذا غير كاف. فالأمر يحتاج إلى تكثيف الجهود أمام اعتداء الغرب وبغيه في كل قطر من أقطار العروبة والإسلام.

وفي هذا العصر رغم قيام الجامعة العربية وغيرها من المنظمات لم تجد الدول ولا الشعوب العربية الطريق الحقيقي إلى الوحدة، ولا استطاعت أن تحد من الويلات المنصبة عليها من طرف خصومها، ولا أن تصرف عنها ما يلحقها مرة بعد أخرى من المهانة والذل.

قد ينطبق المفهوم القبلي على الهويات القومية والدينية والعرقية ومختلف العقائد، لكن عنصرية الغرب قد سمحت له بالتحكم في شعوب العالم وتجريدها من إنسانيتها، بل بالعمل على إبادتها، في زمن العولمة التي تسودها قيم السوق والمصالح الخاصة.

وكانت الولايات المتحدة منشغلة بتقوية دولة إسرائيل، لم تغير من خطتها، ومتهمة العرب والمسلمين بالحقد الكبير عليها والكراهية لها، متخذة منهم بعد الاتحاد السوفييتي البديل في المعركة لما تمثله البلاد الإسلامية في نظرها من خطر على الرقي الفكري، والتقدم العلمي، والأسس الحضارية الجديدة. وهذه حقيقة صريحة تؤكدها السياسة الأمريكية التي تدعي باطلاً كراهية العرب والمسلمين لها. وهي التي تتقمص في الواقع هذه الكراهية الحاقدة الغاضبة لمواجهة الأمة الإسلامية والدول العربية. وقد ظهر هذا واضحًا ممثلاً في موقفها من مشروع الأمن القومي العربي وفي محاصرتها للخليج، وفي إقامة قواعدها العسكرية به، وفي قيامها بشتى المواقف السياسة المعادية. وهكذا تدخلت في الثقافة والدين وعوضت رموز الفكر العربي والإسلامي برموز الفكر والثقافة الأمريكية، ودعت إلى إسلام معدل. وصرح بهذا رئيس الوزراء البريطاني وتبعه وزير الخارجية الأمريكي كولين باول، داعيًا كل المسلمين إلى إسلام مسامح، يلبي المطالب الأمريكية، وينبذ أفكار المقاومة ورد العدوان، كما دعا قادة المسلمين وزعماءهم في البلاد الإسلامية إلى أن يعملوا جاهدين على أن يهيمن الإسلام العادي أو الرئيسي، ويخضع له جميع المسلمين في شتى أنحاء العالم. وعجباً التفكير في مثل هذه التغييرات التي يمكن أن تسخر لتحقيقها الأداة التشريعية والأداة الأمنية والأداة الإعلامية. وكيف يؤاخذ العرب والمسلمون بعد هذا على ما يظهر منهم من مواقف تدل على غضبهم، وهم بالرغم من كل ما نال أمتهم وقيمها وأصولها ومبادئها من

16 ـ د. هالة سعودي. مركز دراسات الوحده العربية: 14.

مناقضة وتشويه، ما زالوا يتمسكون بالثنائية التقليدية في التفاعلات العربية الأمريكية التي أكدوها برفضهم السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط إلى درجة العداء من ناحية، ومن تمسكهم بالصورة التقليدية عن الأمريكي والحياة الأمريكية، بل وأمريكا نفسها، بكل ما تمثله من قوة إبهار وجذب من ناحية أخرى[17].

الهوية:

وإنه ليعنينا بصفة خاصة في نهاية هذا البحث أن ننتقل من الأوصاف العامة للأمة إلى ضبط مقومات هويتها لنضع أيدينا على ما ينبغي أن نبرزه من المقومات الأساسية. وهذا الغرض واسع ومنتشر. فبالرجوع إلى المعجم الفلسفي نجد الهوية، تقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود. وهي مشتقة من (الهو) كما تشتق الإنسانية من الإنسان. وإن فعل ذلك بعض المترجمين القدامى لأنهم رأوا أنها أقل تغليطًا من استعمال كلمة (موجود) إذا كان شكلها شكل اسم مشتق.

قال ابن رشد في توضيح ذلك: «اشتق هذا الاسم من حرف الرباط، أعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره. وهو حرف (هو) في قولهم: «زيد هو حيوان أو إنسان[18]».

وتطلق على التشخص، كما تطلق على الموجود الخارجي، وعلى الماهية مع التشخص، وهي الحقيقة الجزئية، كما تطلق على الذات الإلهية، فهوية الحق تعالى: عينه.

وعند الفارابي: «هوية الشيء هي عَيْنيتُه وخصوصيته وتشخصه ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك»[19].

للهوية عند المحدثين أربعة معان:

(1) ـ تطلق على الشيء من جهة ما هو واحد، كقولنا: «إن الشيخ الرئيس هو أبو علي بن سينا»، وتسمى هذه الهوية بالهوية العددية Identite numerique

أ) ـ تطلق على الشخص (أو الموجود المشبه بالشخص) إذا ظل هذا الشخص ذاتا واحدة رغم التغيرات التي تطرأ عليه في مختلف أوقات وجوده، ومنه قولنا: «هُوية الأنا»، وهوية الفاعل، وتسمى هذه الهُوية بالهُوية الشخصية Identite personnelle

ب) ـ الهوية صفة لموضوعين من موضوعات الفكر إذا كانا ـ رغم اختلافهما في الزمان والمكان ـ متشابهين في كيفيات واحدة، وتسمى هذه الهوية بالهوية الكيفية Identite qualitative أو الهوية النوعية Identite Specifique

ج). الهوية علاقة منطقية بين شيئين متحدين كالهوية الرياضية، أو المساواة الجبرية التي تظل قيم الحروف التي تتقوم منها.

وفلسفة الهوية: Philosophie de l'identite هي بوجه عام كل نظرية لا تفرق بين المادة والروح، ولا بين الذات والموضوع، وينظر إليهما على أنهما وحدة لا تنفصل.

وعند شيلنغ Shelling مذهب يقرر أن الطبيعة والروح في جوهرها شيء واحد هو المطلق.

ومبدأ الهوية: Principe de l'identite هو القول: ما هو هو، وهو لا يصدق على المساواة الرياضية فحسب بل يصدق على كل علاقة منطقية، ومبدأ الهوية هو المثل الأعلى للحكم التحليلي، لأن المحمول في هذا الحكم ليس جزءاً من مفهوم الموضوع وإنما عين الموضوع نفسه.

وينبغي أن نميز بين مبدأ الهوية Principe de l'identite ومبدأ التناقض Principe de contradiction والمبدأ الثالث المرفوع[20] Principe du tiers exclu

وإن في المجتمع العربي انتماءات كثيرة، طبقية ودينية وطائفية وإقليمية وقطرية وعرقية وقبلية

---

17 ـ صناعة الكراهية: 20.

18 ـ تفسير ما بعد الطبيعة: 557.

19 ـ التعليقات: 21.

20 ـ معجم الفلسفة، وزارة التربية القومية التونسية، المركز القومي البيداغوجي 1977.

شديدة التنوع ومتشابكة المصالح، كما توجد إلى جانب ذلك إمكانية استيعاب حضاري لفئات مختلفة متباينة (دينيًا وعرقيًا وقبليًا) في المجتمع العربي، وصهرها في نسيج حضاري واحد ذي امتداد تاريخي بعيد المدى وبناء اجتماعي متكامل[21].

والتنوع والتمازج الحضاري يعتبر عنصر إثراء لا عنصر تشتيت أو تفرقة الهوية. وهكذا انتهى في تعريف الهوية إلى أنها: وعي الإنسان وإحساسه بانتمائه إلى مجتمع أو أمة أو جماعة أو طبقة في إطار الانتماء الإنساني العام. ومقومات الهوية كثيرة متنوعة منها اللغة والقبيلة والثقافة المشتركة والتاريخ والتفاعل الحضاري.

اللغة العربية:

ومن أهم مقومات الهوية عندنا اللغة العربية. فهي ذات دور حازم في تكوين الأمة. وليست مجرد وسيلة تخاطب أو مجرد وعاء يختزن رؤيتنا وأفكارنا ومشاعرنا ومعتقداتنا فحسب، ولكنها مع ذلك تجسيد للحضارة والثقافة العربيتين.

ولإبراز هذا المقوم الأساسي للهوية يقول ألبرت حوراني: «والعرب أشد شعوب الأرض إحساسًا بلغتهم»[22].

وربما أسرف بعض المؤرخين والكتاب في التنويه بأهمية اللغة والتقليل من أي أهمية أخرى سواها. قال ساطع الحصري ـ جازمًا ـ بأن لا أهمية لأي عوامل أخرى، كالدين والدولة، والحياة الاقتصادية، والرقعة الجغرافية. ثم عقب على هذا بقوله: «فاللغة بمنزلة القلب والروح من الأمة»[23].

ولكون اللغة تشكل العنصر الرئيسي في تحديد الهوية، ذهب (الدوري) إلى أنها تصور تاريخياً القاسم المشترك الذي أدى إلى بدايات الوعي العربي، وبناءً على ذلك فهو يعتبر أن للهوية العربية شأناً حضارياً ثقافياً، لا شأناً إقليمياً أو دينياً [24].

وفي مقابل الحرص على الهوية وتوحيد ما تجمعه من فئات وغيرها عمدت الدول الغربية الاستعمارية خلال قرنين من الزمن إلى تعزيز الطائفية والانتماءات التقليدية الأخرى في البلاد الخاضعة لها، ولأجل تأمينها لحاجاتها الملحة أنشأت أوطانا ودويلات فرضت عليها سلوك طرق التنافس فيما بينها، والاستمرار في تبعيتها للدول الأجنبية الحاكمة.

وإن من أخطر ما أنشأته الدول الغربية لهذا الغرض دولة إسرائيل لتكون أنموذجا للأوطان الدينية والطائفية، ولمنع قيام وحدة قومية تحررية تقاوم هيمنة الغرب [25].

المشكلة الأساسية في تنوع هذه الثقافات وغيرها في العالم العربي هي الضياع الثقافي بين هيمنة الواحد بلجوئه إلى وسائل الامتثال القسري، وفوضوية التعدد الذي يؤكد على التفرد بمعزل عن المشروع المشترك.

وقد اصطنع الغرب كيانات لمصالح اقتصادية خاصة به، التقت مع مصالح قوى حاكمة محلية، وارتبطت بها بعلاقات زبائنية مصلحية، نتجت عنها جماعات ترى في القطرية حماية لمصالحها.

ولم يتوقع العرب عند انهيار الدولة العثمانية قيام كل هذه الأقطار المتكاثرة المنفصل بعضها عن بعض.

وأكدت اتفاقية سايكس بيكو هذا التنظيم، وقضت بتقسيم المشرق العربي وتوزيع دوله بين فرنسا وبريطانيا.

وقد أدت تعددية الهوية القومية وكذلك ازدواجية الوطنية والقومية في الوطن العربي إلى ظهور انتماءات مختلفة كالانتماء القبلي.

---

21 ـ خلدون حسن النقيب. بناء المجتمع العربي المستقبل العربي، السنة الثامنة، 764، سبتمبر 1985: 260.

22 ـ الفكر العربي في عصر النهضة 1768-1931، ترجمة كريم عزقول، دار النهار 1968: 11.

23 ـ ساطع الحصري ما هي القومية. بيروت، دار العلم للملايين 1959: 57-252.

24 ـ الجذور التاريخية للقومية العربية. بيروت، دار العلم للملايين 1960.

25 ـ د. حليم بركات. المجتمع العربي في القرن العشرين : 76.

وفي هذا كان الصراع بين الانتماء القبلي والقومي على أشده في الأقطار العربية. وتمكنت السلطات المركزية من احتواء القبائل وتحييدها، وإدخالها في النظام العام، إلا أن ذلك لا يقضي على وجود الولاءات القبلية.

وقد استفاد الاستعمار الغربي من استخدام القبيلة في تعارضها مع الانتماء العربي، ما شكل تحديًا وعائقا للوحدة الوطنية والقومية [26]. ولا يتوصل بصفة واضحة ودقيقة إلى الفصل بين العديد من القبائل، إذ ليس للفرد أو الجماعة أو الأمة هوية واحدة ذات بعد واحد، بل هناك هويات متعددة من شأنها تيسير الاندماج الاجتماعي والسياسي في هوية لا تقصي الهويات الأخرى، بل تشملها وتدمجها كمكون أساسي في نسيج المجتمع العام [27].

وقد ينطبق المفهوم القبلي على الهويات القومية والدينية والعرقية ومختلف العقائد. وإن عنصرية الغرب قد سمحت له بالتحكم في شعوب العالم، وتجريدها من إنسانيتها، بل بالعمل على إبادتها، في زمن العولمة التي تسودها قيم السوق والمصالح الخاصة.

الثقافة المشتركة:

إن مسألة تعددية الثقافة يمكن تحليلها من خلال مدى وجود ثقافة مشتركة، يتسم بها المجتمع العربي.

وإنا لنشعر بتنوع الثقافة العربية داخل كل بلد عربي، ومن بلد إلى بلد آخر، ولتنوع هذه المصادر وطبيعة تفاعلها فيما بينها، لا يجوز التركيز على عنصر منها دون غيره [28].

فهناك من يشدد على أن المصدر الأهم في تكون الثقافة العربية المشتركة هو الدين الإسلامي. يقول مكرم عبيد: «إنني مسيحي ديناً مسلم وطناً». هناك من يرى أن المصدر الأهم في تكوين الثقافة المشتركة هو أنماط المعيشة، والبنى الاجتماعية والبيئية بشكل عام، فنشأت بذلك ثقافة بدوية رعوية وثقافة ريفية زراعية، وثقافة حضرية تجارية [29].

ومن الجدير بنا أن نعتمد المنهج القائم على مقولات التفاعل الحضاري، الذي يعترف بأن الثقافة العربية والإسلامية هي في الواقع حصيلة تفاعل تاريخي بين عدة حضارات، ازدهرت في المنطقة في فترات تاريخية مختلفة. فالواقع الحضاري هو واقع تفاعل وليس واقع حضارة صافية فرضت نفسها أو ألغت الحضارات السابقة لها، مما حدث تاريخيًا في واقع الأمر، وأن مختلف الحضارات التي ظهرت في المنطقة تفاعلت فيما بينها، فنشأت نتيجة لهذا التفاعل حضارة جديدة، تمثلت فيها مختلف حضارات المنطقة، وتكون منجزاتها حاضرة في واقعنا اليومي كما في ذاكرتنا ووعينا الجماعي[30]. وإن الحضارة العربية الإسلامية حضارة استيعابية، بمعنى أنها استوعبت غيرها من حضارات، وليست حضارة إقصائية، بمعنى أنها أقصت أو نبذت أو ألغت الحضارات الأخرى كما سبق عنّا بيانه.

هناك حقاً أزمة كبرى في علاقة العرب بالغرب كما بالذات، ومن الخطأ أن نفصل بين أزمتي العلاقة بالذات والآخر، فإن العربي ليعاني في علاقته بنفسه وتراثه وهويته كما يعاني في علاقته بالغرب والحداثة.

وفي التاريخ الحديث تعرضت المناطق العربية كلها للاستعمار الأوروبي وكافحت معا أو منفردة، للتحرر منه بعد أن رزحت قبل ذلك تحت أثقال الحكم العثماني قبل ذلك[31].

26 ـ د.حليم بركات. المجتمع العربي في القرن العشرين : 97

27 ـ د.حليم بركات : 107.

28 ـ د. حليم بركات: 109.

29 ـ د. حليم بركات: 110.

30 ـ د.حليم بركات: 111.

31 ـ د.حليم بركات: 112.

ونتيجة لهيمنة الاستعمار الغربي نشأت اتجاهات أيديولوجية مختلفة منها: في بلاد المشرق تيار الإصلاح الديني، وقد تزعمه محمد عبده ومحمد رشيد رضا، وتيار الحداثة الليبرالي وعلى رأسه يعقوب صروف وأحمد لطفي السيد وطه حسين، والتيار الراديكالي المتمثل بشلبي الشميل، وفرح أنطون وعبد الرحمن الكواكبي.

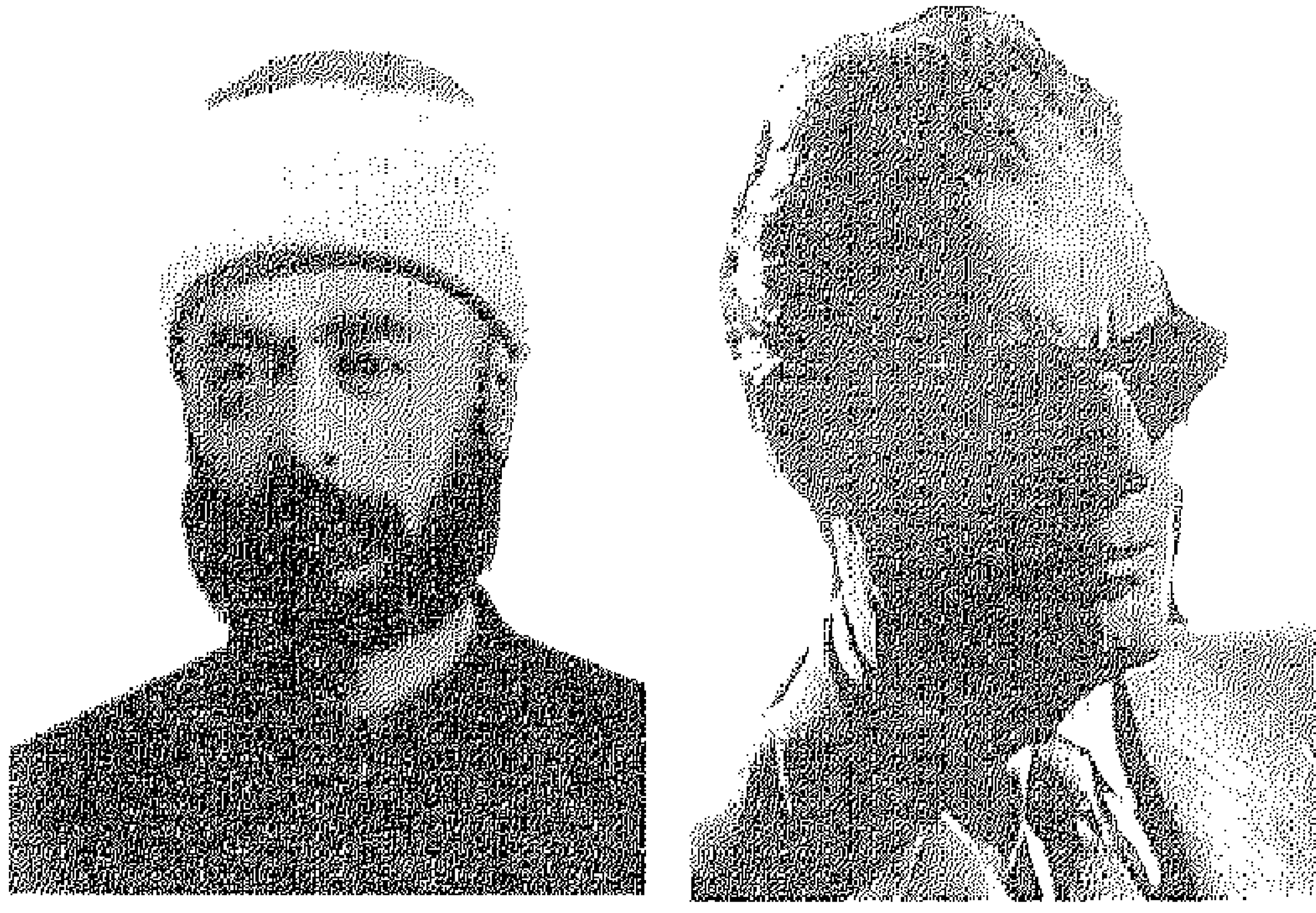
وظهر مثل ذلك في بلاد المغرب: في الاتجاه القومي السلفي، (ابن باديس والثعالبي)، وفي الاتجاه التحديثي الليبرالي المقتدي بأوروبا (الحبيب بورقيبة، ومصالي الحاج، وعباس فرحات)، وفي الاتجاه الراديكالي الذي عمل على إنهاء التبعية للغرب، وتغيير البنى الاجتماعية في ضوء المبادئ الاشتراكية (محمد حربي، أحمد بن صالح، المهدي بن بركة) وبالإمكان تصنيف الثقافة من حيث موقعها من النظام السائد إلى ثلاثة أنواع:

1 ـ الثقافة السائدة. وهي العامة والأكثر انتشاراً بدعم من الأنظمة الحاكمة.

2 ـ والثقافات الفرعية. وهي ثقافة الجماعات والطبقات والأقليات والقبائل، وهي ضمن الثقافة السائدة.

3 ـ والثقافة المضادة. وهي التي تدخل في صراع مع الثقافة السائدة والفرعية من أجل إحداث تغيير جذري في الحياة والتوجهات....(32).

ومقولة الثقافة العربية العامة المشتركة لا تلغي بالقطع مقولة التنوع أو التعدد الثقافي. فهي ثقافة متنوعة تتصارع أو تتباين في إطارها الثقافة السائدة، والثقافات الفرعية، والثقافة المضادة التحررية.



طه حسين — عبد الرحمن الكواكبي

والمشكلة الأساسية في تنوع هذه الثقافات وغيرها في العالم العربي هي الضياع الثقافي بين هيمنة الواحد بلجوئه إلى وسائل الامتثال القسري، وفوضوية التعدد الذي يؤكد على التفرد بمعزل عن المشروع المشترك. وهناك ما يتهدد الهوية الثقافية العربية من قبل العولمة، فقد كثر الحديث عن مخاطر العولمة في هذا المجال من خلال انتشار القيم الاستهلاكية، والترف، والشك، والجرائم المنظمة، والفساد، ووسائل الكسب السريع، على حساب الروابط الإنسانية والتفكك الأسري وتغييب القضايا العامة(33).

المهم في الاعتبار هو النظر فيما ترتب على هذه الحركات الموالية للاستعمار وفيما قامت به الحركات القومية الوطنية التي تؤكد على المنهج الذي يتعين السير فيه حرصاً على حماية الهوية.

وبوجود الهيمنة الغربية يراد استبدال هوية شرق أوسطية بالهوية العربية تلبية لدعوة إسرائيل. فيتم دمج الاقتصاد العربي في النظام الرأسمالي العالمي. وهو ما ينتج عنه مزيد من التبعية، ويحد من قدرة العرب على مجابهة تحديات العصر. وإذا ما نجحت هذه المحاولة لإقامة نظام إقليمي جديد شرق أوسطي مرتبط بالمنظومة العالمية، فإن القدرات والموارد العربية ستوظف في خدمة القوى المهيمنة، وليس من

32 ـ د.حليم بركات، : 114.

33 ـ د.حليم بركات: 117.

34 ـ نادية الشيشيني. معالجة اختلال التوازن الإقليمي في الوطن العربي. قضايا عربية. يونيو 1979. س446: 99-112.

أجل الأهداف القومية أو حتى القطرية نفسها.

وهكذا يتم تقدم الغرب على حساب التكامل العربي. ويوجد دمج الوطن العربي بالنظام الاقتصادي الأوروبي، والسيطرة عليه وتجزئته سياسياً. ويترتب علو الاختلال في التوازن ظهور ثلاث مجموعات عربية:

- الأقطار التي تملك قدرات تمويلية ضخمة ولكنها تفتقر إلى الموارد البشرية.
- والأقطار التي تملك طاقات بشرية كبيرة ولكنها تعاني قلة الموارد المالية.
- والأقطار التي تفتقر إلى الموارد الطبيعية والمالية والبشرية[34].

ويبدو أن القوى الاقتصادية والطبقات والهيئات الحاكمة في الأقطار العربية تعمل على تأمين مصالحها الخاصة بالإبقاء على التجزئة، وليس بإقامة الوحدة الضرورية لنهوض العرب من كبوتهم التي طال أمدها. ويأتي كل ذلك على حساب الدولة القطرية كما هو على حساب الأمة [35].

من نتائج الصراع على الهوية حرص العرب والمسيحيين على الحفاظ على الهوية وآثارها خلافاً للغرب الرافض لها ولآثارها. ومما يفسر موقف العرب والمسلمين ما يؤكده ماضيه من حقائق تاريخية وعقدية.

فالإسلام دين الغالبية، وقد أسهم في تكون الأمة العربية. وهذا رأي كثير من المفكرين. قال الدوري: «إن الإسلام وحّد العرب، وحمّلهم رسالة، وأعطاهم قاعدة فكرية أيديولوجية، وبه كوّنوا دولة».

وقد ظهرت الحركة الإسلامية عربية في بيئتها. فالدولة عربية، واللغة عربية، والعرب حملة الإسلام. وتوازي مفهوم الإسلام والعروبة بنظر الشعوب الأخرى [36].

وظهرت طائفتان إحداهما تشدد على التلازم بين الإسلام والعروبة، وأخرى تشدد على التعارض بين التوحّد في العصر الحديث على أساس ديني والتوحد على أساس قومي.

وقد جاءت الدعوة إلى الوحدة العربية في مطلع القرن العشرين كبديل للخلافة العثمانية التي طغت فيها الجماعات القومية على غيرها باسم الدين. ومن مظاهر التعارض بين القومية والدين التأزم بين الحداثة والسلفية، أي: التصادم بين المتخيل الذاتي والواقع المعيش[37].

ومن نتائج هذا التصادم حدوث الانكفاء، على الذات ورفض مفاهيم كالقومية والعلمانية والتحليل الطبقي، وحتى الهوية، والعمل على صنع مستقبل جديد انطلاقاً من الواقع الذي نعيشه وليس بالخروج من إطاره والدوران في فلك متخيل [38].

وتتباين الآراء والمواقف فيقول المودودي: إن

35ـ د. حليم بركات : 123.

36ـ الدوري، حول التطور التاريخي للأمة العربية : 221-222.

37ـ محمد سبيلا، جدلية الوعي الشقي والوعي المغلوط في الوجدان العربي.

38ـ د. حليم بركات: 73، 75، 125، 126، 127، 128.

القوميات جرّت على الإنسانية بلاء عظيما. ويقول القرضاوي: المفروض في العروبة أن تكون ذات ارتباط وثيق بالإسلام لأنه هو الذي أنشأ لها أمة وجعل لها رسالة. ويذهب الغزالي: إلى أن الإسلام هو الذي صنع الأمة العربية جسماً وروحاً، لأن الأمة العربية قبل هذا الدين كانت قبائل تحيا في جاهلية طامسة.

وأمام هذا التصادم القائم بين الوعي والواقع يجب أن نعي أن التكونات الاجتماعية في عدد من البلدان العربية وبخاصة في المشرق العربي أحالت الواقع الديني إلى واقع طائفي [39].

الإسلام الجديد دعوة الغرب إلى إسلام أوروبي:

هذا وقد فرضت الإمبريالية الأوروبية هيمنتها على الوطن العربي كافة إثر الحرب العالمية الأولى، وما نزال نعاني نتائج ذلك حتى وقتنا الحاضر، وبدأت تظهر الهيمنة الأمريكية بشكل أقوى وأشد بوصفها القطب الواحد.

ولجأت الامبريالية الغربية إلى الحيلولة دون قيام وحدة بين العرب والمسلمين إلى استعمال عدة وسائل لصنع التجزئة وترسيخها. فمن ذلك صنع كيانات جديدة، واستخدام التفرقة بين الجماعات الطائفية والقبلية والعرقية، خاصة في المجتمعات التعددية الشديدة التنوع، وإنشاء قواعد عسكرية ومستوطنات وكيانات خاصة ببعض الجماعات، واستغلال الولاءات التقليدية، واستعمال الإرساليات التنصيرية الدينية، وحماية الطبقات وممارسة الاستعمار الثقافي بالإضافة إلى السياسي والاقتصادي منه، وفرض التبعية بدمج الاقتصاد الوطني بالسوق العالمية الرأسمالية، ومحاربة جميع مشاريع الوحدة، والتحريض على عدد من الانقلابات العسكرية وعلى النزاعات المسلحة، والإسهام في إنشاء أحزاب وتكتلات معادية للقوى الوطنية والتقدمية، ومحاربة الانتفاضات والثورات التحررية[40].

من المهم النظر فيما ترتب عن هذه الحركات التي تلوذ بالاستعمار، والحركات القومية الوطنية التي تريد أن تؤكد على المنهج الذي يتعين السير عليه وان أبى ذلك الغرب بسبب أطماعه ومكتسباته طوال العهد الاستعماري.

ومن العوامل الداخلية: أدى الاندماج الاقتصادي إلى نشوء نخب سياسية واقتصادية ترتبط مصالحها ارتباطاً عضوياً بمراكز هذا النظام. وهي تصور واحدًا من أهم عوائق الوحدة في الوقت الحاضر[41].

كما تكونت طبقات ونخب اقتصادية واجتماعية ذات مصالح وامتيازات وارتباطات وطموحات وأساليب حياة متميزة وتطلعات خاصة، جعلتها تتمسك بالكيانات القائمة وتصارع للإبقاء عليها[42].

والمشكلة ليست في الخارج المستغل بل في الداخل الكسول[43].

في الوقت الذي يقال فيه إن العالم تحول إلى قرية صغيرة متضامنة، يصر الغرب على الاستمرار في التشكيك بالهوية العربية، والنظر إلى فكرة العروبة أو

---

39 ـ د. حليم بركات: 61-68.

40 ـ عروس زبير: الذات الممزقة بين الأنا والآخر في ندوة صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه عن مركز دراسات الوحدة العربية، وفي الوحدة والتداعي الناشئ عن أسباب تعثر مشاريع النهضة العربية.

41 ـ عروس زبير.

42 ـ محمد بن عقون. تاريخ الكفاح القومي والسياسي : 1/ 52.

43 ـ محمد بن عقون : 72.

الدعوة للتضامن العربي، على أنها «وهم» لأسباب تتعلق باتساع رقعة الوطن العربي وكثرة التنوع بين أقاليمه وجماعاته، وتزايد التناقضات بين كياناته. كيف نوفق إذن بين القول بتحول العالم بأسره إلى قرية صغيرة متضامنة، وبين القول الآخر بأن العالم العربي شاسع الاتساع وشديد التنوع والتناقض إلى درجة الانفصام في شخصيته وهويته؟.

لن يقبل الغرب أي نزوع نحو التضامن العربي إن لم يكن تضامناً في الاستسلام.

هناك حقا أزمة كبرى في علاقة العرب بالغرب كما بالذات، ومن الخطأ أن نفصل بين أزمتي العلاقة بالذات والآخر. فإن العربي ليعاني في علاقته بنفسه وتراثه وهويته كما يعاني في علاقته بالغرب والحداثة.

وقد أصبح للتمييز بين الأنا والآخر وبين الذات البديل والذات النقيض، وبين هذين النوعين والنوع الثالث الذي وصفه الأستاذ عروس الزبير وغيره بالأنا الآخر في مجالات الدرس والمقارنة، كما يظهر ذلك عن طريق استكشاف الفروق المؤثرة وغير المؤثرة في تحديد الهوية، وما تتعرض له من دلالات وتصورات أكدت جوانب ذاتية أصلية لموضوع الهوية أو تناولت مقومات أخرى عن طريق ما حدث من تغييرات سياسية واجتماعية ونحوها.

وفي هذا المرجع صور تفصيلية للهوية بأنواعها تكشف عن الصراع القائم بين تلك الأنواع كالذي عبّرت عنه الدراسات المشار إليها.

ثبت المراجع:

1. الآيات القرآنية.
2. أرسلان شكيب. تعاليق على حاضر العالم الإسلامي، ط. 3، 3 مجلدات.
3. أركون محمد. الإسلام ، أوروبا ، الغرب. رهانات المعنى وإرادات الهيمنة. ترجمة هاشم صالح.
4. الجابري محمد العابد. مسألة الهوية. والعروبة والإسلام والغرب. مركز دراسات الوحدة العربية.
5. البخاري. محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح.
6. الحصري (ساطع). ما هي القومية. دار العلم للملايين ، بيروت 1959.
7. حليم بركات. المجتمع العربي في القرن العشرين. مركز دراسات الوحدة العربية.
8. الحوراني (ألبرت). الفكر العربي في عصر النهضة 1768-1931. ترجمة كريم عزقول. دار النهار 1968.
9. خلدون حسن النقيب. بناء المجتمع العربي. المستقبل العربي. السنة الثامنة ، سبتمبر 1985.
10. الدوري (عبد العزيز). الجذور التاريخية للقومية العربية. دار العلم للملايين ، بيروت 1960.
11. ابن رشد (محمد). تفسير ما بعد الطبيعة.
12. سبيلا (محمد). جدلية الوعي الشقي والوعي المغلوط في الوجدان العربي.
13. سعدون حمادي. الغرب والوحدة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية.
14. سعودي (هالة). السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية.
15. الشيشيني (نادية). معالجة اختلال التوازن الإقليمي في الوطن العربي. قضايا عربية. يونيو 1970.
16. ابن عاشور (محمد الطاهر).
(1) التحرير والتنوير. 15 مجلد. الدار التونسية للنشر.
(2) مقاصد الشريعة الإسلامية. تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة.
17. عروس زبير. الذات الممزقة بين الأنا والآخر: ندوة صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه. مركز دراسات الوحدة العربية.
18. عزت (هبة رؤوف). في البدء كانت الأمة.islamonline.com.
19. عصمت سيف الدولة. عن العروبة والإسلام. مركز دراسات الوحدة العربية.
20. ابن عطية (عبد الحق). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. 15 مجلد. قطر.
21. ابن عقون (محمد). تاريخ الكفاح القومي والسياسي.
22. صناعة الكراهية في العلاقات العربية الأمريكية. مركز دراسات الوحدة العربية.
23. الفارابي. التعليقات. له جائزة المعارف. حيدر آباد الدكن 1946هـ.
24. معجم الفلسفة. وزارة التربية القومية التونسية. المركز القومي البيداغوجي 1977.
25. ابن منظور. لسان العرب.

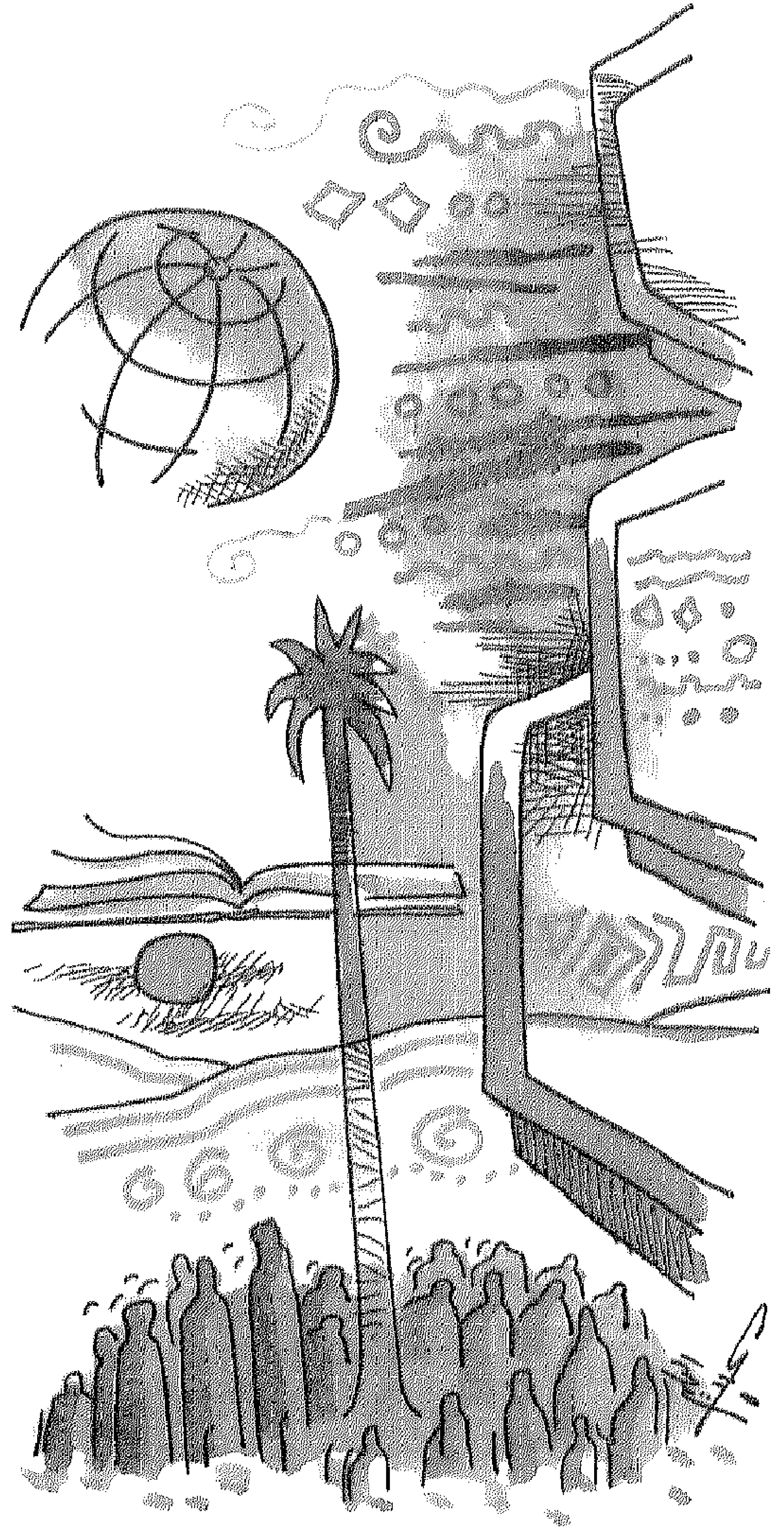
النظام العالمي الجديد
وصورة الإسلام في الإعلام

الشيخ محمد علي التسخيري ★

لا ريب في أن مسيرة التحول البشري، وتغير المعادلات الدولية، واتساع مجالات التعامل، واقتضاء عملية الخروج من المحاور الضيقة إلى المجال الإنساني الأرحب تتطلب إعادة النظر في النظام العالمي القائم، إما تغييرا ثوريا كليًا أو تغييراً إصلاحياً، يحذف منه مالا ينبغي ويضيف إليه ما ينبغي على ضوء آخر ما توصلت إليه البشرية من القيم الانسانية.

ولا ريب في أن الإسلام له تصوره الكامل عن الكون والحياة والتاريخ والإنسان والعلاقات التي تنظم حياته وتحقق له الهدف من خلقه.

إلا أننا إذا تجاوزنا مسائل التنظير، وركزنا على الواقع القائم، وسعينا للعمل على إصلاحه اعتمادا على القيم الإنسانية التي بشّر بها الإسلام، وطبقها في فترات من سيطرته على الحالة الاجتماعية، فإننا سنجد أن الواقع القائم خليط من تخطيط قديم للعلاقات الدولية، تراكم على مدى العشرات من العقود وأثمر قبل سنوات من منتصف القرن الماضي عن قيام الأمم المتحدة، ومن ثمّ قيام المؤسسات العالمية التابعة لها بعد ذلك، إلى جانب التحالفات الدولية والإقليمية الأخرى..



★ الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب / إيران

وقد شهدنا في العقود الأخيرة اشتداد طرح فكرة العولمة متجاوزة حدودها الاقتصادية لتشمل مختلف المجالات الأخرى، لتشكل اليوم أهم التحديات للنظام العالمي الذي أوجدته الأمم المتحدة لنفسها.

ومن هنا نرى أن الأجدى أن نتعرف شيئًا ما على العولمة وآثارها، والموانع الواقعية التي تقف بوجهها، ثم نستعرض ـ ولو بإيجاز ـ الفروق بينها وبين العالمية الإسلامية، لنخلص بعد ذلك إلى معرفة الخطوات التي ينبغي أن تتخذ على الصعيد الدولي والإسلامي مركزين في نهاية البحث على ضرورة الحوار بين الأديان والحضارات.

تعريف العولمة

لا ريب في أن تعريف العولمة غامض، والتعاريف المقامة متناقضة ومتنوعة، والحقيقة أن الإنسان يدرك من خلال معرفة نوع التفسيرات والتعاريف، أن العولمة هي محاولة نفي الحضارات غير الغربية، وتجميل الرأسمالية، ومحاولة فرض الأمركة والهيمنة على العالم. ونذكر في هذا الصدد ثلاث محاولات:

1 ـ تعريف اللجنة الدولية عام 1995 مسيحي وهو يفسرها بالتداخل بين أمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك عبر رفض الحدود، والانتماء الوطني والإجراءات الحكومية[1].

2 ـ بعض التعاريف العربية للعولمة بأنها حقيقة التحول الرأسمالي في ظل هيمنة الدول المركزية وسيادة نظام عالمي غير متكافئ، وهناك تعريفات اقتصادية أو أدبية، أو تعاريف باعتبار اللوازم (للجابري) و(التيزيني) وغيرهما[2].

3 ـ تعريف (روزناو) الأميركي ويطرح تساؤلات: هل تنطلق العولمة من التجانس، أم تعميق الفوارق؟ وهل لها مصادر واحدة أم متفرقة؟ وهل لها ثقافة واحدة أم متعددة؟ ومن ثمّ يعتبر أن هناك ثلاثة عناصر دخيلة في العولمة، هي: إزالة الحدود، وإبراز تشابه المجتمعات الكبرى، وفرض طريقة حياتها على الآخرين[3]، ومن هنا نستطيع أن نقول: إن العولمة في الواقع هي محاولة أمركة العلاقات السياسية والحقوقية والاجتماعية، عالميًا، وفرض ثقافة الهيمنة الغربية على الآخرين، فهي من أخطر الأفكار. وقد استفاد الغرب من قدرته التكنولوجية والعلمية والثقافية والعسكرية لطرح هذه الفكرة، كما قام بعض الفلاسفة والكتاب بالتمهيد النظري لها، وكلنا يعرف نظرية (هنتنغتون) التي تركز على الحضارة الغربية، وتعتبرها تتميز بالتسامح والإنسانية والتعددية، في حين تصف الحضارات غير الغربية بالاستبداد والانغلاق على الماضي، والفشل في حل المشكلات الإنسانية، كالفقر والبطالة ومستوى المعيشة، وكثرة الإنجاب، والديكتاتورية. وهي تقترح على الغرب ألاّ يتعاون مع غيره، ولا يصدر التكنولوجيا، ويوحد نفسه اقتصاديًا وسياسيًا وإداريًا، وترى أن الحضارة الغربية تعتمد على الإرث اليوناني والمسيحية الغربية والعلمانية، وسيادة القانون والتعددية الاجتماعية والمجتمع المدني وحقوق الإنسان، وهي أمور تميزت بها الحضارة الغربية ولا تتحقق في حضارات أخرى. ويأتي (فوكوياما) ليجعل النظام الرأسمالي غاية التاريخ، ويرى أن المجتمعات كلها يجب أن تتجه نحو الرأسمالية، ويجب توفير الشروط السياسية والاجتماعية، وأهمها تطوير البنية الاجتماعية نحو

العولمة هي محاولة نفي الحضارات غير الغربية، وتجميل الرأسمالية، ومحاولة فرض الأمركة والهيمنة على العالم.

---

1. مجلة النهج عدد 50، ربيع 1988.
2. مجلة الواحة عدد 16 ص 153.
3. جيمس روزناو. ديناميكية المعرفة.

المساواة واللاطبقية واللاطائفية، وإيجاد تفسيرات دينية مرتبطة بهذا التطور، وكذلك قيام المجتمع النامي لإيجاد المؤسسات الوسيطة بين الأفراد والدولة، كما يجب عدم المبالغة بالتمييز القومي مما يدعو إلى العزلة الحضارية، ويدعو إلى تفسيرات مستنيرة للنصوص الدينية، وينتقد كل الحركات المتطرفة، ويدعو إلى توجّه الصفوة لدعم القيم الديمقراطية والحريات، فهو إذن يجعل المجتمع الرأسمالي الغاية التي يجب أن تسير إليها كل الحضارات[4]. كذلك نجد (بيدهام برايان) المفكر الانكليزي في سلسلة المقالات التي نشرها في مجلة الايكونومست خلال عام 1994 يؤكد أن هناك تشابها بين الوضع الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري، ووضع أوروبا في القرن الخامس عشر المسيحي ،ويرى أن كلا الوضعين متشابهان في توفر الأرضية المناسبة للإصلاحات، وفي نوع المؤسسات الدينية لدى المسلمين ومؤسسات الكنيسة في القرن 15م وفي المستوى البائس لديهم، وفي الشوق لتحسّن الأوضاع، ويرى أن هناك عاملاً خارجياً يحرك هذه الحالة ويدعمها، ففي الوقت الذي شكّل فيه (المسلمون) العامل الخارجي لتطوير أوروبا في حينها، يشكل الغرب اليوم عامل دفع للعالم الإسلامي نحو التطور والتقدم، ويرى أن التحرك يبدأ من الإسلاميين التحررين الذين يؤمنون بالديمقراطية، ولا بد من التحرك بقوة لدعم هؤلاء، وفي ختام مقالاته يوجه إلى العالم الإسلامي توصيات ثلاثًا لكي يتأهل للتعامل مع الغرب، والدخول في ركب الحضارة الإنسانية السائدة هي:

1 ـ الانسجام مع الاقتصاد الحديث.

2 ـ القبول بفكرة المساواة بين الرجل والمرأة.

3 ـ العمل على تمثل القواعد الديمقراطية وتطبيقها في نظم الحكم[5].

هذا وقد شملت عملية التمهيد لنظرية العولمة والأمركة المجالات المعلوماتية كما في مجال الانترنيت والفضائيات، كما شملت عملية السيطرة على المنظمات الدولية، فإن استجابت لهذا الهدف وإلا تم تجاوزها، وراح التخطيط لفرض السياسة الأميركية على العالم. وقد استغلت أميركا حوادث 11 سبتمبر لتطرح نفسها القوة الأولى في العالم، والمسيطرة على كل مقدراته السياسية وإمكاناته وطاقاته، كما جاء التخطيط للسيطرة على الثقافات والقيم، والتدخل في التشريعات الاجتماعية، كما رأينا في مؤتمرات الأسرة في القاهرة وكوبنهاغن، ومكسيكو سيتي، وبكين وغيرها، حيث تم التدخل في الأمور التشريعية الاجتماعية تحت شعار حماية حقوق الإنسان[6].

شملت عملية التمهيد لنظرية العولمة والأمركة المجالات المعلوماتية كما في مجال الانترنيت والفضائيات، كما شملت عملية السيطرة على المنظمات الدولية.

الآثار السلبية للعولمة

لقد توضحت للعالم جميعًا الآثار السلبية التي تركتها هذه الفكرة المخربة، ولذلك وصفت العولمة بكثير من الأوصاف، منها: العولمة المتوحشة أو العولمة المجنونة أو العولمة الفخ، أو وصفت بأنها إما أن تأكل أو تؤكل، وقد ذكرت الدراسات المتنوعة هذه الآثار السلبية التي نشير إلى بعضها:

1 ـ سيطرة القوى الكبرى على حركة الاقتصاد العالمي، والمصادر الإنتاجية، والتبادل المالي والتجارة، حتى قيل إن هناك 500 شركة تسيطر

---

4. العربي العدد 512، الاستاذ مجد الدين خمش ص 30.

5. راجع مجلة المنهاج عدد 22، السنة السادسة، ص 248، مقال للكاتب حول هذا الموضوع.

6. راجع كتاب: مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة وتداعياته للكاتب.

على 70٪ من حجم التجارة العالمية، وإن هناك 20٪ فقط يعيشون في اكتفاء ذاتي، في حين يقبع 80٪ في عالم التبرعات. وإن ما تكسبه الولايات المتحدة الأميركية من حركة تحرير التجارة لا يقل في المتوسط عن 200 مليار دولار سنويًا منذ إنشاء منظمة التجارة العالمية وحتى عام 2005، بينما تقدر خسائر الدول الافريقية بحوالي 209 مليارات سنويًا[7].

2 ـ سيطرة أميركا على وسائط نقل المعرفة.

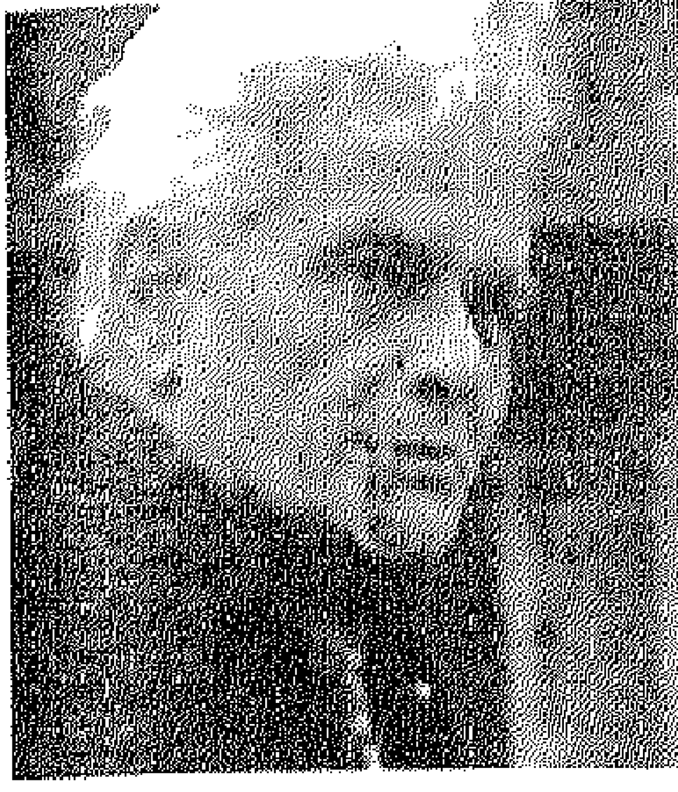
3 ـ كسر هيبة الدول الصغيرة، وقدرتها على النمو.

4 ـ التدخل في التقنين الداخلي لباقي الشعوب، كما رأينا في مؤتمرات الأسرة وغيرها.

5 ـ الغزو الثقافي لكل المناطق، ومحاولة استئصال الثقافات الأخرى، فهي تدعو إلى تطبيقات عصر ما بعد الحداثة وإلغاء دور الدين، وقد نادى الفيلسوف د. جاك دريدا إلى حل المؤسسات الدينية والتعليمية[8].

ها نحن نجد الغرب يسوّق بعض مفاهيمه على أنها مفاهيم مسلمة وعلى العالم أن يلتزم بها من قبيل (الديمقراطية) و(الحرية الفردية) و(الحرية الجنسية) بل راح أخيرًا يجعل (العلمانية) مبدأ إنسانيا لا يمكن تركه.

وها نحن نجد الغرب يسوّق بعض مفاهيمه على أنها مفاهيم مسلمة، وعلى العالم أن يلتزم بها من قبيل (الديمقراطية) و(الحرية الفردية) و(الحرية الجنسية)، بل راح أخيرًا يجعل (العلمانية) مبدأ إنسانيا لا يمكن تركه، وهكذا يمكن الحديث عن النماذج الاقتصادية الغربية في الاستهلاك من زاوية ثقافية، وكذلك من الممكن الإشارة إلى الغزو الثقافي الواسع الأبعاد، والعمل على محو الهويات الوطنية، وإيجاد هويات مجازية ومصطنعة بواسطة وسائل الإعلام الواسعة التأثير.


جاك دريدا

6 ـ التقليل من شأن المحافل الدولية، واستغلالها لصالح هيمنة القوى الكبرى، كاستغلال صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وغيرهما من المنظمات لتنفيذ السياسات المصلحية، وقد رأينا قبل أيام أن رئيس دولة غربية يعلن أن الناتو والقوى الغربية وجهوا أكبر ضربة للنظام العالمي لاستغلالهم المحافل الدولية[9].

7 ـ تلويث البيئة نتيجة الجشع الذي ابتليت به القوى الكبرى.

8 ـ وهناك عمل رهيب على تغيير الخارطة السياسية في بعض المناطق (من قبيل منطقة الخليج ومنطقة شمال افريقيا، وروسية وتايوان) وربما لإيجاد سايكس بيكو جديدة. وقد أكد بعض المنظرين الأمريكيين ذلك من قبيل (فرانسي لويل) أستاذ العلاقات القانونية والسياسية في جامعة الينوي الامريكية في كتابه (الامبراطورية الأمريكية الجديدة) وحديثه إلى قناة الجزيرة في

---

7. الاستاذ المنياوي نقلاً عن تقرير المجلس القومي للانتاج والشؤون الاقتصادية (المصري) الذي عرض في 2002/3/17.

8 ـ الدكتور عبدالعزيز حمودة ـ الثقافة ـ اختيار للثقافة القومية (الأهرام 2002/7/5 ص 12).

9 ـ وتتابع الأدلة يوما بعد يوم على هذا الاستغلال ،فإذا لم تحقق لهم مصالحهم تركوها ، وهذا ما شاهدناه من موقف أميركا من معاهدة (كيوتو) التي تمنع تلويث البيئة، لأنهم اكتشفوا انها تقلل من إنتاجهم من الفحم الحجري، والنفط الثقيل، والطاقة النووية، وذلك بعد أن كانت قد وقعت عليها، ومن المحكمة الجنائية الدولية أخيراً، بعد أن ساهمت هي في إنشائها، ولكنها عملت على إعفاء جنودها من إجراءات المحاكمة. وكذلك عملت على الخروج من اتفاقية (CTBT) لمنع التجارب الذرية .. واوقفت العمل التنفيذي في مجال تحريم الأسلحة الكيمياوية.

2005/4/24، ورامزي كلارك المدعي العام الأمريكي وغيرهما وقد أنشأت أمريكا القيادة المركزية لتحقق ذلك، وخططت له منذ عهد الرئيس كارتر، وها هي تنفذ ذلك في عهد المحافظين الجدد عبر ادعاء نشر الديمقراطية.


رامزي كلارك

وهناك آثار سلبية كثيرة أخرى للعولمة نعرض عنها فعلاً.

الموانع بوجه مخططات العولمة الأميركية (المتفردة):

ونحن نجزم بأن أميركا التي تقف وراء حركة العولمة هذه، لن تستطيع أن تحقق مآربها رغم ما تملكه من إمكانات، فهناك موانع كثيرة أمامها ومنها:

1 ـ وقوف دول كبرى وتكتلات عالمية مختلفة المصالح بوجهها.

2 ـ وقوف الشعوب بوجه مخططاتها الرامية إلى مسخ الهوية، بل وربما الاحتلال المبطن.

3 ـ حصول الأزمات العالمية على مختلف الصعد، وخصوصاً: الاقتصادية، كأزمة الطاقة التي قد تشغل النظام العالمي.

4 ـ عدم إمكانها الاستمرار في عملية تحدي نظام العلاقات الدولية، وتخطّي المؤسسات العالمية مما يحرك العالم ضدها.

5 ـ تنامي الوعي العالمي لهذه المخططات بنفسه يؤدي إلى ارتفاع وتيرة المقاومة، ومن هنا يمكن أن تتحول الوسائل الحديثة التي تستغلها العولمة إلى أدوات تنمي عنصر الوعي بمخططاتها.

6 ـ الوعي الديني المتنامي للشعوب، فهو يشكل المانع الأكبر بوجه المخططات التي تعمل على محوه.

بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية

وقبل أن نطرح تصورنا لما يجب أن تفعله الأمة، نحاول أن نلخص الفروق بين عالميتنا وعولمتهم فيما يلي:

إن العالمية الإسلامية تمتاز بأنها:

❖ عالمية إقناعية لا تفرض على الشعوب أيديولوجيتها، ولا تحاول سلبها ثقافاتها ونمط حياتها، وإنما تعمل على التعايش والتفاهم معها، وهذا ما تثبته النصوص الإسلامية، وتؤكده الوقائع التاريخية المنسجمة، مع النصوص فلا إكراه عقائدي، ولا مسخ ثقافي، ولا محو عنصري.

العالمية الإسلامية تمتاز بأنها عالمية إقناعية لا تفرض على الشعوب أيديولوجيتها ولا تحاول سلبها ثقافاتها ونمط حياتها، وإنما تعمل على التعايش والتفاهم معها.

❖ وهي لا تعمل على سلب حقوق الآخرين ونهب ثرواتهم.

❖ وهي لاتعمل على إشاعة مفاهيم مصلحية، كتعميق مفاهيم الاستهلاك، بل توازن في اتجاهاتها بين الإنتاج البشري والحاجة العامة، نافية أي كفر بنعم الله، وأي ظلم في التوزيع، مستهدفة قبل كل شيء سعادة الإنسان وكرامته، رافضة الإسراف إنتاجًا أو توزيعاً.

❖ كما أنها لا تتحرى ما يوجب الإضرار بالأفراد أو الجماعات أو المجتمعات، بل تعمل على إعطاء كل ذي حق حقه ،موفرة الأمن بكل أنواعه للجميع.

❖ وهي لا تحاول فرض هيمنة شعب أو طبقة أو فرد على الآخرين، وتتصدى لكل أنواع الديكتاتورية والتعالي، وتعتبره مظهراً للطاغوت، معتبرة أن الصراع ضد الطاغوت هو أحد هدفي الأنبياء إلى جانب تعبيد الأرض لله.

❖ وهي تعمل على نشر القيم الإنسانية والأخلاق الحميدة كهدف لا تحيد عنه.

❖ وتعمل بواقعية أصيلة على أن تتجلى باقي المظاهر الإنسانية في السلوك الفردي والاجتماعي والدولي.

- ومن هذه العناصر الفطرية: العدالة التي يعمل الدين لتحقيقها في كل المجالات، ويحذف كل ما يتنافى معها مهما كان.

❖ كما تعمل هذه العالمية على احترام الآخر وإشاعة منطق الحوار قبل أي عمل:

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [سورة الأنفال: الآية 48]

وهو أيضا من مقتضيات الفطرة الإنسانية.

❖ ومن المبادئ التي تعمل على إشاعتها: التعاون والتعارف والاستخلاف الإلهي والتكافل الاجتماعي.

❖ وتقوّم الإنسان ومركزه بمعايير الالتزام والعمل الإنساني.

❖ وتوازن بين الحريات الفردية والمنافع الاجتماعية، وبالتالي فهي تبني كل المسائل الاجتماعية، على فلسفة واقعية تنطلق منها وتلتزم بمقتضياتها، إلى ما هنالك من خصائص لا يسع المجال لاستقصائها.

العالمية الإسلامية تعمل على نشر القيم الإنسانية والأخلاق الحميدة كهدف لا تحيد عنه، وتقوّم الإنسان ومركزه بمعايير الالتزام والعمل الإنساني.

أما العولمة الغربية فنكاد نقطع بأنها تقف على النقيض مما سبق. فهي تتصف ـ كما رأينا ـ بالإكراه الثقافي، والنهب، إما بشكل همجي مجنون أو بشكل عصري حداثي، كما أنها تعمل على تعميم المنطق الحيواني للاستهلاك، وتتدخل في كل شؤون المجتمعات، حتى الاجتماعية والمدنية منها، وتستهدف الهيمنة بشتى أنواعها، ثم إنها لا تعرف أي معنى للقيم الأخلاقية، بل هي تسخر الأخلاق لتحقيق مآربها السياسية ـ كما رأينا في بيان المفكرين الأمريكيين أخيراً ـ فلا مجال للأمور المعنوية في قاموسها، بل هي تعمل على محاربتها بما تمتلك من وسائل، ومنها الوسائل الإعلامية الإباحية، كما أن العدالة عندها نسبية، تتناسب مع مصالحها الضيقة، ولذلك تطرح بوحشية لا مثيل لها منطق الصراع بدلاً من الحوار، أما معيار العدالة والتقويم فليس إلا القوة والمصلحة الضيقة، ولذا تستسيغ الكيل بمكيالين باعتبار الآخرين لا يملكون استحقاق التعامل الإنساني ـ وفقاً لنظرية هوبز في تقسيم المجتمعات على أساس الحداثة ـ وقد وجدت اليوم أتباعًا أكثر من المفكرين الغربيين وخصوصًا في انجلترا وأمريكا.

وأخيرًا فقد قلنا إن العولمة الغربية تستغل الظروف المواتية لها دون أن تستند إلى فلسفة واقعية تبرر لها هجمتها المتوحشة.

موقف الأمة والخطوات العملية التي يجب أن تتخذها تجاه العولمة

وقبل بيان هذه الخطوات نؤكد أن الرفض الانفعالى لن يؤدي إلى نتيجة، وإنما يجب التأمل واتخاذ الخطوات العملية المدروسة للوقوف بوجه هذا الغزو العالمي الكبير، فيجب علينا في هذا المجال أن نقوم بوضع استراتيجية عملية وواضحة وشاملة، ويتعاون الجميع على وضعها أولاً، وعلى تنفيذها ثانيًا، كما يجب علينا أن نقوم بفضح النظريات التي مهدت لمثل هذه النظرة التخريبية.

وبالنسبة للاستراتيجية نطرح بعض الخطوات التي نراها مهمة في هذا المجال.

عالميًا :

1 ـ يجب علينا أن نعري الجانب الايديولوجي للهيمنة الأمريكية، والمقصود الحقيقي من مقولات هذا الجانب (القرية الصغيرة، حرية السوق، حرية التدخل وفتح الحدود، وأمثال ذلك).

2 ـ يجب علينا حذف هيمنة السوق على الجانب السياسي.

3 ـ يجب تعميق قيم الإنسان الفطرية، مع عرض نظرية الفطرة الإسلامية.

4 ـ يجب توسيع لغة الحوار بين الأديان.

5 ـ يجب التأكيد على الهويات الإقليمية، وهويات الشعوب، وتوعية الشعوب، للاحتفاظ بهوياتها وثقافاتها.

6 ـ يجب الارتقاء بالقدرة العلمية والتنموية للشعوب.

7 ـ يجب العمل على إعطاء الحريات والحقوق الأصيلة للشعوب.

8 ـ يجب تقوية المؤسسات الدولية وتعميق استقلالها.

9 ـ يجب تعميق الثروة الثقافية المتنوعة.

وفي الإطار الإسلامي يجب علينا بالإضافة إلى ما سبق:

1 ـ أن نعمق الحوار بين المذاهب، اتجاها لتكوين الوحدة في الموقف الإسلامي.

2 ـ يجب العمل على تقوية المؤسسات الإسلامية، وتفعيلها في الجانب السياسي والاقتصادي والثقافي.

3 ـ يجب أن نطور دراساتنا الإقليمية والعالمية، ونحقق الانفتاح على التاريخ.

4 ـ علينا أن نقوي كل عوامل الصمود والتعاون والوحدة، كمسألة اللغة العربية وتعميقها.

5 ـ علينا أن نجمع بين الأصالة والمعاصرة في الدراسات الدينية، ونروج للاجتهاد الجماعي، وغير ذلك مما يؤدي إلى الوقوف أمام هذا الهجوم العالمي الكبير.

6 ـ علينا أن ندعم قضية الصحوة الإسلامية.

وأخيراً فإن علينا ألاّ ننسى أن عولمة كبرى موازية قد امتدت إيجابياً، وهي الاتجاه العالمي لنمو المعنويات وروح التدين لدى الشعوب، والتفاهم بين القادة الدينيين، وخصوصا في العالم الإسلامي، حيث الفهم الشمولي للإسلام فهما يجعله أمل هذه الأمة في احتلال موقعها الحضاري المطلوب.

وإننا لنعتقد أن مظاهر هذا الاتجاه العالمي تتجذر يومًا بعد يوم حيث نشهد مثلاً:

أ ـ اتجاه الجماهير في العالم الإسلامي نحو الدين بشغف، ومطالبة العلماء بالتدخل المباشر في الحياة العامة، وإبداء الرأي في القضايا الملحة.

ب ـ تحكيم دور الكنيسة السياسي والاجتماعي في العالم المسيحي، وخصوصًا في الدول التي تشكلت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي حرّر قوة البوذية المعنوية في صياغة القرارات الاجتماعية في جنوب آسيا.

د ـ ازدياد الإقبال على النظريات والمؤلفات الدينية.

هـ ـ اتجاه الأمم المتحدة الأخير نحو القادة الدينيين كما في مؤتمري نيويورك وبانكوك.

و ـ اتساع نطاق الحوار الديني بين الأديان المختلفة، فيجب أن يقوم رجال هذه الأديان بواجبهم في دعم المسيرة المعنوية الصاعدة.

تأكيد القرآن الكريم مباشرة على دعوة أهل الكتاب إلى كلمة سواء، وهي تعني الدعوة إلى اكتشاف مساحة مشتركة يتم فيها التعاون.

وللتوسع في هذا المجال نطرح الأمرين التاليين :

أ ـ موقف الإسلام من الحوار بين الأديان :

إن الإسلام يشجع الحوار بين الجميع، وخصوصاً بين الأديان، ويتوضح ذلك إذا لاحظنا الأمور التالية :

أولاً ـ تركيز الإسلام على أنه دين الفطرة والمنطق والعقل، والحوار أمر تركزه كل هذه الأمور.

ثانيًا ـ ملاحظة أبعاد نظرية الحوار الجامعة في القرآن الشاملة لمقدمات الحوار، أساليبه، أهدافه، أجوائه الأخلاقية، وكلها تعطيه أبعادًا إنسانية.

ثالثًا ـ تأكيد القرآن الكريم مباشرة على دعوة أهل الكتاب إلى كلمة سواء، وهي تعني الدعوة إلى اكتشاف مساحة مشتركة يتم فيها التعاون.

رابعًا ـ تأكيد النصوص الإسلامية على طلب الحكمة لأنها ضالة المؤمن أينما وجدها طلبها، وطلب العلم ولو كان في الصين، وأمثال ذلك.

خامسًا ـ ملاحظة الأحكام الإسلامية الاجتماعية التي تتيح تعايشا إسلاميا مع أهل الكتاب وغيرهم على أساس عهد اجتماعي ملتزم به يستلزم الحوار بلا ريب.

سادسًا ـ ملاحظة التراث المنقول عن الأنبياء وخصوصا النبي موسى (عليه السلام)، والنبي عيسى (عليه السلام)، مما يدفع للاستزادة من مواعظهم وأخبارهم.

سابعًا ـ إن الحوار ونتائجه مما يحقق مصلحة الأمة بلا ريب.

علينا ألا ننسى أن عولمة كبرى موازية قد امتدت إيجابياً، وهي الاتجاه العالمي لنمو المعنويات، وروح التدين لدى الشعوب.

ب ـ المصالح المقصودة من عملية الحوار:

إن عملية الحوار تحقق فيما تحقق أموراً هي:

1 ـ المساعدة في الدفع نحو التجديد الديني.

2 ـ تحقيق أرضية مساعدة لتحقيق السلام العالمي.

3 ـ تقوية الجبهة الدينية المعنوية ضد أعداء الدين عموماً.

ذلك لأن عملية التحاور بين المتدينين يمكن أن تؤدي إلى ما يلي:

1 ـ تفهم الموضوعات بشكل أدق.

2 ـ معرفة حقيقة الرأي الآخر.

3 ـ معرفة المساحات المشتركة الفكرية والعملية.

4 ـ معرفة الحلول المشتركة.

5 ـ فضح المتلاعبين بالدين لمنافعهم الشخصية.

6 ـ التعاون لدفع العدو المشترك: الإلحاد، العلمانية.

7 ـ دعم العولمة المعنوية.

ومعرفة الحاجات المعنوية، معرفة مشاكل الشباب، الدوافع نحو المادية.

8 ـ اكتشاف الطاقات الخيّرة.

9 ـ التخلص من رواسب الماضي.

10 ـ تفهم تطورات الدين الآخر والعقبات التي واجهها.

11 ـ الفصل بين ما هو ديني وما هو دخيل.

12 ـ تفهم التراث المشترك.

وأخيرًا:

فنحن نعتقد أن أكبر عقبتين تقفان أمام تطور العملية الحوارية تكمنان في:

1 ـ تشكيك المسلمين في نوايا الآخرين.

2 ـ عدم اعتراف الآخرين بوحيانية الإسلام، فيجب العمل الجاد على رفع هاتين العقبتين.

الإعلام الإسلامي في عصر العولمة

إننا نعتقد أن للأمة الإسلامية دورًا حضاريًا بارزًا، لا باعتبار كونها جزءا عظيمًا من الوجود البشري العام فحسب، بل باعتبار ما تحمله من رسالة إنسانية، تعلن أنها الرسالة المنقذة الموحّدة للإنسانية التي أعدها خالق البشر لتشكل المنهاج الفريد لسير الإنسان نحو تكامله الفردي والاجتماعي. وكذلك نؤمن بأن الدعوة الإسلامية هي من صميم الواجبات على كل مسلم ملتزم بتعاليم الإسلام، وهذه الدعوة لا يحدها زمان أو مكان، فتشمل كل الأرض على مدى الأزمان إلى أن يأذن الله للساعة أن تقوم.

ونرى أن من صميم واجباتنا العمل على طريق إرجاع خصائص الأمة المفقودة إليها، ومن خصائصها المسلمة أنها أمة داعية إلى الله:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾

[سورة آل عمران: الآية 104]

كما أنه من الطبيعي أن يكون لتغير الزمان والمكان أثر كبير في تنويع أساليب الدعوة، لا بل وتغيير مضامينها، بما يتلاءم ونوع الهجوم الذي تتعرض له

الأمة بأساليب جديدة من قبل أعدائها.

إضافة إلى ما سبق، فإن الأساليب غير المدروسة للدعوة ربما تؤدي إلى نتائج عكسية دونما قصد من أصحابها، في حين نجد عناصر متسللة غريبة طرحت نفسها في مجال الإعلام الإسلامي لأغراض دنيئة.

كل هذه الأمور تطلب وضع استراتيجية إعلامية للدعوة الإسلامية، تركز بطبيعة الحال على الأهداف والمضامين والعناصر والأساليب والوسائل.

أولاً - أهداف الدعوة الإسلامية:

إذا قسمنا المساحات المخاطبة من قبل الإعلام الإسلامي أمكننا أن نطرح الدوائر المتداخلة التالية:

أ - الدائرة الدينية بما يشمل كل المذاهب الإسلامية.

ب - الدائرة الدينية بما يشمل كل الأديان السماوية.

ج - الدائرة الإنسانية العامة بما يشمل البشرية.

وحينئذ فمن الطبيعي أن يختلف الخطاب للدائرة الأوسع عنه في الدوائر الأخص منها.

أ - فعلى صعيد الدائرة الإسلامية : يستهدف الإعلام والدعوة الإسلامية - فيما يستهدف - الأمور التالية :

1 - عرض الإسلام على أنه عقيدة ومفاهيم وتشريعات وأطروحات حياتية تحل المشكلات الاجتماعية، وتضمن السير نحو العلا، وبالتالي تعميق الإيمان في النفوس.

2 - العمل على نشر الأخلاق الإسلامية الأصيلة، ونبذ المفاسد الأخلاقية.

3 - العمل على تحقيق الخصائق القرآنية للأمة الإسلامية، وفي طليعتها مسألة الوحدة الإسلامية والترابط والتوازن.

4 - العمل على تربية جيل إسلامي مؤمن قوي على أساس من تعاليم الإسلام، يعرف تاريخه، ويدرك واجبه الحضاري.

5 - السعي الجاد لتهيئة الأرضية المناسبة لتطبيق الإسلام على واقع الحياة، مع تنظيم التبادل الحضاري في الحدود الملائمة للشريعة.

6 - توعية المسلمين بالمواقف السياسية والاجتماعية التي يواجهونها، وترشيدهم إلى الحد الذي تتقارب فيه الرؤى والخطوات العلمية لديهم جميعًا.

7 - توعية المسلمين بذخائرهم وطاقاتهم المادية والمعنوية، لتحقيق التنمية والتوسعة المطلوبة في مختلف المجالات.

8 - العمل على توسعة دائرة معرفة اللغة العربية والناطقين بها، وذلك بغية رفع مستوى القدرة على الاستفادة من النصوص الإسلامية، وكذلك مستوى شعور الأمة بالوحدة الإسلامية.

9 - تحسيس قطاعات الأمة وأفرادها بنقاط الضعف والنقص الاجتماعي والاقتصادي، والعمل الجاد في سبيل تغطية نقاط العجز هذه - على الصعيد المحلي والإقليمي والعالمي - وتعريفهم العدو من الصديق.

10 - بعث روح الحماس والعاطفة الإسلامية بين أفراد الأمة، ليقوموا بواجباتهم في الدفاع عن مقدسات الإسلام وقيمه السامية.

ب - وعلى الصعيد الديني العام: يستهدف الإعلام الإسلامي ما يلي:

1 - توضيح حقيقة الدين الإسلامي وتصوراته، لمنع سوء الفهم والتصور الخاطئ عنه.

2 - الدعوة إلى كلمة سواء بين أتباع الأديان، وتعبيد الجميع لله، واجتناب كل ما يمت إلى الطاغوت بصلة.

3 - توضيح بعض الحقائق الملتبسة عليهم، كقضية بنوة المسيح (عليه السلام)، وحقيقة التوحيد الابراهيمي، وموضوع هداية الدين للحياة كلها، وقدسية الأنبياء ووحدة الأديان.

4 - تنسيق الجهود لمحاربة الإلحاد والكفر والشرك.

5 - العمل الجاد لتحقيق موقف موحد من أية إهانة أو

تجديف يمس الحقائق الثابتة المقدسة للأديان الإلهية، وخصوصاً تلك المقدسات المشتركة.

6ـ السعي لإبعاد الجمعيات الدينية عن الانضواء تحت مراكز الظلم والطغيان والاستعمار، بل وجعلها مراكز إشعاع وخدمة لقضايا المحرومين والمستضعفين أفراداً وشعوباً.

7ـ الدعوة إلى تحقيق الوئام والعيش المشترك، ونفي وسائل الخصام والتناحر الديني، وإشاعة روح الحوار المنطقي بين أتباع الأديان.

ج - وعلى الصعيد الإنساني: يتلخص هدف الدعوة الإسلامية فيما يلي :

1ـ تنمية الدوافع والركائز الدينية في النفوس.

2ـ إشاعة الحس الخلقي الإسلامي، وتحريك الكوامن الأخلاقية.

3 ـ التعاون المشترك لنصرة قضية المستضعفين والمحرومين، والدفاع عن القضايا العادلة وإدانة الظلم أينما كان.

4 ـ الدعوة بالحسنى لتفهم الدين عموماً، ودوره فى الحياة.

5 ـ السعي الجاد لتحقيق مجتمع دولي سليم على أساس من حقوق إنسانية مشتركة.

ثانياً- مضمون الدعوة الإسلامية وخصائصها:

وعلى ضوء الأهداف السابقة تتحدد خصائص المضمون الدعوي الإسلامي على النحو التالي:

1ـ فهو إعلام قرآني نبوي، يعتمد في أهم مصادر على هذين المنبعين الأساسيين، ويعمل على الرجوع إليهما في شتى المجالات.

2 ـ وهو إعلام موضوعى، ينأى عن التاثر بالمصالح الشخصية والفئوية والسلطوية وغيرها، وإنما يبتغي بيان الحقيقة لا غير.

3ـ وهو إعلام أخلاقى، يتقيد بالحدود الأخلاقية، ويتجنب كل ما ينافيها كالكذب وإشاعة الفاحشة وغير ذلك.

4 ـ وهو إعلام علمي متطور في أساليبه، يعتمد على آخر النتائج المتعلقة به، فهي كلها من عناصر القوة المأمور بها في القرآن الكريم.

5ـ وهو إعلام عالمي لا تحده حدود قومية ضيقة، ولا مناطق جغرافية معينة.

6ـ وهو إعلام مستقل، لا تؤثر فيه المصالح القومية والفوضوية والعقلية المحضة، والعملية غير المخططة، وعوامل التمويه والتزوير وغيرها.

7ـ وهو إعلام واقعي، لا يسبح في الفراغ، ويهيم مع الخيال، ولا يطرح حلولا وهمية أو أي تعامل مع افتراضات غير واقعية. إنه يعيش مشكلات الحياة القائمة، ويلاحظ كل الإمكانات الإنسانية المتوفرة.

8 ـ وهو إعلام متوازن، يلحظ في حركته مصالح الأمة، ومقتضيات الصدق والأهداف الإسلامية العليا.

9 ـ وهو إعلام رسالي، يوظف كل طاقاته لخدمة الهدف الرسالى، وينأى عن السفاسف، والمواضيع المنحطة والتافهة.

10ـ وهو إعلام مترابط، ينظر إلى الحياة بنظرة شاملة، وينسجم مع كل القطاعات الأخرى في طرحه للحلول.

11ـ وهو إعلام مرن، لا يرسف في أغلال الجمود، ولا تجره دواعي الانحلال.

12ـ وهو إعلام إنساني، لا ينطلق من منطلقات قومية أو فئوية، وإنما يلحظ العناصر الفطرية المرتكزة، ويحاول خدمة المجموع العام.

13ـ وهو إعلام عقائدي، يشكل في كل أوجهه مدرسة تعليمية تركز العقيدة وتعمق جذورها.

14 ـ وهو إعلام يعرف أساليب التربية، ويعمل على تقديم النماذج العليا للأمة، مبتعداً عن النماذج المبتذلة.

15ـ وهو إعلام موحد، يبتعد عن كل ما من شأنه شق عصا المسلمين، وتفتيت قواهم، وإرباك مواقعهم.

16 ـ وهو إعلام راصد لكل تحركات أعداء الأمة، ويعمل على توعية المسلمين بالمخاطر التي تحيق بهم.

ثالثاً- عناصر الدعوة:

لا ريب في أن من أهم عناصر الدعوة الإسلامية حملتها ودعاتها، وإن كان كل مسلم مكلفًا بمقدار عمله بالدعوة.

وهؤلاء يجب أن يتصفوا بكثير من الصفات، وفي طليعتها:

أ- المعرفة الدينية الشاملة للجوانب العقائدية والعملية، وذلك إلى الحد الذي يقربون فيه من الاجتهاد والتخصص، كما أن عليهم التعرف على أفضل الأساليب التبليغية والتمكن منها، وكذلك معرفة مخاطبيهم على اختلاف مستوياتهم.

ب - الإيمان النافذ إلى الأحاسيس، فلا يكفي الإيمان العقلي المجرد، وإنما ينبغي أن يتمكن الإيمان من النفوس حتى يحرك المشاعر.

ج - التوفر على الخلق الإسلامي الأصيل إلى حد رفيع، بحيث يجب أن يرتفع عن الحد المتوسط للمسلم العادي في العمل بالمستحبات وترك المكروهات، وينسجم قوله مع عمله تماماً.

د - الشجاعة وعدم الخشية إلا من الله تعالى.

هـ - ترويض النفس على الجهاد والمثابرة وتحمل المشاق.

و - التوفر على ملكة التعبير الحسن، والتصرف الحكيم المناسب.

ز - إحراز المكانة الاجتماعية التى تؤهلهم للتأثير فى الآخرين.

ح - التوفر على معرفة تاريخية عامة وخاصة للمسلمين، والوقوف على محل الاعتبار والمنعطفات في هذا التاريخ.

ط - التعرف على أفضل الأساليب التبليغية، ومطالعة أحوال الدعوة عبر التاريخ الإسلامي.

ي - التمتع بخصائص التأثير المطلوب من قبيل السماحة والمرونة، النصيحة، التواضع، التدبر والمتانة، التنوع والتجديد، الاستغناء عن الآخرين، سعة الصدر، الإخلاص، النشاط الدائب، التخطيط، الزهد والحياة البسيطة، والعيش مع المحرومين.

ك - الابتعاد عن الصفات المنفرة، كالتكلف والتصنع، والتمويه والتسرع والإفراط والتفريط، والتعصب والطائفية، والتسلط والنفعية.

ل - معرفة لغة المخاطبين.

م - المظهر الجذاب والمناسب.

ن - لتعرف على أساليب الحوار والمجادلة الحسنة..

رابعًا - أساليب الدعوة: وهي متنوعة جدًا، إلا أننا نشير إلى بعضها مستعينين بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة :

أ - الاسلوب الفطري: ونعني به اتباع أسلوب أو توجيه أسئلة أو حكاية قصص تؤجج كوامن الفطرة، نزعاتها الفضلى، مما يترك أثره العميق في النفوس.

ب - التدرج: وهو فئة قرآنية وعمل نبوى شريف، فقد لا يمكن إعطاء الحقيقة دفعة واحدة، وإنما يحتاج الأمر إلى عامل الزمان الذي يؤهل كل مرحلة لتلقي تعاليم المرحلة التالية.

ج - التكرار والتأكيد والتذكير المتواصل.

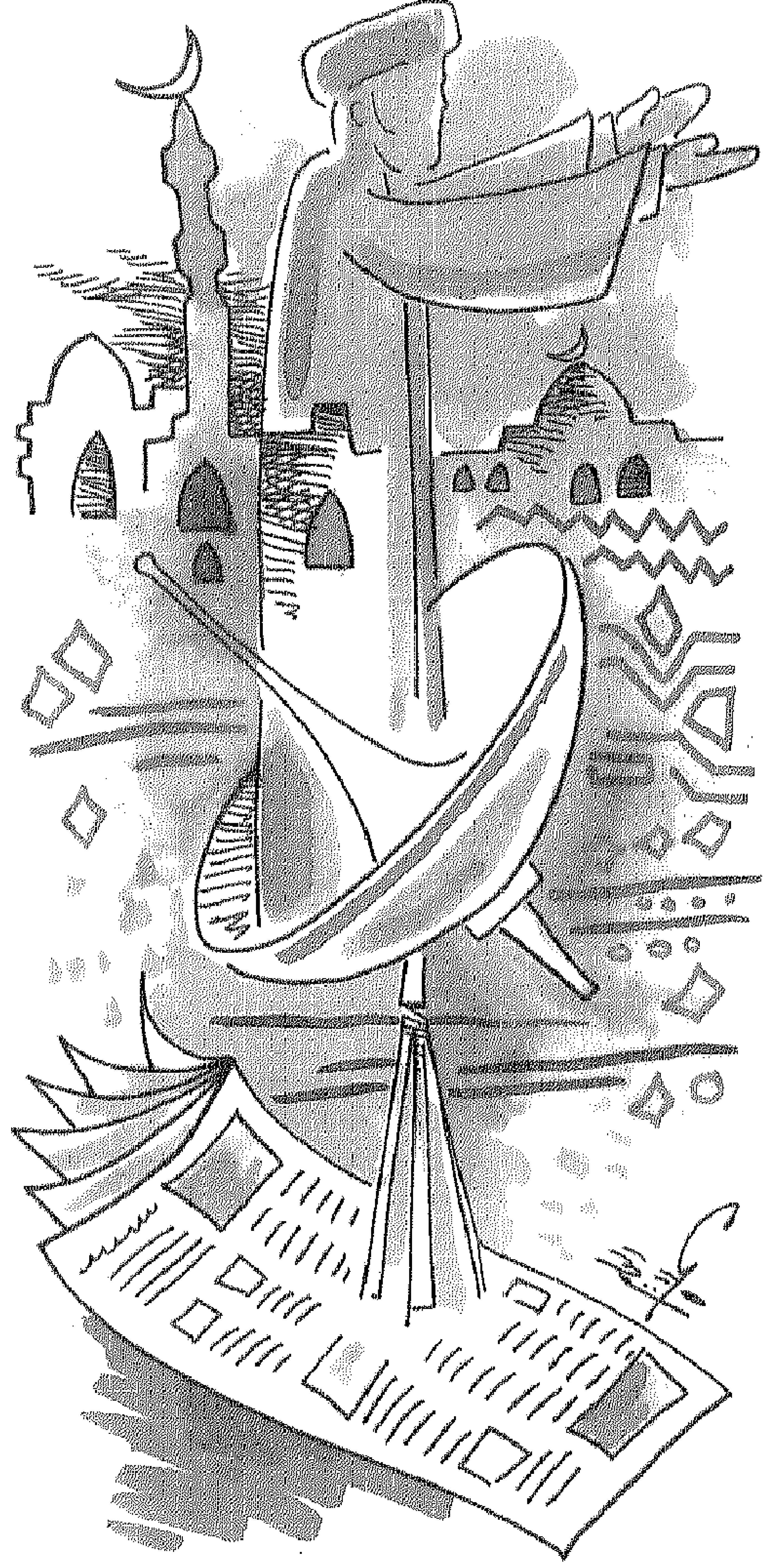
د - العيش مع الأمة، وتحمل الخطر والمشاكل معها، والإحساس بآلامها، والتضحية في سبيل أهدافها العليا، ما يترك أكبر الأثر في مجال الدعوة.

هـ - استخدام أساليب تداعي المعاني، والتبليغ المباشر عبر القصة والفلم، والمسرحية، والإشارة، وهو أسلوب أثبت نجاحه في مختلف المجالات.

و - تقديم النماذج العليا للمخاطبين، لكي يتأملوا ويعملوا على السير نحوها، وتجسيدها في وجودهم.

ز ـ التخطيط لتوفير الأجواء المناسبة للتأثير، من قبيل العمل على حذف سيطرة العقل الجمعي ليفسح المجال للتفكير الهادئ كما في قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ﴾ [سبأ: 46]



خامساً. وسائل الدعوة :

أ ـ وتدخل في هذا المجال كل الوسائل المشروعة التي يمكن استخدامها لتحقيق تلك الأهداف، كالمطبوعات والمسموعات والمرئيات، ووسائل الاتصال بشتى أنواعها.

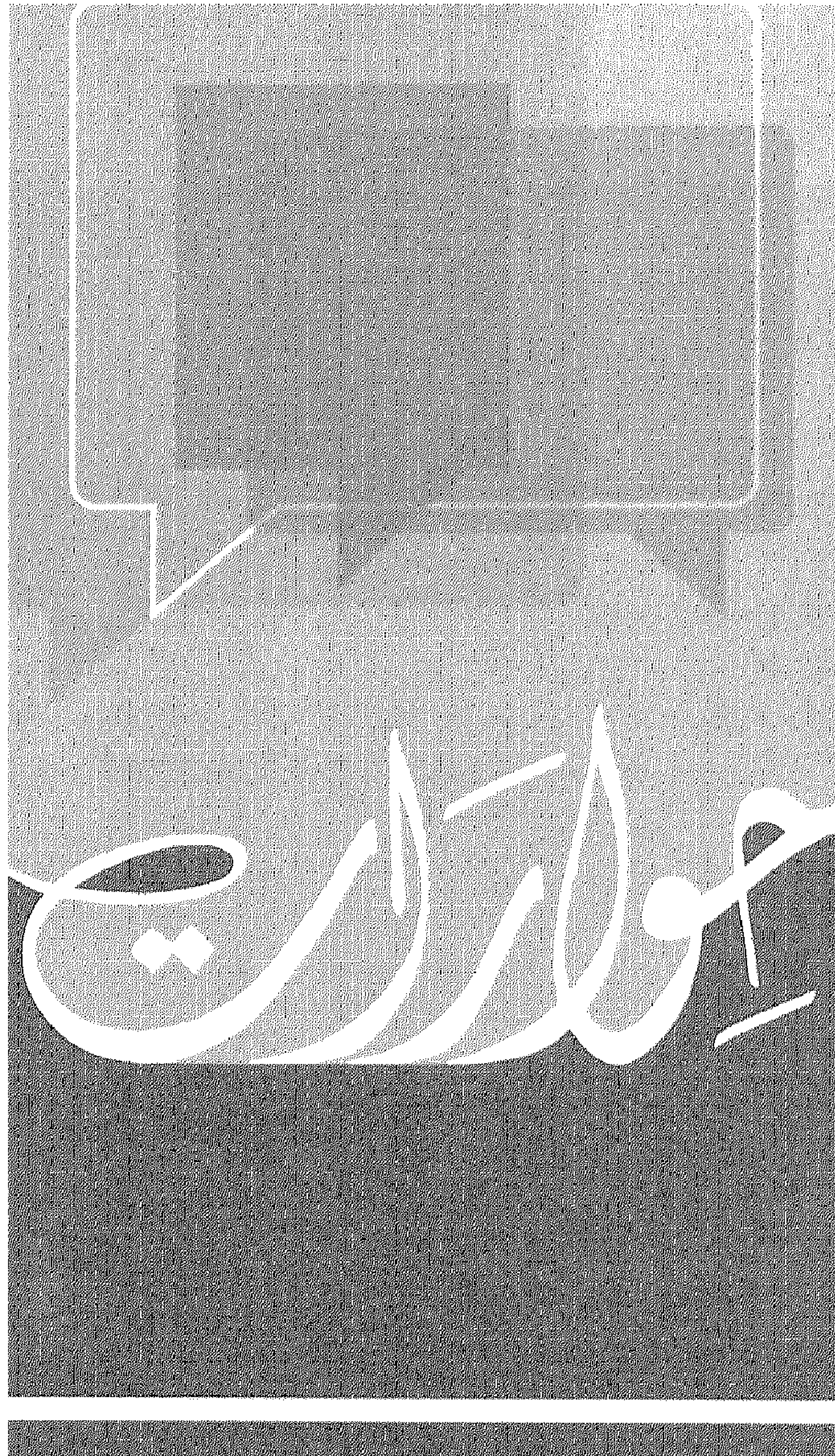
ب ـ كما تدخل فيه كل العناصر الفنية كالقصة، والمسرحية، والخط، والرسم، وفنون السينما، والمسارح، والتمثيليات، وأمثالها.

ج ـ ومن الأمور التي ينبغي إدخالها في عنصر التبليغ والدعوة بصفتها مراكز رائعة في تحقيق هذا الهدف: مراكز التعليم بشتى مراحله الابتدائية والمتوسطة والجامعية، والدراسات الكلاسيكية المسجدية وأمثالها.

د ـ ومن أهم وسائل التبليغ: المنابر التي تعقد مجالسها في المناسبات المختلفة، وخصوصا منابر صلوات الجمعة والحج والعيدين وأمثالها، فهي مناسبات تحمل كل العناصر الضرورية لتاثير التبليغ.

هـ ـ وتعد الخدمات الاجتماعية أيضا من أهم وسائل الدعوة تأثيرًا.

و ـ كما أن من وسائل العمل التبليغي تنظيم التشكيلات، والجمعيات والمراكز الإسلامية، وإقامة المعسكرات الطلابية وغيرها.



الباحث الدكتور محمد الدسوقي:

ليست المشكلة في وسيلة التبليغ، ولكنها في من يقدّم هذا البلاغ



الباحث الدكتور محمد الدسوقي:

ليست المشكلة في وسيلة التبليغ ولكنها في من يقدّم هذا البلاغ

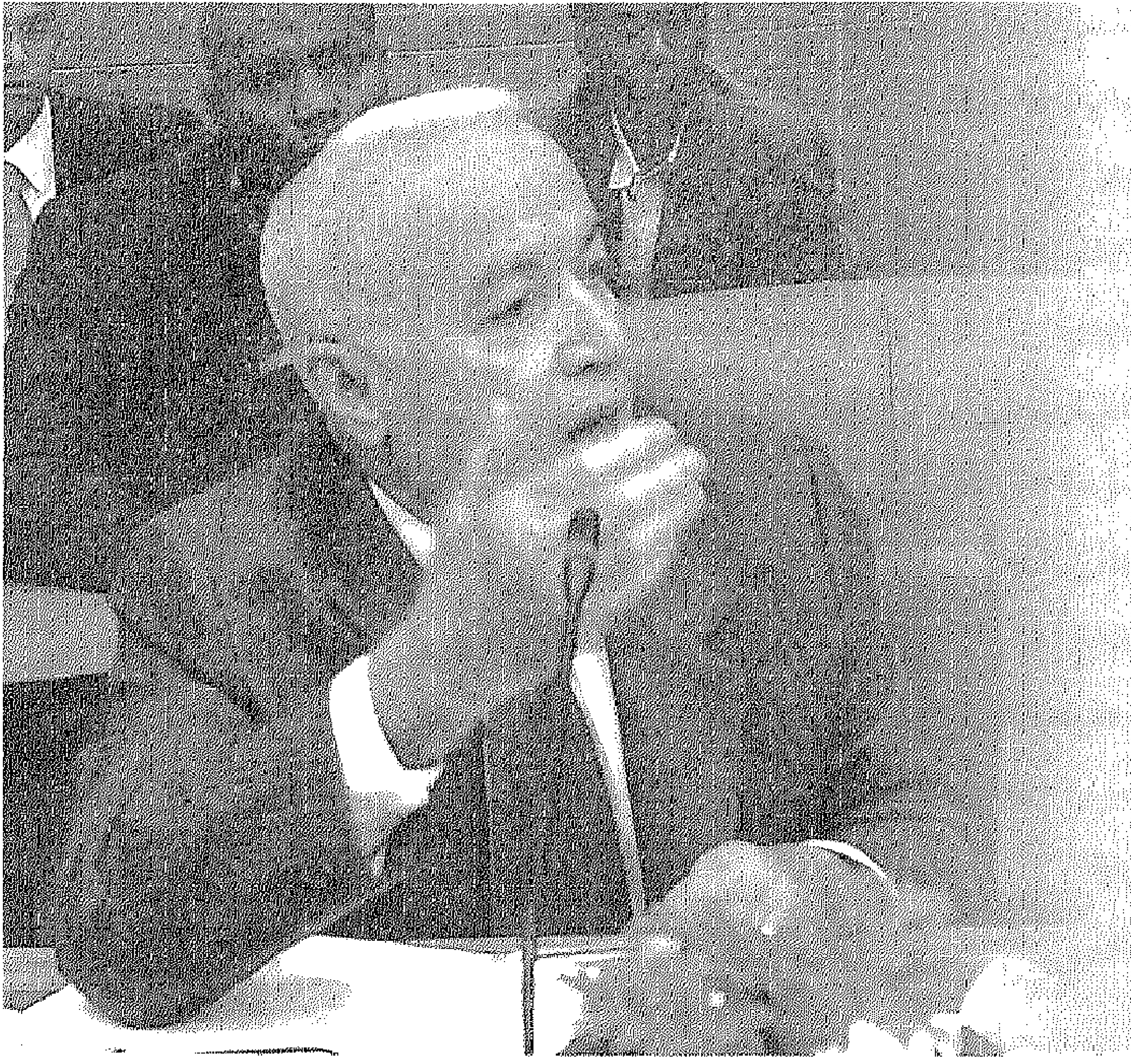
| حاوره : محمد حسن جحا *

الباحث والمحاضر في الدراسات الإسلامية الأستاذ الدكتور محمد الدسوقي، الذي يرتبط اسمه بمرحلة دراستي الجامعية عندما كان أحد أبرز الأساتذة في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، بكلية التربية، بجامعة الفاتح أستاذاً لمدة إثني عشر عاماً (1972 ـ 1984 مسيحي). التقيته مشاركاً في الندوة العلمية التي أقامتها كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس أوائل شهر الكانون 1373 من وفاة الرسولﷺ (2005/12 مسيحي) حول (القراءة الغربية للقرآن الكريم) وكان بيننا هذا الحوار..

❖ **تنوعت القراءة الغربية للقرآن وتعددت بتعدد المنطلقات والأهداف، ما هي رؤيتك لهذه القراءة الغربية للقرآن؟ وما هي أبعادها؟**

❖ القراءة الغربية للقرآن الكريم منطلقها الاعتقاد أو الإيمان بأن القرآن بشري المصدر وليس له مصدر إلهي، ومن ثم أخذ المستشرقون من خلال هذا المنطلق يتلمسون مصادر لهذا الكتاب العزيز، واختلفت آراؤهم في ذلك، فمنهم من ذهب إلى أن هذه المصادر داخلية، ومنهم من قال إنها خارجية، ومنهم من جمع بين المصادر الداخلية والخارجية، ويريدون بالمصادر الداخلية البيئة التي عاش فيها الرسول ﷺ فهذه بيئة تتسم بحرارة الجو، وتتسم بالحياة التي يتمثل فيها نوع من أنواع الشدة، ونوع من أنواع الصراع على لقمة العيش، ومن ثم استوحى ـ كما يقول المستشرقون ـ محمدﷺ من هذا ما دعا إليه من فرض الزكاة، وما دعا إليه من أن هناك حسابا وعقابا، وجنة وناراً، مستوحاة من طبيعة الحياة الصحراوية والحرارة القاسية . فهو إذاً استوحى هذا وأخذ يدعو في هذا القرآن إلى مثل

* كاتب وإعلامي وأستاذ جامعي / ليبيا



نحن في حاجة إلى أن نصحح لكثير من المسلمين المفاهيمَ المغلوطة التي يتبنونها ويكتبون بها وينشرون، كما أننا في حاجة إلى إدراك أن هناك أمية ثقافية دينية بين جماهير المثقفين.

هذه المفاهيم، بل منهم من ذهب إلى أن الاختلاف بين النص المكي والمدني من أوضح الدلائل على أن القرآن استوحى البيئة، فحياته في مكة بحرّها وجبالها، وعدم وجود نشاط زراعي فيها بصورة طبيعية، في حين أن المدينة تختلف عن ذلك، ومن هنا اختلف النص القرآني بين مكة والمدينة. وطبعاً كل هذا نوع من التخمين والزعم وليس له دليل علمي أو عقلي. بل إن منهم من قال إن محمداً ﷺ أخذ عن أمية بن أبي السلط - وهو شاعر جاهلي - كثيراً مما جاء في القرآن الكريم من شعره، وصاغها (أي الرسول) بأسلوبه هو، لأن أمية هذا كان يتحدث في شعره عن وحدانية الله، وكان يتوقع أن يكون هو النبي، فلما بُعِثَ النبي محمد ﷺ لم يؤمن به، ولذلك قال عنه الرسول ﷺ : آمن لسانه وكفر قلبه. وطبعاً كل هذه العوامل الداخلية لا تستند على دليل علمي أو عقلي، وإنما هي نوع من الظنون، ونوع من الخيال، ونوع من الوهم. لأنهم حينما بدأوا الدراسة لم يكونوا موضوعيين، وبدأوا دراسة النص دون أن يكون هناك فكر مسبق حول مفهوم مصدره ؛ لربما اهتدوا إلى أن هذا القرآن من عند الله، وآمنوا به. مثلاً القرآن الكريم تحدث - في بعض قضاياه - عن أمور لم يعرفها العلم إلا حديثا، وأقرب مثل على ذلك قضية أو مسألة تطور مراحل الجنين في بطن أمه، حينما جاء في أوائل سورة المؤمنون عن أن الله تبارك وتعالى قال:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾

[سورة المؤمنون: الآيات 12 - 14]

هذه أوضح دليل وأوضح برهان، والعلم الحديث هو الذي اكتشف هذه المراحل الآن، لكن في عصر محمدﷺ لم يكن هناك تصوير ولا طب ولا أي شيء من هذا، فكيف استطاع محمد ﷺ وهو الذي عاش

في بيئة أمية ولم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة - أن يصوغ مثل هذه الأخبار ومثل هذه المعلومات ؟؟.

❖ **لكن المثقفين الغربيين لا يتوقفون أمام هذا، لماذا؟**

❖ لأن منطلق الفكر الاستشراقي كله هو محاولة تشويه الإسلام حفاظاً على وجودهم هم، فهم يرون أن الفكر الإسلامي إذا انتصر وأصبح له وجود في الغرب قضى على المؤسسة الدينية بالذات، والمستشرقون والاستشراق عموما بدأ أساساً في حضن الكنيسة أولا، ومعظم المستشرقين كانوا قساوسة، صحيح أن بعض المستشرقين كانت لهم بعض الخدمات الفكرية ونشر بعض الكتب، وعدد قليل منهم أسلم، لكن التوجه العام والجمهرة الغالبة أو المنطلق العام كان يبدأ من الزعم بأن محمداً ﷺ ادعى أنه نبي وأنه أتى بالقرآن، ولذلك فهم يحرصون كل الحرص على نفي أن محمداً ﷺ لم يكن أميا، لماذا محمد ليس أمياً؟ معناه أنه استطاع أن يصوغ هذا القرآن. فهم يرون أن كلمة (أمي) من الأمم، وهذه كلمة تطلق على العرب، وهذا كلام ليس له دليل علمي يسنده، ومن ثم يحاولون دائماً أن يثبتوا أن محمداً لم يكن أميا، وهؤلاء لو كانت لديهم درجة من الدراسة الموضوعية لنظروا بين نصين (القرآن والسنة)، وكيف يمكن لإنسان أن يكتب نصاً له مستوى إعجازي خاص، ونصاً آخر دون هذا بكثير؟؟ هذا شيء غير طبيعي، أي لا يمكن أن يكون شخص يقول كلاماً يأخذ 100٪، وكلام يأخذ 20 أو 30 ٪، وعلى ذلك فالذي يقولونه يعبّر عن أنهم لا يريدون أن يدرسوا دراسة علمية موضوعية من أجل تلمس الحقيقة، ولكن كل هذه الدراسات كانت تتوخى تلمس أوجه التشويه والنقص والازدراء وما إلى ذلك، حتى يصرفوا الناس عن هذا الكتاب العزيز.

❖ **وماذا عن العوامل الخارجية ؟**

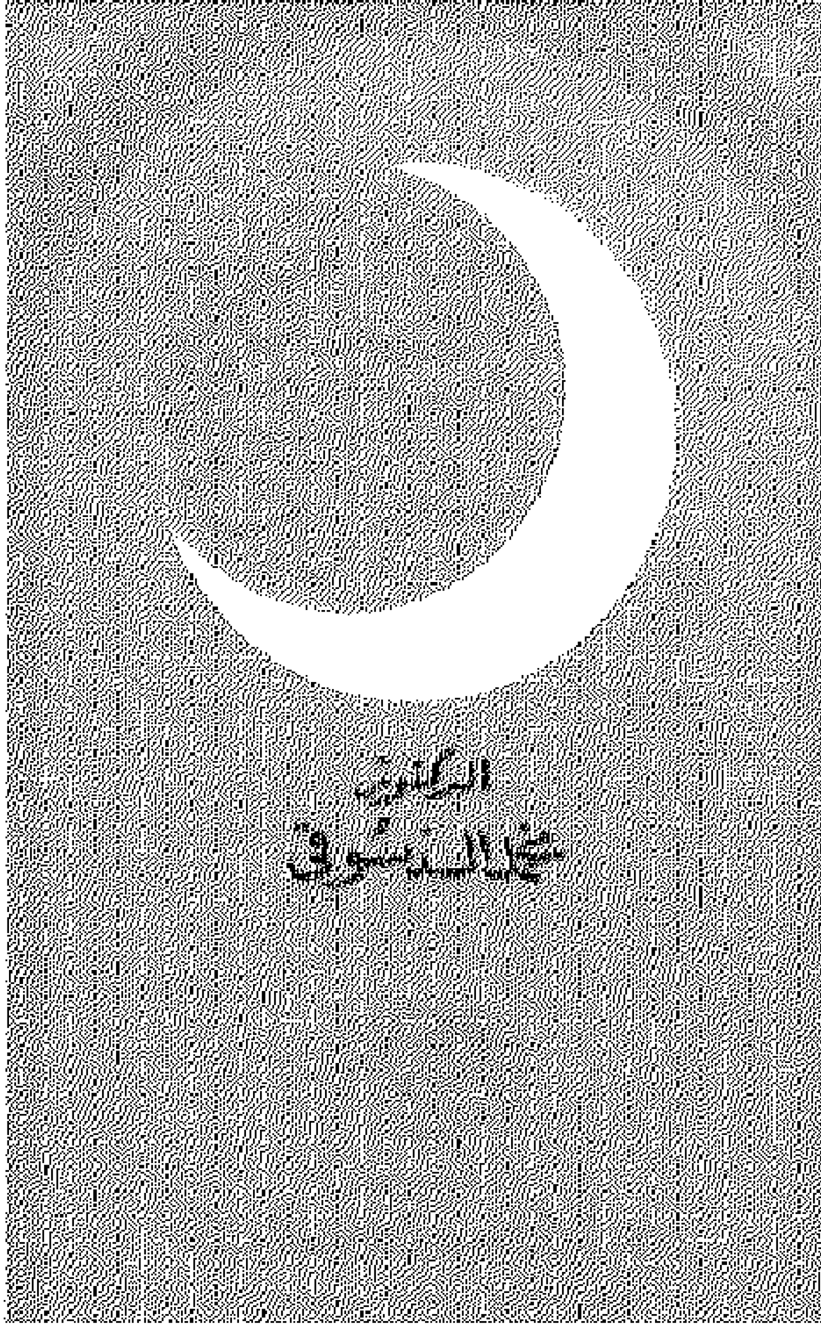
❖ العوامل الخارجية تمثلت بالدرجة الأولى في النقل، فهم يقولون أيضاً إنه (أي القرآن) منقول من التوراة والإنجيل وبعض الكتب السابقة، بل ذهب بعضهم إلى الادعاء بأنه قد أخذ من الديانات الوثنية، وأن الرسول ﷺ لقي بعض الرهبان والقساوسة وأخذ منهم. وكل هذا ليس له أي دليل علمي. لكن الفكر الغربي لا يعنيه أن يكون ما يقوله يعتمد على دليل علمي، بقدر ما يعنيه أن يثير الشكوك والشبهات، وأن يتلمس الأوجه التي تجعل الغربي يصدق هذا الكلام الذي يروجون له، والغربي بطبيعته حينما تُلقى إليه مثل هذه الأفكار، وهو لا يعرف عن الإسلام شيئاً، فإنه يؤمن بها، ومن ثم يعتقد اعتقاداً جازماً بأن محمداً ليس نبياً مرسلاً، وأن هذا القرآن ليس كتاباً إلهياً، إلى درجة أن هناك من زعم بأن التوراة والإنجيل أرقى مستوى في الأسلوب وفي المضمون من القرآن الكريم، ولا ننسى أن التوراة والإنجيل كتبهما بشر، نعم قد تكون لها بعض الأصول الإلهية لكنها لا تمثل ما بأيدي المسيحين واليهود الآن، فالتوراة الموجودة الآن لا تمثل النص الذي نزل من عند الله، لأن التوراة كتبت من بعد ذلك بحوالي 400 سنة أو 500 سنة، فحصل فيه تغيير وتعديل، ولذلك كثرت الأناجيل، كما أن التوراة أيضا فيها تعديلات وإضافات غريبة، لكن النص القرآني كان هو النص الوحيد الذي كُتِبَ فور نزوله، ولذلك كان هناك كُتّابٌ للوحي في مكة وفي المدينة بلغ عددهم نحو أربعين كاتباً، وكانت عندما تنزل الآية على الرسول ﷺ فيأمر بكتابتها ويقول: ضعوا هذه الآية بجوار تلك الآية، وكتبوا المصحف......

ما قاله فقهاؤنا من آراء كانت تمثل عصورهم بالدرجة الأولى، وما كان منها لعصرنا على «العين والرأس»، وما لم يكن صالحاً لعصرنا فلسنا ملزمين دينياً بالأخذ به.

❖ عذراً على المقاطعة ولكن لا نريد أن نغوص كثيراً في تاريخ القرآن، وأرجو أن نعود إلى الحديث عن القراءة الغربية للقرآن الكريم.. فأنت تحدثت عن هذه القراءة ودوافعها وأهدافها التي كانت ترمي الوصول إليها، هذه القراءة نتجت عنها كتابات، هذه الكتابات قدمت للقارئ في الغرب الذي أصبح الآن يحمل صورة مشوهة عن الإسلام، زادها تشويهاً ما قامت به فئة من بني جلدتنا ـ للأسف الشديد ـ نتيجة فهمهم الخاطئ للدين، وأنت تعلم بما قاموا به وأقدموا عليه. السؤال: ما هو السبيل إلى تصحيح تلك الصورة الخاطئة عن القرآن وعن النبي محمد ﷺ وعن الإسلام والمسلمين.. للمواطن في الغرب وفي العالم بشكل عام ؟

❖ القضية ليست يسيرة، وتحتاج إلى تعاون من الجهات المسؤولة عن الدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي كله، فمثل هذا العمل يحتاج أولاً إلى طاقات علمية و بشرية، وإلى وسائل نشر وتوزيع منظم، كما أنه يحتاج إلى أن تكون هذه الدراسات دراسات علمية موضوعية لا تعرف السباب ولا الشتم وما إلى ذلك، هذه لغة يجب أن نتجاوزها، وإنما علينا أن نحرص كل الحرص على أن تقدّم كل الحقيقة العلمية بصورة موضوعية، لا نزيد فيها ولا ننقص، وإنما نتوخى بيان الحقيقة فقط، وهذه هي القضية التي نحن الآن بصددها، وكما قال الرسول تكالبت علينا الذئاب من كل جانب، كل الدول في الغرب، بعضها يعلن بصراحة ووضوح ويتخذ مواقف مضادة، وبعضها قد لا يعلن لأن لهم مصالح اقتصادية أو سياسية أو غيرها، ونحن لا نريد أن نتناول هذا في هذه السانحة ، ولكننا نريد أن نقدم إسلامنا بصورة صحيحة.

وأعود فأقول إن هذا الموضوع يحتاج أمرين: الأول توجهٌ وأسلوب علمي وعملي نخاطب به غير







بعض من مؤلفات د. محمد الدسوقي

المسلمين، والأمر الآخر القيام بدراسات وفق أسلوب علمي وعملي نخاطب بها المسلمين أنفسهم. أما غير المسلمين فلا بد أن تكتب دراسات بلغات العالم الكبرى، أو المشهورة، وتوزع على مستوى العالم، وهذه مهمة لا يمكن أن تقوم بها جهة واحدة فقط، ولكن لا بد من تعاون عدة جهات، وأن تكون هناك إسهامات مالية على مستوى العالم الإسلامي من أجل أن يتوفرالتمويل، ثم إعداد الكوادر العلمية في العالم الإسلامي التي هي موجودة وبخير والحمد لله، وبأعداد كثيرة جداً، ولابد أن يكون هناك نوع من أنواع التواصل بين هؤلاء العلماء، من خلال عقد القاءات العلمية. المهم أن تكون هناك إجراءات إدارية أو تنظيمية من أجل أن تلتقي الرغبة بين أبناء العالم الإسلامي، ونحن لدينا رابطة الجامعات

التواصل بين العلماء سبيلنا للمواجهة بسلاح العلم.

الإسلامية التي تضم في عضويتها أكثر من مائة كلية على مستوى العالم الإسلامي، ويمكن لهذه الكليات أن تسهم بأموالها وكوادرها العلمية، وتضع خطة منهجية دقيقة؛ حتى يمكن أن تقدم هذه الدراسات لنخاطب بها الغرب، ثم من بعد ذلك يمكن أن ننتقل إلى مرحلة أخرى. معنى ذلك أنه من الممكن أن تُعقد لقاءات علمية بلغات متعددة مع هؤلاء الناس في بلادهم، ونخاطبهم خطاب المواجهة، ونناقشهم مناقشة موضوعية، حتى يدركوا الحقيقة ويتوقفوا عن الهجوم علينا وعن نشر الأباطيل والافتراءات حول الإسلام والمسلمين، فهذه هي المشكلة الخطيرة الأولى، خصوصاً أن هناك الآن استشراقاً يهودياً، والاستشراق اليهودي أمعن في الضلال والفساد والتشويه من الإستشراق الغربي، حتى إن هناك يهودا في الغرب وهؤلاء يناصرون الدولة العبرية في فلسطين، وبالتالي فهم يكتبون من هذا المنطلق. فنحن في حاجة إلى أن نواجه كل هؤلاء بسلاح العلم، من أجل أن نبين الصورة النقية الصحيحة للإسلام لغير المسلمين.

المشكلة الأخرى تتجسّد في المجتمعات الإسلامية، نتيجة لعدة عوامل من ضمنها تسرب الأفكار الاستشرافية إلى الجامعات، وكمثال أشير إلى أنني كتبتُ دراسة عن كتاب صدر في تونس عن مركز البحوث الجامعية عنوانه (القرآن والتشريع)، ومؤلفه هو الدكتور الصادق بلعيد وكل ما في الكتاب كلام غريب وعجيب، استقاه كله من الفكر الاستشراقي.

إذاً نحن في حاجة إلى أن نصحح المفاهيمَ المغلوطة التي يتبناها ويكتب بها عدد من المسلمين، كما أننا في حاجة إلى إدراك الأمية الثقافية الدينية بين عدد من المثقفين، فالعاطفة الدينية وحدها لا تكفي، وهذه مشكلة ليست سهلة ولا تنتهي أو تعالج بين يوم وليلة، بل إنها تحتاج إلى صبر وجهد وعمل متواصل.

مفهوم الخطاب الديني ومنهج تجديده

❖ ما تفضلت به يقودنا إلى سؤال آخر يتعلق بالخطاب الإسلامي المعاصر.. فما هي ملامحه ؟ وإلى أين يتجه؟

❖ هذه مسألة مهمة، وقد تناولتها في دراسة مطولة بعنوان (مفهوم الخطاب الديني ومنهج تجديده في التصور الإسلامي). فالخطاب الديني نوعان: خطاب إلهي، وخطاب بشري. الخطاب الإلهي ما جاءنا عن طريق الوحي هذا الخطاب له خصائص ويتميز بصفات معينة، ولابد للخطاب البشري أن يتوخى أو يلتزم بالخطوات التي بيّنها الخطاب الإلهي في القرآن الكريم، بمعنى أننا لا بد أن نعيش واقعنا الذي نحياه، لأن القرآن يعالج الواقع البشري

في كل زمان ومكان، وليس الواقع البشري في عصر دون عصر، أي أن القرآن صالح للتطبيق الدائم في كل زمان ومكان، وإذًا فلا بد لمن يريد أن يتصدى لهذا الجانب أن يكون فاقهاً للواقع الذي يعيشه، وطبيعة المشكلات الموجودة، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وما قاله فقهاؤنا من آراء كانت تمثل عصورهم بالدرجة الأولى، وما يصلح منها لعصرنا على «العين والرأس»، وما لم يكن صالحاً لعصرنا فلسنا ملزمين دينياً بالأخذ به. وهناك الآن عقليات تؤمن بأن كلام الفقهاء نص مقدس لا يجوز الخروج عليه، وهذا خطأ، فالفقهاء أدوا رسالتهم لعصرهم، وعلينا نحن أن يكون لنا دور وليس مجرد أن نقول قال فلان وقال فلان... الخ، وأنت ماذا فعلت؟ وماذا قدّمت ؟.

نعم لا بأس من أن نستأنس بآراء أولئك الأعلام، ونسترشد باجتهادهم، ولكن علينا بعد ذلك ومع ذلك أن ننظر إلى واقعنا، وكيف نعالج مشاكلنا على ضوء هذا الواقع ومعطياته، ولذلك فإن فقه الواقع ضرورة، وكذلك فقه الأولويات، فالواقع فيه مشاكل متعددة لن تستطيع معالجتها دفعة واحدة، ولذلك فلابد من أولويات، ونحن نعلم أن الخطاب الإلهي بدأ بذلك أيضًا، بقي 13 سنة يدعو إلى الوحدانية، لم تُفرض إلا الصلاة فقط في مكة، ثم عندما استقر الوجدان والعقل الإسلامي بدأت تنزل الأحكام الشرعية. ولذلك لا بد للخطاب الديني أن يكون فاقهاً أولاً للخطاب الإلهي.

وهناك نقطة أخرى في هذا الصدد لا بد من الإشارة إليها، وهي أن الخطاب الديني ينبغي أن لا يقتصر على المساجد فقط، ذلك أن مفهوم الخطاب الديني في الإسلام أوسع من أن يكون خطابا للحديث عن القرآن فقط، فالذي يؤلف كتابا في الفلك، أو في الطب، أو في العلوم ...... هذا كله خطاب ديني من منطلقات إسلامية، أي أن الخطاب الديني ليس

الدكتور محمد الدسوقي



- تخرج في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة.
- تحصل على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية من نفس الكلية، وكان موضوع رسالته (التأمين وموقف الشريعة الإسلامية منه).
- تحصل على درجة الدكتوراه في ذات التخصص ومن نفس الكلية وكان موضوع رسالته (الإمام محمد بن الحسن الشيباني وأثره في الفقه الإسلامي).
- عمل محرراً علمياً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- عمل بالتدريس الجامعي في : جامعة الفاتح بطرابلس - ليبيا / جامعة عين شمس - مصر / جامعة قطر.
- المؤلفات والدراسات والأبحاث :

تبلغ مؤلفاته المطبوعة (25) خمسة وعشرين كتاباً.

البحوث العلمية المحكمة نحو (25) خمسة وعشرين بحثاً.

نشر عشرات المقالات والدراسات في الصحف والدوريات المتخصصة.

مقصوراً على ما نسميه بالعلوم الشرعية في هذا العصر.

❖ و كيف يمكن أن تكون عقليات لها ملكة الفهم لهذا الخطاب؟

❖ هذا أهم شيء.. إعداد جيل واع يمتلك القدرة على التعبير والكتابة، وله ثقافة ومعرفة بالواقع، حتى يستطيع أن يقدّم فكراً يقبله الآخرون، وبالتالي يؤدي رسالته.

❖ كيف يمكن أن نُفَعّل هذا ؟

❖ هذه قضية يا أخي ليست يسيرة للأسف الشديد، وعلى سبيل المثال فإن كليات الشريعة أو كليات الدعوة لدينا في العالم الإسلامي، لا تربي خريجيها على أن يكونوا على مستوى الدعوة الإسلامية الصحيحة التي تلتزم بالمفاهيم الإسلامية المعتدلة، لتستطيع أن تعبر عنها بأسلوب سليم !! قد تجد بعض النماذج المتميزة في هذه الكليات، ولكن النسبة العامة ليست في المستوى المطلوب. فالقضية خطيرة حقيقة ولا أخفي عليك يا أخي...!!

❖ هناك قنوات التواصل والاتصال التي وفرتها وسائل الاتصال الحديثة من وسائل الإعلام على تنوعها وتعددها والشبكة العنكبوتية (الإنترنت).. كيف يمكننا أن نوظفها لخدمة خطابنا الإسلامي، ولخدمة ديننا الإسلامي، للدعوة إلى دين الله، لتوضيح صورة الإسلام ؟؟

❖ هذه وسائل علمية يجب أن ننتفع بها، لأننا لا بد أن نعيش العصر بكل وسائله الإعلامية، لكن المشكلة ليست في وسيلة التبليغ، ولكن المشكلة في من يقدم هذا البلاغ، مثلاً الإنترنت موجود ومن الممكن لأي شخص لديه جهاز كمبيوتر أن يتصل ويتكلم، لكن السؤال: من هو الشخص الذي سيكتب أو يتكلم أو ينقل فكرة إلى غيره ؟ أعني أن هذه هي المهمة، فأنا أريد مفكرين أو علماء أو باحثين لهم القدرة العلمية على نقل الأفكار أو نشر المفاهيم الإسلامية إلى غيرهم عبر كل هذه الوسائل، سواء الإنترنت أو التلفزيون أو الإذاعة أو الصحافة أو الخطابة أو الندوات، نريد بناء عقلية علمية مستنيرة، ليست عقلية علمية مقلدة تحفظ كلاماً وترده دون أن يكون لها إسهامٌ جديد، أي أن الإنسان المسلم لا بد أن تكون له بصمة في ما يقول، ولا يقول قال فلان، قال فلان، قال فلان فقط، نحن نستعين و نستفيد بما قاله الآخرون، لكن ماذا أضفت أنا إلى ما قاله الآخرون ؟ وإذا كان كل همي أن أكرر ما قالوه فإنني لم أفعل شيئاً. ولذلك فلابد من وضع خطة علمية لكي يكون لهذه الوسائل دورها في التبليغ وفي نشر الفكر الإسلامي، وطبعاً هذه مسألة تحتاج إلى تنظيم، وآليات للتطبيق.

نعم لا بأس من أن نستأنس بآراء أولئك الأعلام، ونسترشد باجتهادهم، ولكن علينا بعد ذلك ومع ذلك أن ننظر إلى واقعنا، وكيف نعالج مشاكلنا على ضوء هذا الواقع ومعطياته.

وإذا كان العالم الغربي الآن ينفق أموالاً على قنوات فضائية خاصة ؛ فنحن في حاجة إلى هذا النوع من القنوات الآن، لكن لا بد أن تكون قنوات موضوعية تقدم حقيقة علمية، ونخاطب الناس ليدركوا ما يراد إيصاله، وبالتالي نصل إلى الغاية التي نحرص عليها وهي أن ندفع عن ديننا أولاً ما يقال، وأن نمكن لهذا الدين في عقول الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وهذه مسألة تحتاج لبلوغها إلى تعاون بين الهيئات الإسلامية المعنية بالنشاط الدعوي أو المعنية بالفكر الإسلامي بوجه عام، ودون هذا التعاون سوف نجد أن كل شخص منا يشتغل في دائرة محدودة، وربما لن تؤتي هذه الجهود ثمارها من دون أن يكون هناك تكامل وتنسيق وتوجه موحد ، خاصة وأن لدينا علماء، والإمكانيات المادية

على مستوى العالم الإسلامي ممتازة، فقط بحسن التنظيم وبالتخطيط العلمي نستطيع أن نؤدي رسالتنا خير أداء، وإلا فمستقبل الأجيال القادمة لا ندري كيف تكون، هناك خطورة كبيرة على الأجيال القادمة.

❖ **الكتّاب والمثقفون والمفكرون المسلمون الذين انتقلوا من بلدانهم الأصلية إلى الغرب منذ عشرات السنوات وبقوا هناك ودخلوا في النسيج الاجتماعي وبدأوا يتعاملون بشكل يومي مع تلك المجتمعات وهم يتقنون لغات تلك الأمم والشعوب ويعرفون عاداتها وتقاليدها ؛ ما هو الدور الملقى على تلك الشريحة خاصة حول توضيح صورة الإسلام والمسلمين؟؟**

❖ هناك جانبان، الجانب الأول يتعلق بالسلوك، أي أن هذه الأقليات أو هذه الجماعات الموجودة في بلاد الغرب إذا كان سلوكهم الإسلامي التزاماً كاملاً فإنهم يؤثرون بسلوكهم أكثر مما يؤثرون بأقوالهم «القدوة والأسوة الحسنة». الجانب الآخر أنه ما لم يكن لدى هؤلاء الوعي المستنير فإنهم لن يستطيعوا أن يقدّموا شيئاً، قد تكون لديهم عاطفة تجعلهم يتعصبون لدينهم، وأي شخص يذكر الدين أمامهم بسوء يهاجمونه؛ لكن أنا أريد الذي إذا ذُكر دينه أمامه بسوء كون لديه قدر من المعرفة يستطيع به أن يبين لمحدثه أنه أخطأ، ويخاطبه بأسلوب مقنع فهذا يكفي، أن يؤمن أو لا يؤمن فهذا موضوع آخر، لكن يجب أن يكون الحرص على تبيان الخطأ له.

❖ **لو تحدثنا تحديداً عن واجب الشريحة المثقفة الواعية.**

❖ هناك اتجاه لإنشاء وتكوين مجالس لفقهاء المسلمين أو لعلماء المسلمين في الغرب وفي أمريكا، هذه المجالس من الممكن أن تقوم بدور مهم، على أن يسود بينهم التناصر والتعاون، وألا يكون للتعصب المذهبي وجود بينهم، لأن الإسلام ليس مذاهب، الإسلام عقيدة واحدة، والمذاهب مظهر من مظاهر حرية الاجتهاد في الفروع، على أن لا ينقلب ذلك إلى عداوة وبغضاء وتنافر.

وعلى كل حال فالوجود الإسلامي في الغرب ـ على الرغم من السلبيات التي تقابله ـ يبشر بالخير، فالإسلام يزداد انتشاراً يوماً بعد يوم في الغرب.

نحن في حاجة إلى أن يكون الخطاب الديني خطاباً يعتمد على الاعتدال، ويعتمد على مراعاة الواقع، وأن يخاطب الناس على قدر عقولهم، وأن يراعي التدرج في بعض الأحيان، فالتدرج كان سمة من سمات الخطاب الإلهي في قضايا كثيرة.

❖ **من خلال خبرتك في التدريس الجامعي والعالي على مدى ثلاثين سنة هل لك أن توجز لنا نظرتك للدراسات والأطروحات الأكاديمية في مجال الدراسات الإسلامية ؟.**

❖ أنت تعلم أن هذا الموضوع مهم وخطير، ولكن أولاً يؤسفني أن أقول لك إن معظم هذه الدراسات تعتمد على النقل الحرفي، ولا تقدم الجديد المفيد الذي يمكن أن يساهم في تحسين الواقع الذي نعيشه، ومعظم هذه الدراسات ترجع إلى أشياء تاريخية أكثر منها إلى أشياء معاصرة، فأنا أرى ضرورة أن يختار الباحث موضوعا يعالج مشكلة يعيشها الناس، وإذا وصل إلى حكم شرعي فيها كيف يصبح هذا الحكم مطبقاً ؟ وكيف يمكن أن يقرأ الحاضر برؤية مستقبلية، لكن من واقع الرسائل التي ناقشتها وجدت فيها ـ للأسف الشديد ـ سرداً ونقلاً أكثر منها فكراً جديداً يقدم تصوراً لما يجب أن يكون ويدعوا إلى تطبيقه والالتزام به.

❖ ألا توجد استثناءات؟

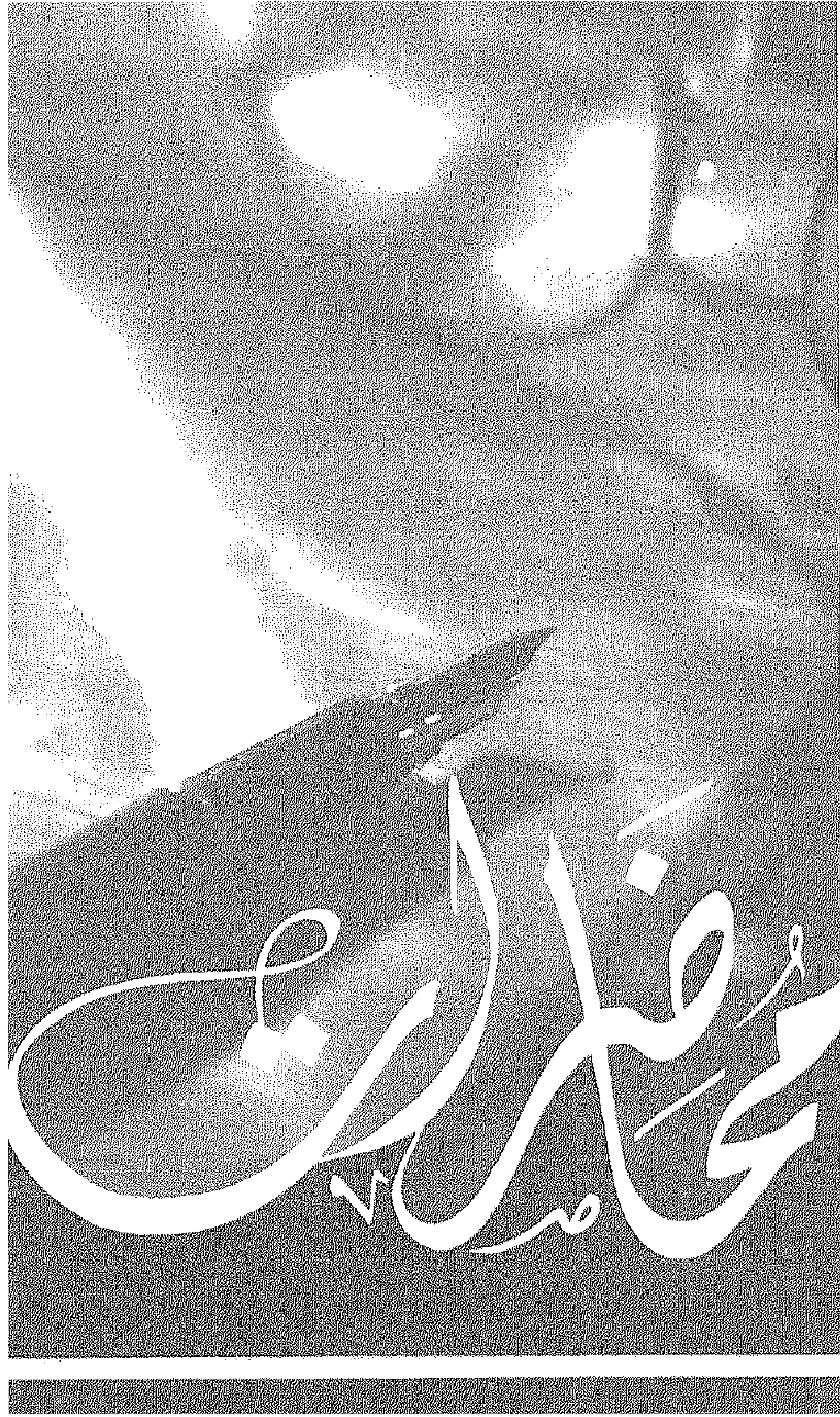
نعم هناك استثناءات، لكنها ليست في مستوى الطموح والأمل الذي نريده، مثلاً عندي مائة طالب في الدراسات العليا لوأن هناك عشرين منهم فقط على مستوى علمي مفيد يعالج الواقع ويقدّم لي خلاصة دراسات علمية فسيصبح هذا شيئا ممتازاً جداً، عندما أخرج كل سنة عشرين باحثا أو كل سنتين أو ثلاثة فمعنى هذا أنني خلال عشر سنوات سيصبح لدي عدد كبيرجداً من الذين لديهم وعي واستنارة، ويقدمون لنا فكراً حياً جديداً متطوراً.

والمسائل تختلف باختلاف الظروف والزمان والذين يكتبون، بدليل أن كثيرا من هذه الرسائل لا تطبع، فضلاً عن أن هناك جريمة أخرى خطيرة جداً وهي سرقة الرسائل. والآن تلاحظ أن هناك تكالبا على الدراسات العليا.. لماذا؟ إما أن يكون نوعاً من الوجاهة الاجتماعية، أو هو نوع من تحسين المستوى المعيشي، ليست الغاية منه أنه يريد أن يدرس قضية تشغل المجتمع ويريد أن يقدم فيها رؤية جديدة، إنما الغاية أن يحصل على شهادة، فالحصول على الشهادة هو الهدف الأول وليس الدراسة العلمية لذاتها، ولذلك هناك مثل يقول «من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم)، ولكن:

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾ [سورة الأنبياء: الآية 37]

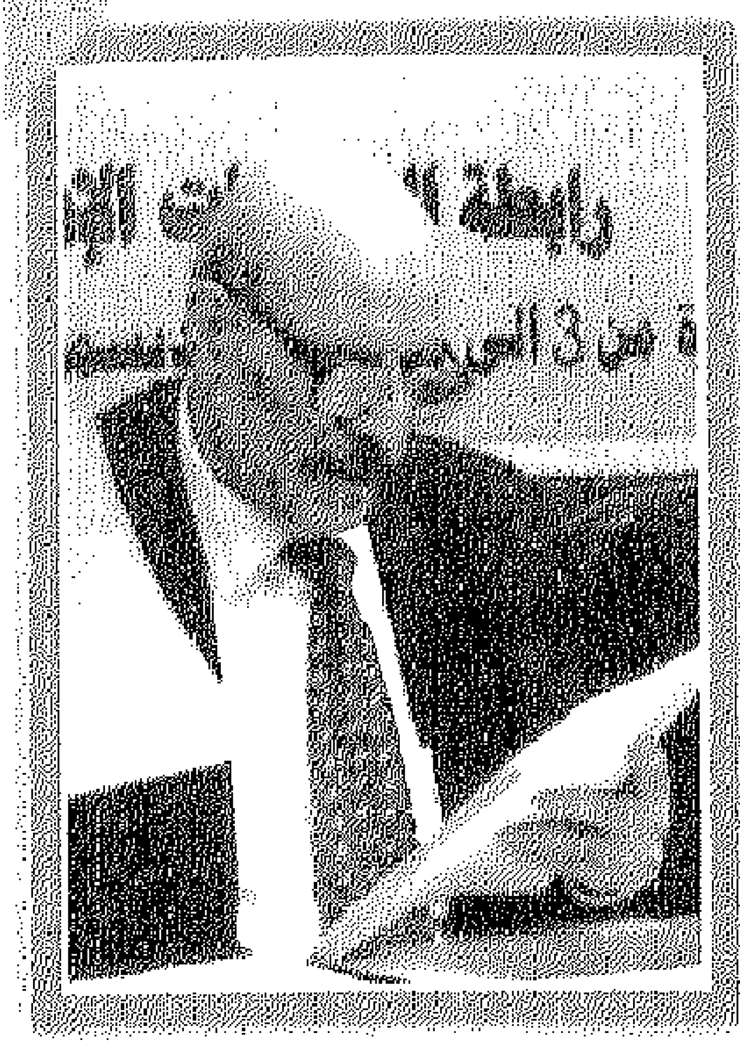
فهو يريد فقط أن يكتب رسالة بسرعة من أجل الترقية الوظيفية، لكنه عندما يصل درجة أستاذ يقل إنتاجه أو يتوقف، مع أنه مُطالب حينئذ بإنتاج أكثر وأعمق، لأن درجته العلمية تمكنه من االعطاء والمساهمة في إثراء المكتبة بما يقدمه من إنتاج علمي، وإنتاجه يرتبط بمسؤولياته العلمية التي ستكون أكثر خطورة لأنه سيساهم في تشكيل الرؤى لدى الأجيال القادمة.





حول ترجمة معاني القرآن الكريم



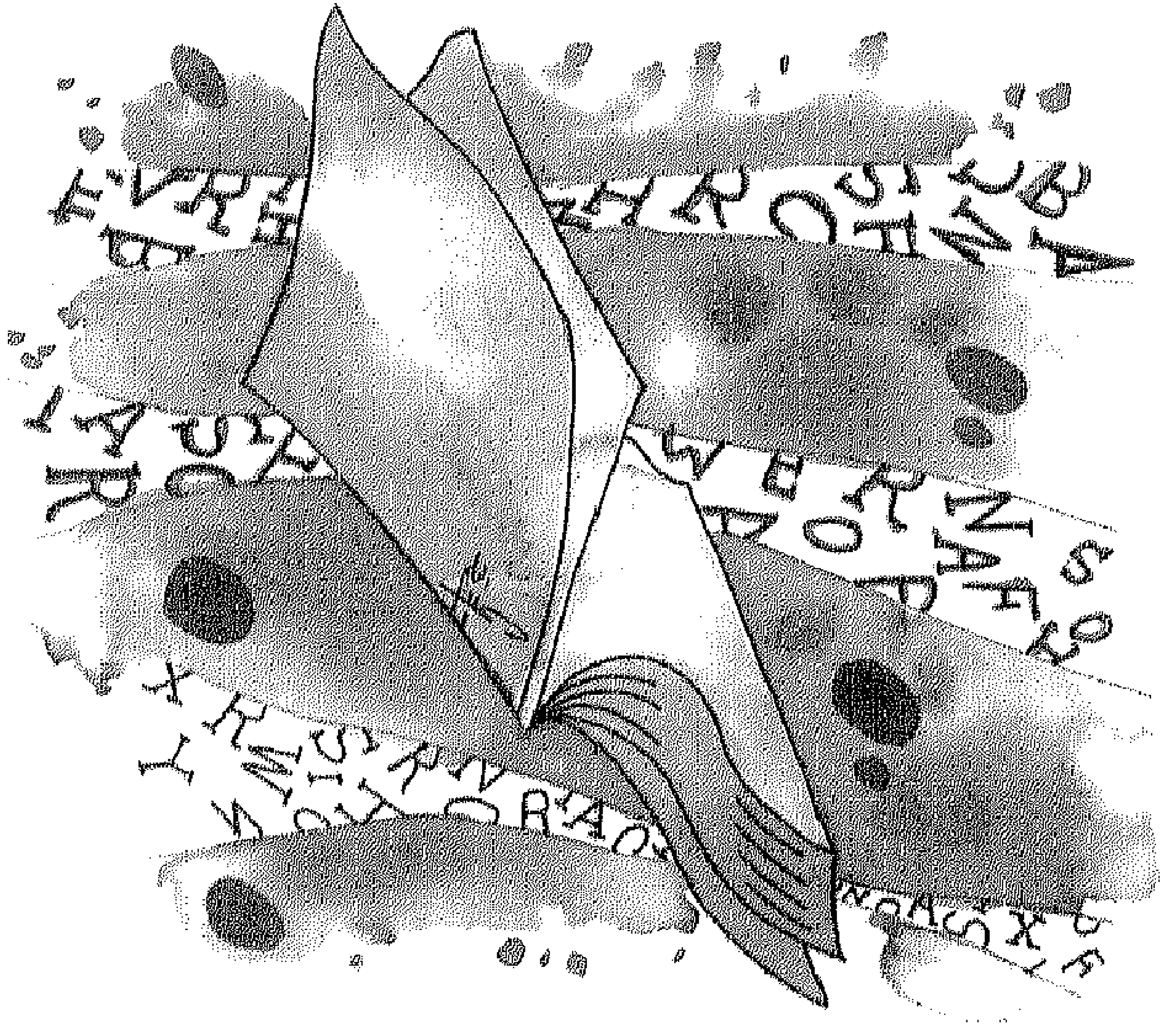


حول ترجمة معاني القرآن الكريم *

الدكتور أحمد عبد الحليم **

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ..

أشكر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وكلية الدعوة الإسلامية على إتاحة هذه الفرصة لأن ألتقي بكم جمعاً كريماً من الطلاب المسلمين الذين جاءوا من مختلف البلاد الإسلامية، وهذا في الواقع منظر مفرح لي. أنا أدرّس في بلد غير إسلامي، في بريطانيا، والكثير من طلابي غير المسلمين من الأوروبيين، ولكن أن أجد هذا الحشد العظيم من الطلاب المسلمين الذين جاءوا من مختلف البلاد الإسلامية وغير الإسلامية ؛ فهذا شيء مفرح تماماً، وهو من مكارم هذا البلد الطيب وقيادته الرشيدة. فأهلاً بكم، وإن شاء الله سأتحدث إليكم عن الترجمة الجديدة التي أنجزتها (ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية) والتي نشرتها مطبعة جامعة أكسفورد في شهرمايو من هذا العام 2004 مسيحي.



* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس، بتاريخ : 28 الحرث 1372 من وفاة الرسول ﷺ (28 / 11 / 2004 مسيحي).

** مدير مركز الدراسات الإسلامية / جامعة لندن.

ترجمات معاني القرآن.. إطلالة تاريخية

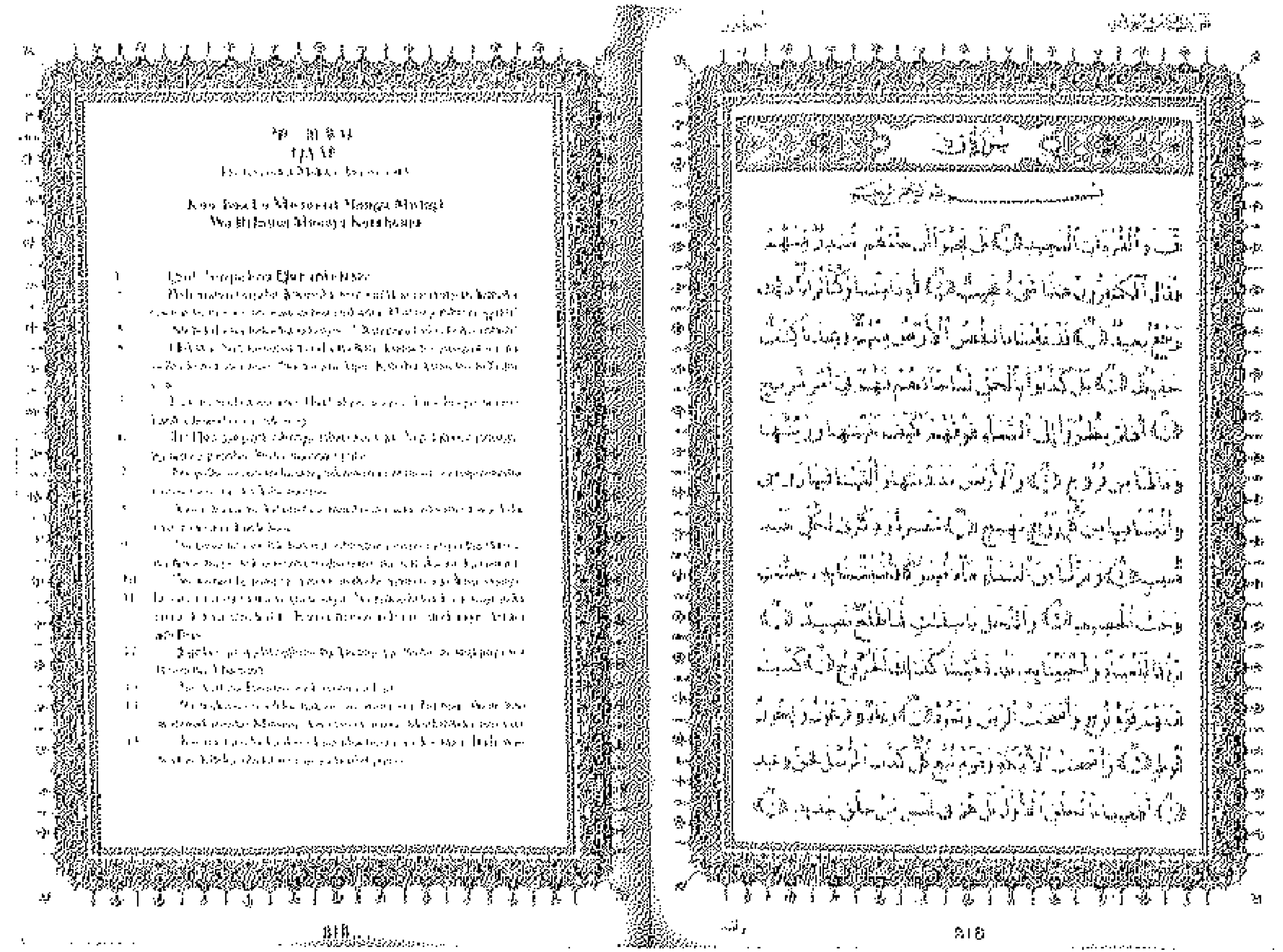
وقبل أن أعرض عليكم ترجمتي يجب أن أعرض عليكم بعضاً من تاريخ ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، فقد كانت أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية قام بها مدرّس في مدرسة ثانوية في مدينة ساوثهامبتون في إنجلترا سنة 1649 مسيحي. وهو (ألكسندر روست) وكان مدرساً للغة الإنجليزية لا يعرف العربية وليست له صلة بالقرآن، وإنما نقل ترجمته عن ترجمة فرنسية أنجزها القنصل الفرنسي في مدينة الإسكندرية بمصر قبل ذلك بسنتين. في ذلك الوقت كانت الخلافة الإسلامية في تركيا ذات سلطان وهيبة، وكانت تخيف الأوروبيين، لأن الجيوش العثمانية كانت تتقدم في أوروبا حتى وصلت إلى أبواب فيينا كما تعلمون، وترى هذا في العداء الواضح عند هذا المترجم نحو القرآن والإسلام، وقد جاءت ترجمته تحت عنوان (القرآن كتاب محمد نبي الأتراك) وقد قدم بمقدمة غريبة جداً نستغرب لها الآن ونبتسم حينما نقرأها، ومعروف طبعاً أن هذا شيء متوقع في ذلك الزمن، وفي ظل تلك العداوة بين الشرق والغرب، أو بين الإسلام والمسيحية، حيث كانت عداوة كبيرة ولا تقوم على أساس سليم من الفهم والدراسة، وطبعاً كانت الترجمة ضعيفة ومليئة بالأخطاء، لكنها ظلت لمدة مئة سنة هي الترجمة الوحيدة الموجودة في اللغة الإنجليزية.

أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية قام بها مدرّس في مدرسة ثانوية في مدينة ساوثهامبتون في إنجلترا سنة 1649 مسيحي.

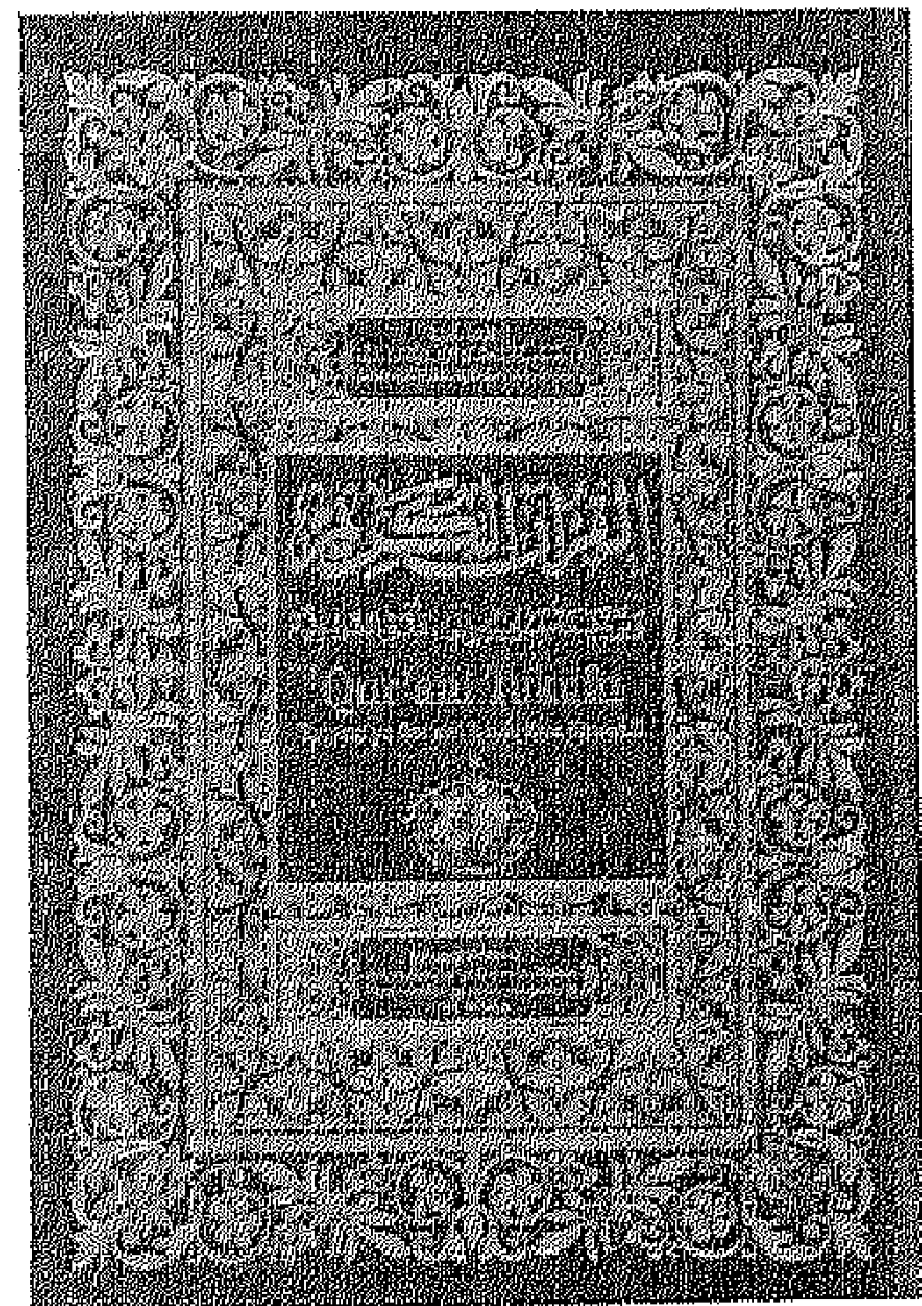
في ذلك الوقت، في أثناء هذا العام، حدث تطور كبير في الحياة الدراسية في بريطانيا، فقد أنشأوا كرسي اللغة العربية في جامعة كمبريدج، وأيضاً في جامعة أكسفورد، وبدأ كثير من العلماء يتكلمون عن التاريخ والتراث الإسلامي بالذات، وبدأوا يتعلمون اللغة العربية على أساس علمي.

بعد هذه الترجمة جاءت ترجمة أخرى هي ترجمة (فييل) سنة 1734 مسيحي، وتمتاز هذه الترجمة بأنها أول كتاب عن القرآن نجد فيه نقولاً من الكتب أو التفاسير الإسلامية، فتجد فيه - في الحواشي - كلاماً منقولاً من تفسير البيضاوي وتفسير الجلالين، فلأول مرة يرى الناس كتباً إسلامية، أو يرون المسلمين يتحدثون بأنفسهم عن القرآن. وقبل ذلك كان كل واحد يزعم ما يشاء من الإنجليز، وهذه الترجمة كانت في الواقع ترجمة متقدمة جداً على ما قبلها، لأنها احتوت تفاسير أو حواشي تفسيرية كثيرة من الكتب الإسلامية، وأيضاً فإن المترجم التزم بأن يُدخل في خلال الترجمة - بين قوسين - بعض التفاسير. وأنتم تعرفون أن أسلوب القرآن أسلوب موجز، وفيه إيجاز معجز، يترتب عليه أحياناً حذف كلمة أو كلمات أو حذف جملة كاملة، لأن في فقه اللغة العربية أن حذف ما يُعلم جائز كما يقول ابن مالك، فإذا كان الشيء معروفا فلا فائدة من إطالة الحديث عنه، وطبعاً فإن القرآن نزل بلغة عربية، وهو من أرقى أساليب هذه اللغة، وكان العرب يفهمون هذا ويعتبرون أن الكلام المطلق هو الذي يذكر كل شيء، أي أن العربي في عصر التنزيل كان يعتبر هذا امتحاناً لعقله، وإنما هو فهيم يفهم كل شيء بسرعة، فيترتب على هذا أن الترجمة حين تنقل الكلام العربي كما هو إلى الإنجليزية يصبح في كثير من جوانبه غير مفهوم، لأن اللغة الإنجليزية تستدعي الإطالة وذكر المفعول به مثلا، وفي اللغة العربية حذف المفعول به كثير جداً، وحتى في القرآن كثير جدا، مثلاً ﴿وهم لا يعلمون﴾لا يعلمون ماذا ؟، أو ﴿لا يفقهون﴾ لا يفقهون ماذا؟ أو ﴿أفلا تتفكرون...﴾ المهم أن هذا الرجل اتخذ هذا الأسلوب في وضع الكلمات أو العبارات التي تكمل الجملة (بين قوسين) في كتابه. فكان التقدم كبيراً جداً.

بعد ذلك بقرن كامل، ظهرت ترجمة لقسيس إنجليزي اسمه (رود ويل)، وتعلمون طبعاً أن اهتمام رجال الدين المسيحيين بالإسلام والقرآن كان أكثر من اهتمام غيرهم، لأن هدفهم من الدراسة هو مهاجمة الإسلام، أو الزعم بأنه مأخوذ من المسيحية، أو مأخوذ من اليهودية، أو أن الكلام غير سليم... وهكذا، فهذا الرجل (رود ويل) لأنه كان قسيساً وأبوه قسيس وابنه قسيس، فإنه كان عندما يرى أي شي يدّعي ويقول إن هذا مأخوذ من الإنجيل، أو مأخوذ من التوراة، أو هذا كلام مضطرب متناقض، دون أن يفهم. وكانت الصورة في ذلك الوقت هي التركيز على أن الإسلام ليس فيه جديد، وإنما هو مأخوذ من المسيحية أو من اليهودية، وأن القرآن كلام لا يمكن أن يصدق أحد أنه وحي من الله، لأنه ـ في زعمهم ـ كلام مضطرب، وثبت هذا الاضطراب في رأيهم أنهم لا يفهمون، لأنهم لم يدرسوا الأسلوب القرآني، الأسلوب العربي القوي، وخاصة أسلوب القرآن. وأنا في الواقع أظن أنه حتى من بين المسلمين ممن لم يتعمق في أسلوب القرآن ويتمرس به طويلاً يخطئ كثيراً في الفهم، فكانت الصورة هي الصورة التي تركزت لوقت طويل أن القرآن وأن الإسلام ليس فيه جديد وإنما مأخوذ من المسيحية واليهودية، وأنه كلام ضعيف ولا يمكن أن يزعم أحد أنه وحي، بعد ذلك بحوالي عشر سنوات ظهرت ترجمة جديدة لرجل كان يسافر إلى البلاد العربية ويقيم بين بدو سيناء وفلسطين، هذا الرجل اسمه (بامر) كان أول مترجم يقول : إن زعمكم بأن القرآن مأخوذ مما قبله زعم فاسد، لأن الإنجيل نفسه مأخوذ مما قبله، والتوراة مأخوذة من الثقافة السابقة عليها. بدأت تظهر نغمة جديدة لا تتماشى مع رجال الدين المسيحيين واليهود وهذه ميزة هذه الترجمة. وبالمناسبة فإن ذلك الرجل المسيحي، وهو القسيس، بالرغم من أنه كان شديد النقد للإسلام والقرآن كان





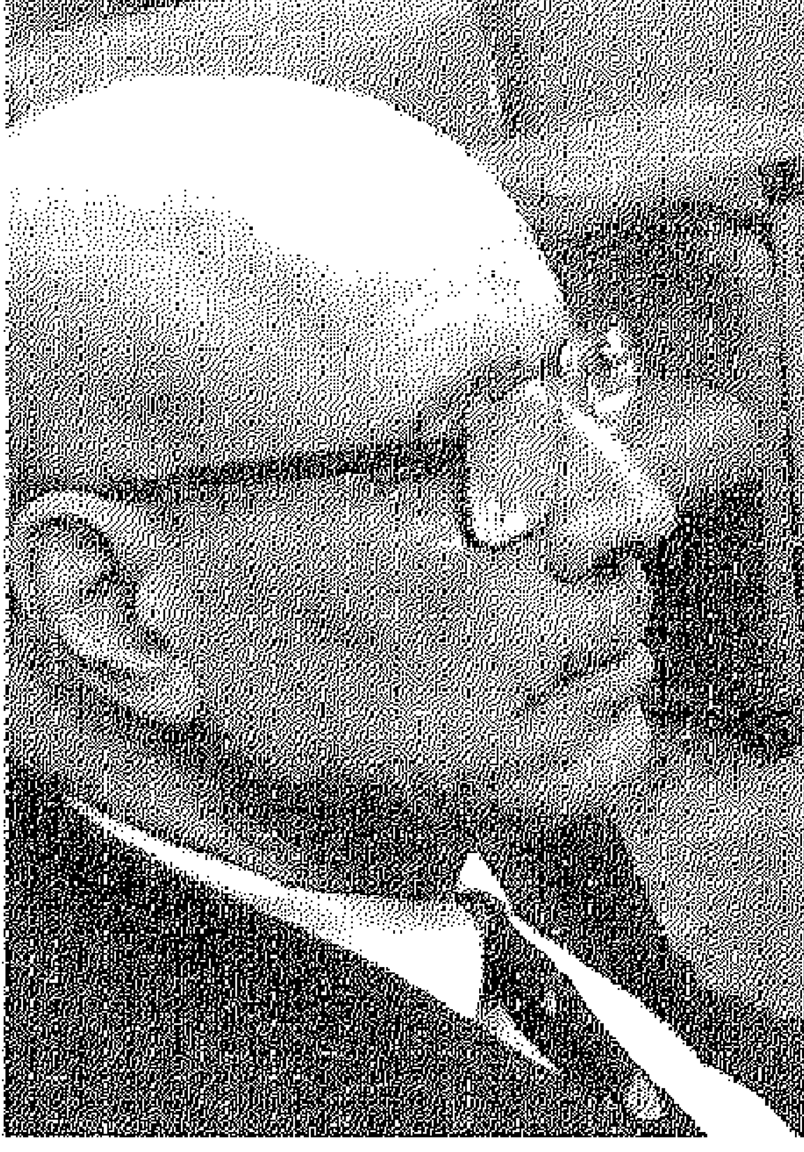


ترجمات نشرتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

لديه حس أدبي قوي جداً وقدرة على استيعاب اللغة؛ كانت ترجمة متقدمة من ناحية الأسلوب على أي ترجمة أخرى، واستطاع بحسه اللغوي والأدبي أن يوجد في اللغة الإنجليزية وسائل لعرض بعض الأساليب الموجزة في العربية استفاد منها كل من جاء بعده.

في أثناء القرن العشرين عُرفت ظاهرة جديدة وهي دخول المسلمين إلى مجال ترجمة القرآن إلى الإنجليزية، فقبل القرن العشرين كانت هناك بعض الترجمات القصيرة، لكن في أثناء القرن العشرين وجدنا من الإنجليز رجلاً أسلم اسمه محمد وهو اسكتلندي أصبح اسمه محمد وجاء إلى مصر، وأقام في الهند في ذلك الوقت، وقدم ترجمة باسمه وهذا الرجل كان هو أيضاً ابن قسيس، نشأ في الكنيسة ولكنه تحول إلى الإسلام فكتب ترجمة سنة 1930 مسيحي، ولأول مرة يعرض في أولها تاريخاً عن الإسلام وعن الرسول عليه الصلاة والسلام، من زاوية إسلامية من رجل يؤمن بالدين الإسلامي، وكان هذا شيئاً جديداً تماماً. شخص إنجليزي يقدم صورة جديدة، وهو يؤمن تماماً بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام، وبأن ما جاء إليه وحي من الله، وترجمته تمتاز بشيء آخر وهو أنه عرضها على الأزهريين. فجاء واتصل بالشيخ المراغي الذي كان شيخ الأزهر فالشيخ المراغي وفر له عالما اسمه الدكتور الغمراوي، وهو طبيب مصري يعرف اللغة العربية جيداً ويعرف الإنجليزية جيداً، وأرشده، فكانت هذه أول ترجمة تستطيع أن تقول إنها أول ترجمة يوافق عليها شيخ الأزهر. وفي مقابل هذا أو في موازاة لهذا جاءت ترجمات من المسلمين في الهند. والعرب في أوائل القرن العشرين لم يكونوا يهتمون بمعرفة اللغات الأجنبية. محمد علي لما جاء لمصر وأراد أن يقيم مدارس جديدة ترك الأزهر في جانب وأقام مدارس للطب والهندسة والعلوم وما إليها، فكان خريجو المدارس يعرفون اللغات الأجنبية ولكنهم يقولون أن

الدكتور أحمد عبد الحليم



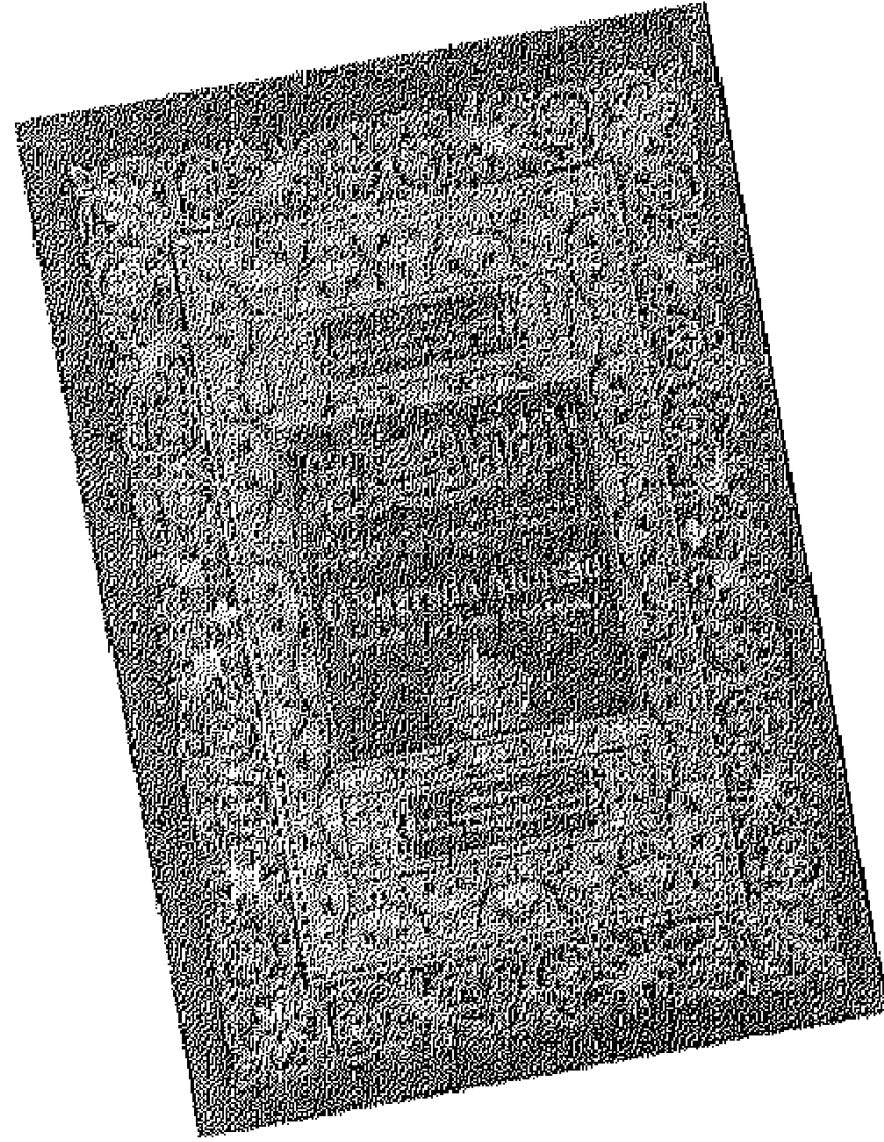
- حفظ القرآن ودرّس في المعهد الديني الأزهري، وفي كلية دار العلوم بجامعة القاهرة التي حصل فيها على الليسانس في العلوم العربية والإسلامية، ثم الدكتوراه من جامعة كمبردج في بريطانيا.
- درس في كلية الدراسات الشرعية بكمبردج، ثم انتقل إلى كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن حيث يعمل بها منذ سنين كثيرة.
- هو الآن أستاذ الدراسات الإسلامية بالجامعة.
- رئيس تحرير الدراسات القرآنية.
- كتب أخيراً ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية نشرتها مطبعة جامعة اوكسفورد سنة 2004 مسيحي.
- له عدة دراسات عن القرآن الكريم، وأعدّ مع الدكتور السعيد بدوي معجماً كبيراً عن ألفاظ القرآن الكريم ستنشره مطبعة سبعة إبريل سنة 2006 مسيحي إن شاء الله.

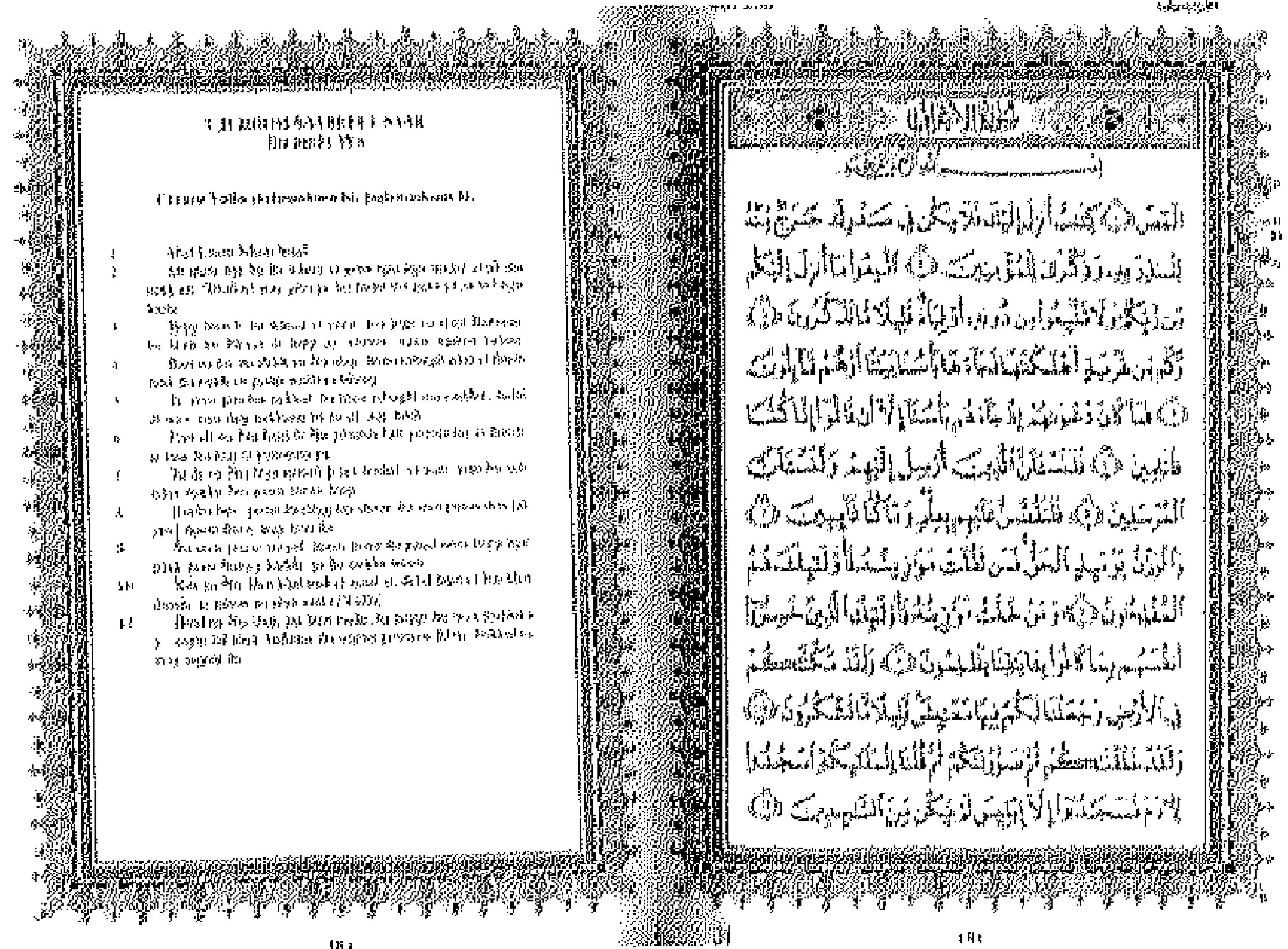
القرآن وكل علوم الدين هذا متروك للعلماء، والعلماء لا يعرفون اللغات الأجنبية، فظل العرب وقتئذٍ لا يسهمون في الترجمة، والذي قام بهذا الدور هم المسلمون من الهند وهذا يذكر لهم بكل التقدير والعرفان.

الدكتور «عبد الله يوسف علي» قدم ترجمته سنة 1934 مسيحي. وهو رجل مجتهد اجتهاداً كبيراً جداً، قرأ قراءات واسعة في الكتب العربية، وكان يعرف المسيحية واليهودية معرفة جيدة، ويقارن ويبين عظمة الإسلام وعظمة القرآن وما إلى ذلك. فهذه ترجمته ظلت حتى الآن تطبع وتوزع بين المسلمين على نطاق واسع جدا، فهي ترجمة واسعة الانتشار.

وأحب أن أشير إلى أن المسلم الاسكتلندي (محمد) قام بعمل في الواقع جعل ترجمته غير سليمة من الناحية اللغوية الأسلوبية في الإنجليزية، لأنه يلتزم بنسق الجملة العربية، يبدأ بالفعل ثم الفاعل ثم المفعول به وما إلى ذلك، اللغة الإنجليزية لها نسق آخر، ولأنه مسلم ويخاف أن يغير في الصياغة ويظن أنه لو غير في ترتيب الكلمات فهذا تغيير في معاني القرآن، لأنه كان هناك شيوخ من الأزهر يراقبونه ويتابعون عمله مثل الشيخ الغمراوي وغيره. فترجمته - في الواقع غريبة عن الأسلوب الإنجليزي.

أما يوسف علي فكان قد عمل ترجمته عام 1934 مسيحي، وكان ينسج على منوال اللغة الإنجليزية سابقاً لعصره بحوالي 50 سنة، فترجمة هذين الرجلين الآن غريبة على الجيل الصاعد من شباب المثقفين في إنجلترا وغيرها، لأنهم كانوا يقرؤونها ولا تعجبهم أو لا تجتذبهم فيتوقفون عن القراءة بعد قليل.





نماذج من ترجمات لمعاني القرآن الكريم
نشرتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

القرآن شرّف اللغة العربية وخلّدها

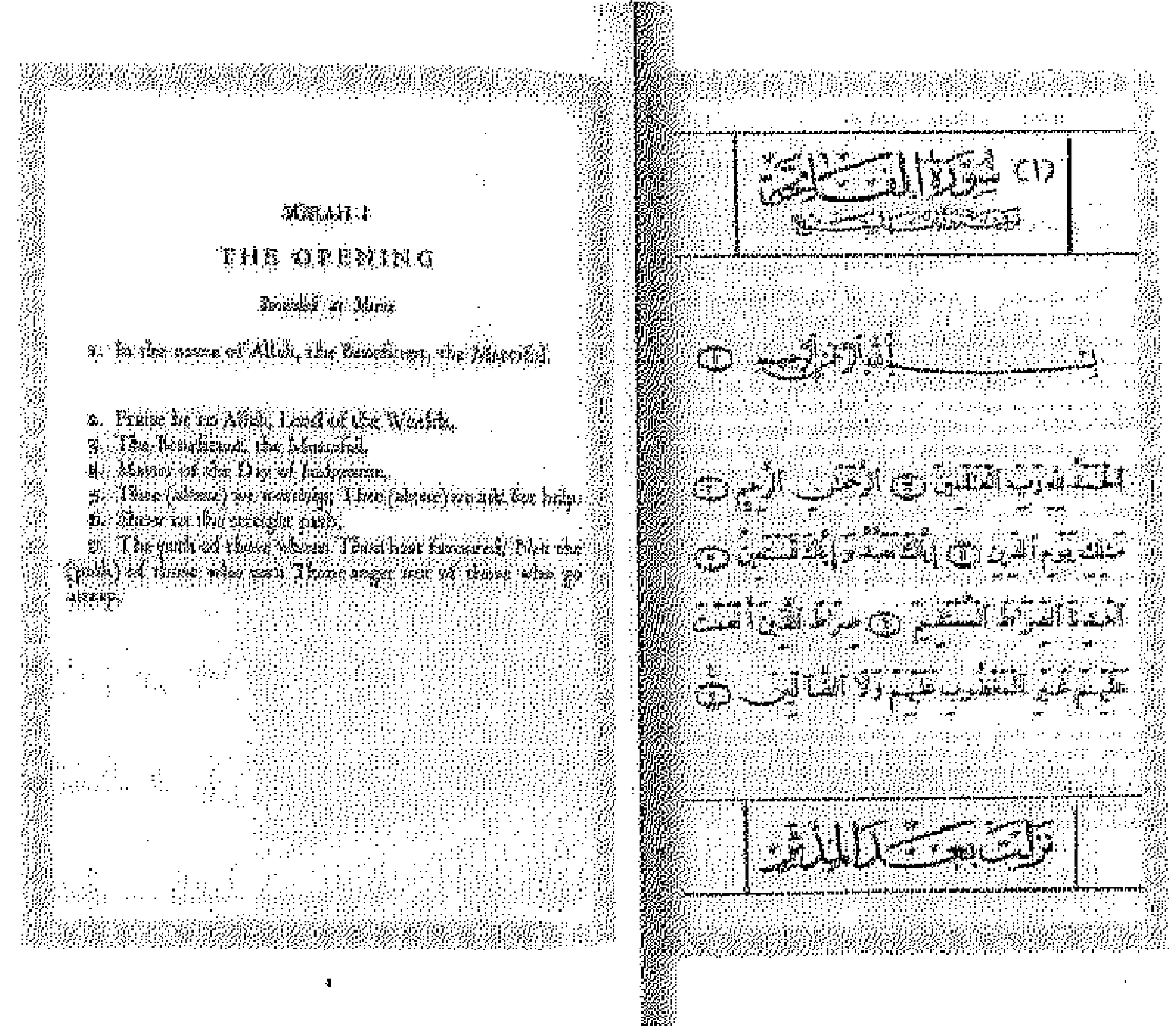
نزول القرآن بلغة العرب خلّد اللغة العربية في عصر نزوله، وظلت كما هي تُقرأ ويحفظها الناس

بالمئات والآلاف من العرب ومن غير العرب، فظل النسق مقبولا، بل هو أرقى أسلوب في اللغة العربية، أما في اللغة الإنجليزية الأسلوب يتطور بين كل 50 سنة أو 100 سنة تتغير الأساليب، والجيل الجديد لا يكتب بهذا الأسلوب ولا يروق له ، فهناك مشكلة كبيرة كانت في الواقع ناشئة، الآن الرجل (رود ويل) الذي في سنة 1960 مسيحي قال إن ترتيب القرآن هكذا ترتيب غير سليم وإن الذي عمله هكذا هم الصحابة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام، أما نحن كعلماء غربيين فعلينا أن نرتب القرآن كما نزل، أي كما قرأه محمد، والسبب في هذا أنهم لا يؤمنون بأن القرآن وحي، ويقولون هذا محمد يتكلم ونحن نريد أن نرى كيف تطور فكره، وعن ماذا كان يتكلم في الأول ؟ ثم عن ماذا ابتدأ يتكلم ؟ وكانوا يقولون مثلا إنه عندما كان في المدينة واتصل باليهود فكان يعرف منهم أشياء جديدة ويدخلها في القرآن. وهذا بلا شك كلام مردود لأنه لا يقوم ولا يستند على أي أساس ولا حجة. فهذا الرجل (رود ويل) رتب القرآن ليس كما نراه في المصحف وإنما - كما يزعم - على حسب ترتيب النزول. فكان غريباً على المسلمين وعلى غير المسلمين.

المهم.. في 1937 مسيحي جاء رجل إنجليزي آخر اسمه (ريتشارد بل) وذهب إلى أبعد من هذا بكثير، ونشر ترجمة للقرآن الكريم، ولكن كانت له نظرية غريبة تماماً استغربها حتى الغربيون أنفسهم من العلماء، قال : السبب في أننا نرى القرآن غريبا، لأن القرآن كان غريباً عليهم لأنه يتحدث عن عدة موضوعات في سورة واحدة، القرآن كان ينزل على الرسول عليه الصلاة والسلام فيتلقى الوحي من جبريل ويقول لمن معه ولمن حوله ضعوا هذه الآية في السورة التي تقول كذا وكذا ويقرأه أمامهم بتوجيه من الروح الأمين كما أراد الله سبحانه وتعالى، وعندما بدأ جمع القرآن حتى الرسولﷺ نفسه لم يكن يجرؤ على أن يضيف كلمة يربط بها المادة مثلاً. مادة تتحدث عن موضوع وبعدها مادة تتحدث عن موضوع آخر وهكذا، وكان يمكن أن يقول كما نفعل الآن مثلاً نحن عندما نأتي لتحضير الدكتوراه أو الماجستير، نجمع عدة مواد من هنا ومن هنا ثم نبدأ بكتابة المقال، ترتب فيه المادة حسب موضوع معين، ونقول كما ذكرنا في صفحة 13 من قبل، أو نقول وكما سنذكر في الفصل الخامس. ليس في القرآن هذا، الرسول عليه الصلاة والسلام لا يقول كما ذكرنا عند حديثنا حول الآيات الواردة في سورة الصف مثلا. وقد ظل هذا غريبا على الغربيين عموما لوقت طويل، لأن القرآن ليس رسالة دكتوراه مثلا، وليس مقالاً في صحيفة يتحدث عن فكرة واحدة في موضوع واحد، ليس هذا. وأعود إلى ما بدأت به هذه النقطة، فهذا الرجل واسمه (ريتشارد بل) سنة 1937 مسيحي قال : السبب في هذا الخلط - كما يسميه - أن العرب لم تكن لديهم أوراق كثيرة، فكان يكتب مثلا آيةعلى قطعة عظم أو حجر أو أي شيء آخر، ثم في الناحية الثانية - لأنه ليس لديه أوراق أخرى يكتب فيها - فيكتب في خلف الصفحة أو خلف العظمة أو الحجر، فقال إنهم عندما جاءوا يجمعون القرآن اختلط عليهم هذا وخلطوا القرآن بعضه ببعض. وهذا كلام سفيه جدا، لماذا ؟ وكيف يقول هذا من غير أي دليل على الإطلاق ؟ ثم تجده يرتب ويغير ويزعم مزاعم فاسدة. هذه الترجمة التي ظهرت سنة 1937 مسيحي لم تكن لها قيمة أدبية في الواقع، ولم تأت بجديد إلا هذا الرأي الفاسد.

وفي سنة 1955 مسيحي ظهر مترجم إنجليزي اسمه (آربل) وكان الزمن يتغير، وتقل العداوة، لأنه يظهر من الإنجليز والإيطاليين والفرنسيين وغيرهم أناس ذوو صدق، فبدأوا يشكون في من قال قبلهم بأن القرآن اختراع أو كلام محمد.... ويقولون ليس هذا من شأننا، وإنما يجب أن نقرأه كما هو. فهذا الرجل جاء إلى مصر وأقام في القاهرة ودرّس في جامعة القاهرة، ويقول إنه كان في ليالي رمضان يجلس في

بيته فيسمع من بيت جاره قارئاً أعمى يرتل القرآن بنغمة جديدة جدا، فهذا حببه في القرآن، فوضع ترجمة جديدة هي ترجمة (آربل) سنة 1955مسيحي، لكنه التزم بشيئين : الأول أنه لم يضع حاشية واحدة أو هامشاً واحداً من أول الترجمة إلى آخرها، لم يضع مقدمة ولا هامشا يشرح فيه بعض الأشياء، لأن هناك أشياء كثيرة تحتاج إلى الشرح حتى للعرب أنفسهم. الشيء الآخر أنه يلتزم بنسق الجملة العربية، صحيح أن ترجمته جميلة بعض الشيء باللغة الإنجليزية لكن لا يفهمها الناس.





ترجمات نشرتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

البواعث والأهداف

عندما ذهبت إلى الجامعة في لندن وبدأت تدريس القرآن للطلاب، كنت أسألهم : ما رأيكم في هذه الترجمة ؟ فكانوا يقولون هذه ترجمة كتبت بلغة لا تروق لنا وليست من لغة عصرنا، وإذا بدأنا بقراءتها قمنا بقراءة جملة أو اثنتين ثم نتركها. هذا كان حالهم. وهنا رأيت أن هذا دوري أنا الفلاح المسلم من قرية مصرية تعلمت القرآن في القرية وحفظته، وكنا نمتحن فيه في المعهد الديني امتحاناً شفويا، في القرآن وفي بعض المواد الأخرى إلى جانب الامتحان التحريري، وكان والدي ـ رحمه الله ـ قد أخذ عليَّ عهداً أن أقرأ كل يوم من القرآن شيئا، وظللت أقرأه باستمرار حتى وأنا في مترو الأنفاق في لندن. فأنا قلت إذا كان هذا هو الواقع هنا، فمن العيب عليَّ أن أترك هذا الأمر، وهناك عدد من المستشرقين الذين يقومون بالكتابة عن القرآن، وهي كتابة فيها قدح ونقد وهكذا، وكنت أدرّس الأدب، فتحولت إلى الدراسات القرآنية تماماً وأنا أدرس في جامعة لندن، وقلت لا بد من ترجمة جديدة، ما هو المقصود منها ؟ المقصود عدة أشياء أحاول أن أوجزها في الآتي :

❖ الوضوح وسهولة اللغة : ولكن ما هو المعيار في هذا؟ كنت أكتب وأعرض الترجمة على عدد من

طلابي وهم في سن العشرينيات والثلاثينيات لا أكبر من ذلك، وقلت أنا أريد هذا الجيل (العشرينات، والثلاثينات) أقول لهم اقرؤوا واقترحوا علي، فكانوا يقترحون ويقولون - مثلاً - نحن لا نفهم هذه الكلمة، أو هذه جملة غريبة. وكنت أقبل من عندهم ما أقبله حتى إن كثيرا جداً من الناس رأوا أن هذا واضح تماماً لهم، وأسلوب يقرأه أي شخص متعلم إنجليزي فيفهمه. وكان هذا عندي أول وأهم شيء (الوضوح وسهولة اللغة). وكانت هناك وسائل أخرى للتوضيح، منها أنني أكتب مثلاً مقدمة للسورة، لأن هناك سورا في القرآن مرتبطة بأحداث، فهناك مثلاً ست عشرة سورة في القرآن الكريم أوردها كأمثلة. فإذا قرأنا مثلاً سورة ﴿الضحى﴾ لابد أن تذكر السبب في هذا، قرأت مثلاً سورة ﴿إقرا﴾ أيضا لابد أن تذكر السبب وراء هذا، سورة مثل سورة ﴿التحريم﴾ لابد أن تذكر ما هو السبب وراء هذا، وكذلك سور ﴿الأنفال، الممتحنة، المجادلة، الروم﴾، وأيضا سورة ﴿النور﴾ وما في أولها من حديث على الإفك. عندما تقرأ قوله تعالى:

﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [سورة الفتح: الآية 27]

فلو كتبت هذا لشخص إنجليزي ليس من أهل اللغة ولا من أهل الثقافة العربية ولا من أهل الإسلام، لتساءل: ما هو السبب في محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ؟ ومن هنا فلا بد أن تشرح له ذلك، وأن تقول له إن هذا من شعائر الحج، حيث إنه بعد نهاية الحج لا بد من القصر والتحليق....إلخ، وما هو مغزى (لا تخافون)؟، فأي إنسان لا يعرف اللغة العربية ولا الثقافة الإسلامية ؛ لابد أن تشرح وتوضح له هذا، ولذلك كان لابد من كتابة مقدمة تتناول ذلك. ثم تعليقات قصيرة على الهامش، عن ارتباط المواضيع ببعضها، وهذه في الواقع مسألة مهمة جداً، لأن الترجمات الأخرى تترجم الكلمات بمعاني، وقد يترتب عليها انفصام، فمثلاً في قوله تعالى:

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سورة الرُّوم:الآية 37]

أنا تساءلت عن العلاقة؟ بينما من سبقوني يأخذون كلمة شر أو كلمة سيئة ويترجمونها بترجمة بعيدة جداً عن المعنى الأصيل، وواضح من هذا التوارد مع بعض في الآيات

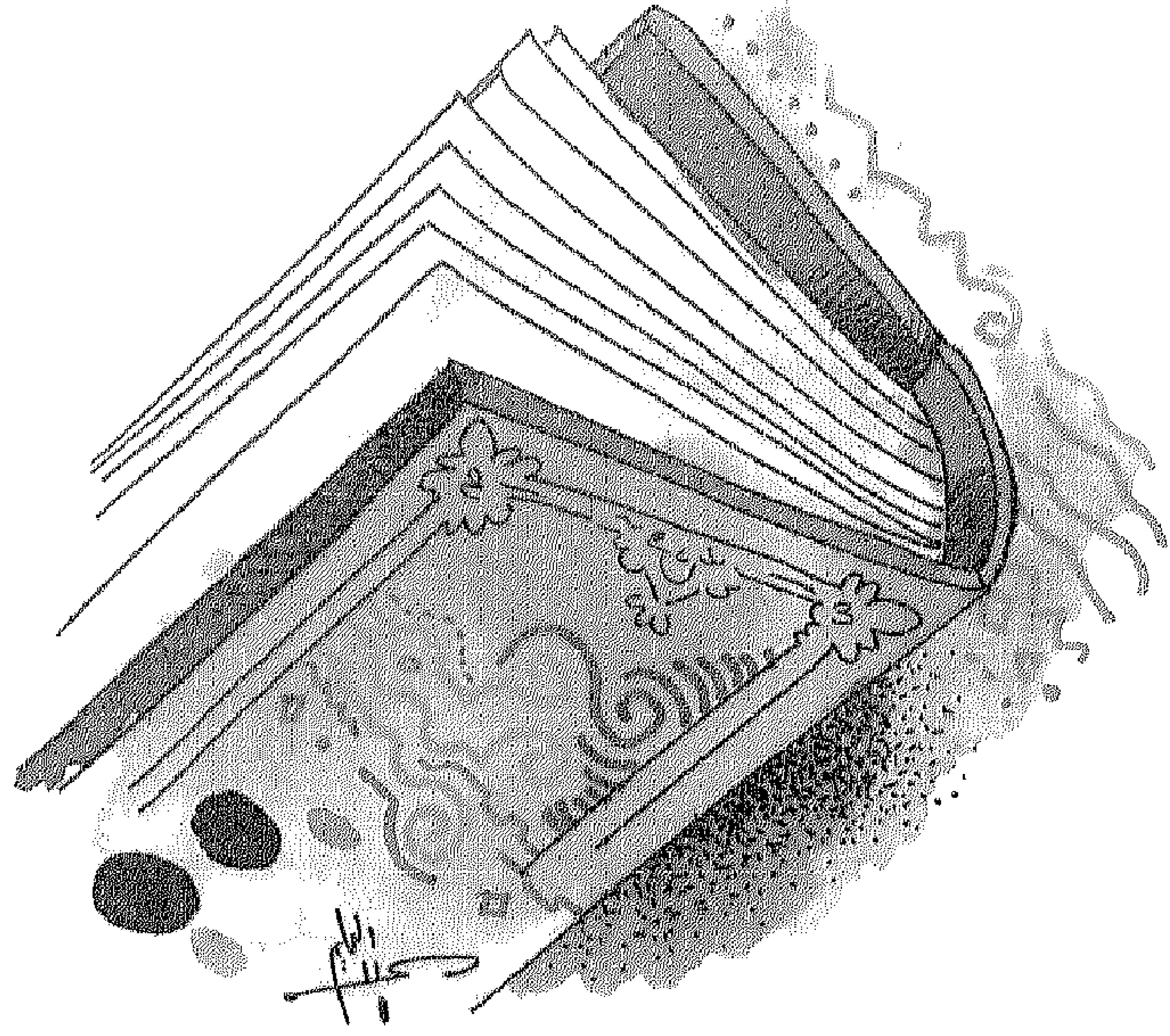
﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾
[سورة الرُّوم:الآية 37]

فمعنى السيئة هنا (صعوبة مالية اقتصادية) وإلاّ فلا معنى لذكر ما بعده، فهنا ترجمة الكلمة نفسها، أي الترجمة السليمة للكلمة لكي يترتب عليها وضوح الارتباط بين الآيتين. وقد وضعت الهوامش أيضا لبيان ارتباط الآيات ببعضها.

أما يوسف علي في ترجمته، ومحمد أسد، وغيرهما فهم يطيلون الهوامش، ويدافعون عن الإسلام، ويبينون فضل الإسلام.

وإذا كنت تريد أن تخاطب مثقفين غربيين غير مسلمين وتريد منهم أن يسمعوا كلامك؛ فلا بد أن تظهر أمامهم بأسلوب وطريقة تختلف عن الخطابة، ولذلك فإن الهوامش قليلة جداً لشرح ارتباط الأشياء ببعضها..

هناك ظواهر كثيرة جداً منها: الوضوح ثم إنني قرأت وأدرّس مادة اسمها (أساليب القرآن) فكان لا بد من إدخال أشياء جديدة في علوم القرآن واسمها (الوجوه والنظائر)، كلمة واحدة لها معانٍ متعددة في سياقات مختلفة، خذ مثلاً كلمة (الرحمة) ستجد لها معانٍ متعددة، أحياناً تكون بمعنى المطر، وأحياناً بمعنى النبوة... الخ، فتعدد المعاني وتنوعها عملية مهمة جدا.



❖ أهمية الترقيم وعلامات الوقف

وأود أن أتوقف أمام مثال آخر، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآيتان 37 - 38]

فهم يطالبونهم بآية معجزة وما أكثر ما طالبوه بمعجزات:

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً﴾

[سورة الأنعام: الآية 37]

ثم يذكر القرآن معجزة واضحة لكل الناس في كل وقت:

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [سورة الأنعام: الآية 38]

❖ بعد ذلك ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ .

وكلمة الكتاب في القرآن الكريم لها أكثر من عشر معانٍ، والمفسرون المسلمون والوعاظ يقولون - في تفسير هذه الآية - إن الله ذكر كل شيء في القرآن، وإن كان هذا مقبولاً إلا أن كلمة ﴿الكتاب﴾ في هذه الآية لا تعني القرآن بل تعني السجل الذي يسجل الله فيه عن الناس جميعاً ما قاموا به من أعمال (سجل الأعمال) فهو سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ أي أنه يقول للناس اعقلوا واحذروا فنحن نسجل عليكم كل شيء: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

فكل إنسان سيجد أمامه سجلا يوم القيامة فيه كل شيء، فهذا تهديد وتحذير لكفار مكة، أما الذي لا يفهم وجوه المعاني وتعددها وتنوعها فإنه يأخذ كلمة الكتاب بمعنى القرآن الكريم، وكثير من المفسرين عندما يتناولون هذه الآية يذكرون حول قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 38]

أن جميع الدواب وكل الطيور ستحشر يوم القيامة، وهذا كلام غريب، والسبب أن من يقول بهذا لم يعرف أين يقف الكلام، نحن لدينا الآن نظام جديد من الترقيم، فالقرآن الكريم له نظامه، ومعروفة نهاية كل آية وكذلك علامات الوقف، ومن الأشياء الدقيقة جداً في القرآن أن تعرف أين يقف كلام ويبدأ كلام آخر، وإلا فقد يختلط المعنى، وإذا كانت الدواب والطيور.. ستحشر؛ فما هي الفائدة التي يمدنا بها هذا السياق؟.. تنبهوا لهذا وتذكروا دائما سياق الكلام

والموضوع الذي يتحدث عنه، فسياق هذه الآية يحدثنا عن جدال الكافرين للرسول ﷺ ومطالبتهم له بآية، أي بمعجزة، والقرآن الكريم يقول لهم إننا نسجل عليكم كل شيء وسنحاسبكم عليه يوم القيامة، فهذا هو السياق، وبالتالي لا يستساغ أن نُدخلَ فيه أن الطيور والدواب ستحشر، وإنني أرى أن من ذهب إلى ذلك المعنى أنه لم يتوقف عند السياق، ومعرفة أين توقف الكلام وأين بدأ كلام أو سياق آخر، وذلك أمر مهم. ولذلك فإنني هنا - مثلاً - أضع نقطة وقف (قاطعة) بمعنى قطع السياق السابق عن اللاحق، وفي هذا الجانب قمت بحصر عدد كبير من الأمثلة التي لم يتنبه فيها عدد من المفسرين إلى مسألة السياق، فعلامات الترقيم، وعلامات الوقف، تبين أين ينتهي الكلام وأين يبدأ كلام آخر.

أحيانا يتكلم القرآن عن مسألة ويقول: إنهم يقولون كذا، ويعلّق على ذلك بقوله ﴿بزعمهم﴾ نجد هذا في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ [سورة الأنعام: الآية 138]

ثم يقول ﴿بزعمهم﴾ أي هكذا يزعمون، وهذا تعليق على ما قالوا، والترقيم وعلامات الوقف تبين أن هذا ليس من الجملة الرئيسية وإلا فإن الكلام يختلط ببعضه. وهناك عدد من الأمثلة والنماذج من هذا لا أستطيع أن أشرحها كلها هنا، وأكتفي بهذا المثال الذي سقته.

❖ هناك نقطة أخرى أريد أن أشير إليها بعجالة تتعلق بالحجم، وأعني حجم الكتاب المطبوع الذي يحتوي ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، وقد ظهر الكتاب (ترجمة معاني مفردات القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية) ضمن سلسلة تصدرها جامعة أوكسفورد، وهو حجم صغير، والهدف هو أن يتمكن القارئ من أخذ الكتاب معه حيثما شاء ويتمكن من وضعه في حقيبة اليد مثلاً.

❖ نقطة أخرى أود أن أشير إليها تتعلق أيضا بالترجمة، فالمسلمون كانوا يطبعون ترجماتهم لمعاني القرآن في مطابع متواضعة وقديمة - في إسلام أباد مثلا أو في بريطانيا أو في أي بلد عربي - ويكون الحجم كبيرا، ولا توزع الترجمة إلا في المساجد وبعض المراكز الإسلامية، وبين المسلمين، ولذلك فإنك إذا ذهبت إلى أي مكتبة إنجليزية عامة فلا تجد ما كتبه العلماء المسلمون من ترجمات ولا تجد إلا ما كتبه اليهود والمسيحيون، وهي ترجمات وُضعت بطريقة غريبة، وحجمها غير مناسب، فضلا عن سوء الترجمة.

إذا ذهبت إلى أي مكتبة إنجليزية عامة فلا تجد ما كتبه العلماء المسلمون من ترجمات ولا تجد إلا ما كتبه اليهود والمسيحيون.

وأفيدكم علماً بأنني وضعت الترجمة التي قمت بها أمام طلابي (في الليسانس والماجستير والدكتوراه) وهم من الإنجليز، فعبروا عن رضاهم وإعجابهم بالعمل، عندها توجهت إلى أكبر ناشر في بريطانيا وتوزع منشوراته في أغلب بلدان العالم ليقوم بنشره وتوزيعه.

❖ هناك ظاهرة أخرى في القرآن الكريم أريد أن أتوقف معكم عندها وهي المعروفة باسم (مرجع الضمير) وانتقال الضمير في آية واحدة من المفرد إلى الجمع، فمثلا قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

فالآية تخاطب الرسول عليه الصلاة والسلام، مخاطب معينٌ مفرد، ثم تنتقل فتقول : فسئلوا أهل الذكر،.. وفي اللغة الإنجليزية هناك ضمير واحد للمخاطب سواء كان مفردا أو مثنى أو جمع، مذكر أو مؤنث، هو (YOU) وفي السابق كان المترجمون لا يفرقون بين الضمائر هذه، ويسوقون المعنى وكأن الخطاب كله موجه للرسول. وإننا نجد هذا (مرجع

الضمير) في عدد كبير من الآيات. وما فعلته في ترجمتي أنني كنت أضع فاصلة (،) أو نقطة (.) بين الاثنين حتى يتضح المعنى.

وبما أنني أقوم بتدريس أسلوب القرآن فإنني توقفت مع الطلاب عند قوله تعالى في سورة الطارق:

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾

[سورة الطارق: الآيات 4 ـ 10]

وهناك قاعدة في اللغة العربية تقول (الضمير يرجع إلى أقرب مذكور) ولكنها ليست قاعدة عامة، وهناك عدد من المفسرين الذين يقولون:

﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ أي من صلب الرجل وترائب المرأة، وهذا كلام لا أساس له من الصحة، وهذا ما أثبته علم الحياة الحديث. والسبب في ما قاله المفسرون أخذهم بقاعدة أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور. والصحيح هو: يخرج ـ أي الإنسان ـ من بين صلب المرأة وترائبها. يدلنا على هذا أن الآيات بعد ذلك تقارن بين هذا وبين القبر الذي يدفن فيه الإنسان ويبقى محصورا فيه، ثم يخرج منه يوم البعث، كما كان محصورا في بطن أمه ثم يخرج منها، والقرآن يستعمل كلمة (يخرج) من بطن الأم، و(يخرج) يوم البعث. والقرآن يستعمل هذه الكلمة (يخرج) في ثلاثة أشياء، وكلها خروج وبعث : فالنبات يخرج من الأرض ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن الله﴾. وكذلك الإنسان يخرج من بطن أمه ويخرج من الأرض ﴿وكذلك الخروج﴾، فيقارن بين خروج النبات من حبة صغيرة (وهذا دليل على البعث) وخروج الإنسان من بطن أمه، من ذلك الحيز الضيق كالقبر، كما أنه سيخرج من القبر إلى البعث والحساب. وعلى هذا فإيقاف الكلام والتنبه إلى المرجع الصحيح للضمير هو الذي يعطيك المعنى الصحيح والفهم والتفسير السليم.

وهناك أشياء يترتب عليها إساءة فهم نظرة الإسلام للعالم:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾

[سورة الإسراء: الآية 16]

هناك من يقول حول هذه الآيات إن المترفين هم الناس الذين لديهم مال كثير، أي أغنياء، وكأن الغنى في الإسلام شيء سيترتب عليه فساد وإهلاك وما إلى ذلك، وهذا غير صحيح، لأن هناك عدداً من الصحابة كانوا من الأغنياء (عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما). وقد ورد في الأثر (... ونعم المال الصالح للعبد الصالح) وليس في القرآن ولا في الإسلام ما يشير إلى أي منع أو نقد أن تكون لك أموال طيبة وتنفق منها بالليل والنهار. إنما المترف ـ كما تقول القواميس القديمة ـ هو الذي أفسدته النعمة. وفي قوله تعالى:

﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾

[سورة القصص: الآية 76]

بمعنى الفرح الذي يخالطه البطر والتكبر وان يقول الإنسان أنا فعلت كذا وكذا... الخ.

أردت من وراء ضرب هذه الأمثلة أن أوضح أهمية فهم المعنى القرآني قبل الترجمة، حتى نعرف بدقة اختيار المفردات التي توصل المعنى إلى القارئ من أهل تلك اللغة (الإنجليزية مثلاً) المعنى بسهولة ودقة ويسر ووضوح. والصحة في نقل المعنى، والتنبه لأشياء عديدة مهمة هي من صميم الدراسات القرآنية ومن صميم كتب علوم القرآن (تعدد المعاني، ومرجع الضمير....).

أكتفي بهذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله.



- مدخل سيكولوجي
- مدخل تاريخي
- نظرة إلى الفكر الاستشراقي في الدراسات القرآنية
- الدراسات القرآنية: من الاستشراق إلى السياسة
- سفاهات يسمونها قرآناً
- مؤلفات حديثة ضد القرآن: مؤلفون وهميون
- حقيقة مصحف سمرقند
- مواقع معادية للقرآن
- قرآن فوبيا
- تدنيس القرآن
- المنصفون من الغرب والقرآن..

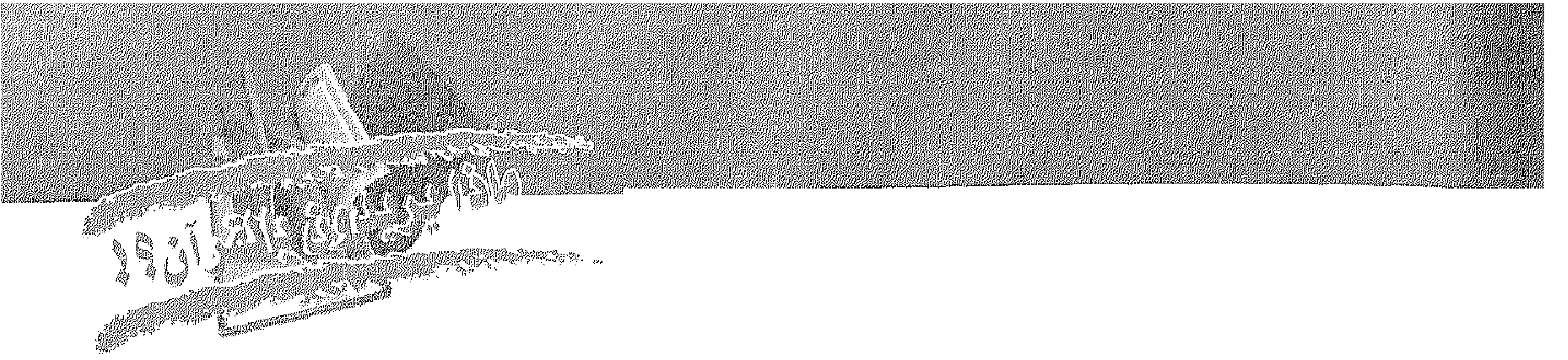
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

أعد المادة تحريرا وعرضا وترجمة:
الصديق بشير نصر*



ماذا يريدون بالقرآن؟!

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي / ليبيا



مدخل سيكولوجي ومعرفي لتفسير الحرب على القرآن

القرآن، أكثر الكتب على الإطلاق، وعلى مرّ التاريخ، تعرضاً للتشويه. وليس من العسير تفسير ذلك الهجوم. وثمة مدخلان لتحليل هذا : سيكولوجياً (نفسياً)، وابستمولوجياً (معرفياً).

التحليل النفسي (السيكولوجي) يقول :

❖ تزييف الحقائق وتحريفها تعبير صادق عن الإخفاق والعجز. أو بألفاظ أخرى : العجز عن مواجهة الخصم قد يتحوّل إلى الافتراء عليه.

❖ الإحساس بفقدان الشيء يتحوّل إلى كراهية له.

❖ التلبّس بالصفات السلبية مدعاة لنعت الآخرين بها درءاً للاتهام. وهو ما يعرف عند علماء النفس بالإسقاط. والإسقاط حيلة من الحيل الدفاعية التي يلجأ إليها الفرد للتخلّص من تأثير التوتر الناشئ في داخله. وهو عملية نقل يدرك المرء خلالها دوافعه وعيوبه وأخطاءه وصفاته المعيبة في الغير بقصد وقاية نفسه من القلق وتأنيب الضمير. وقد ظهر هذا المصطلح أوّل مرة في علم النفس عام 1894 عندما كتب فرويد مقالة عن عُصَاب القلق.



سيجموند فرويد

ونرى كلّ ذلك جليّاً في معاداة القرآن والطعن فيه. فالحرب على القرآن في القرون الوسطى جاء نتيجة لإخفاق الكنيسة في مواجهة الإسلام عقدياً. ولم يكن ثمة سبيل لحماية النصارى من الاهتداء إلى الإسلام إلا بتشويه رسالته، والطعن في كتابه، وتكذيب نبيّه.

وأيضاً لانعزال الكنيسة عن الحياة، وتحولها إلى معابد كئيبة خالية من الروح لا يرتادها إلا عدد قليل من العجائز والشيوخ الذين يتهيأون لمغادرة الدنيا إلى عالم الآخرة، أو ممن صرفوا حياتهم لخدمة الكنيسة، رهباناً وراهبات، هروباً من قسوة الحياة.

وتشهد أدبيات القرون الوسطى، والحديثة أيضاً، على مبلغ تغلغل هذا المرض النفسي في محاربة القرآن الذي بلغ ذروته إلى حدّ النفي المطلق لكل شيء يمتّ إلى الإسلام بسبب. فالقرآن أكذوبة، واختراع صنعه محمد، وفي أحسن الأحوال إرث يهودي أو نصراني، أو خليط من كليهما. ومحمد نفسه وهم تاريخي لا وجود له، والإسلام نعت لم يُعرف به هذا الدين إلا بعد قرون من وجوده، وهو ليس إلا هاجرية، أو محمدية. وأصحاب محمد متوحشون، دمويون، نفعيون، والمسلمون أنفسهم همج برابرة، وأهل غدر وخيانة، ومصاصو دماء، وغيرها من النعوت المقذعة التي تولّدت من رحم ثقافة القرون الوسطى المناوئة للإسلام، ولا نزال نقرأها في الفكر الغربي المعاصر الذي ما برح يمارس فلسفة النبذ والإقصاء ضد الآخر، في الوقت الذي ينعت فيه القرآن بأنه هو من يمارس هذا الإقصاء، وهذا هو الإسقاط النفسي بعينه.

وهذه الأسباب لم تقف عند حدود القرون الوسطى، بل ظلّت قائمة حتى الوقت الراهن.

التحليل المعرفي (الابستمولوجي) يقول:

❖ الأيديولوجيا الضعيفة تحمي معتنقيها من الأيديولوجيا الوافدة.

❖ إخفاق الغرب في مواجهة الإسلام أيديولوجياً بالرغم من هزيمة المسلمين سياسياً واقتصادياً، وعسكريّاً.

❖ فساد حمل فكرة انقياد المغلوب للغالب على إطلاقها، إذ يشهد الواقع العملي بتقييدها وقد أثبت الواقع أيضاً أنّ الغلبة لا تكون إلا للفكر الأقوى، والإسلام عقيدةٌ أقوى من عقيدة المتغلّب. ولذلك قويت عقيدة المغلوب، ووهنت عقيدة الغالب.

❖ الخروج عن العقلانية في مخاطبة الآخر، والالتجاء إلى خطابات تتسم بالسوقية علامة على الإخفاق والفشل.

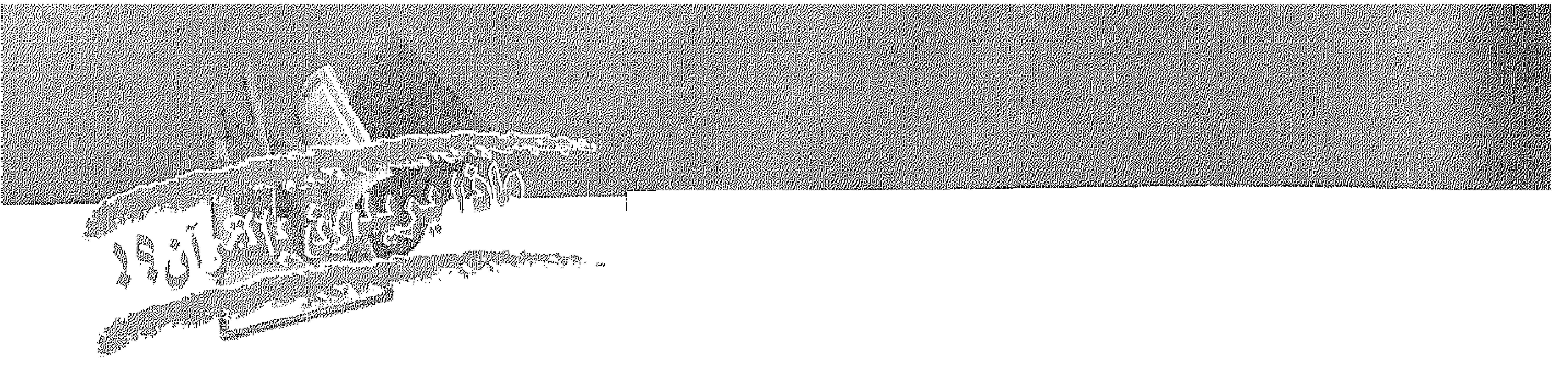
مدخل تاريخي للحرب على القرآن

الحرب على القرآن: القديم المتجدد

الحرب على القرآن ليست وليدة اليوم، إنها قديمة جداً، اندلعت نارها مع أوّل مجابهة مع الوثنية، رأس الشرك والجاهلية، فنبتت بينهم نابتة شريرة زعمت أنها بمقدورها أن تأتي بمثل هذا القرآن، وقد تحداها في قوله:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 23]

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾
[سورة يُونس: الآية 38]



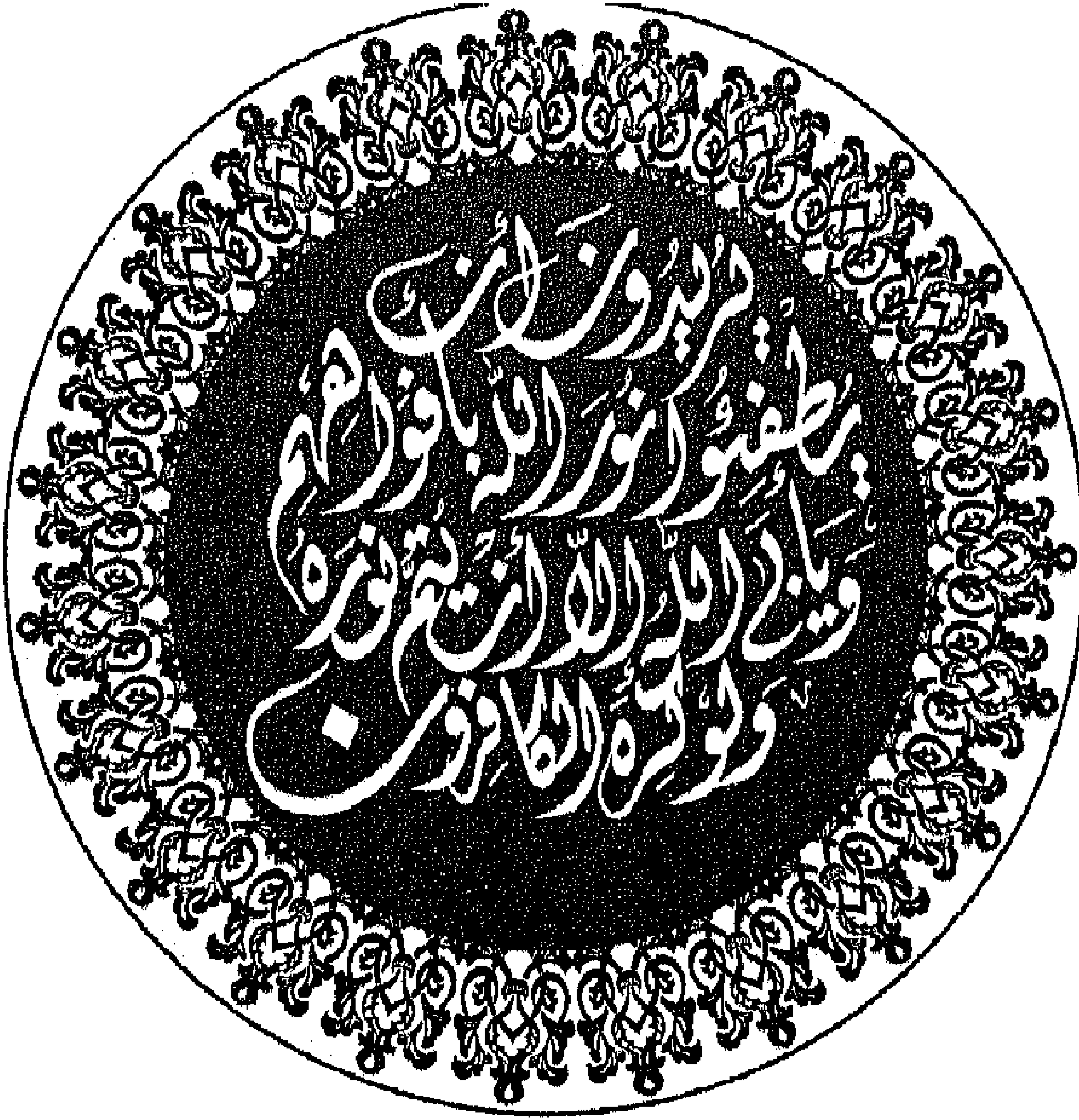
فجاء سفهاؤهم بمعارضات تضحك الثكلى، كخرف مسيلمة الكذاب، ما دعا الباقلاني أن يقول فيها: «فأما كلام مسيلمة الكذّاب وما زعم أنه قرآن فهو أخسّ من أن نشتغل به، وأسخف من أن نفكّر فيه». ومن هذا الخرف، الذي بدأنا نرى مثله هذه الأيام وسنعرض له بعد حين، قول كذّاب اليمامة: «والليل الدامس، والذئب الهامس، ما قَطَعت أُسيد من رَطْبٍ ويابس »، وكقوله : « يا ضفدع بنت ضفدعين، نقّي ما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين»، أو كقول سجاح بنت الحارث المتنبئة: « ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صِفاق وَحَشَا».

ولم يحفظ لنا التاريخ معارضات حقيقية جديرة بالتأمل إلا هذا الخرف، ودعاوى باطلة تنسب إلى أبي العلاء المعري وأبي الطيب المتنبي، وهي دعاوى كاذبة أبطلها الباحثون. ولم تبق إلا معارضات قيل إنها لابن الراوندي الملحد، لم يبق لها أثر..

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الرّعد: الآية 17]

إنّ أكثر المطاعن التي توجّه إلى القرآن اليوم لها ما يناظرها في القديم، بل قد لا يكون من ضروب المبالغة إذا قلنا إنها تكاد تكون هي عينها، إن لم تكن أسخف منها.

ومن أوائل المصنفات في الردّ على افتراءات الملاحدة والمبتدعة على القرآن كتاب (الردّ على ابن الراوندي الملحد) للجاحظ (ت 2)، و(مشكل القرآن) لابن قتيبة الدينوري (ت 276) وأحسب أنّ مؤلفات أبي بكر الباقلاني (ت 403): (التمهيد، وإعجاز القرآن)، ونكت الانتصار لنقل القرآن من بواكير المصنفات التي واجهت الافتراءات على القرآن، وكذلك كتاب (تنزيه



القرآن عن المطاعن) للقاضي عبد الجبّار (ت 415) الذي كان يُعبّر عن ذلك صراحةً فتراه يبدأ ردّه على الشبهات التي أثيرت في عصره، أو التي يَظُنّ أنها قد تُثار بقوله: «قالوا »، و « قد قيل »، و « وربما قالوا »، و«يُقَالُ »، و« وسألوا عن قوله تعالى »، و « كيف قال الله تعالى » الخ.

وأكثر افتراءات خصوم القرآن حديثاً مأخوذة من شبهات وأوهام ذكرها ابن أبي داود في كتابه (المصاحف) والسيوطي في كتابه (الإتقان). والمشككون نقلوا الشبهات وأعرضوا عن الردود. وتلك الشبهات المتكررة هي:

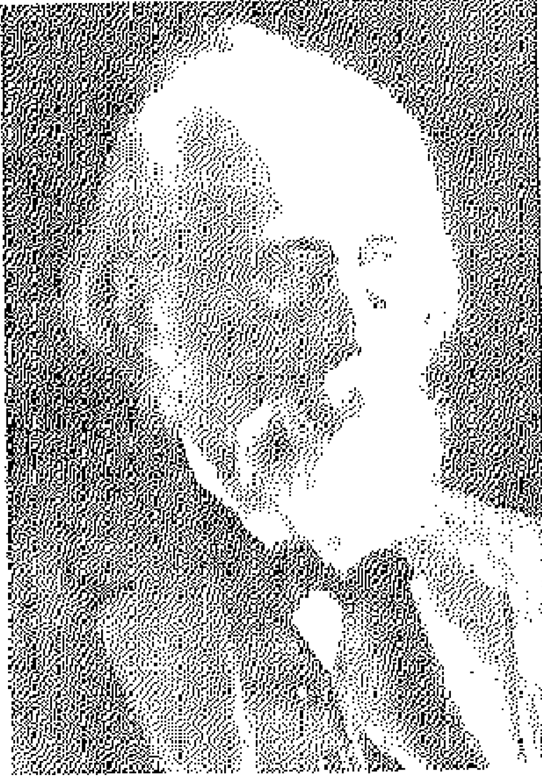
- دعوى تحريف القرآن.
- دعوى تناقض القرآن.
- دعوى وجود أخطاء تاريخية في القرآن.
- دعوى وجود أخطاء لغوية في القرآن.
- شبهات تتعلق بمسألة النسخ في القرآن.
- شبهات تتعلق بمسألة جمع القرآن.

نظـرة إلى الفكـر الاستشراقي في الدراسات القرآنية

من تيودور نولدكه Theodor Nöldeke إلى جون وانسبرو John Wansbrough

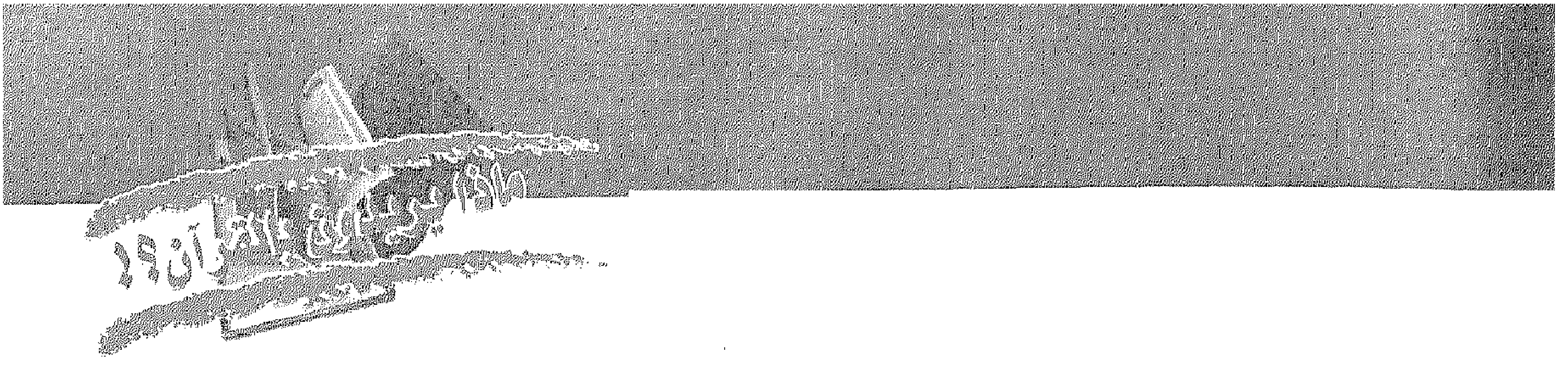
يُعدّ كتاب (تاريخ القرآن) Geschichte des Qorans لتيودور نولدكه من أهم الكتب التي ألفها المستشرقون في تاريخ القرآن. وكلّ مَن جاء بعده تأثّر به وبنتائجه، حتى أصبح الكتاب إنجيل المستشرقين في الدراسات القرآنية. ولم يقتصر ذلك التأثير على المستشرقين الذين جاءوا بعد نولدكه، بل تعداهم إلى بعض الكتاب المسلمين أيضاً.

وقد صدر الكتاب أوّل مرة بالألمانية سنة 1860، ثم أعاد فريدريش شفالي Friedrich Schwally نشر الجزء الأوّلَ منه بعد تنقيحه تحت إشراف أستاذه تيودور نولدكه سنة 1909، وأهداه لعملاقين من عمالقة الاستشراق، هما: إجنتس جولدتسيهر، وسنوك هرخرونه. وبوفاة شيفالي سنة 1919 توقف إصدار بقية أجزاء الكتاب حتى جاء أوغست فيشر August Fischer فأصدر الجزء الثاني مع إدخال بعض التعديلات عليه. أمّا الجزء الثالث فقد اعتنى بنشره المستشرق برجشتراسر Gotthelf Bergsträßer وأكمله تلميذه أوتو بريتسل Otto Pretzel في مطلع سنة 1937 بسبب وفاة برجشتراسر قبل ذلك بأربع سنوات.



تيودور نولدكه

وقد تُرجِمَ الكتاب إلى العربية مؤخراً (راجع عرضنا للكتاب في العدد السادس من مجلة التواصل)، وبذلك تسقط الهالة التي أحاطت بالكتاب حيث لم يعد ما ورد فيه خافياً على قرّاء العربية، وحان دور النقّاد المسلمين أن



يقولوا فيه رأيهم. إنّ كتاب (تاريخ القرآن) يمثل جهود ثلاثة أجيال تظافروا على تصنيفه وتنقيحه. وقد أشار إلى ذلك مترجم الكتاب في مقدمة ترجمته العربية بقوله: « لقد تعاقب ثلاثة أجيال من علماء الدراسات القرآنية الألمان على هذا الأثر حتى أبصر النور، وهو يضم نتائج في هذا المجال خلال سبعة عقود ونيّف»

الموضوعات التي عالجها نولدكه في (تاريخ القرآن)

يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء. خصّ الجزء الأول للبحث في أصل القرآن، والجزء الثاني للبحث في جمع القرآن، والجزء الثالث للبحث في تاريخ نص القرآن. وقد عالج المؤلف في الجزء الأوّل عدة مسائل، هي :

1ـ مسألة الوحي: وهي أوّل مسألة بحثها نولدكه في كتابه، و لا ريب أنّ هذه المسألة هي أم المسائل في دراسة القرآن، وأكثر ما يأتي من مسائل بعدها هو نتيجة لها.

ومسألة الوحي من أكثر المسائل اضطراباً في كتاب نولدكه، فتارة يصدّق بالوحي وتارة ينفيه.

في الأسطر الأولى من الفصل الأوّل من كتاب (تاريخ القرآن) والذي يحمل عنواناً هو (نبوءة محمد والوحي) يُعرّف نولدكه الوحي بأنه: «جوهر النبي يقوم على تشبّع روحه من فكرة دينية ما، تسيطر عليه أخيراً، فيتراءى له أنه مدفوع بقوّة إلهية ليُبَلّغَ مَنْ حوله مِنَ النّاس تلك الفكرة على أنها حقيقة آتية من الله» وهذا إنكارٌ للوحي صريح، يجري فيه نولدكه مجرى غيره من المستشرقين. ويعني ذلك أنه سيتعامل مع الوحي باعتباره حالة مرضيّة تستبدّ بصاحبها فيخيّل إليه أنه يتصل بقوى علويّة فتملي عليه ما يصدر عنه من قولٍ أو فعل.

ثمّ يعود فيقرّر اعترافه بنبوّة محمّد، فيقول: « لا بدّ لنا من الاعتراف بأنّ محمّداً كان بالحقيقة نبيّاً إذا محّصنا شخصيته بتجرّد وتمعّنٍ وفهمنا النبوّة فهماً صحيحاً ».

وهذا التضارب في الظاهر لا يُفسَّر إلا بشيءٍ واحد وهو أنّ النبوّة غير الوحي، وأنّ النبوّة حالة بشرية يمكن أن يتلبس بها المرء.

ويزعم نولدكه أن هذا الذي يُسميه محمد ﷺ وحياً تنزّل عليه من تعاليم وغيرها لا يمكن نفيه عنه جميعه ونسبته إلى التعاليم اليهودية والمسيحية، «وإن كان صحيحاً أنّ أفضل ما في الإسلام نشأ على هذا المنوال».

ثم يعود فينزع عنه حتى النبوّة بمفهومها المادي، فيقول: «إنّ محمداً حمل طويلاً في وحدته ما تسلّمه من الغرباء، وجعل يتفاعل وتفكيره، ثم أعاد صياغته بحسب فكره، حتى أجبره أخيراً الصوت الداخليّ الحازم على أن يبرز لبني قومه رغم الخطر والسخرية اللذين تعرّض لهما ليدعوهم إلى الإيمان».

والمعروف من سيرة المصطفى أنه لم يتعرض لأيّ نوع من السخرية قبل إعلان النبوّة، وإنما كان ذلك بعد إعلانها، وهذا تدليس قد يُفهم منه أنّ محمداً ﷺ كان موضع استهزاء وسخرية قبل البعثة، وهذا مخالفٌ لحقائق السيرة، حيث يُجمع الرواة على أنّه ﷺ كان موضع تقدير واحترام عند العرب قبل نزول الوحي عليه حتى لقّبوه بالأمين.

ويمضي نولدكه في وصف شخصية النبي محمدﷺ، فيقول :

«يُضاف إلى ذلك أمرٌ يودّ المسلمون بالطبع أن يُخفوه، ألا وهو أنّ محمّداً كان بطبعه ضعيف العزم. أجل لقد كان يخاف إلى درجة أنه لم يتجرأ في البدء على المجاهرة برسالته ».

ويقول أيضاً :

«غير أن روح محمد كان يشوبه نقّصَان كبيران يؤثران على سموّه. فإذا كانت النبوّة بالإجمال تصدر عن المخيلة المنفعلة وموحيات الشعور المباشرة أكثر مما تصدر من العقل النظري ، فإن محمداً كان يفتقر إلى هذا بشكل خاص. ففيما كان يتمتع بذكاء عملي كبير، لم يكن له من دونه أن ينتصر على كلّ أعدائه، أعوزته القدرة على التجريد المنطقيّ إعوازاً شبه تام. لهذا السبب اعتبرَ ما حرّك نفسه أمراً موحى به، مُنزّلاً من السماء، ولم يختبر اعتقاده إطلاقاً، بل اتبع الغريزة التي كانت تدفع به تارة إلى هنا وطوراً إلى هناك، ذلك أنه اعتبر هذه الغريزة صوت الله الذي أتاه. وهذا ما يُنتجُ الفهمَ الحرفيّ الظاهر للوحي الذي يقوم عليه الإسلام ».

وأراد نولدكه أن يجرّد النبي ﷺ حتى من قيمة خياله المزعوم، فنسب ذلك إلى التعاليم اليهودية لأنه لم يقو على الاعتراف بأن تلك التعاليم التي جاء بها تمثل مستوى رفيعاً من الفكر وإن لم يكن وحياً.

يقول نولدكه :

« إنّ المصدر الرئيس للوحي الذي نُزّل على النبي حرفيّاً، بحسب إيمان المسلمين البسيط وبحسب اعتقاد القرون الوسطى وبعض المعاصرين، هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية. وتعاليم محمد في جلّها تنطوي في أقدم السور على ما يشير بلا لبس إلى مصدرها. لهذا لا لزوم للتحليل (1) لنكشف أن أكثر قصص الأنبياء في القرآن ، لا بل الكثير من التعاليم والفروض ، هي ذات أصل يهودي » وهذا كلام، كان ينبغي ألا يصدر من كاتب من طبقة نولدكه، لأن قصص الأنبياء تاريخ وأحداث ووقائع، وهي ليست ملكاً لليهود ولا غيرهم. وأمّا التعاليم والفروض وكونها يهودية فهذه هي التي تحتاج إلى إقامة الأدلة، ولكن نولدكه زعم أنّ ذلك لا يحتاج إلى تحليل.

والمثال الذي جاء به على تأثير اليهودية في الإسلام كلمة التوحيد نفسها (لا إله إلا الله) والتي يزعم أنها مأخوذة من عبارة وردت في سفر صموئيل الثاني 23:22، والمزامير 32:18. والعبارة المشار إليها هي: «لأنه من هو إله غير الرب ومن هو صخرة سوى إلهنا». ويبدو أن نولدكه لا يؤمن بأن مصدر الديانات السماوية واحد، وأن أساس الرسالات الدعوة إلى التوحيد قبل أن يتخلل الشرك بعض تلك الرسالات بسبب ما أصابها من التحريف. كما يبدو أيضاً أن نولدكه يميل إلى التسليم المطلق بكل الأوهام التي يسوقها ويحسب أنها لفرط صدقها لا تحتاج إلى إقامة البرهان عليها، كقوله إثر كلامه السابق : « لا نحتاج في هذا الصدد إلى ردّ كلّ المواد اليهودية إلى ثقات يهود»!!

2 ـ مسألة أميّة النبي: انشغل المستشرقون في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين بمسألة أمية النبي، واختلفوا في ذلك اختلافاً كبيراً. ومن هؤلاء من سبق نولدكه، ومنهم من جاء بعده. وممن قالوا بأنّ محمداً ﷺ كان يقرأ ويكتب :

- م. توربن : تاريخ حياة محمد

M. Turpin, Histoire de la vie de Mahomet,1,p.285-288

- أ. شبرنجر : حياة محمد

A.Sprenger, Lehre des Mohammed, II, S.398-402

- ج. ڤايل : تاريخ تدوين القرآن

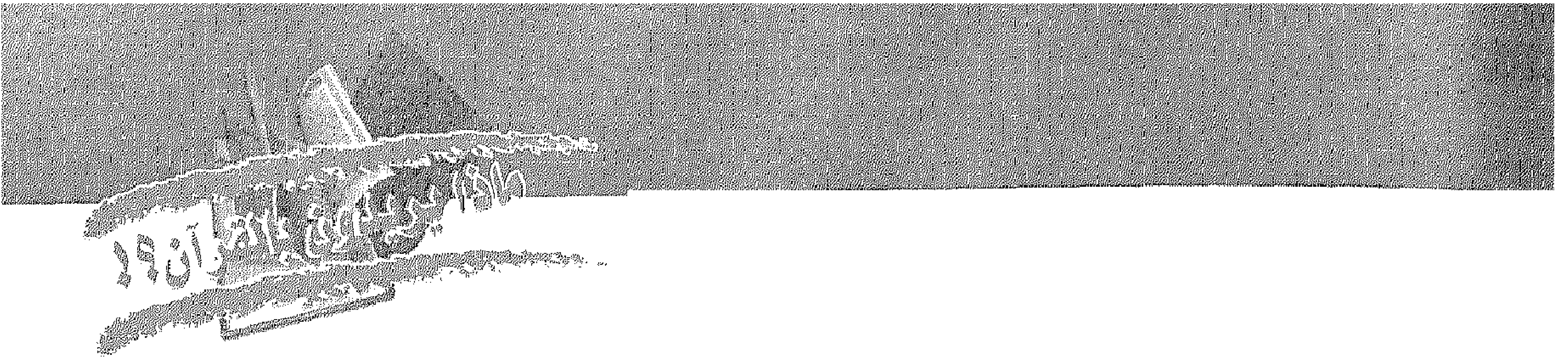
G.Wiel, Hist. Krit. In d. Koran, 2auf.s.93, Anm1.

- هـ . هرشفلد : العناصر اليهودية في القرآن

H.Herschfeld, Judische Elemente im Koran, s.22

ومن القائلين بأن محمداً ﷺ كان أمياً بمعنى أنه كان لا يقرأ ولا يكتب :

- م. بريدو : حياة محمد



M. Prideaux, La vide de Mahomet, p.43

ـ إس. أوكلي : تاريخ العرب + حياة محمد

.S.Ockley, The history of the Saracens /

The life of Mahomet, p.11.

ـ س. ف. جيروك : أثر النصرانية في القرآن

C.F. Gerock, Vers. e. Darst. d. Christologie des Korans s.9

ـ ج. م. آرنولد : الإسلام

J.M. Arnold, The Islam, s.230

ولم يفت نولدكه أن يتكلّم في مسألة أمية النبي، وعرض آراء المثبتين والنافين ولم يجزم برأي منها، بل ذهب إلى أن «الأسباب التي يسوقها كلا الطرفين أسباب وهميّة، وأنّ المعلومات التي تفيد بأن محمداً كان يستطيع الكتابة قليلٌ وبشكل سيئ، هي أيضاً ذات قيمة ضئيلة». وقد خلط نولدكه في المسألة خلطاً شديداً، فتارة يميل ضمناً إلى هذا الرأي، وتارة إلى ذاك. وينتهي إلى أن لفظة (الأمي) التي وُصِفَ بها النبي (لا تعني الجاهل بالقراءة والكتابة، ولكنها تعني من ليس له كتاب منزّل)، والأميّة تعني إذاً نقيض «أهل الكتاب». يقول نولدكه :

« إذا تفحصنا كلّ الآيات القرآنية التي ترد فيها كلمة « أميّ » وجدنا أنها تعني في كل الحالات نقيض «أهل الكتاب »، وهذا يفيد أنّ المراد بالكلمة ليس عكس القادرين على الكتابة بل عكس من يعرفون الكتاب المقدّس ».

ويقول أيضاً :

« ولا يُستَبعدُ أن يحوز رجل، وُجِدَ في محيطه القريبِ عشراتٌ من الرجال الذين استطاعوا القراءة والكتابة، ما يحتاجه من هذه الصنعة، ليس فقط بوصفه تاجراً، بل أيضاً بسبب اهتمامه بكتب اليهود والمسيحيين المقدسة التي سعى إلى أن يتعمّق بها معرفةً »

لم يكن نولدكه مرتاحاً لنتائج بحوثه في تاريخ القرآن، وربما هذا هو السبب في إحجامه عن إعادة طبعه، وأوكل ذلك لتلميذه شفاللي، وقد كتب في رسالة رداً على ناشر كتابه يرغب فيه إعادة نشره يقول فيها: (فرفضت أنا لأسباب عديدة وذلك لأنه لم يكن في استطاعتي أن أعيد نشر هذا الكتاب في ثوبه الجديد الذي قد يرضيني... أقول إلى حدّ ما ذلك لأن آثار تهور الشباب لا يمكن محوها جميعها إلا بإعادة تأليف كتاب جديد. وكثير من المسائل التي كنت أعتقد قليلاً أو كثيراً بصحتها تبين لي فيما بعد أنها غير مؤكدة..)

وهذا الكلام يعني أن نولدكه يقرّ بأن محمداً ﷺ كان يعرف القراءة، وإلا ما جدوى اهتمامه بكتب اليهود والنصارى.

ثم يرجع من جديد، عقب ذلك مباشرة، ليسلّم بأن محمداً ﷺ لم يقرأ الكتاب المقدّس، فيقول: «لكننا إذ نفتقر إلى أية معلومات وثيقة، علينا أن نكتفي بالنتائج التالية، وهي بالطبع في غاية الأهمية:

أولاً: «أن محمداً نفسه لم يشأ أن يُعتبرَ عارفاً بالقراءة والكتابة، ولهذا السبب أوكل إلى آخرين كتابة القرآن، ورسائله».

ثانياً: «أنه لم يقرأ بتاتاً الكتاب المقدّس أو آثاراً أخرى مهمة».

ونولدكه متناقض بشكل مثير، فهو لا يستقر على رأي. فيقرر من جديد أن محمداً ﷺ وإن يُنْفَى عنه استعمال مصادر يهودية مكتوبة، إلا أنه على الأرجح قد تقبّل أهم تعاليمه من اليهود والمسيحيين شفهيا. ويزعم أنّ القرآن يشير إلى ذلك في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾

[سورة الفُرقان: الآية 4]

نعم، أشار القرآن إلى ذلك، ولكنه وصفهم بالظلم والزور وهو ما لم يلتفت إليه نولدكه.

3 ـ ما لم يتضمنه القرآن المدوّن من الوحي

وهنا يدور المؤلف حول الآيات المنسوخة باعتبارها في نظره وحياً غير مدوّن. ولم يقم المؤلف بشيءٍ يذكر في هذا المبحث إلا أنه ذكّرنا بالآيات المنسوخة التي تحدث عنها المسلمون أنفسهم في مؤلفاتهم، مثل: كتاب المصاحف للسجستاني، والمباني لمؤلف مجهول، والاتقان للسيوطي.

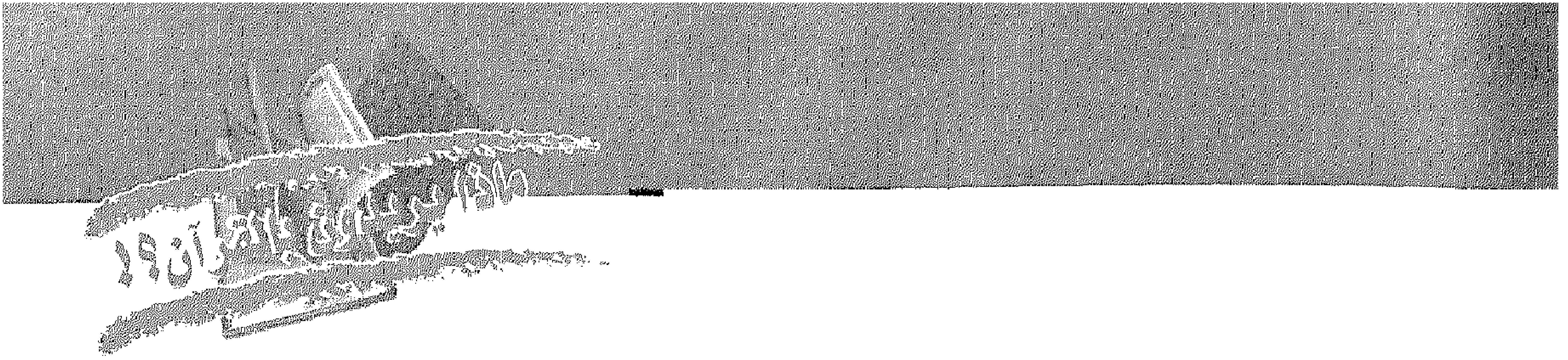
وهذا موضوعٌ أشبعه المسلمون بحثا. وهذا المبحث هو مدخل لجميع أعداء القرآن للتشكيك فيه بدعوى نقصان القرآن وتحريفه.

وفي الجزء الثاني عالج المؤلف موضوع جمع القرآن، وثلاثة أرباع ما جاء فيه من معلومات عن جمع القرآن وتدوينه مُستلّ من كتب المسلمين. وقد أثار ذلك اهتمام المستشرقين من بعده، حتى ظنوا أنه قد اكتشف شيئاً جديداً في الوقت الذي كانت فيه المصادر التي اعتمد عليها مخطوطة، وليست في متناول الباحثين. ولمّا طُبعت تلك الآثار بات الأمر مكشوفا، وصار الرجوع إليها باعتبارها أصلاً أولى من الرجوع إلى الناقلين عنها مع ما قد يخالط النقل من تشويه وتحريف وسوء فهم، لا سيما إذا كان الناقلون عنها ليسوا من أهل لغتها.

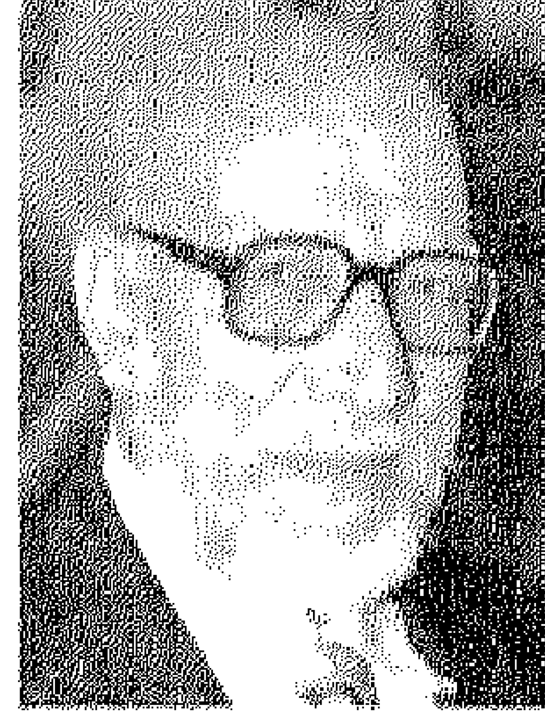
إنّ ما يسميه نولدكه القرآن المحذوف (ويريد مصحف أُبَي، ومصحف علي، ومصحف عبد الله بن مسعود) هو ما يسميه العلماء المسلمون بالقراءات الشاذة التي تخالف مصحف الإمام، إمّا لأنها رويت من طريق آحاد ولم تبلغ التواتر، أو لأنها مخالفة للرسم العثماني، أو لأنها مخالفة للعربية ولا تحتمل وجهاً مقبولاً من وجوه الإعراب أو اللغة.

وأكثر ما يُسمى بالمصاحف لا يحمل المعنى العام المعروف لكلمة المصحف، إذ كان كلّ جزء يحمل قدراً من السور يُسمى قديماً مصحفاً، ولذلك روي أنّه كان لحمزة بن عبد المطلب مصحف، والثابت قطعاً أن حمزة استشهد قبل اكتمال الوحي بثمانية أعوام.

والباحثون المسلمون المعاصرون درسوا هذا



الموضوع بعناية، وفي بحوثهم ردود جيدة على أوهام نولدكه وأضرابه، ومن هؤلاء الباحثين المسلمين أخص بالذكر د. عبد الصبور شاهين في كتابه (تاريخ القرآن).



عبد الصبور شاهين

وهذا الجزء فيه خلل من ناحية الصنعة، حيث خلط المؤلف بين الموضوع الأساس الذي جعله عنواناً للجزء، والذي ينبغي أن يقتصر بحثه عليه وهو (جمع القرآن) ومباحث أخرى ليست وثيقة الصلة بالموضوع، كالبحث الذي يحمل عنوان (القرآن المحمديّ في صلته بالكتب المقدّسة المسيحية ـ اليهودية)، وفيه يكرّر مسألة اطلاع محمد (على اليهودية ـ المسيحية)، ويزعم هذه المرّة أنّ اطلاعه كان إطلاعاً جيّداً، وأنه اعتمد على هذين الدينين إلى درجة أنه نادراً (!) ما توجد فكرة دينية في القرآن ليست مأخوذة عنهما. ومن ذلك أيضاً كلامه عن تفاسير القرآن، والأحاديث النبوية، ونقد الأسانيد والمتون، والكلام عن كتب السنن الستة، وأحاديث أسباب النزول مما لا علاقة له مباشرة بجمع القرآن.

وفضلاً عن عدم صلة تلك المباحث بموضوع جمع القرآن فإنها لا تخلو من مغالطات، لأن أكثرها تسليم بنتائج بحوث لمستشرقين آخرين ممن عُنوا بالحديث والسيرة مثل شبرنجر، ووليام ميور، وليوني كايتاني، وجولدتسيهر. ونلاحظ أنّ دراسات المستشرقين التي يرد ذكرها في (تاريخ القرآن) مما صدر بعد سنة



ليوني كايتاني

1860 وهو تاريخ صدور الطبعة الأولى من (تاريخ القرآن)، هي مما استفاد منه تلميذه شفاللي في تنقيحه لكتاب أستاذه نولدكه.(لاحظ مثلاً أن كتاب دراسات محمدية لجولدتسيهر بجزئيه طبع في 1888 ـ 1890).

ما بعد نولدكه

ثمة دراسات عديدة صدرت بعد نولدكه تتعلّق بالقرآن، ولكن معظمها ورد في ثنايا بحوث مخصّصة للسيرة المحمديّة، أو لتاريخ الإسلام، أو لدراسة موضوعات معينة لها علاقة بالقرآن، مثل: تأثير اليهودية والمسيحية في الإسلام، أو البحث في مصادر القرآن ولغته.

ولعلّ أشهر من جاء بعد نولدكه في الدراسات القرآنية كان إجنتس جولدتسيهر في كتابه:

Die Richtungen der Islamtschen Koranauslegnug

الذي ترجمه إلى العربية في الخمسينيات من القرن العشرين د. عبد الحليم النجار تحت عنوان (مذاهب التفسير الإسلامي) وجولدتسيهر يُعد في مرتبة نولدكه بل ربما كان أعلى درجة منه لتنوّع دراساته،



إجنتس جولدتسيهر

وكتبه تعد مراجع لا يستغنى عنها مع ما فيها من أغاليط وأوهام ككتابه (دراسات محمدية)، وكتابه (الظاهرية)، ونكتفي هنا بعرض نموذج واحد لكتابات من جاءت بعد نولدكه، وليس اختيارنا له باعتباره أحسن ما كُتب، بل لأن بعض المؤسسات التنصيرية تروّج له بإعادة طبع ملخصه الإنجليزي وترجمته إلى العربية، وتوزيعه في البلدان العربية مجاناً.

القرآن في كتاب (مصادر الإسلام) لوليام سانت كلير تسدال

كتب وليام سانت كلير تسدال William St. Clair Tisdall رسالة بالفارسية قام بترجمتها مختصرة وليام ميور Sir William Muir سنة 1901.

وبالرغم من أنّ لهذا الكتاب أثراً كبيراً في المستشرقين إلا أنه غاب عن المعترك الثقافي منذ أمد بعيد، مع أنّ صدى ما جاء فيه من نظريات لا يزال يفعل فعله في الجيل اللاحق وإن لم ترد الإشارة إلى تسدال في كتاباتهم. ربما لأن هذه النظريات محض ظنون ويصعب إثباتها.

والذي يدعونا اليوم إلى الكلام عن هذا النصّ المقبور، أنه بُعِثَ من قبره أخيراً، وتُرجم مُختصره الإنجليزي إلى العربية، وشرعت بعض المؤسسات التنصيرية في توزيعه مجاناً.

وتقع هذه الرسالة في ستة فصول تتصدرها مقدمة وتمهيد.

الفصل الأول: (المصادر الإسلامية للإسلام)

ويخلص فيه إلى انتقاد المصادر العربية والإسلامية التي ترى أنّ القرآن وحي من الله وليس صناعة بشرية، ولذا فإنه لا يرى الاعتماد على تلك المصادر، فيقول: «إذا أمكن بالبحث والتحقيق إقامة الدليل على أنّ أكثر القرآن، وأغلب عقائده أُخذت من الأديان الأخرى ومن الكتب التي كانت موجودة أيام محمد ولا تزال موجودة حتى الآن، ينهار أساس الإسلام». ولذا فإن الفصول الخمسة المتعاقبة كلها تصبّ في مجرى إثبات أن القرآن خليط من ديانات مختلفة.

الفصل الثاني: (تأثيرات عرب الجاهلية)

يزعم تسدال في هذا الفصل أن من ملامح ذلك التأثير أنّ اسم الإله الذي يدعو إليه محمد هو (الله) وهو اسم كان شائعاً عند العرب فاقتبسه محمد منهم، وقد ورد في أشعار الجاهليين كقول النابغة:

ألم تر أنّ الله أعطاك سورةً
ترى كلَّ ملكٍ دونها يتذبذب

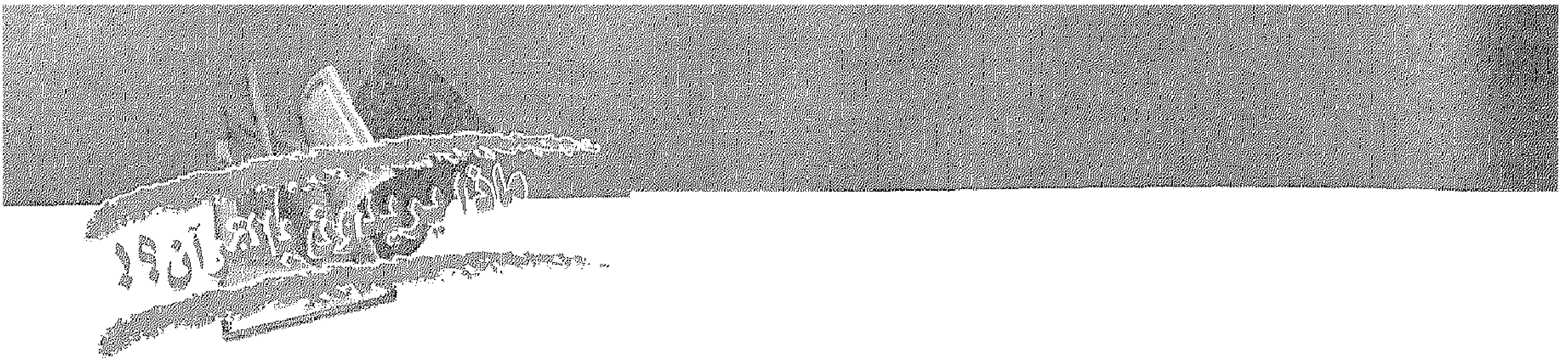
وكقول لبيد:

لعمرك ما تدري الضواربُ بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وهذا لا يرقى إلى أن يكون دليلاً على أن القرآن متأثر بعقائد وعادات الجاهليّة.

وكلمة (الله) كانت معروفة عند الحنيفيين، وهم الموحّدون الذين ظلوا على دين إبراهيم، ومثل ذلك زعمه أنّ الطواف والإحرام وغيرها من الطقوس من اختراع عبدة الأصنام، وليست من بقايا دين إبراهيم، ولو كانت كذلك لوجدنا لها أثراً في التوراة، وكأن التوراة أصدق خبرا، مع أنّ الدراسات النقدية للتوراة أو كتاب العهد القديم تبرهن كلّ يوم على زيف ما في هذا الكتاب. وتسدال يتناقض كثيراً حين يتكلّم عن عادة الختان في الإسلام ويقول إنها من عادات الجاهلية، بل أنها عادة موغلة في القدم ترجع إلى القدماء المصريين، ثم يقر بعد ذلك أنها موجودة في الديانة اليهودية وأنها من بقايا دين إبراهيم.

ويزعم أنّ بعض آيات القرآن مقتبسة من قصائد كانت منتشرة بين القرشيين زمن محمد، ويزعم أن بعض ذلك الشعر هو لأمرئ القيس، كقوله :



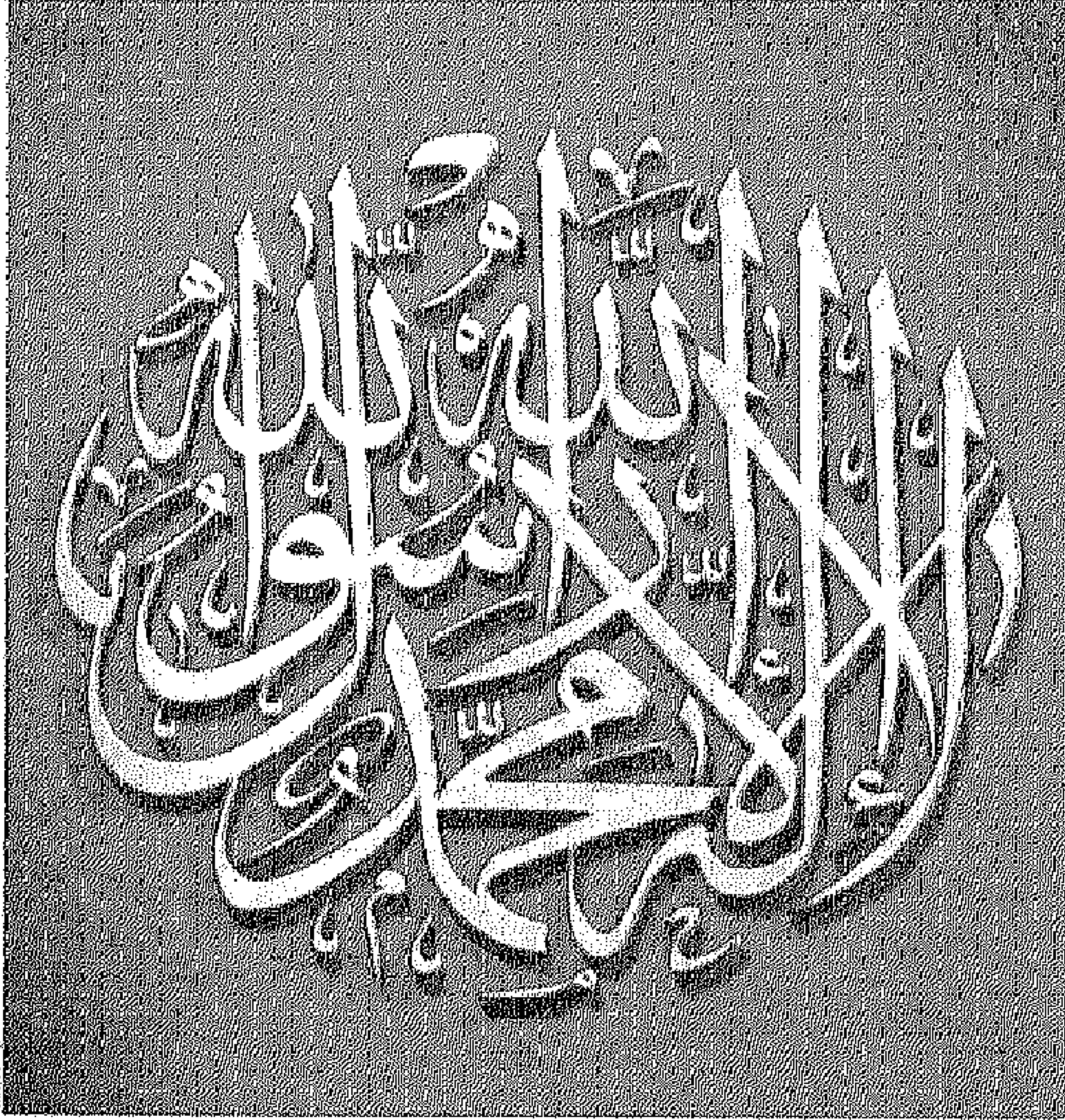
دنت الساعة وانشق القمر
عن غزال صاد قلبي ونفر
أحورٌ قد حرتُ في أوصافه
ناعس الطرف بعينيه حَوَر
مرّ يوم العيدِ في زينته
فرماني فتعاطى فعقر
بسِهامٍ من لحاظ فاتك
فتركني كهشيم المُحتضر
وإذا ما غاب عني ساعةً
كانت السّاعةُ أدهى وأمرّ

وكقوله أيضاً :

أقبلَ والعشّاقُ من خلفه
كأنهم من حدبٍ ينسلون
وجاء يوم العيد في زينته
لمثل ذا فليعمل العاملون

وهذا كلام فاسد لا يقبله من عرف القرآن وأدرك إعجازه، أو شمّ رائحة العربية أو تذوق شعرها. ولو كان هذا الكلام صحيحاً ما فات مشركي قريش وهم من هم من أهل الفصاحة والبيان، والذين ما برحوا يبحثون عمّا يطعنون به القرآن وصاحبه.

وفضلاً عن كلّ ذلك فإنّ هذا الشعر لا يمكن أن يكون لأمرئ القيس الجاهلي، ولا حتى مما نُسِبَ إليه، ولذلك لم نجده في ديوانه. وأحسن طبعات ديوان امرئ القيس تلك التي قام على تحقيقها محمد أبو الفضل إبراهيم، وقامت بنشرها دار المعارف المصرية، وضمّنها المحقق رواية الأصمعي، ورواية المفضّل، والزيادات الملحقة بالديوان من النسخ المختلفة، لا تجد فيها أثراً لهذا الشعر، ولن تجده حتى في ملحق الشعر المنسوب لأمرئ القيس الذي ضمّه المحقق إلى آخر الديوان مما لم يرد في أصوله المخطوطة.



وهذا الذي زعم تسدال أنه من شعر أمرئ القيس هو شعر إسلاميّ الروح والنفس والصنعة. وإدخال آيات من القرآن بلفظها أو بتصرّف يسير يُعرف عند النقّاد بالتضمين، وكان ذلك شائعاً في العصور الإسلامية وحتى يومنا هذا، ونظير ذلك قول أحمد بن محمد بن يزيد :

سلِ اللهَ من فضله واتّقه
فإنّ التُّقى خيرُ ما تكتسِب
ومَن يتّقِ اللهَ يَصنَع له
ويرزقه من حيثُ لا يحتسب

وقول أبي القاسم الرافعيّ :

المُلكُ لله الذي عَنَتِ الوجو
هُ له وذلّت عنده الأربابُ
متفرّدٌ بالملك والسلطان قد
خسر الذين تجاذبوه وخابوا
دَعهم وَزعم المُلكِ يوم غرورهم
فسيعلمون غداً مَنِ الكَذّابُ

ولا يكتفي تسدال بهذا البهتان حتى يروّج لخرافات يقول هو نفسه بأنها كاذبة:

« ومن الحكايات المتداولة في عصرنا أنه لما كانت فاطمة بنت محمد تتلو آية:

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [سورة القمر: الآية 1]

سمعتها بنت امرئ القيس، فقالت لها: هذه قطعة من شعر أبي، أخذها أبوك وادّعى أنّ الله أنزلها عليه، ومع أنه يمكن أن تكون هذه الرواية كاذبة لأن امرئ القيس توفي سنة 540 م، ولم يولد محمد إلا سنة الفيل أي سنة 570م. إلا أنه لا يُنكر أنّ هذه الأبيات المذكورة واردة في سورة القمر، والضحى، والأنبياء، والصافات. مع اختلاف طفيف في اللفظ، وليس في المعنى. فمن الواضح وجود مشابهة بين هذه الأبيات وآيات القرآن، وإذا ثبت أنّ هذه الأبيات لامرئ القيس حقيقة، فحينئذ يصعب على المسلم توضيح كيفية ورودها في القرآن، لأنه يتعذّر على الإنسان أن يُصدّق أنّ أبيات وثني كانت مسطورة في اللوح المحفوظ قبل نشأة العالم ».

الفصل الثالث: (تأثير الصابئة واليهود)

يزعم تسدال أن القرآن قد تأثر بعبادات الصابئة، مثل: الصلاة، والصوم. وللصابئة سبع صلوات، منهن خمس يشبهن صلاة المسلمين، ويصومون ثلاثين يوما، وإن نقص الشهر القمري صاموا تسعاً وعشرين، ويصومون من ربع الليل الأخير إلى غروب الشمس.

وفاته أنّ الصوم عبادة موجودة في الديانات الشرقية جميعها، لا تختصّ بها الصابئة، فنجده عند المجوس، والوثنيين عبّاد الوثن، والبوذيين، والبرهميين، واليهود، والنصارى، والمسلمين. ويختلف شكله من دين إلى آخر.

فالصابئة يصومون ثلاثين يوماً غير متصلة. ذكرها النديم في (الفهرست - المقالة التاسعة) أولها لثمانٍ مضين من اجتماع آذار، وتسعة أخر أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول، وسبع أيام أخر أولها لثمانٍ مضين من شباط وهي أعظمها.

وأما صلاتهم فهي ثلاث وليست خمساً، وصفتها لا تشبه صلاة المسلمين. يقول النديم في الفهرست: «المفترض عليهم من الصلوات في كلّ يوم ثلاث، أولها: قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل لتنقضي مع طلوع الشمس، وهي ثمان ركعات وثلاث سجدات في كلّ ركعة، والصلاة الثانية انقضاؤها مع زوال الشمس، وهي خمس ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة، والصلاة الثانية مثل الثانية انقضاؤها عند غروب الشمس».

ولم يكن تسدال وحده الذي زعم أنّ عبادتي الصوم والصلاة في الإسلام متأثرة بعبادة الصابئة والمانوية، بل قال بذلك أيضاً K.G. Jacob في بحثٍ له عن صيام رمضان:

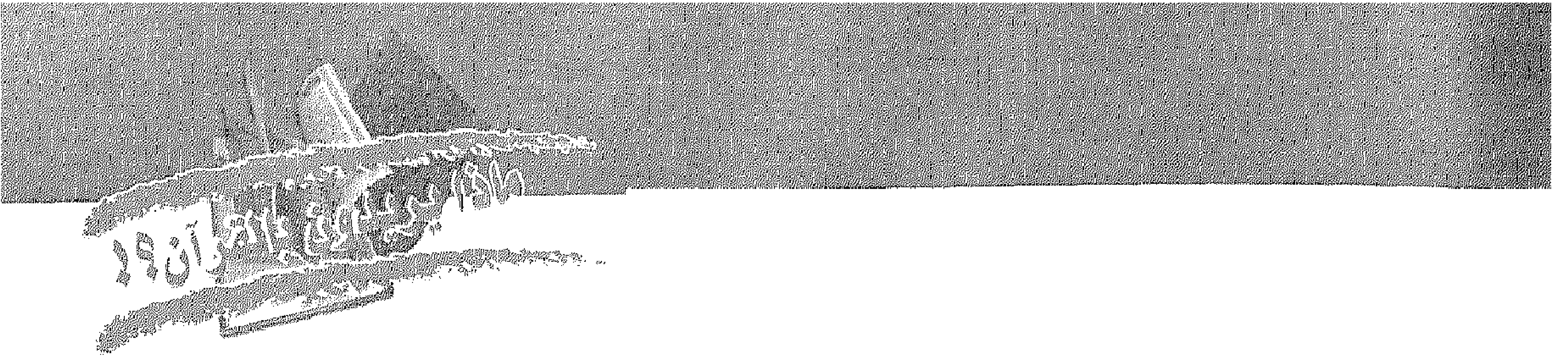
Dermuslimisch Fastenmonat Romadan

وكذلك Westermarck في كتابه:

Origine et Developement des Idees Morales

«للوقوف على المزيد من تهافت هذا الرأي راجع البحث القيم للدكتور علي عبد الواحد وافي عن فلسفة الصيام في كتابه (غرائب النظم والتقاليد والعبادات) وفيه إبطال دعوى ردّ عبادة الصيام في الإسلام إلى نظائرها عند الصابئة والمانوية».

وأما بخصوص تأثير اليهودية في القرآن فقد جعل نفي الأمية عن النبي ﷺ مدخلاً له حتى يتسنى له القول بأن محمداً قد اطّلع على كتب اليهود واستفاد منها في كتابه.



وصور التأثير عنده مقصورة على تأثر القصص القرآني بما ورد من قصص الأنبياء في التوراة والتلمود، كقصة قابيل وهابيل، وإبراهيم والنمرود، وسليمان وملكة سبأ، وهاروت وماروت، وطور سيناء.

وتسدال يحسب على القرآن ما ورد من خرافات في كتب تتساق مع الأساطير والإسرائيليات، مثل : عرائس المجالس.

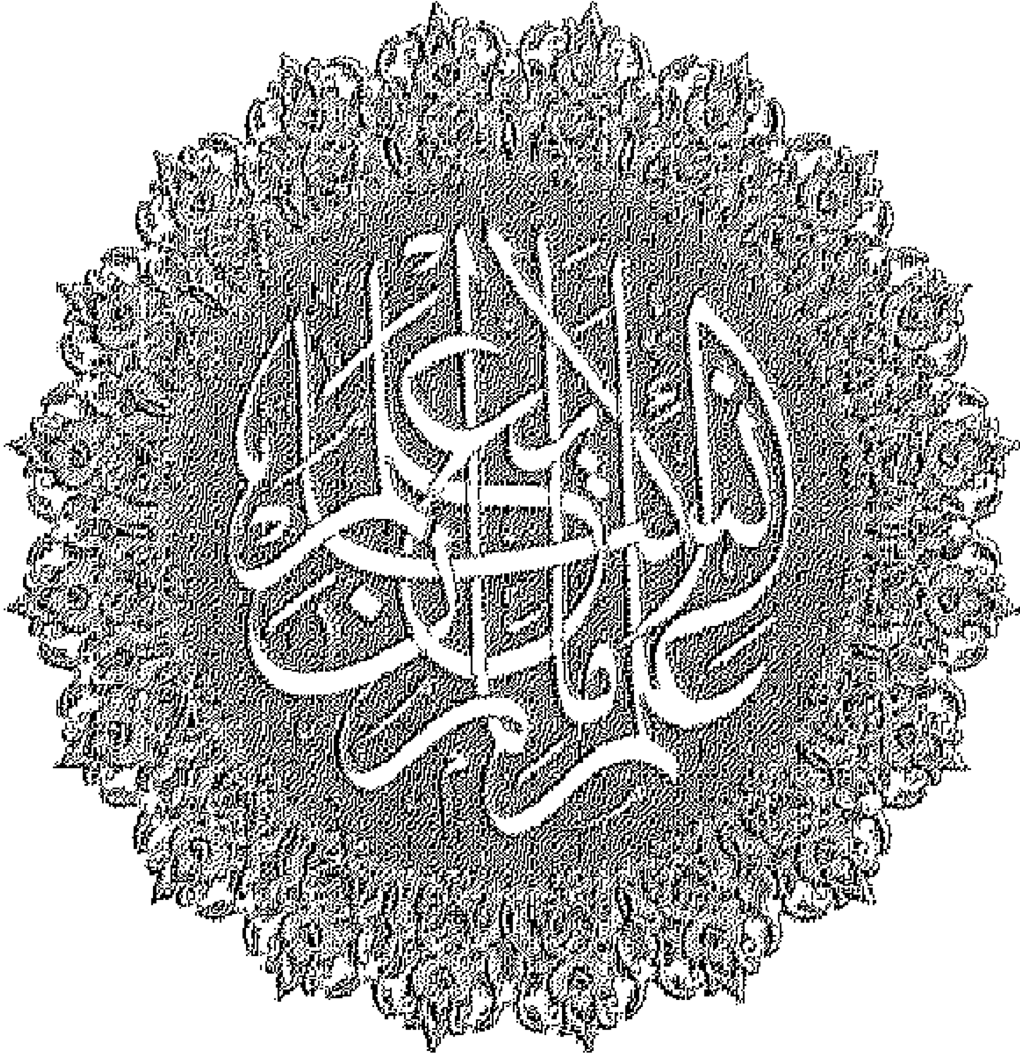
ويخلص في نهاية الفصل إلى أنّ مصادر القرآن اليهودية هي خرافات التلمود.

وفي الفصل الرابع يزعم أنّ التأثير المسيحي في القرآن جاء من المذاهب التي توصف بالهرطقة. من ذلك قصة أصحاب الكهف التي يسميها المسيحيون (النيام السبعة) وهي خرافة يونانية وردت في كتاب لاتيني اسمه (مجد الشهداء) من تأليف غريغوريوس، ونقلها محمد من جهلة النصارى.

وفي الفصل الخامس تكلّم عن أثر الزرادشتية في القرآن والحديث، وزعم أنّ قصة المعراج مأخوذة من التراث الفارسي. ويدّعي أنّ وجود العملة الزائفة دليل على وجود العملة الصحيحة، وقصة معراج محمد الزائفة إلى السماء لا تنفي صعود أخنوخ (إدريس)، وإيلياء (إلياس)، ويسوع.

وفي الفصل السادس يتعرّض لتأثير الحنفيين (الموحدين) في محمد ومن ثمّ في قرآنه. ويزعم أنّ تعاليم زيد بن عمرو بن نفيل ظاهرة الأثر في القرآن كمنع وأد البنات، ورفض عبادة الأوثان، والإقرار بالوحدانية، والثواب والعقاب.

يمكننا القول إن كتاب سانت كلير تسدال جمع كلّ الأراء المتطرفة ضد القرآن من كتابات المستشرقين والمنصرين الذين سبقوه أو عاصروه من أمثال



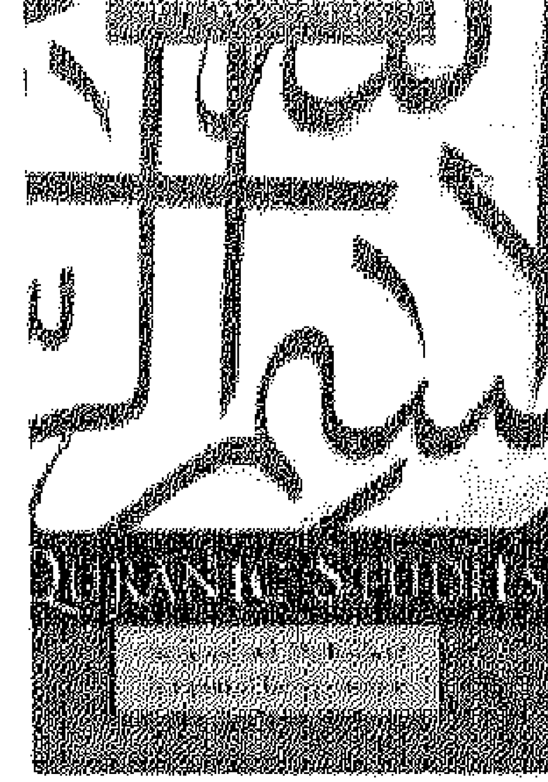
اليهودي أبراهام جايجر Abraham Gieger في كتابه (ماذا اقتبس محمد من النصوص اليهودية) الذي وضعه بالألمانية سنة 1833 وترجمه إلى الإنجليزية سنة 1896 ف. م. يونغ F.M. Young تحت عنوان (اليهودية والإسلام)، وهو مصدرٌ لكل من كتب في تأثير اليهودية في الإسلام.

تطوّر الدراسات القرآنية في العقدين الأخيرين

لقد شهدت الدراسات القرآنية في العقود الأخيرة شيئاً من التطوّر، لكنه لم يتحرر كلياً من سطوة نولدكه، وجيل المتقدمين من المستشرقين.

وهذا الجيل من المستشرقين أقلّ حظاً من المعرفة بالقرآن والإسلام، وأضعف لغة. ولذلك نزع هذا الجيل إلى طرق موضوعات تحتاج إلى منهج يحرره من إحساسه بالضعف في معرفة الإسلام لغةً وتراثاً وذلك بالخوض في موضوعات متطرّفة مبنية على فروض فاسدة كالقول بأن محمداً ﷺ شخصية أسطورية، وأنّ الإسلام ليس له وجود إلا في حقب متأخرة جداً، وأنّ القرآن صناعة متأخرة لأنه لم يكن له وجود مدوّن إلا بعد مائتي سنة من وفاة محمدﷺ.

جون وانسبرو
John Wansbrough
عرّاب الدراسات القرآنية الحديثة

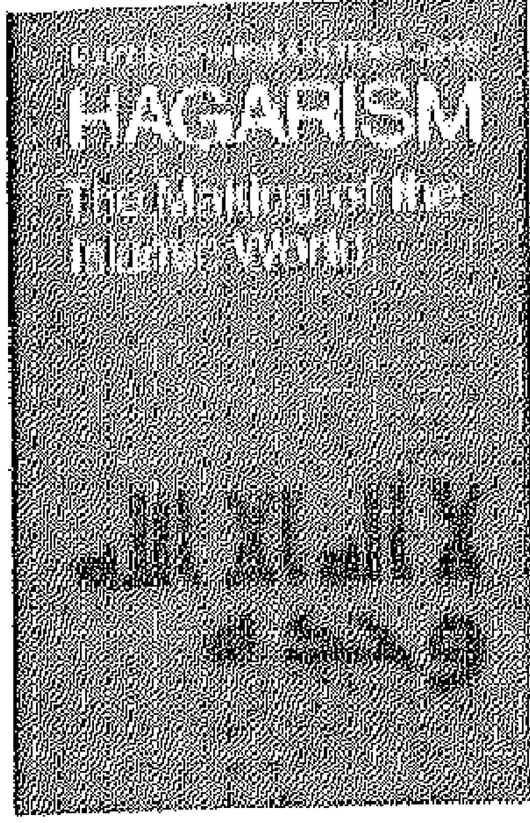


وُلِد جون وانسبرو في إلينويز Illinois بالولايات المتحدة الأمريكية، وتعلّم اللغات في جامعة هارفارد، وأمضى معظم حياته العلمية في التدريس بجامعة لندن، في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية:

London University's School
of Oriental and African Studies

وتوفي في يونيو 2002 بعد أن خلّف وراءه دراسات في الإسلام والقرآن أحدثت دوياً هائلاً في الأوساط العلمية لما اتسمت به من جرأة، ولما اتصفت به من هدم المسلمات حسب رأي النقّاد الغربيين أنفسهم.

ولعلّ كتابه (دراسات قرآنية: مصادر الكتب المقدسة وطرق تفسيرها) Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptual Interpretation الذي صدر عن مطبعة جامعة أكسفورد سنة 1977، يُعد من أخطر كُتُبِه. وعلامة ذلك أنّ كلّ من كتب بعده في تاريخ القرآن تأثر بمنهجه في البحث. ولم يقف تأثيره على الباحثين في الدراسات القرآنية، بل تعداهم إلى الباحثين في تاريخ الإسلام عامة. تقول باتريشيا كرونه ومايكل كوك Patricia Crone & Michael Cook في مقدمة كتابهما الهاجرية Hagarism الذي صدر بعد كتاب وانسبرو وأحدث ضجة كبيرة لإنكاره وجود اسم الإسلام إلا بعد قرون، وأن المسلمين هم هاجريون كما ورد في كتب تاريخية غير إسلامية كُتِبَت في زمن ظهور الإسلام: « نودّ أن نسجّل هنا ما ندين به إلى تأثيرين لم يكن تصوّر هذا الكتاب لولاهما. الأول تعرّضنا لمنهج الدكتور جون وانسبرو الشكيّ حول تاريخ التراث الإسلامي ».

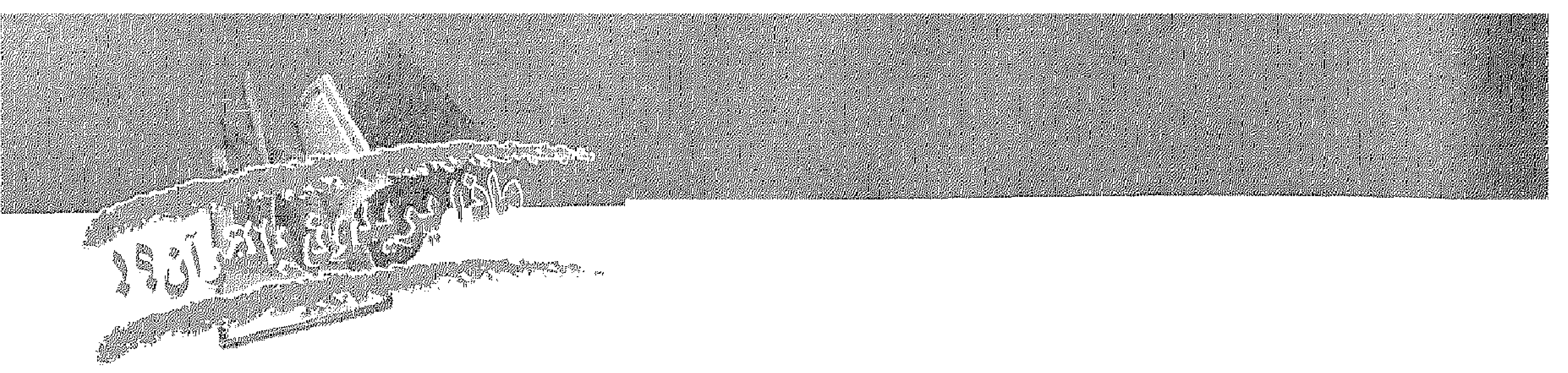


يفترض وانسبرو أنّ القرآن لم يجمع إلا بعد حقبة طويلة أكثر مما كان يُظن. يقول زميله في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية الدكتور جيرالد هاوتينج Gerald Hawting: « وانسبرو أكثر الباحثين شهرةً بسبب كتاباته عن القرآن، ولكن ينبغي النظر إلى ذلك في السياق العام لدراساته في بواكير الإسلام بشكل عام. لقد طوّر وانسبرو نموذجاً Model يصوّر ظهور الإسلام، وينظر إلى القرآن باعتباره جزءاً من تطوّر الإسلام نفسه ».

لقد طبّق وانسبرو على القرآن المنهج نفسه الذي طبّقه غيره في نقد الأناجيل وتاريخ المسيحية المبكّر. ويرى هاوتينج أنه إذا كان كثير من الباحثين الغربيين يؤيدون فكرة أن القرآن جُمِع بُعيد وَفَاةِ النبي انسياقاً مع ما يذهب إليه المسلمون، فإنّ وانسبرو أراد بكتابه أن يقطع الصلة بين محمد والمواد القرآنية، وأن القرآن لم يكن معروفاً لدى الجيل الأول من المسلمين. ويزعم وانسبرو أنه لا يوجد أثر للقرآن بعد وفاة محمد لزمن طويل، وأنّ الدليل الوحيد على وجوده تلك النقوش القرآنية الموجودة على قبة الصخرة بالقدس بعد سبعين سنة من وفاة النبي ﷺ.

ويزعم وانسبرو أنّ القرآن بدأ في التكوّن من تلك الحقبة جزءاً فجزءاً، ولم يخرج إلى الدنيا كتاباً واحداً متكاملاً كما يعتقد المسلمون وكثيرٌ من الباحثين الغربيين أيضاً.

ويزعم أيضاً فضلاً عن هذه النظرية الشاذة أنّ



اليهودية والمسيحية ساهمتا في صناعته.

وهذه النظرية المتطرفة (الراديكالية) هي نفسها التي طبقها وانسبرو في كتابه اللاحق الذي صدر بعد سنة من كتابه دراسات قرآنية، ويحمل عنواناً هو (The Sectarian Milieu) حيث ذهب إلى أنّ الإسلام نفسه لم يُعرف إلا بعد غزو بيت المقدس في القرن السابع.

وبالرغم من أنّ وانسبرو نفسه ينعت تحليلاته التي أسس عليها نتائجه بأنها (ظنية أو حدسية (Conjectrual)، وبأنها مؤقتة أو مبدئية tentative / Provisional كما ورد ذلك صراحة في صفحات مقدمة كتابه دراسات قرآنية (راجع الصفحات xi,ix) إلا أنه يؤسس عليها نتائج خطيرة، فلا القرآن ولا الإسلام من نتاج محمد، ولا هما أيضاً من نتاج الجزيرة العربية. ولم يكن ثمة دليل على أن الفاتحين من العرب الذين انتشروا خارج الجزيرة العربية كانوا مسلمين. وأغلب الكتابات التي جاءت لاحقاً بعد مائتي سنة وضعتها النخبة من بلاد ما بين النهرين Meso potamia. وربما تكون السلطة الدنيوية قد اكتشفت أو تبنت حركة جديدة كانت نتاجاً لأوساط يهودية مسيحية، ولم تلبث هذه الحركة أن تعرّبت. واستغرق القرآن وقتاً طويلاً حتى نال القداسة. والاستنتاج الذي لا مفرّ منه، وإن لم يذكر صراحة، هو أنّ التراث الإسلامي حول التاريخ المبكر لنص القرآن هو محض اختراع.

لقد أحدثت دراسة وانسبرو أثراً ملموساً في كتابات تلاميذه ولا سيما ريبين Ribbin والكاتب الإسرائيلي يهودا نيفو Yehuda Nevo، وذلك بتوجيه الدراسات القرآنية نحو البحث الأثري (الأركيولوجي) للقرآن، حيث يزعم هذا الأخير أن النقوش التي عُثر عليها مؤخراً في صحراء النجف تؤيد ما ذهب إليه وانسبرو.

والحق يقال إن هذا اللغو لم يتقبله كثير من المستعربين لأنه مجرد ظنون وتخرصات، إذ لو كانت الوقائع التاريخية المتواترة في الذاكرة الجماعية تُنفى لمجرد عدم ورود ذكرها في نقش صخريّ لَمُسِح كلّ تاريخ الإنسانية.

ولعلّ العبارة التي اختتم بها جون بورتون John Burton كتابه جمع القرآن The Collection of Quran... نشرته مطبعة جامعة كيمبريدج سنة 1977 وهي السنة نفسها التي صدر فيها كتاب جون وانسبرو، خير ردّ على ظنون وانسبرو وتلاميذه. يقول بيرتون:

«ما بين أيدينا اليوم هو مصحف محمد»
"What we have today in our hands
is the Mushaf Muhammad"

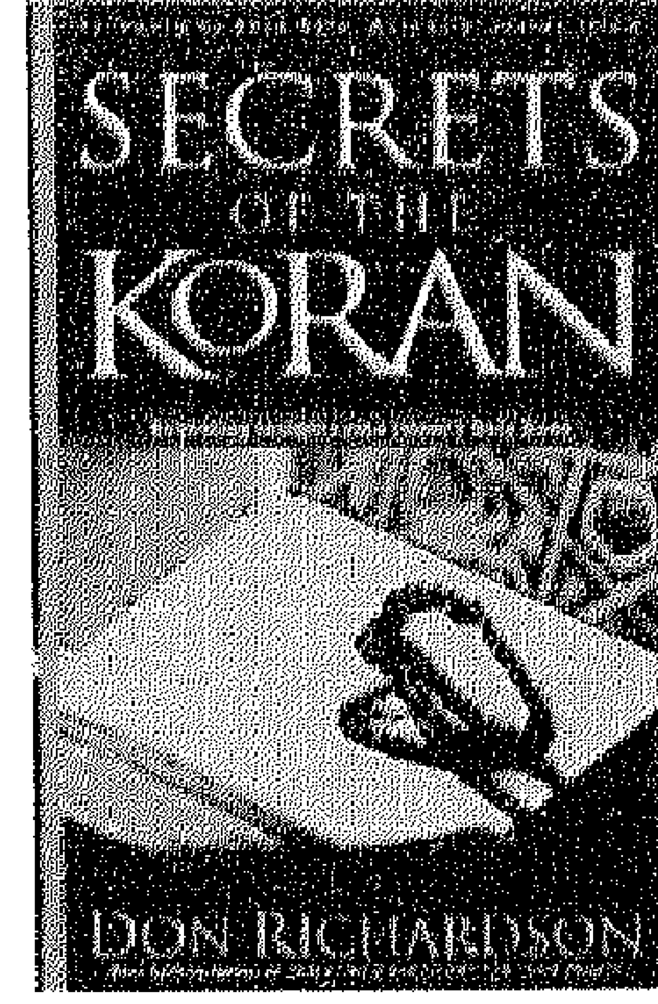
ص 239 وهي عبارة أثارت حفيظة شانئي القرآن.

الأركيولوجيا والنقوش الصخرية تبدد أوهام وانسبرو

إن نظرية وانسبرو التي أثارت اهتمام الباحثين من الهشاشة والضعف ما جعلها تتقوّض مع أول مواجهة علمية. إن البحث الأركيولوجي والنقوش الصخرية الموجودة في جزيرة العرب والتي اكتشفت في مكة تبدّد أوهام وانسبرو، وتطوّح بنظرياته الغثة بعيداً.

إنّ الدراسة التي قام بها الباحث سعد بن عبد العزيز الرشيد التي تحمل عنوان (كتابات إسلامية من مكة المكرّمة) ونُشِرت بالرياض سنة 1995، تعدّ أكبر زلزال يهزّ هذا الفكر المتهافت بآليات مماثلة، أي مجابهة الأركيولوجيا بأركيولوجيا مماثلة. فإذا كان وانسبرو يزعم أن القرآن لم ينتج في جزيرة العرب، ولم ينتج في الزمن الذي يظنّ فيه المسلمون أنه أنتج فيه لأنه لم يقف إلا على نقش يتيم موجود على قبة الصخرة بالقدس، فإنّ النقوش القرآنية التي وُجدت مكتوبةً على الصخور في مكة تبرهن بشكل قطعي على فساد نظريات وانسبرو التي طار صيتها في المحافل العلمية وكأنها يقين لا يرقى إليه شك.

الدراسات القرآنية:
من الاستشراق إلى السياسة



كتاب (أسرار القرآن)

« ماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا»

لاكوست،

وزير المستعمرات الفرنسي



« إن الوحدة الإسلامية نائمة لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ»

أرنولد توينبي

من أسوأ المراحل التي يمرّ بها الاستشراق، إن سلمنا بأن الاستشراق لم يمت، هذه المرحلة الراهنة التي يستبدل فيها السياسي بالمستشرق.

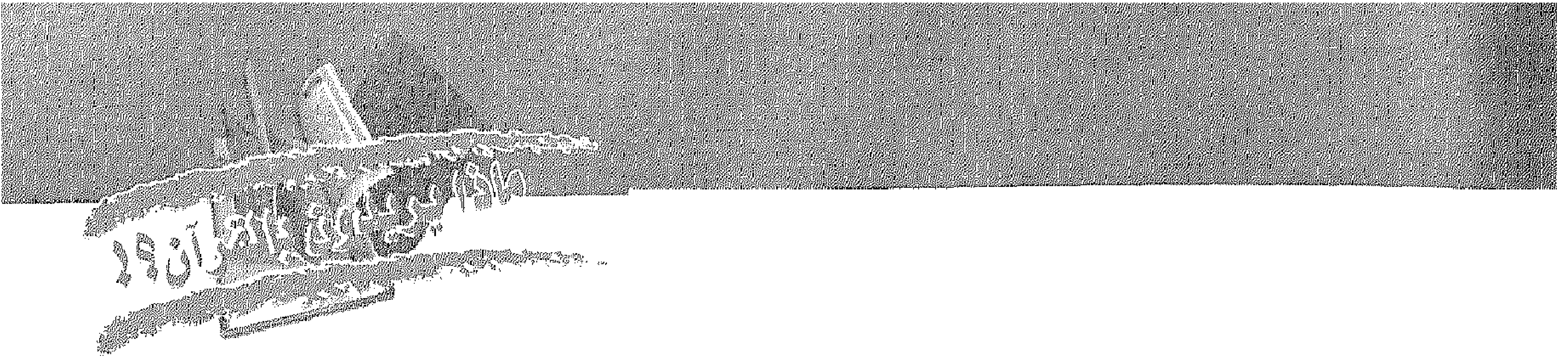
إن سيطرة لغة السياسة على لغة العلم ومنهجية البحث جعلت القراءة الغربية للقرآن والإسلام قراءة سطحية، ولم يبق من الاستشراق إلا العناوين البرّاقة، ولم يبق من المستشرقين إلا صحافيون، وانتروبولوجيون، ورجال استخبارات، وأكاديميون يرتزقون من مؤسسات مشبوهة تسمى مراكز بحوث واستشارات.

من المؤلفات التي ظهرت مؤخراً تحمل عنواناً برّاقاً كتاب (أسرار القرآن) وهو عنوان جذاب يوحي للوهلة الأولى بأنه كشف عن المحجوب، أو إماطة اللثام عن غوامض التنزيل. ولكن الحقيقة غير ذلك، فهو كتاب إعلاميّ من كاتبٍ لا حظّ له من المعرفة بالقرآن والإسلام إلا ذلك القدر الذي اطلع عليه من هنا وهناك.

والكتاب من منشورات Regal Books بكاليفورنيا - الولايات المتحدة سنة 2003.

المؤلف يُدعى دون ريتشاردسون Don Richardson, يحمل درجة دكتوراه في الآداب من جامعة بيولا - لاميرادا Biola University - La Mirada ويلقي دروساً في الكنائس أكثر من أربعين مرة في السنة. وقدّم للكتاب رضا صفا Riza Safa كاتب إيراني يعيش في أمريكا، له كتاب يحمل عنواناً هو (داخل الإسلام) Inside Islam.

الكتاب شحنة من الخطابات السياسية المباشرة في لغة فجّة لا تصدر إلا عن كهنوتي منصّر. وعناوين فصول الكتاب الذي يقع في سبعة عشر



«إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا بشكل مباشر وعنيف هو الخطر الإسلامي فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية».

سالازار

« متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربيَّ يتدرج في سلم الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد والقرآن».

وليام جيفورد بالكراف

فصلاً، وخاتمة، وملحقين وتغطي نحو 250 صفحة، تُفصِحُ عن ذلك. وها هي ذي محتويات الكتاب :

- ❖ المقدمة بقلم: رضا صفا.
- ❖ تمهيد: (من طفل السلام إلى القرآن).
- ❖ الفصل 1: (هل هو كتاب سِلْم ؟).
- ❖ الفصل 2: (الذئب في القطيع).
- ❖ الفصل 3 : (آيات عنف، عقائد عنف).
- ❖ الفصل 4: (نقد القرآن).
- ❖ الفصل 5 : (نبي الإسلام وتعدد الزوجات).
- ❖ الفصل 6: (كيف يحاول المسلمون الدفاع عن القرآن).
- ❖ الفصل 7 : (محاولات غير المسلمين الدفاع عن القرآن).
- ❖ الفصل 8 : (أخلاقيات العهد القديم والقرآن).
- ❖ الفصل 9 : (أخلاقيات العهد الجديد والقرآن).
- ❖ الفصل 10 : (تراث متميّز لنبي محارب).
- ❖ الفصل 11 :(خطة الإسلام للسيطرة على العالم).
- ❖ الفصل 12 : (تغلغل الإسلام في الثقافة الغربية).
- ❖ الفصل 13 : (طاعون القرن 21 : الجراد).
- ❖ الفصل 14 : (أوروبا : قارة الإبادة الجماعية الذاتية).
- ❖ الفصل 15 : (لويس فرقان : الإسلام والعبودية).
- ❖ الفصل 16 : (عرض الإسلام المسلح يصل إلى أمريكا).
- ❖ الفصل 17 : (ماذا ينبغي أن نفعل ؟).
- ❖ الخاتمة : (الكشف عن الأسرار).
- ❖ الملحق (أ) : عصر المسيحية : الجدل الطويل.
- ❖ الملحق (ب) : آيات الحرب المائة والتسع في القرآن.

ولعلّ كتاب نيل روبنسون Neal Robinson اكتشاف

القرآن : مقاربة معاصرة لنصّ محجّب

Discovering the Qur'an:

A Contemporary Approach to a Veiled Text

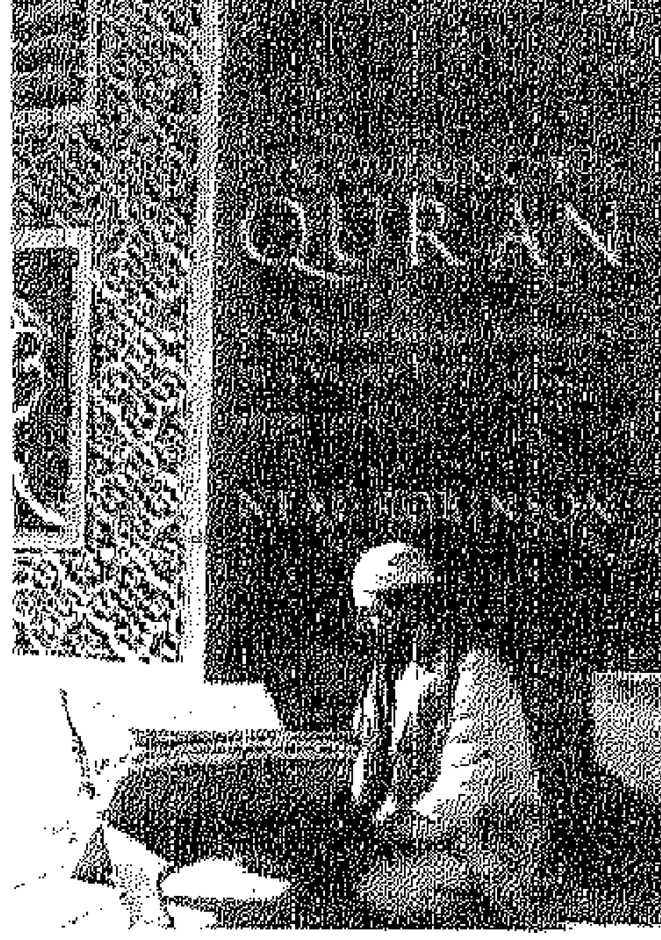
أقلّ تأثراً بالسياسة من نظيره (أسرار القرآن). ونيل روبنسون أستاذ في الدراسات الإسلامية بجامعة ليدز University of Leeds. وهو أيضاً صاحب كتاب (الإسلام : مدخل شامل).

ومن الواضح أن كتاب (اكتشاف القرآن) يُعد إلى حد بعيد رداً على تلك المؤلفات التي يغلب عليها الطابع التقريري السياسي، وتتسم بالذاتية مع الجهل بالقرآن اعتماداً على ترجمات لمعانيه لا تخلو من الغلط وسوء الفهم، فضلاً عن انعدام أول شرط من شروط البحث في القرآن وهو معرفة اللغة العربية فهماً عميقاً يعين على اكتشاف أسراره. وربما كان هذا الكتاب مع كتبٍ أخرى هو ما عناه دون ريتشاردسون في الفصل السابع من كتابه الذي خصّه للرد عن المدافعين عن القرآن من غير المسلمين.

ولذلك ليس من المستغرب أن ينال كتاب روبنسون التقدير باعتباره يمثّل المدرسة الغربية الموضوعية في فهم القرآن.

يقول البروفيسور أوليفر ليمان Oliver Leaman أستاذ الفلسفة بجامعة كينتاكي University of Kentucky وصاحب كتاب: مدخل للفلسفة الإسلامية التقليدية :

«إذا سألني أحدهم أن أوصي بكتابٍ واضح وشامل يكون مدخلاً لفهم طبيعة القرآن ودوره، فإنني بلا ريب لن أجد أفضل من كتاب اكتشاف القرآن لنيل روبنسون».

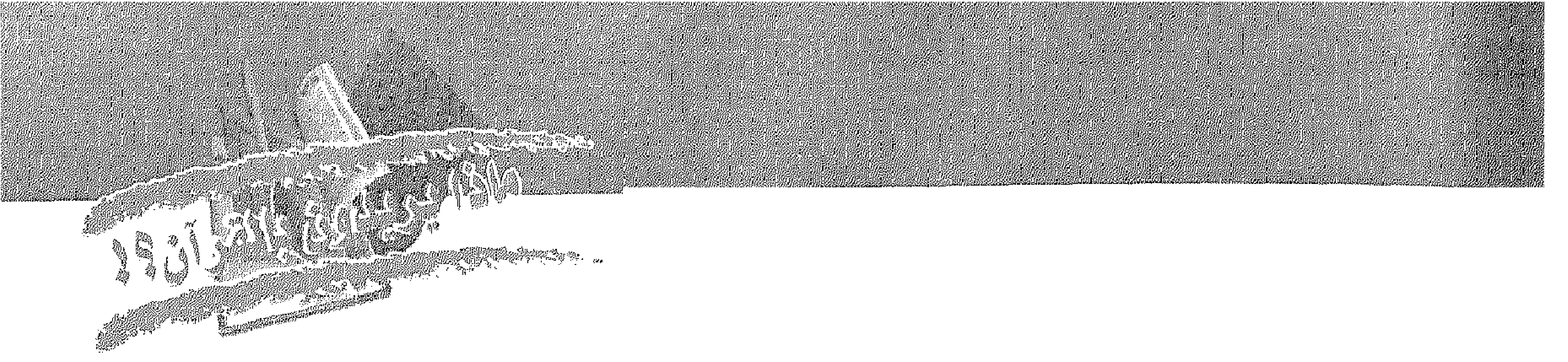


غلاف كتاب
اكتشاف القرآن : مقاربة
معاصرة لنصّ محجّب



«لن تحقق بريطانيا شيئاً من غاياتها في العرب إلا إذا سلبتهم سلطان هذا الكتاب.. اخرجوا سرّ هذا الكتاب من بينهم تتحطم أمامكم جميع السدود»

جلادستون
وزير المستعمرات البريطانية، 1895



سفاهات يسمونها قرآناً

من مسيلمة الكذاب إلى أنيس شيروش



ظهرت في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر سفاهات أشبه بهذيان السكارى يُزعم أنها وحي تنزّل على بعض المخبولين، وصدق الله العظيم حيث قال:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [سورة الشُّعَرَاء: الآيتان 221 ـ 222]

وكان يُظنّ وقتها أنها ضروب من الهوس تصدر عن حمقى ومجانين، حتى تكشّفت في العقود الأخيرة خيوط المؤامرات القذرة التي كانت تحاك ضد القرآن الكريم منذ تلك الحقبة.

والعجيب أنّ تلك السفاهات كانت تأتي فجأة في فترات متلاحقة، ثم تختفي حيناً من الدّهر ثم لا تلبث أن تعود في ثوبٍ جديد. ومن يمعن النظر في تاريخ ظهورها يرى أن جميعها تتظافر في الظهور عندما تتداعى الأمم المستعمرة ناشبة مخالبها في جسد الأمة المسلمة المتهالك. ولما أيقن المستعمر أن عدم انقياد المسلمين وتسليمهم له يعود إلى تمسكهم بقرآنهم الذي يدعوهم لينفروا خفافاً وثقالا، وليجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وأن هذه العقيدة القوية لا تنكسر لها شوكة إلا باختراع نبوءات جديدة وصنع أنبياء جدد يخرجون على المسلمين بقرآن ووحي جديد يجري على لسان أناس من أبناء جلدتهم يدعوهم إلى النكوص والتثاقل والانقياد إلى أعداء الأمة، وتسليم طاقاتها وقدراتها إليهم بمبررات سخيفة تزعم أنها وحي إلهي يدعوهم لوقف الجهاد وتعطيله، وعدم مقابلة غضب الرب بالسيف، لأن من يظنون أنهم أعداء، هم رحمة من السماء أرسلها الله لهم فلا يليق أن تُلاقى رحمةُ الله بالجحود والنكران، ولا أن يُعْلَنَ الحربُ عليها.

بدأت هذه الحكاية مع بواكير الاستعمار الغربي للشرق الإسلامي في شبه القارة الهندية وإيران، ثم بدأت بعد ذلك تتسلل للبلاد العربية وهي ترتدي لبوساً للتمويه وخداع الدهماء من الناس.

﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [سورة يُونس: الآية 37]

(البيان) قرآن البابية

❖ البابية حركة ساهم الروس في تأسيسها على يد شخص يُدعى علي محمد رضا الشيرازي (1819 ـ 1849). وزعم الشيرازي أن وحياً يتنزّل عليه، فتسمى بـ(الباب)، وادّعى النبوة وخرج على الناس بكتاب يدّعي أنه ناسخ للقرآن، وأُطلِقَ عليه اسم (البيان).

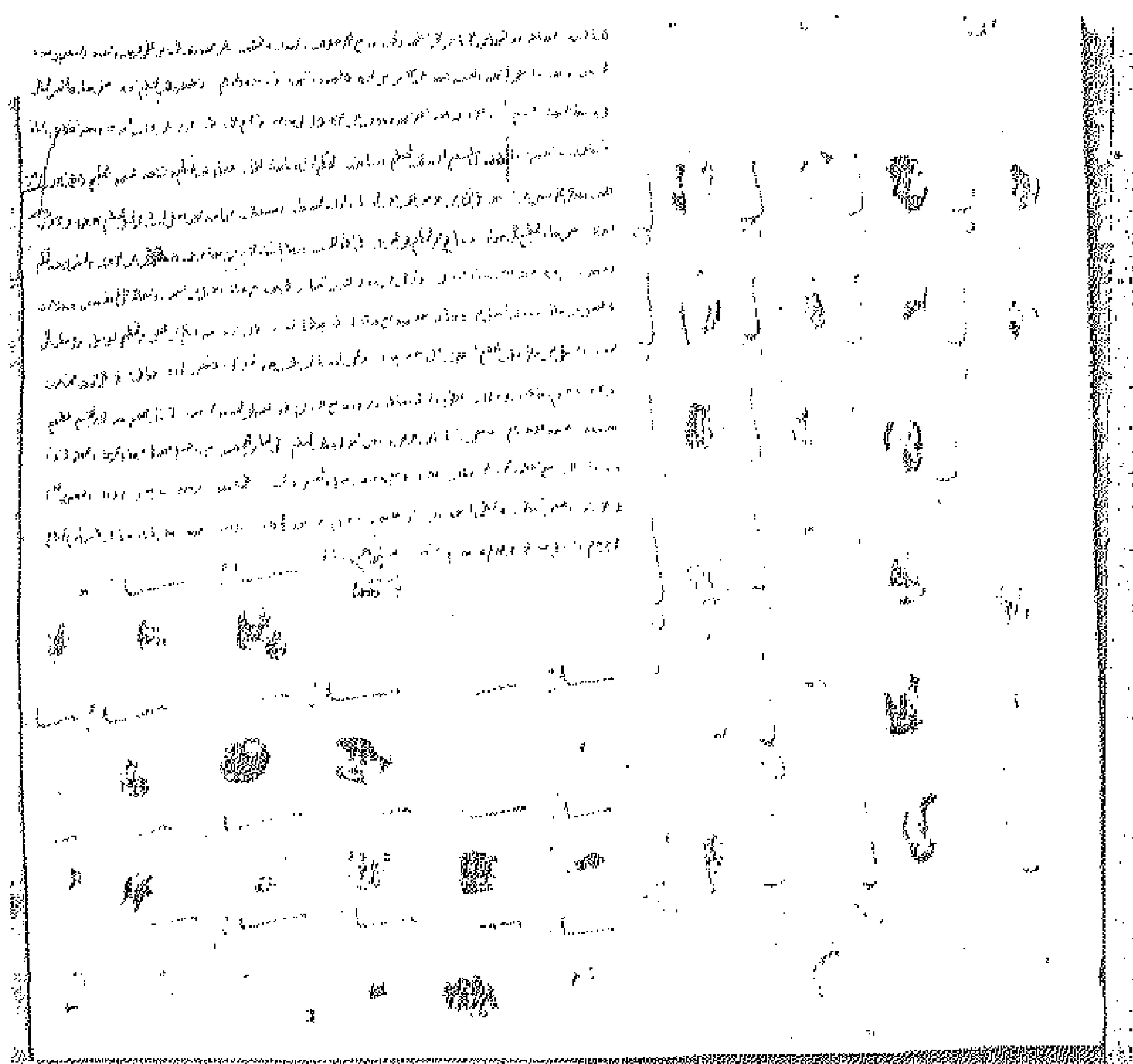
ومن المؤكّد أنّ للبابية جذوراً ترجع إلى الفكر الباطني القرمطي الذي وجد فيه المستعمر وسيلة لتحقيق مطامحه، حيث نجد لفظة (الباب) صفة تُطلق على الداعية الإسماعيلي الذي يُسمى أيضاً (الحجّة)، وهو يأتي في المرتبة الثانية بعد رتبة (الإمام)، وهو نائبه، وظله الذي لا يفارقه. و(الباب) عند هؤلاء الباب الذي يفضي إلى مستودع أسرار الإمام المستور.

وأصل فكرة (الباب) في الفكر الباطني تعود إلى حديث لا يصح إلا عند الشيعة يقول: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

❖ ابتدأ الباب بدعوى النبوّة ثم انتهى بدعوى الألوهية، وهكذا هو شأن الكذّابين. وكان من القائلين بالاتحاد ووحدة الوجود.

❖ تآمر لإسقاط الشاه بتدبير من روسيا، فافتضح أمره، وخذلته روسيا، وسعى أتباعه للإفراج عنه عند الدولة العثمانية، وكتبوا في ذلك التماساً وقّع عليه عدد من أنصاره. ولم يفلح ذلك الالتماس وتمّ إعدامه بعد فشل المؤامرة. وهكذا شأن أدعياء النبوات، أصحاب مؤامرات ودسائس.

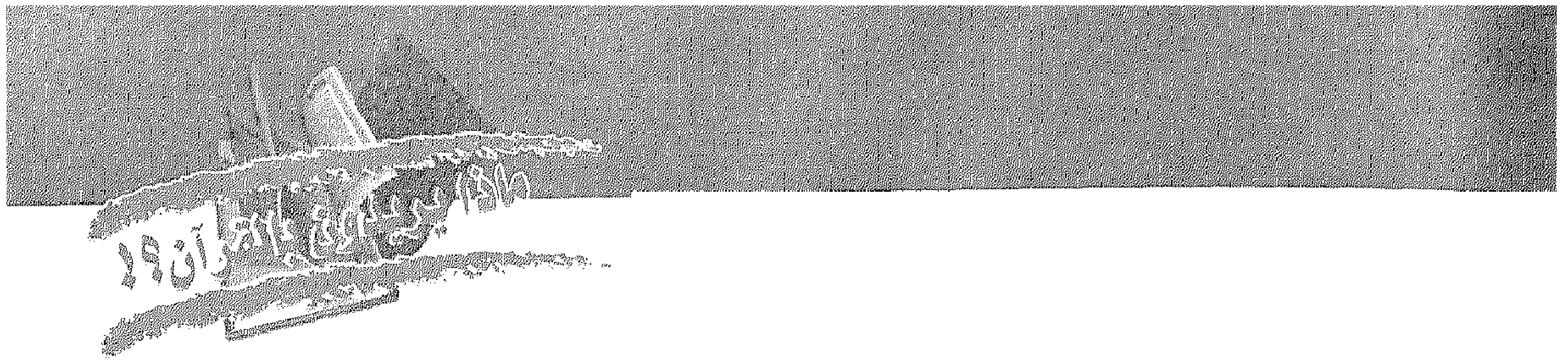
❖ اهتم الكتّاب الغربيون بالباب واحتفوا بكتاباته وترجموها إلى لغاتهم، وسعوا إلى تقديمها على أنها الدين الجديد. وكان من هؤلاء الإيطالي ميكيللي



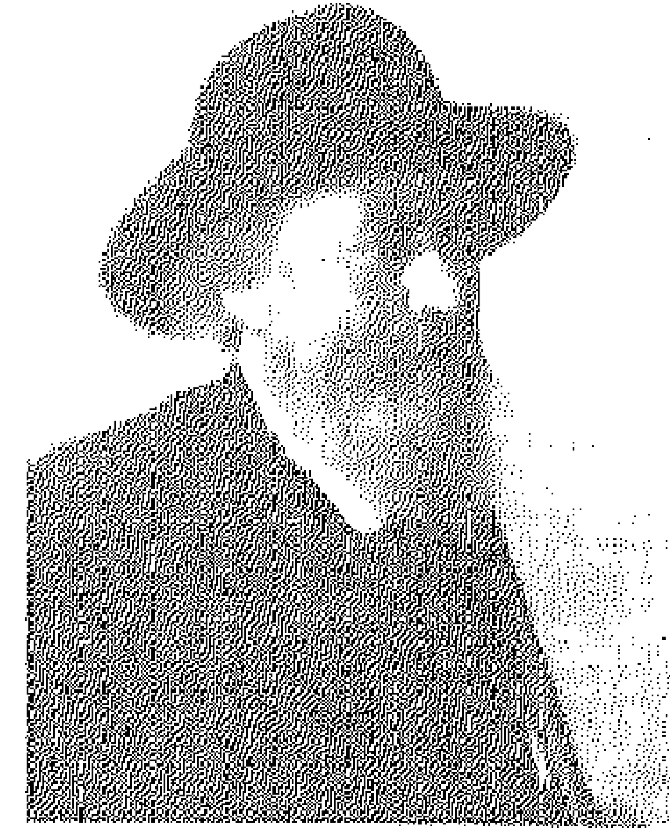
صورة الالتماس الذي قدمه أنصار الباب للإفراج عنه

عقائد البابية

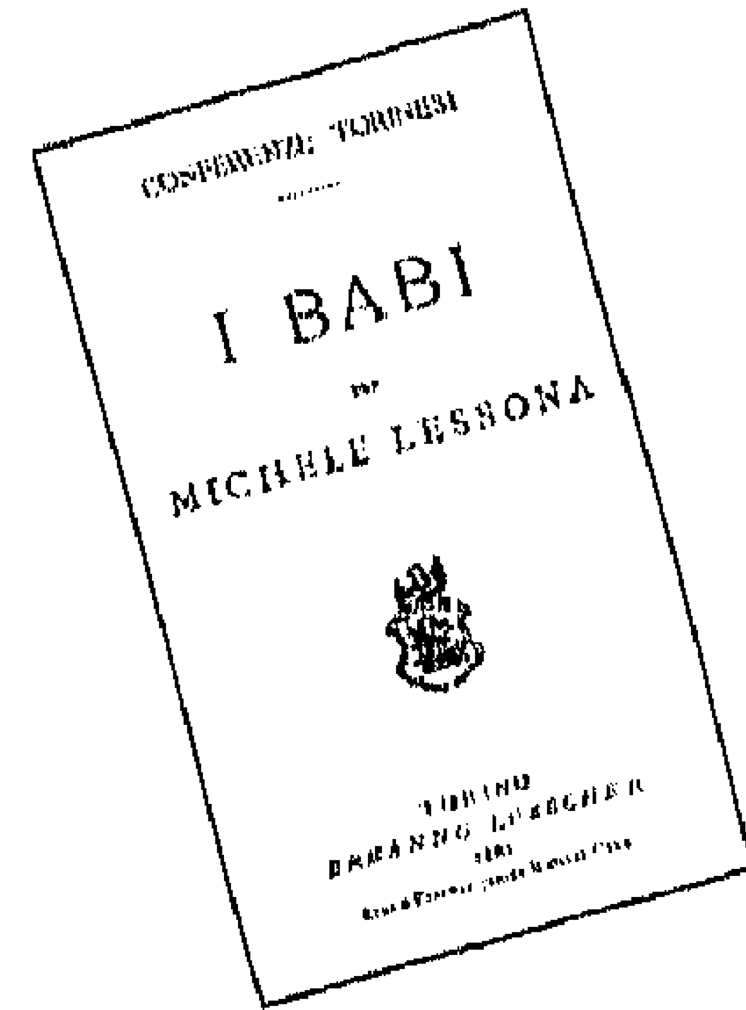
- ❖ **كتاب (البيان) ينسخ القرآن**
- ❖ **نفي القول بختم النبوة**
- ❖ **إنكار المعاد والحشر**
- ❖ **إلغاء الصلاة ما عدا صلاة الجنازة ومنع الصدقات**
- ❖ **إفساد الأخلاق والدعوة إلى الإباحية وتمزيق الحجاب**
- ❖ **القول بوحدة الأديان وترحيب اليهود بالدعوة البابية**



ليسونا Michele Lessona في كتابه عن البابية الذي صدر في عام 1881 في روما، وهو يعد من أهم المصادر التي لا يستغني عنها الباحثون في دراسة هذه النحلة. ومن أشهر المؤلفين الذين أغنوا المكتبة عن حياة الباب وتعاليمه في أعين الغربيين أ. ل. نيكولاس الذي ترجم كتاب البيان من الفارسية إلى الإنجليزية. وفي هذه المؤلفات كشف عن أسرار خفية تتعلّق بالباب ودعوته وما يكتنفها من غموض، وصلة ذلك بالإنجليز واليهود.



ميكللي ليسونا



CONFERENZE TORINESI

I BABI

MICHELE LESSONA

TORINO
ERMANNO LOESCHER
1881

هرطقة الباب وسخافاته في كتابه (البيان)

❖ « إني أفضل من محمد، كما أنّ قرآني أفضل من قرآن محمد، وإذا قال محمد بعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن، فأنا أقول بعجز البشر عن الإتيان بحرف من حروف قرآني».

❖ إنا قد جعلناك جليلاً للجاللين، وإنا قد جعلناك عظيماناً عظيماً للعاظمين.

❖ وإنا قد جعلناك نوراً نوراناً نويراً للناورين، وإنا قد جعلناك شرفاناً شريفاً للشارفين ..

❖ تبارك الله من شَمخٍ مشمخٍ شميخ، تبارك الله من بذّخٍ مبذخ بذيخ ، تبارك الله من ظهّرٍ مظهرٍ ظهير، وتبارك الله من عِلّمٍ معتلم عليم، وتبارك الله من قَهّرٍ مقهر قهير ..

❖ قل اللهم إنك أنت بهيان البهائين ، لتوتين البهاء من تشاء، ولتنزعن البهاء عمن تشاء، ولترفعن من تشاء، ولتنزلن من تشاء..

❖ كلا يوم نكشف الساق عن ساقهم، ينظرون الناس إلى الرحمن، وذكره في الأرض(١) المحشر قريباً، فيقولون يا ليتنا اتخذنا مع الباب سبيلاً..



أ.ل. نيكولاس

(الأقدس) قرآن البهائية

❖ البهائية/ حركة باطنية، وإن زعم أصحابها أنها ديانة عالمية، أسسها ميرزا حسين علي المازندراني (1816 ـ 1892) بعد هلاك الباب.

❖ أعلن المازندراني نفسه نبياً وتسمى بالبهاء، ثم تخاصم مع أخيه يحيى الملقّب بـ (صبح أزل) على خلافة الباب.

❖ أصيب مؤسسها في نهاية عمره بالجنون فتولى ابنه عباس الملقب بـ (عبد البهاء) خلافة أبيه.

❖ كتاب (الأقدس) الذي وضعه البهاء حسين ناسخ لجميع الكتب السماوية بما فيها القرآن الكريم.

❖ الاعتقاد بألوهية الفرد، وبوحدة الوجود، والحلول وأن لا انفصال بين اللاهوت والناسوت للبهاء، ولهذا وضع برقعاً على وجهه. وجاء في كتابه الأقدس: «من عرفني فقد عرف المقصود، ومن توجه إلي فقد توجه إلى المعبود».

❖ يزعم البهاء أن الوحي لم ينقطع، وأن المقصود بكون محمد خاتم النبيين هو أنه زينة لأن الخاتم يزين الإصبع.

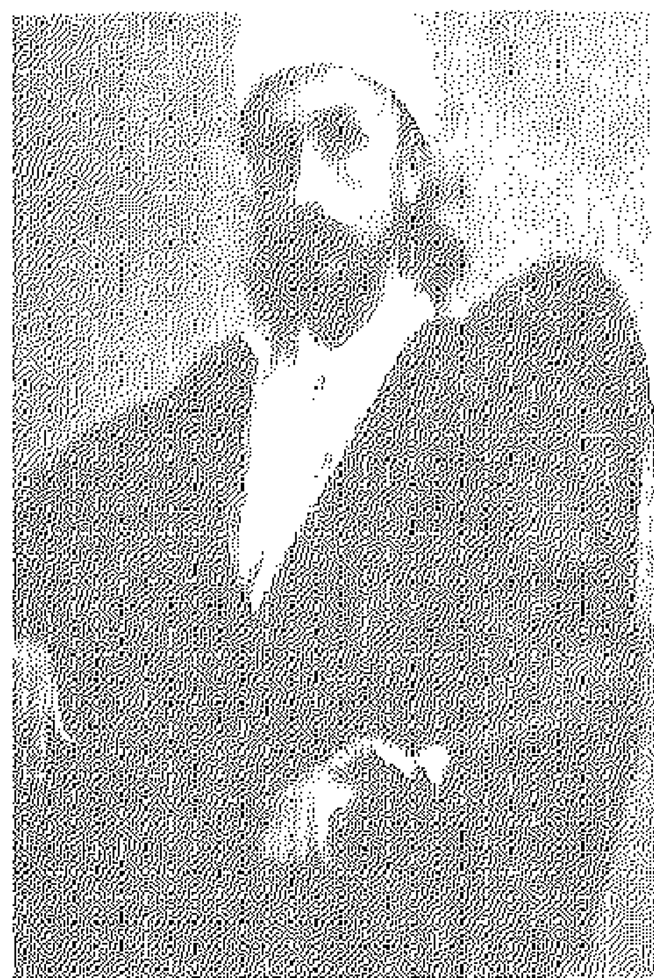
❖ يصف المسلمين بأوصاف قبيحة، جاء في كتاب «الإيقان»: «وجميع هؤلاء الهمج والرعاع يتلون الفرقان (القرآن الكريم) في كل صباح، وما فازوا للآن بحرف من المقصود».

❖ يحرمُ ذكر الله في الأماكن العامة ولو بصوت خاف. جاء في كتابه «الأقدس»: «ليس لأحد أن يحرك لسانه ويلهج بذكر الله أمام الناس، حين يمشي في الطرقات والشوارع».

❖ يعتقد البهائيون بقدسية العدد 19. فالسنة 19 شهراً والشهر 19 يوم.



ميرزا حسين علي البهاء



ابن البهاء وخليفته الملقب بعبد البهاء عباس

❖ يعتقد البهائيون أن القيامة مجيء البهاء في مظهر الله تعالى.

❖ لا يؤمن البهائيون بالجنة أو النار.

❖ لا يؤمن البهائيون بالملائكة والجن.

❖ لا يؤمن البهائيون بالحياة البرزخية بعد الموت، بل يقولون أنها المدة بين سيدنا محمد والباب الشيرازي.

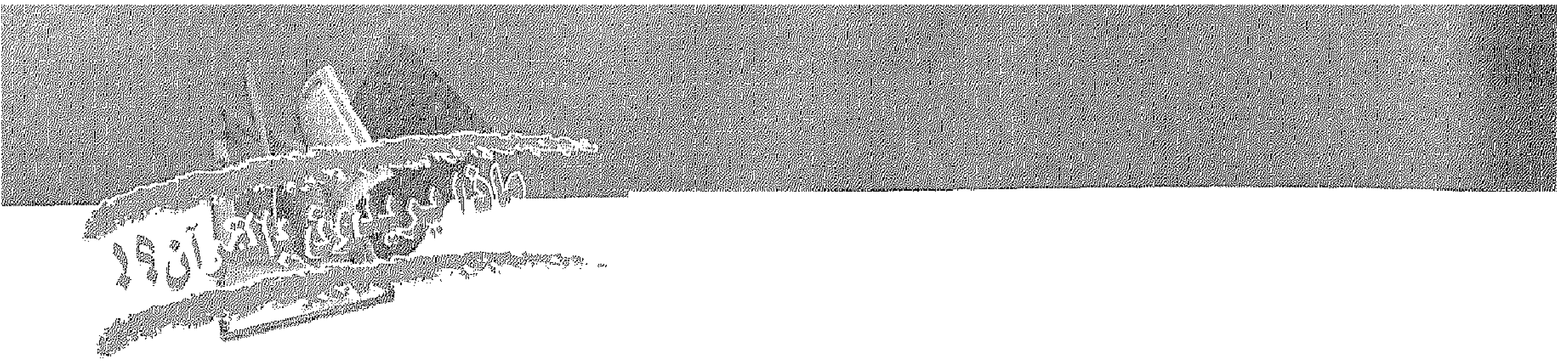
❖ يحرمون الجهاد والحرب تحريما قطعياً ومطلقاً، وهذا أحد أسرار علاقتهم بالقوى الاستعمارية. كما أنهم يحرمون الخوض في السياسة إلا للساسة، كما أن كتب البهاء تدعو للتجمع الصهيوني في فلسطين!

❖ يبيحون المتعة الحرام للنساء، والزنا بالإكراه له عقوبة مالية فقط.

❖ لا يؤمنون بالانتماء إلى الوطن تحت دعوى وحدة الأوطان، ويدعون إلى إلغاء اللغات والاجتماع على اللغة التي يقررها زعيمهم.

❖ لهم تأويلات منحرفة وباطلة لآيات القرآن الكريم:

- إذا الشمس كورت: يؤولونها بانتهاء الشريعة المحمدية ومجيء الشريعة البهائية!



- **إذا العشار عطلت:** يؤولونها بجمع الوحوش في حدائق الحيوانات في المدن !

- **إذا النفوس زوجت:** يؤولونها باجتماع اليهود والنصارى على دين البهاء !

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ [سورة إبراهيم: الآية27]

يؤولون الحياة الدنيا بالإيمان بمحمد ﷺ والحياة الآخرة بالإيمان بالبهاء !

❖ أما عباداتهم فهي كعقيدتهم مملوءة بالغرائب:

- **الصلاة:** لا يبيحون الصلاة في جماعة إلا على الميت، والصلاة عندهم ثلاث مرات هي الصبح والظهر والمساء. في كل مرة ثلاث ركعات دون تحديد لكيفية معينة، أما قبلتهم فهي نحو قصر البهجة في عكا، ويكون الوضوء فقط للوجه واليدين بماء الورد، وان لم يوجد فيقولون باسم الله الأطهر الأطهر خمس مرات.

- **الطهارة:** لا يعتقدون بالنجاسة من الجنابة أو سواها لأنهم يعتقدون أن من اعتقد بالبهائية فقد طهر!

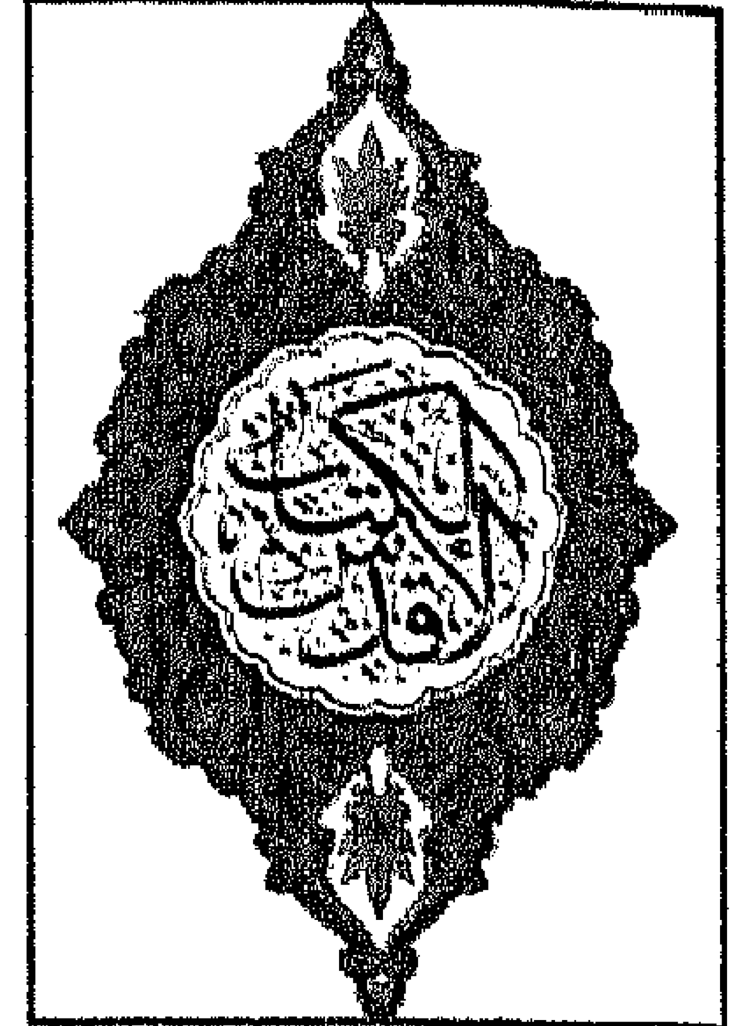
- **الصوم:** يكون تسعة عشر يوماً في السنة وهي من 2 إلى 21 مارس/آذار الذي يعرف عندهم باسم شهر «العلاء» وهو من سن 11 إلى 42 من الشروق للغروب ويعفى منه الكسالى، ومن يعملون أعمالاً مرهقة وغيرهم !

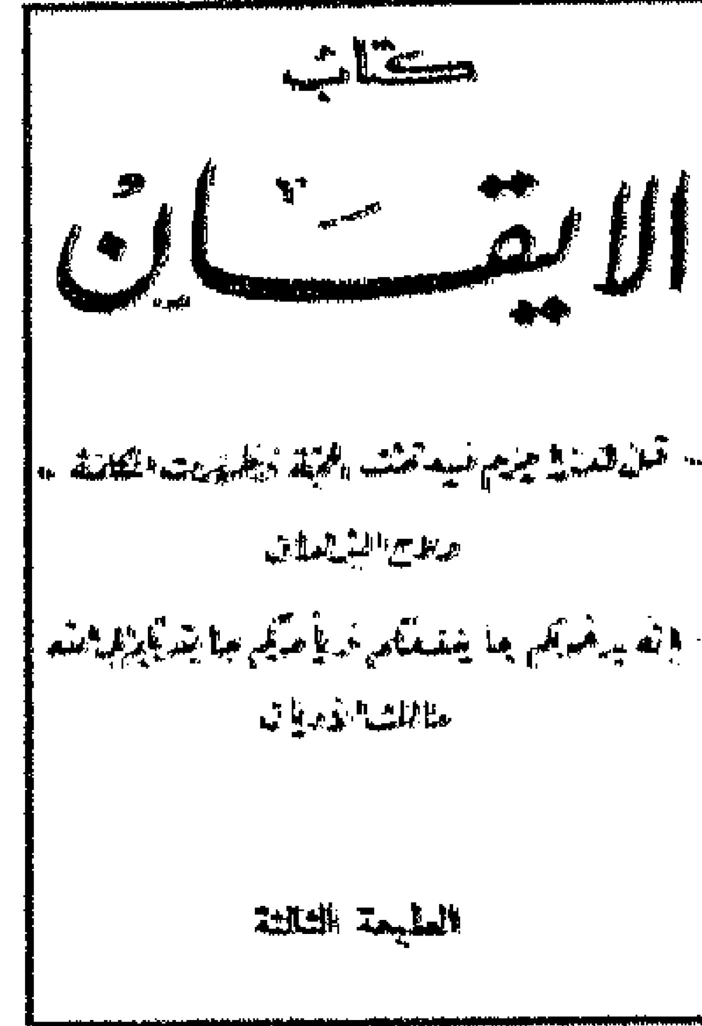
- **الزكاة:** استبدلت بنوع من الضريبة تقدر بـ 19٪ من رأس المال تدفع مرة واحدة !

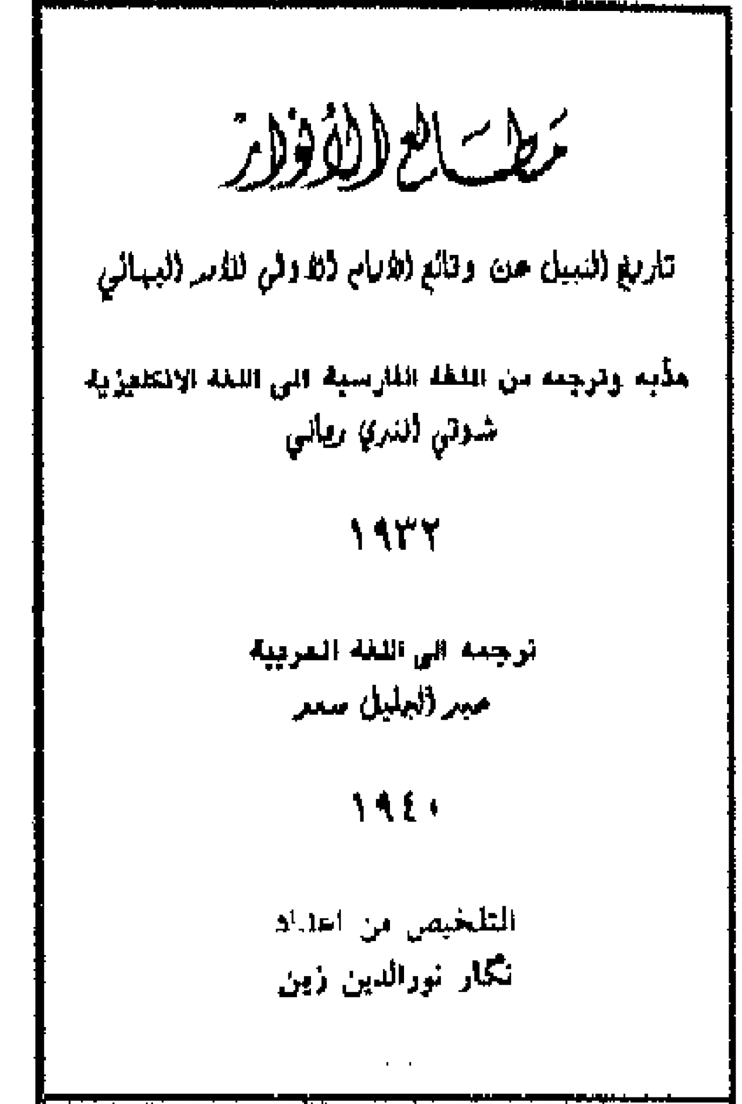
- **الحج:** هو للرجال دون النساء، ويكون لقبر البهاء بقصر البهجة في عكا !

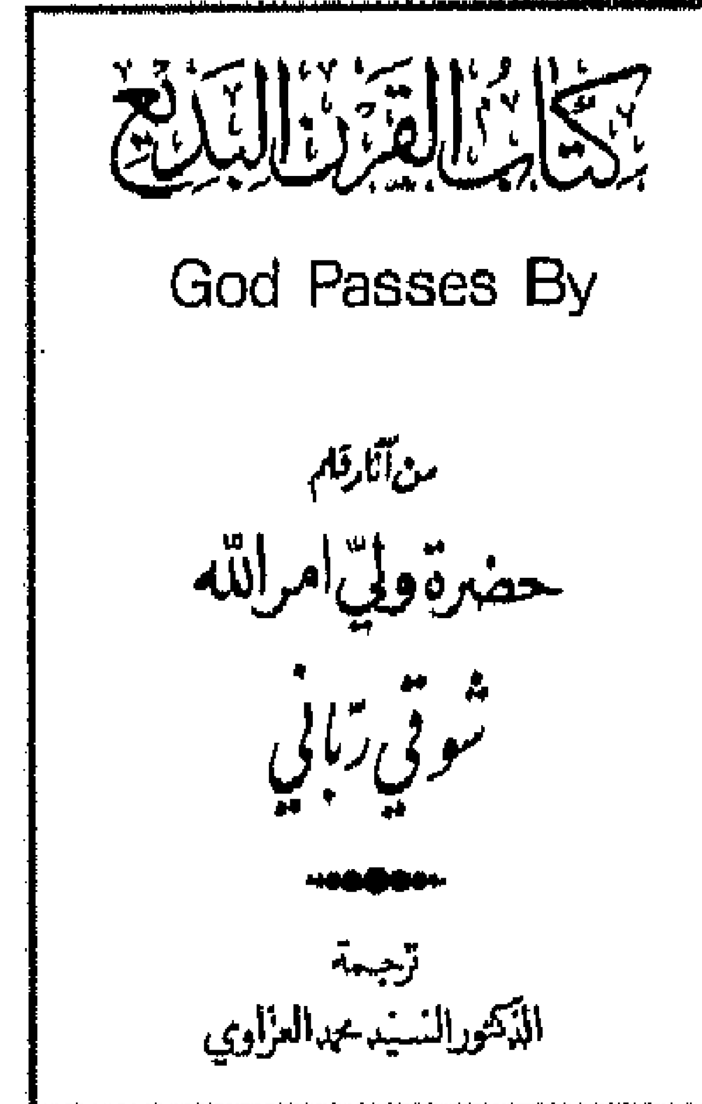
- **العقوبات:** لا عقوبات إلا الدية.

- **الزواج:** يكون بواحدة أو اثنتين على الأكثر. ويلمحون (بلا تصريح واضح) في بعض كتبهم إلى جواز زواج الشاذين، كما أنه يحرم زواج الأرامل إلا بعد دفع دية









من كتب البهائية بالعربية

والبهائيون على اختلاف أصولهم يصدقون بما بين أيديهم من الكتب السماوية ويؤمنون بالرسالات السابقة دونما تفريق، ويعتقدون بأن رسالة بهاء الله - أسوة بغيرها من الرسالات السماوية - لا تمثل سوى مرحلة من المراحل المتعاقبة للتطور الروحيّ الذي يخضع له المجتمع الإنساني.

إنّ الدين البهائي دين عالمي مستقل كل الاستقلال عن أي دين آخر. وهو ليس طريقة من الطرق الصوفية، ولا مزيجاً مقتبساً من مبادئ الأديان المختلفة او شرائعها، كما إنّه ليس شعبة من شعب الدين الاسلامي او المسيحي او اليهودي. وليس هو إحياء لأي مذهب عقائدي قديم. بل للدين البهائي كتبه المنزلة، وشرائعه الخاصة، ونظمه الإدارية، وأماكنه المقدسة. أما رسالته الحضارية الموجهة لهذا العصر فتتلخص في المبادئ الروحية والاجتماعية التي نص عليها لتحقيق نظام عالمي جديد يسود السلام العام وتنصهر فيه أمم العالم وشعوبه في إتحاد يحسن لجميع أفراد الجنس البشري العدل والرفاهية والاستقرار ويُشيّد حضارة إنسانية دائمة التقدم في ظل هداية إلهيّة مستمرة.

التعريف بالبهائية كما ورد في موقعهم على الشبكة العالمية

معينة، والأرمل يتزوج بعد 90 يوماً، والأرملة بعد 95 يوماً ولم يبينوا سبب تحديد هذه المدة، شأنهم شأن بقية أصحاب المعتقدات المنحرفة

هرطقة البهاء
وسخافاته في كتابه (الأقدس)

❖ قل قد جعل الله مفتاح الكنز حبي المكنون لو أنتم تعرفون. لولا المفتاح لكان مكنوناً في أزل الآزال لو أنتم توقنون.

❖ قد حكم الله دفن الأموات في البلّور ، أو الأحجار الممتنعة، أو الأخشاب الصلبة اللطيفة ، ووضع الخواتيم المنقوشة في أصابعهم إنه لهو المقدر العليم.

❖ من يقرأ آية من آياتي خير له في (!) أن يقرأ كتب الأولين والآخرين.

❖ كُتب عليكم تجديد أسباب البيت بعد انقضاء تسعة عشر سنة، كذلك قُضِيَ الأمر من لدُن العليم الخبير.

❖ اغسلوا أرجلكم كلّ يوم في الصيف، وفي الشتاء كل ثلاثة أيام مرّة واحدة.

❖ قد كُتِبَ عليكم تسع ركعات لله منزّل الآيات حين الزوال وفي البكور والأوصال (كذا !!).

❖ وإذا أردتم الصلاة ولّوا وجوهكم شطري الأقدس المقام المقدّس (عكا) الذي جعله الله مطاف الملأ الأعلى..

❖ قد أذن لكم السجود على كلّ شيء طاهر، ورفعنا عنكم الحدّ في الكتاب إنّ الله يعلم وأنتم لا تعلمون. ومن لم يجد الماء يذكر خمس مرات « بسم الله الأطهر» ثم يشرع في العمل، هذا ما حكم به مولى العالمين.

❖ قد كُتِبَ عليكم الصلاة فرادى، قد دفع حكم الجماعة، إلا في صلاة الميت إنه لهو الأمر الحكيم.

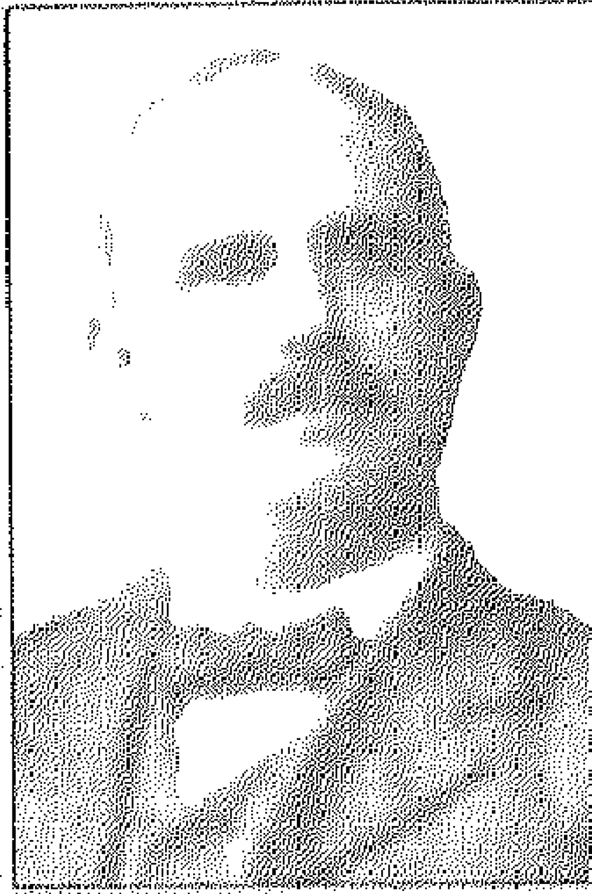
❖ لقد حكم الله لمن استطاع منكم حجّ البيت مدفنه بعكاء.

ترويج الغرب للوحي البهائي

كشأن كل نحلة فاسدة أريد لها أن تكون بديلاً عن الإسلام لقيت البهائية اهتماماً كبيراً بها في بلاد الغرب ولاسيما في أمريكا. وقد اعتنى بدراستها والترويج له كُتّاب مثل هوبر هاريس الذي خصّ البهائية بكتابه (الوحي البهائي)، ومن أشهر الباحثين المعاصرين في البهائية البروفيسور جوان كول الأستاذ بجامعة ولاية ميتشيجان



جوان كول



هوبر هاريس

Lessons on the

Beha Revelation

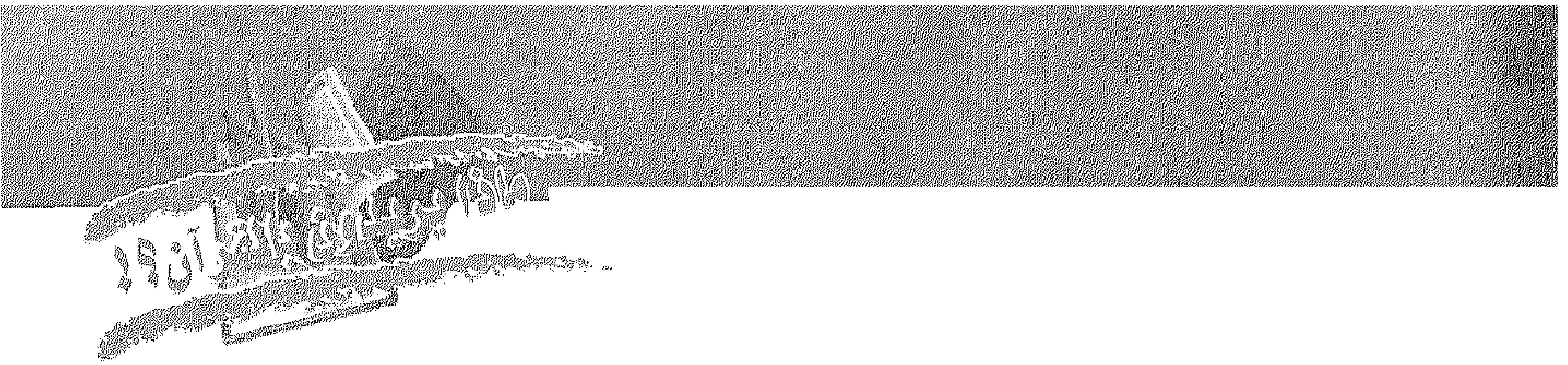
As taught by

W. Hooper Harris



Published by
Charles E. Sprague
30 East 46th St., Bayonne, N. J.

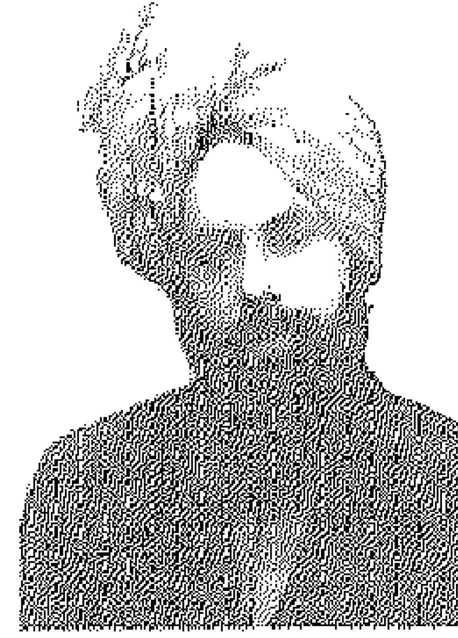
كتاب ثورة البهاء



(الخزائن الروحانية والبراهين الأحمدية)

قرآن القاديانية

في سنة 1898 أسس ميرزا غلام أحمد القادياني الحركة القاديانية، والقاديانية نسبةٌ إلى بلدة (قاديان) في الهند. وقد تسمّت الحركة فيما بعد باسم (الأحمدية) إمعاناً في التستر والتخفي بعد أن افتضح أمرها عند المسلمين.



ميرزا غلام أحمد

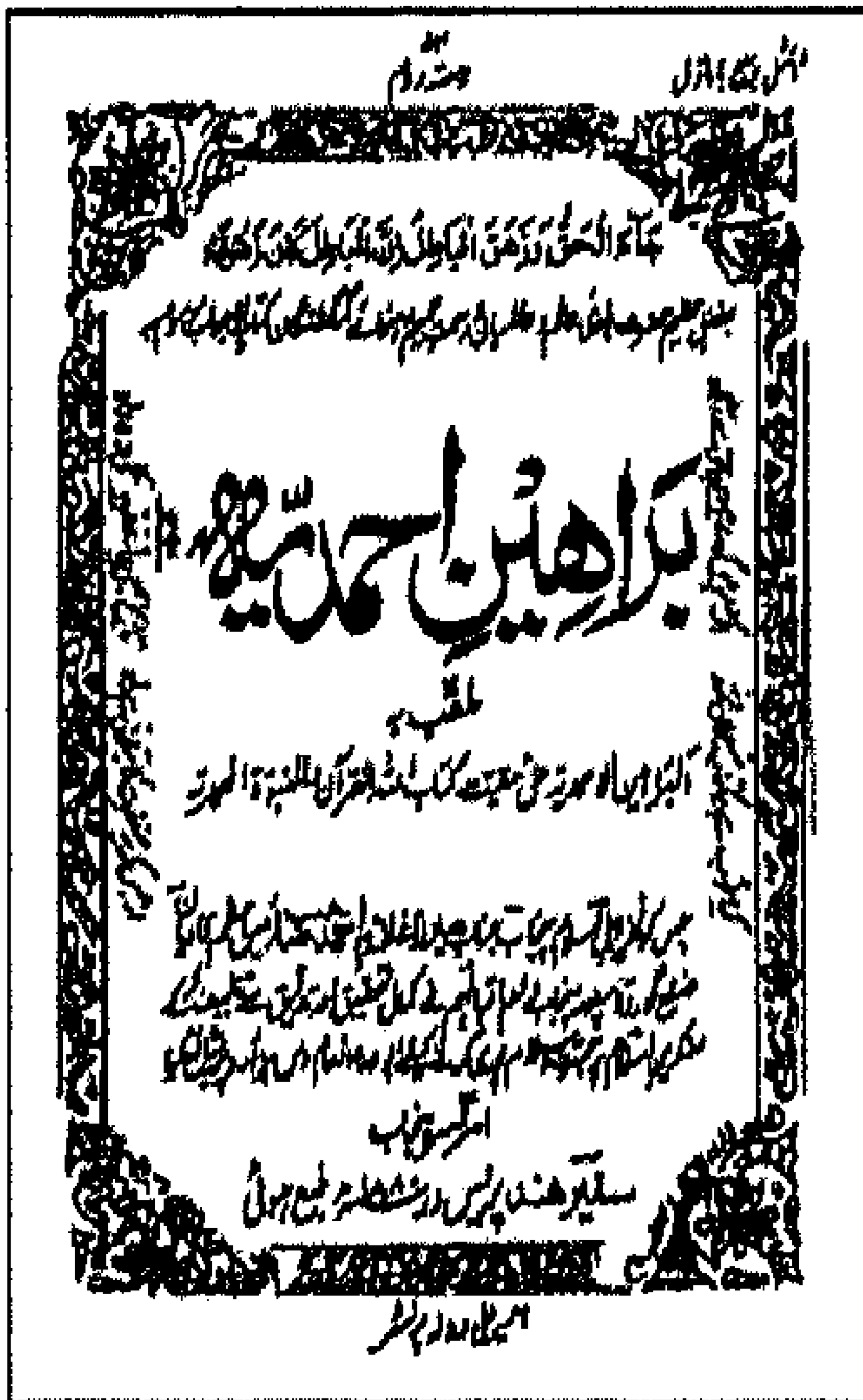
❖ يزعم القادياني أنّ السيد المسيح بعدما صلب نهض ورحل إلى بلاد الهند وأقام في قاديان، ومات ودفن هناك، وله فيها قبر يزار. وأنه هو خليفة السيد المسيح، وقد تنزّل عليه الوحي بذلك، فتسمى بالمسيح الموعود والمهدي.

القادياني صنيعة الاستعمار

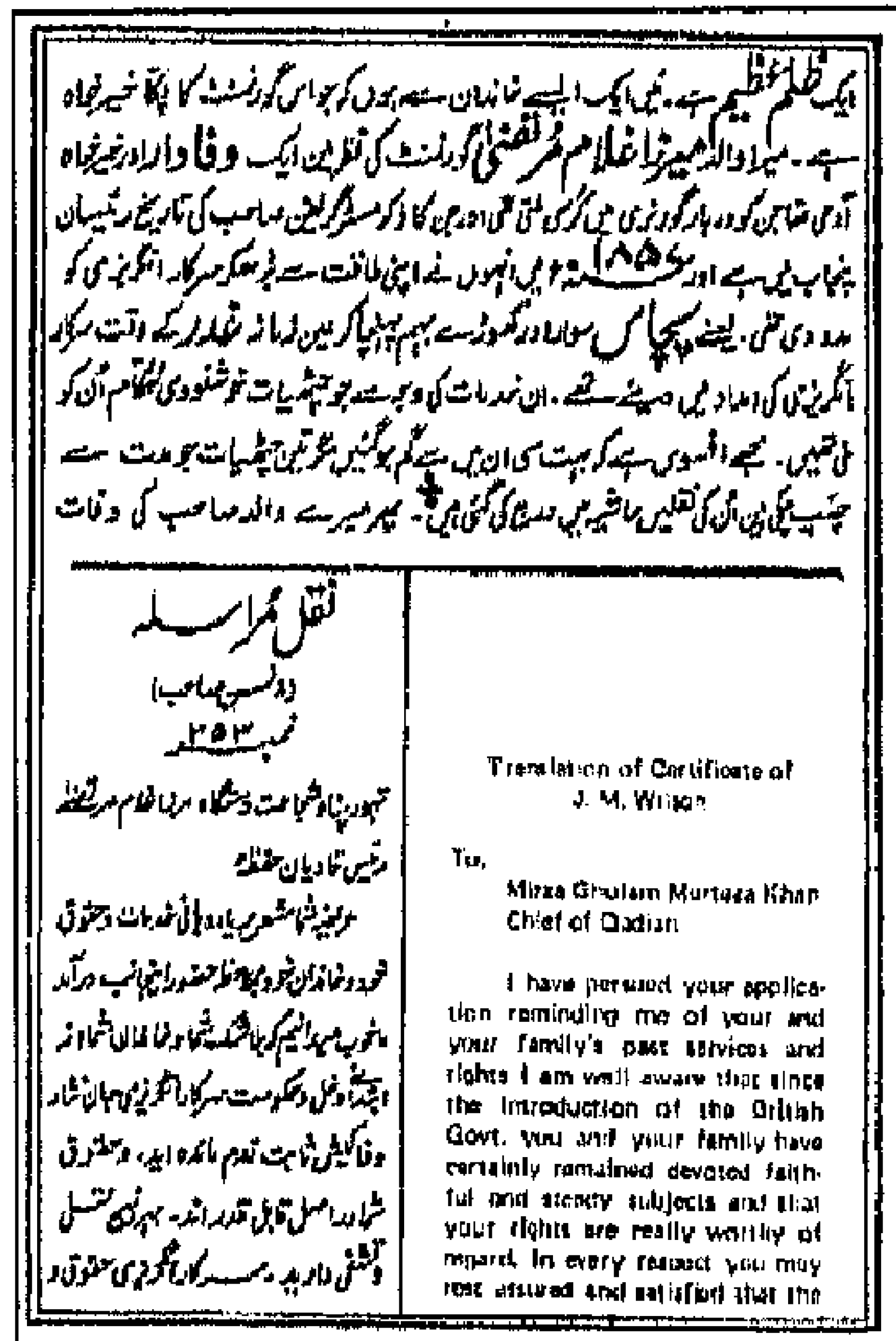
يقول ميرزا غلام: « لقد قضيتُ معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها، وقد ألّفتُ في منع الجهاد ووجوب طاعة ولي الأمر من الكتب والإعلانات والنشرات ما لو جُمع لملأ خمسين خزانة» (الخزائن الروحانية 15 ص 155).

ويقول: «ولا يخفى على هذه الدولة المباركة (بريطانيا) أني من خدّامها ونصحائها، ودواعي خيرها من قديم، وجئناها في كلّ وقت بقلبٍ صميم » (خزائن 8 ـ ص 36)، ويقول: «يجب على كلّ مسلم طاعة هذه الحكومة طاعة صادقة» (خزائن 15 ـ ص 114).

ويقول: «لقد نشرتُ خمسين ألف كتاب ورسالة وإعلان (1) في هذه البلاد، وفي البلاد الإسلاميّة تفيد



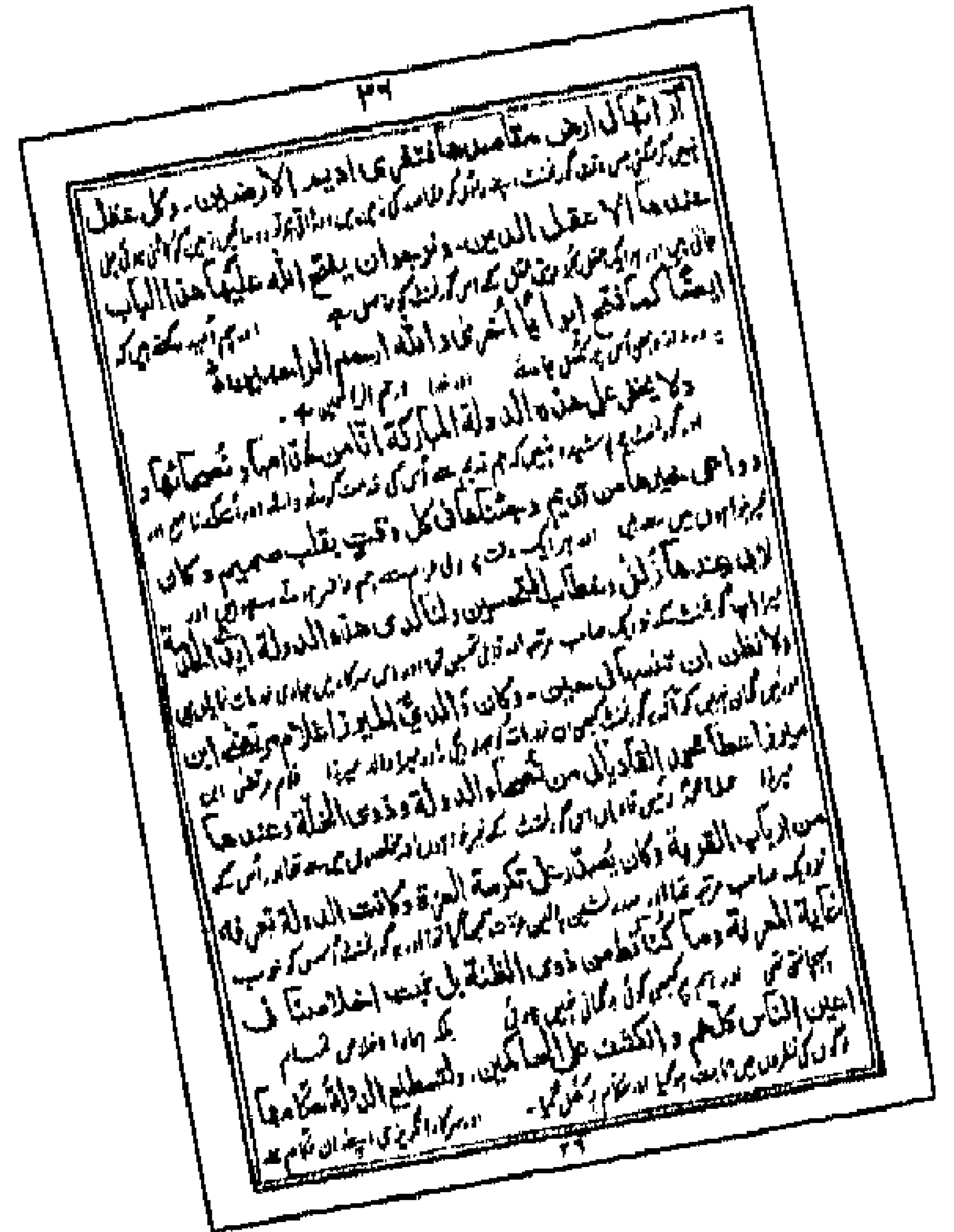
براهين احمديه



Translation of Certificate of
J. M. Wilson

To,
Mirza Ghulam Murtaza Khan
Chief of Qadian

I have perused your application reminding me of your and your family's past services and rights I am well aware that since the Introduction of the British Govt. you and your family have certainly remained devoted faithful and steady subjects and that your rights are really worthy of regard. In every respect you may rest assured and satisfied that the



نص رسالة موجهة إلى القادياني من الحكومة الإنجليزية تعترف بخدماته نحوها، وينشرها الميرزا بعد ترجمتها في أحد كتبه

أنّ الحكومة الإنجليزية هي صاحبة الفضل والمنّة على المسلمين، وأنه يجب على كلّ مسلم أن يطيع هذه الحكومة طاعة صادقة ». (الخزائن الروحانية 15 ص 114).

ويقول: «فُرِضَ علينا وعلى ذرّيتنا شكر الحكومة البريطانية المباركة ». (الخزائن - 3 ص 166).

ويقول: « لقد ظللتُ منذ حداثة سنّي وقد ناهزتُ اليوم الستين أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها » (اشتهارات 3 - ص 11).

ويقول: «إني أعلم أنّ الله تعالى جعل الحكومة البريطانية حمىً وملجأً لي ولجماعتي بفضله الخاص. وهذا الأمْنُ الذي حصل لنا تحت ظلّ هذه الحكومة لا يمكن أن يحصلَ في مكّة المكرّمة ولا المدينة المنوّرة » (الخزائن الروحانية 15 ص 156).

ويقول ميرزا غلام : « لقد ألغي اليوم حكم الجهاد بالسيف، فلا جهاد بعد هذا اليوم. فمن يرفع السلاح على الكفّار يكون مخالفاً لرسول الله.. إني أنا المسيح الموعود، ولا جهاد بالسلاح بعد ظهوري الآن » (خزائن 16 ، ص 28).

من سفاهات القادياني في وحيه المزعوم

«ما أنا إلا كالقرآن وسيظهر على يدي ما ظهر من الفرقان » (التذكرة ص 668).

«يا أحمد اسكن أنت وزوجك الجنة» (التذكرة ص 628).

« الحمد لله الذي جعلك المسيح ابن مريم » (التذكرة ص 622).

«زلزلة آيا، زلزلة آيا» (أي جاءت الزلزلة، جاءت الزلزلة) (التذكرة ص 602)

I Love you (التذكرة ص 64- 65)

I am with you

I shall help you

I can what I will do

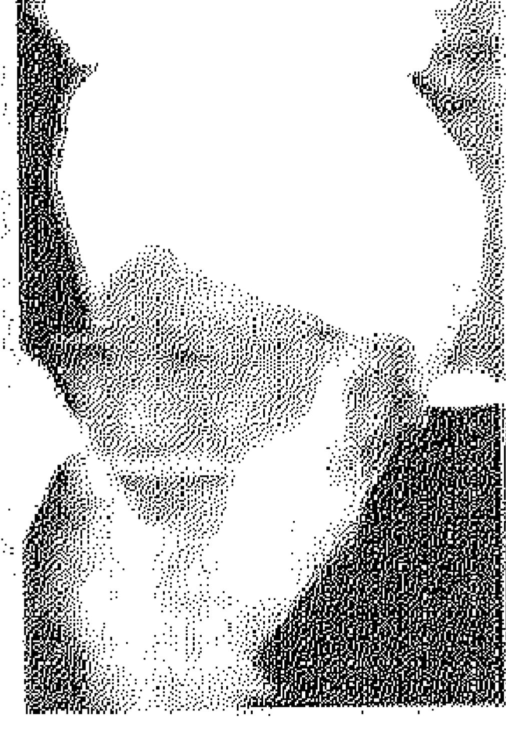
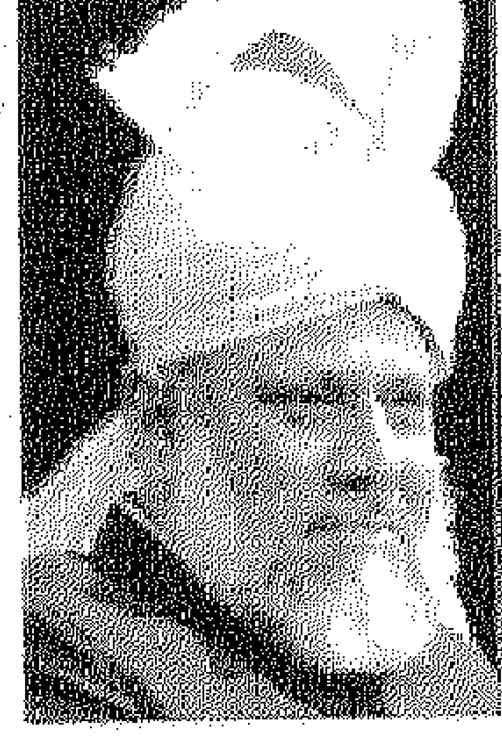
«اعملوا ما شئتم إني غفرت لكم » (التذكرة ص 524).

«أنت قابل يأتيك وابل» (التذكرة ص 403).

«آريون كا بادشاه أيا» (أي: جاء ملك الآرية) (التذكرة ص 392).

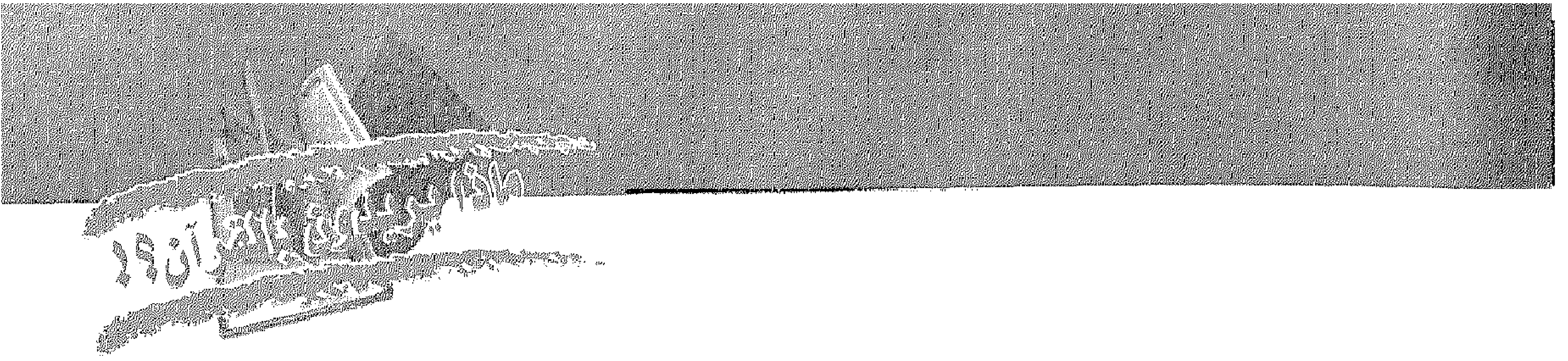
« رأيتُني في المنام عين الله، وتيقنت أنني هو.. وكانت الألوهية نفذت في عروقي.. وبينما أنا في هذه الحالة كنت أقول إنّا نريد نظاماً جديدا، سماءً جديدة، وأرضاً جديدة، فخلقتُ السماوات والأرض » (التذكرة ص 195 - 197).

«فجاءه المخاض إلى جذع النخلة، قال: يا ليتني متّ




خلفاء المسيح المزعوم



قبل هذا وكنت نسياً منسيّا» (التذكرة ص 73) «جعلني الله مريم لسنتين.. ثم نفخ في روح عيسى كما نفخ في مريم، فأصبحت حاملاً في صورةٍ إستعارية، وبعد عدّة أشهر لم تتجاوز العشرة تحوّلتُ من كوني مريم، وصرتُ عيسى، وهكذا أصبحتُ أنا عيسى بن مريم» (الخزائن الروحانية 19 ص 50).

يقول القادياني الكذّاب الذي يزعم أنه المسيح الموعود عن عيسى بن مريم :« وأمّا عائلته فكانت طاهرةً وشريفةً . ثلاث من جدّاته من طرف الأم، وثلاث من طرف الأب كُنَّ زانيات. ومن دم هؤلاء الزانيات ظهر عيسى وتكوّن وجوده. وفي هذا ما يُفسّر ميلَه للمومسات.» (خزائن 11 ص 291).

ويقول ميرزا في حق السيد المسيح أيضاً: «لم يكن عيسى ليقدر أن يدّعي الصلاح لأنه كان يعلم أنّ الناسَ يعرفونه مدمناً على الخمر» (خزائن 10 ص 286)، ويقول أيضاً: «اتركوا ذكر ابن مريم فغلام أحمد أفضل منه » (خزائن 18 ص 240).

«رأيت في المنام ملكاً بهيئة شخصٍ جاء أمامي وأعطاني نقوداً كثيرةً ألقاها في حِجْري، فسألته عن اسمه، فقال : ليس لي اسم. فقلت : لا بدّ أن يكون لك اسم. فقال : اسمي تيتشي تيتشي » (خزائن 22 ص 346).

« بريشن عمر براطوس يا بلاطوس ») التذكرة ص 119).

« إن الله مع الخائفين » . (التذكرة ص 328).

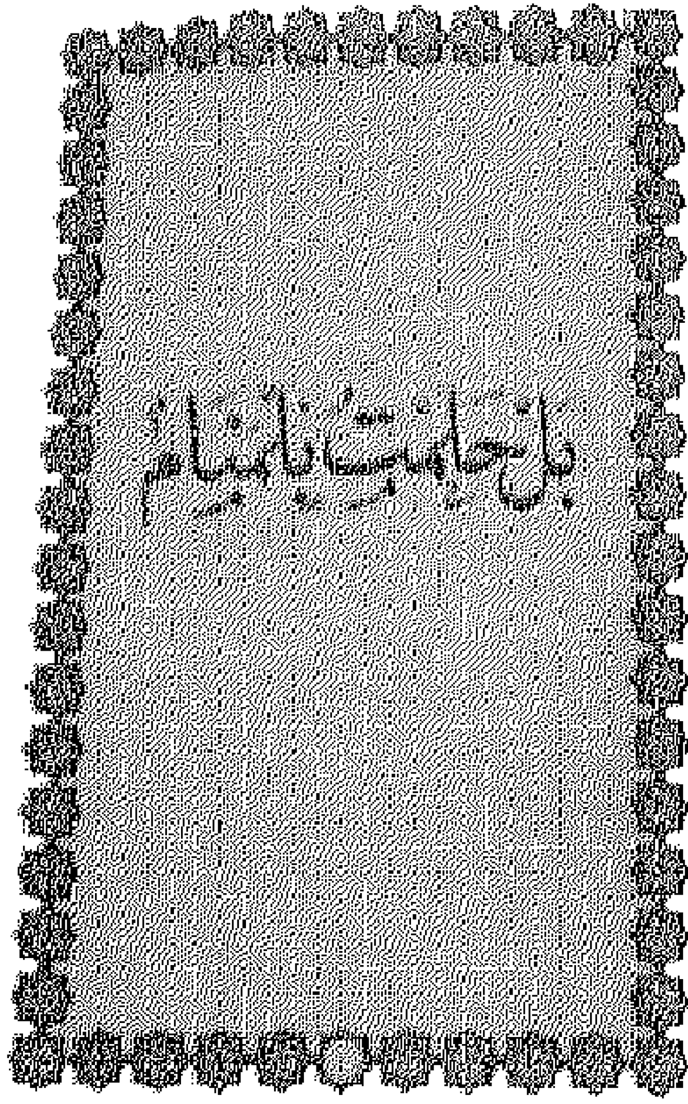
« يا مريم اسكن أنت وزوجك الجنّة» (التذكرة ص 727).

«قل هو الله عجيب » (التذكرة ص 654).

«كلّ العقل في لبس النظيف وأكل اللطيف» (التذكرة ص 776).

«إن العذاب مربّع ومدوّر» (التذكرة ص 790).

قرآن حميد الأزري
(بل حلمت بلمنام)



حميد الأزري منجّم يسمي نفسه فلكيّا، كانت بعض الصحف العربية تخصص له ركناً لقراءة الطالع والنجوم.

بعد فضيحة سلمان رشدي أعلن تنصرّه وارتداده عن الإسلام، لأنه دين يقمع الفكر وحرية الرأي، ولا يستحق أن يدين به، فوجد في النصرانية بديلاً أفضل منه. وأشهر ارتداده علناً على صحيفة (العرب) اللندنية. وكان تعليق محرر الصحيفة على ارتداده بليغاً ومختصراً حيث لم يزد على قوله تعالى :

﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [سورة الزُّمَر: الآية 7]

بعد ذلك أعلن هذا الآفّاك النبوّة وزعم أنّ وحياً تنزّل عليه لمدة ست وستين ليلة.

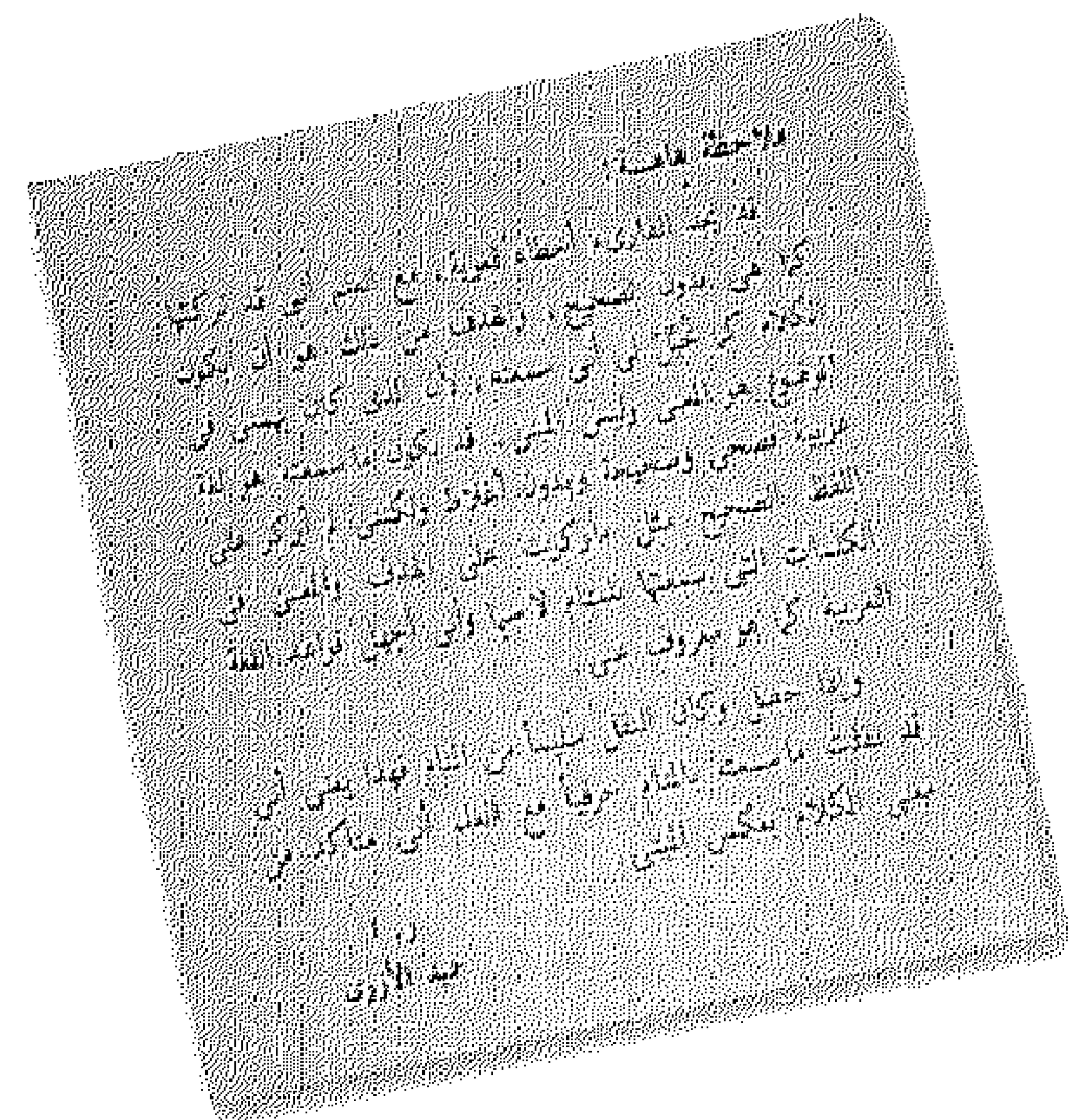
لقد جعل ذاك الأزريّ عنواناً لِقُرآنه هو (بل حلمتُ بلمنام).

لقد أراد من كان وراء هذا الهذيان أن يثير زوبعةً في العالم الإسلامي على غِرَار الزوبعة التي أثيرت بسبب صدور آيات سلمان رشدي الشيطانية، حتى

يتمكّن أعداء الإسلام من استثمار ذلك في تشويه الإسلام بحجة أنه معادٍ لحريّة الرّأي والتفكير. لكنّ أملهم خاب لمّا فوّت عليهم المسلمون ذلك، وأماتوا الكتاب بتجاهله، مع أنهم قاموا بتوزيع عدد كبير منه على عدد من الصحف والمجلات لعلّ أحداً من المثقفين أو الكتاب العرب أو المسلمين يبتلع الطعم فيكتب ضدّه أو يكفّر صاحبه فتكون الفتنة المرادة، ولكن الله غالبٌ على أمره فلم يتم لهم ما خططوا له.

والكتاب مشحونٌ بالأخطاء اللغوية والإملائية، فضلاً عن ركّة أسلوبه. ويبدو أنّ هذا الكذّاب الأشِر أُخبِرَ بذلك، فقال على ظهر غلاف الكتاب (كما هو مبين بالصورة المرفقة):

«قد يجد القارئ أخطاء لغويّة، مع العلم أني تركتها كما هي بدون تصحيح، والهدف من ذلك هو أن يكون الكلام كما خُيّل لي أني سمعته لأن الذي كان يهمّني في الموضوع هو المعنى وليس المبنى. قد يكون ما سمعته هو لغة عربية فصحى وصحيحة وبدون أغلاط، ولكنني لم أركّز على اللفظ الصحيح مثل ما ركّزت على الهدف والمعنى في الكلمات التي سمعتها بلمنام(!) لا سيما وأني أجهل قواعد اللغة العربية كما هو معروف عني. وإذا حصل وكان النقل سليماً من المنام فهذا يعني أني قد نقلت ما سمعته بالمنام حرفيا، مع العلم أني متأكد من معنى الكلام بعكس المبنى».



سبحان الله !! وهل يستقيم معنى بلا مبنى ؟ هذا هو الخرف بعينه الذي لا يقوله إلا جاهل أو أحمق، ولهذا الأزري من هاتين الصفتين نصيب.

ومن المضحك أن يضع الأزري اسمه تحت هذا الكلام مسبوقاً بحرفين (ر. ا)، وهما أول حرفين من كلمتين هما (رسول الله).

هرطقة الأزري في قرآنه الجديد (بل حلمت بلمنام)

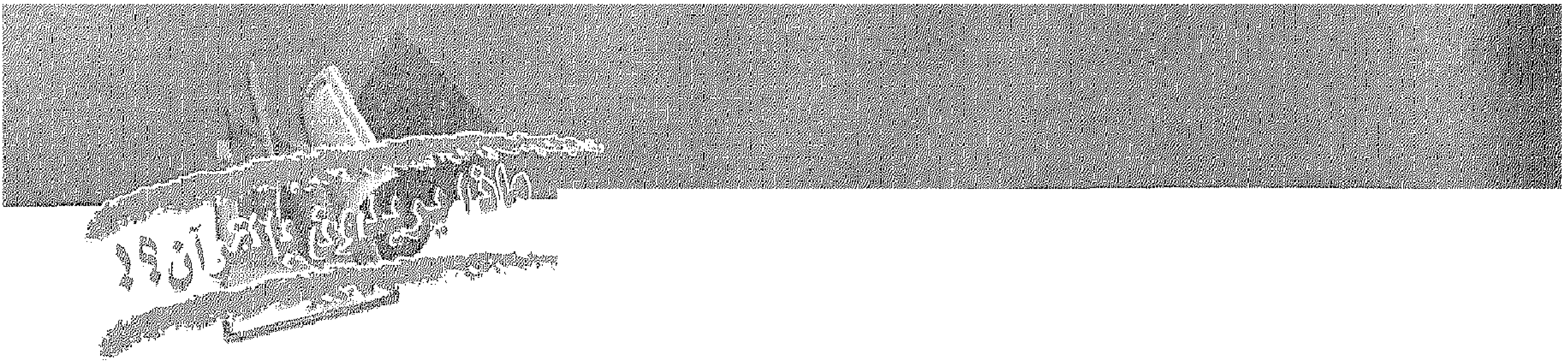
يقول هذا الكذّاب الأشر:

❖ « رأيتُ فيما يرى النائم شيئاً عظيماً في حجمه، ولكنه غير واضح المعالم، وكان يردّد بصوتٍ عظيم، أنا لول أنا لول وهو يوجّه كلامه إلى شجرة كبيرة فيه ستمائة وثلاث (!) وسبعين فرعاً، كلّ فرع فيه ربعمائة(!) وتسع (!) وثلاثين غُصنا، وكلّ غصن من تلك الأغصان كأنه متصل بجيل مضى وجيلٍ لم يأتي (!) بعد، ثم إلى جيل موجود. وكان لول يتحدّث إلى هذه الشجرة واستمرّ هذا الحلم ممتداً إلى ست وستون(!) ليلة، ذلك ما رأيته في المنام.».

❖ وتبدأ كل ليلة من لياليه الست والستين بـ (بسم الله رب الأكوان ذو (!) العرش العظيم).

يحاول هذا المعتوه أن يحاكي أسلوب القرآن، فيأتي بما يشهد بأنه معتوه طاش عقله، وخفّ حِلْمُه. فاستمع لبعض من خرفه وهذيانه:

❖ (ولمّا جئنا على آدم في اليوم الرابع، رأيناه ضجرا، فعلّمنا ما بنفسه، فنفخنا عليه نفخةً سُبتا (!)، فإذا به نائماً عُمُقّا، فاخذنا من أضلعه ضلعاً، فزدنا الضلع ماء رغوا (!)، ثم نفخنا على الضلع نفخةً أخرى، فكانت بأمرنا خلْقاً أخر).



❖ (سيقولون لك مَن كان نبياً غير الأنبياء الذين سمعنا بهم فنبِّئنا إن كنت من الصادقين، قل سأنبئكم بأسماءٍ(١). لا تعلموا (١) وإن سمعتم بها، إنهم كانوا من النبيين، فتأملوا بما (١) سنذكره لكم، ولا تكونوا من الطائشين، إنّ ربّك لا يحب المتهورين واعلموا أن أخناتون في مصر كان نبيّا، إذ زودناه علماً وهو يناجينا قائلاً : شروقك ربي أبديّا، والسماء وما احتوت في يدك إن شئت تُطوى طيّا، فزدني من لدُنك علما، إني أعبدك وأهلي ما دمتُ حيّا.. ذلك هو النبي أخناتون إن كنتم لا تعلمون).

❖ (ثم اذكر في الكتاب راما بن داشاراذا كان في الهند نبيّا، وزوّدناه بنهج ثم عهد أن لا يكون منسيّا)...

(واذكر في الكتاب بودا بن الملك سود هوادانا، وامه مايا، إنه كان نبيّا، إذ حلمت أمه بجنود لنا يرفعونها إلى أعلى جبال الهملايا، فجاءها المخاض ببودا فحققنا لها بما حلمت (١)..).

❖ (ثم اذكر في الكتاب النبي فيرادامانا بن سرياما، وأمه تريسالا. لقد صام أبوه وأمه عن الكلام والطعام حتى ماتا وكان ذلك لنا تقرّباً من أبويه..).

❖ (واذكر في الكتاب نبيّنا زرادشت إنه كان في إيران نبيّا..)

❖(أما الذين يستهزئون بما أنزلناه عليك، فسنجعلهم يوم الحشر هُزُوا، فلا تحزن إنّ أنت سمعت من بعضهم سفها، وبلّغ بما (١) أوحينا إليك سرّا وجهرا، وكفاك إذ أنّ ربّك عنك يرضى، سواء آمنوا أو لم يؤمنوا، فسنرضيك فترضى، أما في الدنيا فَحلّل إليك بعض ما حرمنا على غيرك قولاً وفعلا، ثم اذكر فضلي عليك إذ محونا عنك ذنوبك قبلا، وكيف أنجاك ربك إذ كنت في الأرض تسعى).

شجرة، إلا في وقت معلوم، وإن شئنا
اخرناها، وإن شئنا قدمناها. وكذلك
امرنا في كل ما انتم ترون، نضرب
لكم الأمثال، فهل أنتم لامثالنا
تفقهون (٢) أأنتم أطلقتم الحديد إلى
السماء، أم نحن خلقناكم لتطلقوا ما
أنتم مطلقون، لو شئنا لما ارشدناكم
إلى ذلك ابدا، فعودوا إلى ربكم، ولا
تكونوا من القانطين. ثم هل أنتم
تأمرون الأرض بعطائها إذا زرعت، أم
نحن بما أعطتكم آمرون، كذلك كل
شيء على الأرض، وما احتوت في
بطنها، كل لأمرنا طائعون (٣) كما
نحن نأمر كل ما في الكون، ففي
الكون خلق غيركم. وإن كنتم لا
٢٩

تكونوا لما نأمركم به طائعين، وإن لم
يطع احدكم بما امرنا به، فلله من
لدنا مسلوبا (١) لا ترفعوا اصواتكم
بعضا على بعض، إن ذلك كان عند
الله منكرا (٢) وإذا قرأتم قرآنا
الكتاب، فاقرأوه همسا، ولا تجودوه
تجويدا (٣) إن اكره الأصوات عند الله
عواء الكلب، وإن اخشن الأصوات
عند الله ما [illegible]، ثم لا تضحكوا
ان ضحكتم عاليا، واخشن الضحك ما
كان ابتساما (٤) ولا تأكلوا إذا أكلتم
كالبهائم بل اغلقوا أفواهكم وأنتم
تمضغون، إن الله يعلمكم بما يجب
فلا تكونوا لما نعلمكم منتقصين (٥)
يجب عليكم أن تغسلوا اجسادكم، بل
٤١

بل إذا سألوا يسألون رضاء ربهم، ولا
يزيدوا على رضائه قولا (١) قل إذا
كان كذبا ما ندعوكم إليه، فلن ينتشر
في الأرض أبدا، وإن كان صدقا ما
ندعوكم إليه، فلن يستطيع أن يمنع
نشره أحدا، فانتظروا، ثم انظروا أينا
بالحق مستجيرا. إنا حللنا لكم صيد البر
بما اشتهيتم إلا ما كان ميتا أو لم يكن
بالغا، وكذلك صيد الجو، إلا ما كان
آكلا للحوم وكذلك صيد البحر، إلا ما
كان ميتا، أو لم يكن بالغا إن ذلك
خير لكم إن كنتم تعلمون (٢) وقل
لهم أنا جعلنا يوم الاثنين عطلة لهم،
فلا عمل فيه ولا جهاد إلا من اضطر
اضطرارا، حرم عليكم أكل اللحوم يوم
٨٣

❖ (إنّا حلّلنا لكم صيد البرّ بما احتوى إلا ما كان ميتا، أو لم يكن بالغا (!)، وكذلك صيد الجوّ إلا ما كان آكلاً للحوم، وكذلك صيد البحر إلا ما كان ميتا، أو لم يكن بالغاً إنّ ذلك خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون).

❖ (وقل لهم إننا جعلنا يوم الإثنين عطلة لهم، فلا عمل فيه ولا جهاد إلا من اضطرّ اضطرارا. حُرّم عليكم أكل اللحوم يوم الاثنين أكان من البرّ أو (!) البحر أو الجو، ومن يأكل في ذلك اليوم ما حرّمنا أكله فقد ارتكب إثماً كبيرا. وحُلل إليكم(!) غير ذلك، إن يوم الاثنين كان عند ربك يوماً عظيما، كُتب عليكم فيه اغتسالٌ (!) أجسادكم وما ترتدون، وأن تنظفوا فيه بيوتكم وما احتوت، إن ربك شاء أن يكون يومَ (هكذا بفتح الميم !!) الاثنين فيه نظافتكم فافعلوا بما (!) نأمركم ولا تكونا (!) من العاصين).

❖ (كُتِبَ عليكم الصومُ في الشهر الثاني من كلّ عام ميلادي تصوموه شهراً كاملاً، ويكون صومكم عن اللحوم بأنواعها ليلاً ونهاراً، وكلوا غير ذلك ما اشتهت أنفسكم (!) إنّ ربّك يريد بكم الخير).

❖ (إنّ أكره الأصوات عند الله عُواء الكلب).

❖ (وإذا أكلتم لا تأكلوا كالبهائم بل أغلقوا أفواهكم وأنتم تمضغون).

❖(حرّم اللهُ عليكم أطفال الأنابيب).

❖ (كُتِبَ عليكم إذا تزاوجتم أن لا تفترقوا إلا إذا كان لأحدكم ضُرٌ شديد، وإذا افترقتم تكون الأنثى للأنثى والذكر للذكر من البنين والبنات (حُرّم على

شَجَرَةٍ، إلاَّ فِي وَقْتِ تَعْلَم، فَإنْ شِئْنَا اخْتَرْنَاهَا، وَإنْ شِئْنَا قَدَّرْنَاهَا، وَكَذَلِكَ أمْرُنَا فِي كُلِّ مَا أنْتُم تَرَوْن، نَضْرِبُ لَكُمْ الأمْثَالِ، فَهَلْ أنْتُم لأمْثَالِنَا تَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ أأنْتُم أطْلَقْتُم الْعَبِيدَ إلَى السَّمَاءِ أمْ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ لِتُطْلِقُوا مَا أنْتُم مُطْلِقُون، لَوْ شِئْنَا لَمَا أرْشَدْنَاكُمْ إلَى ذَلِكَ أبَدًا، فَعُودُوا إلَى رَبِّكُمْ، وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الطَّاغِين. ثُمَّ هَلْ أنْتُم تَأْمُرُونَ الأرْضَ بِعَطَائِهَا إذَا زُرِعَتْ، أمْ نَحْنُ بِمَا أعْطَتْكُمْ آمِرُونَ، كَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى الأرْضِ، وَمَا اخْتَرَتْ فِي بَطْنِهَا، كُلٌّ لأمْرِنَا طَائِعُونَ ﴿٤﴾ كَمَا

الذكور الزواج بأكثر من أنثى، وحُرّم على الإناث الزواج بأكثر من رجل، فإذا افترقتم حقّ لِكلاكما (!) الزواج ثانية بعد ثمانية وثمانين يوماً).

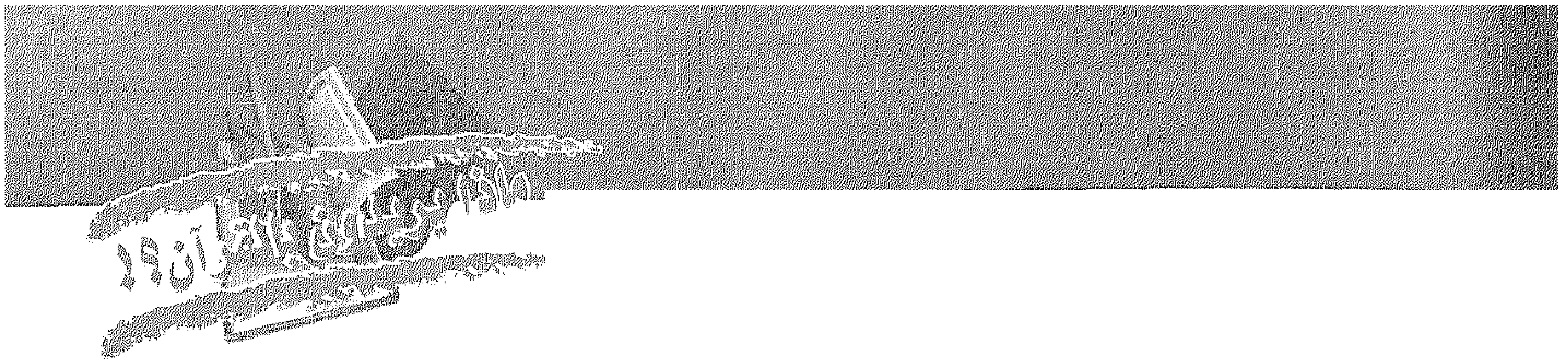
❖ (قل للذين آمنوا إذا سُجِنَ أحدكم بظلم ثم ظهرت براءته مما اتّهم، يُعوّض له عن كلّ يوم سُجِنَ فيه بأعلى ورقة من النقود التي تتداولونها بينكم).

❖ (حُرّم عليكم الربا والنميمة إنّ ذنبهما عند الله كان عظيما، أما الذين يضعون أموالهم في المصارف أو مشروع كبير فيفيدون ويستفيدون فإن ربّك غفور رحيم(!)).

❖ (يا أيها الناس أطيعوا الله ورسوله بما نأمركم به، حُرّم عليكم صنع السلاح بكلّ أنواعه، إلا إذا اضطررتم اضطرارا، أمّا ما صنعت أيديكم من سلاح مبيد من غير نار أو حديد فقد حُرّم عليكم وإن كان اضطرارا، كما كُتِبَ على القُضاة أن يُسجَنوا لسبعة أيام قبل أن يكونوا قضاةً ذلك أمرٌ من لَدُنّا، وكان أمراً مقضيّاً).

❖ (قل للمؤمنين إن الله يأمركم أن يكون الإرث بالتساوي بين أبنائكم من البنين، ولا تفضّلوا في الإرث بعضهم على بعض، أمّا البنات فلهن ثماني وأربعين (!) من حظ البنين فيما تركتم لهن من إرث).

❖ (إن الله هو الذي أمر آباءكم الأولين للحج (!) في مواضع أخرى، واليوم يأمركم لموضع (!) جديد، أفلا تشكرون إذ يأمركم لموضع أعلى مما تحجّون له درجات، إنّ الحجّ عند الله لهو في الموضع الجديد، ذلك هو جبل سيناء، جبل الطور العتيد).





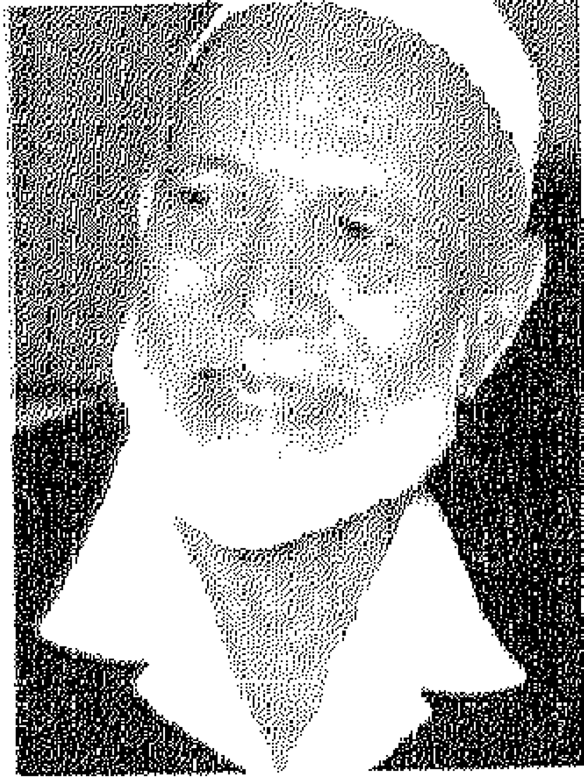
الفرقان الحق: قرآن أمريكي بديل

قبل نحو سنتين، وفي العدد الأول من مجلة التواصل، عرضنا كتاب (الفرقان الحق) وقلنا إنه ضرب من الهوس الذي أصاب أعداء القرآن فشرعوا يعارضونه بمثل هذه المضحكات المخجلات.

و(فرقان الحق) أريد له أن يكون بديلاً للقرآن كما يزعم مؤلفاه الوهميان اللذان ليس لهما وجود أصلاً. والتآليف والمصنفات المعادية للإسلام والقرآن التي تكاثر ظهورها في العقدين الأخيرين يُنسبُ كثير منها إلى أناسٍ مجاهيل أو ليس لهم وجود في عالمنا، لأنها صناعة معادية حيكت ونُسِجَت في مؤسسات دينية واستخباراتية في أمريكا وبلاد الغرب، فخرجت إلى الدنيا بأسماء مستعارة مثل (فرقان الحق) هذا الذي يُزعم أنه وحي تنزّل على شخصينِ يدعيان: الصافي أو الصّفي، والمهدي.

مؤلف الفرقان الحق

المؤلف الحقيقيّ لهذا الكتاب الهزأة قس اسمه أنيس شيروش. وكانت أوّلُ معرفةٍ للعرب المسلمين به عند مناظرته للشيخ أحمد ديدات، تلك المناظرة التي طار صيتها، وظهر فيها الشيخ أحمد ديدات على هذا

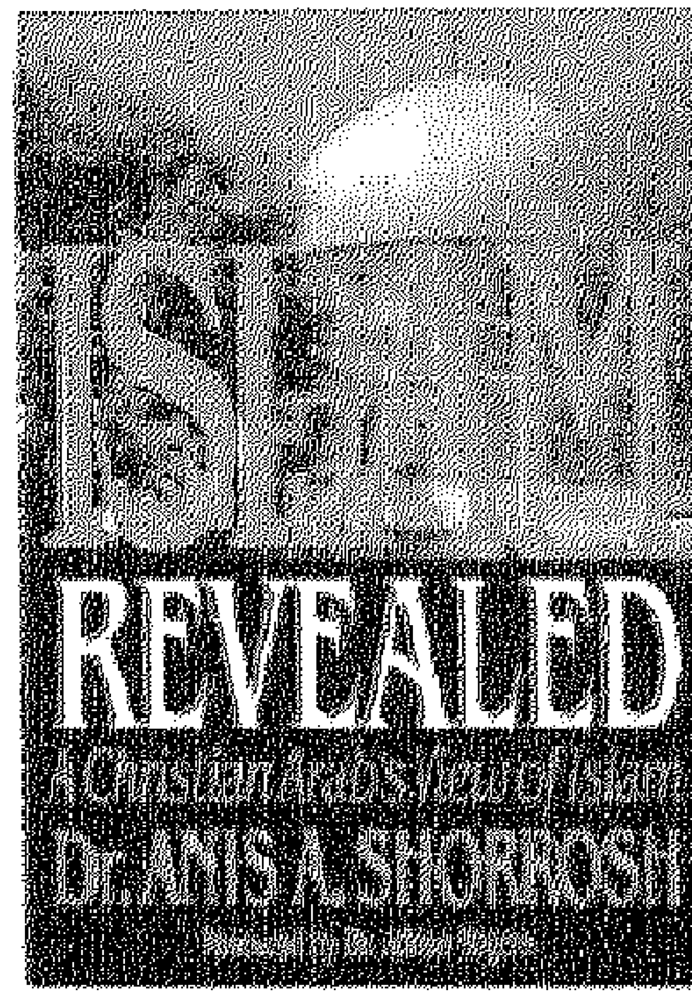

الشيخ أحمد ديدات

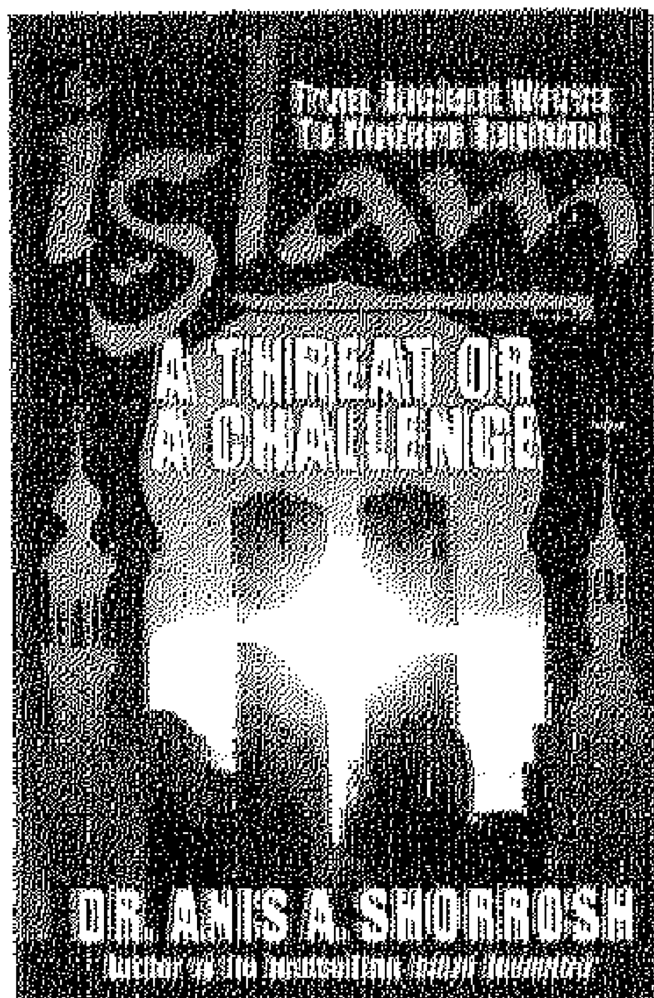
الكهنوتي. وهو فلسطيني وُلد في الناصرة، تنصّر وهو في الثامنة عشرة، ولم يكن مسيحياً في الأصل، وقد هاجر إلى الولايات المتحدة وهو ابن التاسعة عشرة بعد أن شرّد اليهود عائلته، وفي أمريكا تلقى تعليمه اللاهوتي في الكلية المعمدانية بالميسيسيبي، حتى تحصل على درجة الدكتوراه من معهد لوثر رايس. وعمل شيروش قساً ومبشراً إنجيليكانياً في الشرق الأوسط قبل أن يكوّن مؤسسة لتنصير المسلمين.

ولحقده الشديد على الإسلام والمسلمين وجد فيه الغرب الحاقد ضالته، فشرع يعلن حربه علناً على الإسلام والمسلمين بتصنيف الكتب المتحاملة التي لم تشمّ رائحة الموضوعية ككتابه: «الإسلام المفضوح» Islam Revealed.

وكتابه الآخر (من مكة القديمة إلى بغداد الحديثة، تهديد أم تحدٍ ؟)

From Ancient Mecca to Modern Baghdad, A Threat or A challange





وبإلقاء المحاضرات في الكنائس والجامعات والمنتديات. وحسبه أنه بعد يومين فقط من أحداث 11 سبتمبر بدأ يحرّض ضد الإسلام، ثم ألقى بعد أسبوعين من الحدث محاضرة في جامعة هوستن المعمودية Houston Baptist University هاجم فيها الإسلام والمسلمين بضراوة وحقد شديدين واصفاً النبيّ محمد بالشيطان، والإسلام بالدين الزائف، فانسحب كثير من الحاضرين. وقد أثار عليه صنيعه ذلك طلاب الجامعة وإدارتها وموظفوها، ما دَعا رئيس الجامعة دوج هودو Doug Hodo إلى استنكار ما جاء في المحاضرة، والاعتذار عنه فكتب يقول في رسالة إلى أسرة الجامعة: «إنكم لا تدعون أحداً إلى بيوتكم ليهينكم، وللأسف الشديد أهان ضيفنا تلاميذنا، وكليتنا، وهيئة التدريس بها. إن أحداث الخميس جرحت الكثيرين منكم وجرحتني، وقد سببت كلمات المحاضر لنا ألماً بليغاً». ولم يبد شيروش ندماً على ما بدر منه، وزعم أنّ كثيراً ممن يُسمّون مسلمين هم أناس مسالمون، لكنّ المخلصين من أتباع الله هم أهل عنف وإرهاب. ويقول شيروش: «كل من دخل أمريكا من المسلمين منذ سنة 1991 عليه أن يبرهن على أنه لم يتصل قط بأي منظمة إرهابية وإلا فليرحل»، وقال: «على أمريكا أن تستدعي مواطنيها للعودة إلى الوطن، ثم تسقط القنابل النووية على عواصم كثيرة في الشرق الأوسط». (انظر موقع www.comeandsee.co.il)

من بهتان (فرقان الحق)

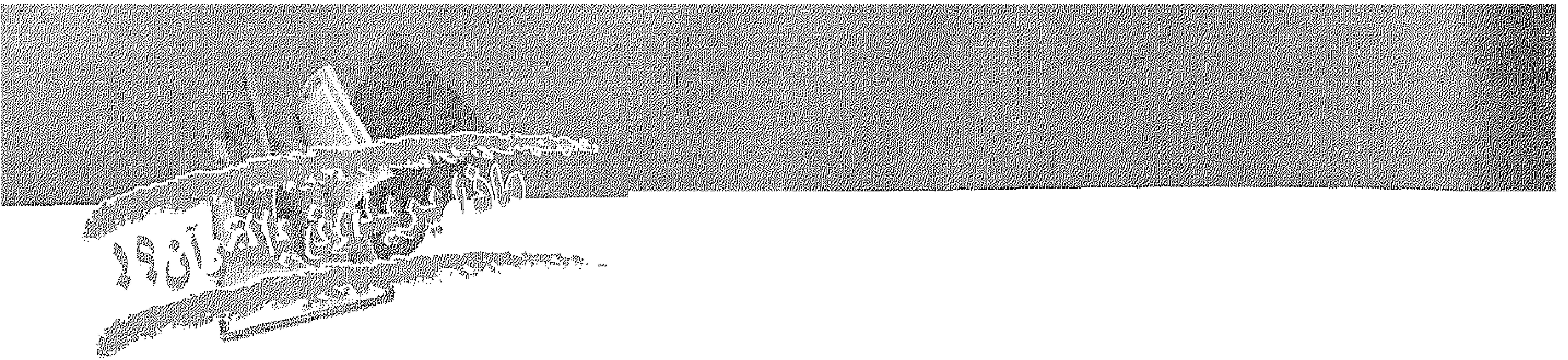
يقع هذا البهتان في نحو 364 صفحة من القطع الصغير، تشمل سبعاً وسبعين سورة مع مقدمة وخاتمة. وتتضمن كل صفحة النص العربي الذي نزل به الوحي المزعوم مع ترجمته إلى الإنجليزية.

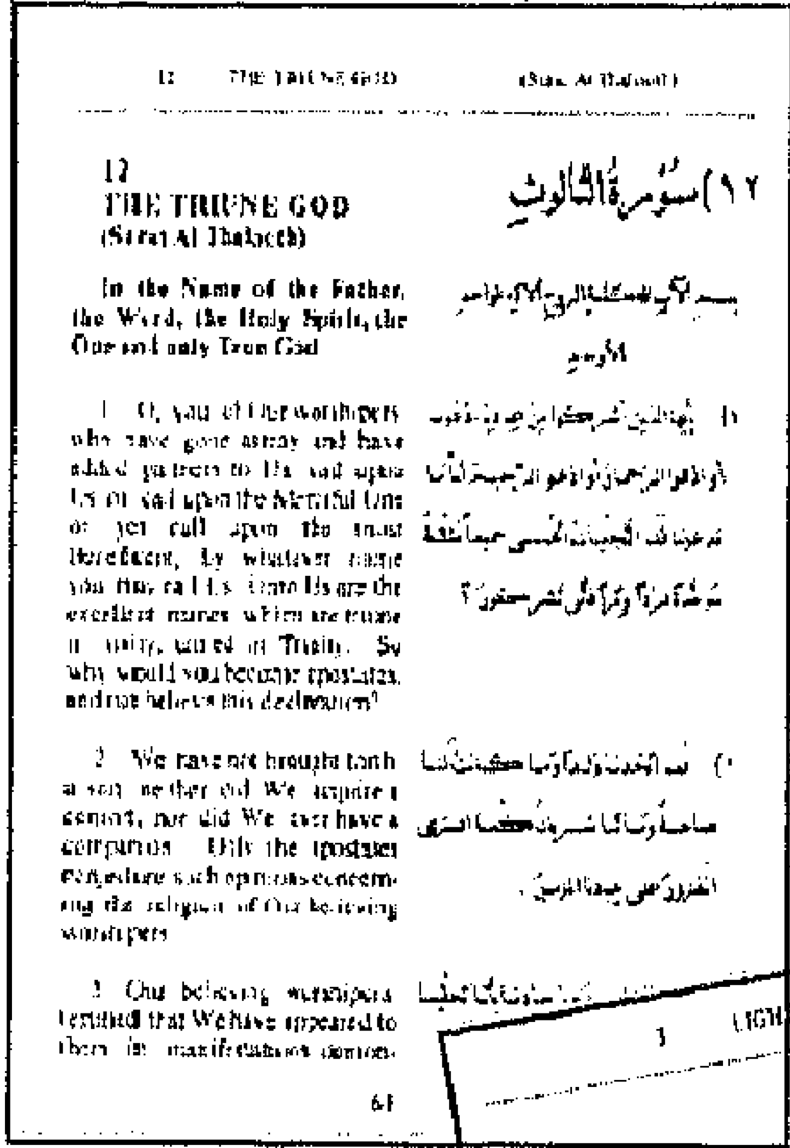
فهرست فرقان الحق

مقدمة فرقان الحق

والكتاب مصوغ بلغة تبشيرية كنسية تروّج لمفاهيم كهنوتية مضادّة للعقيدة الإسلامية، ومحوّراً بعض الأساليب القرآنية لتبدو أشبه بلغة القرآن. ومن هذا البهتان:

- (قل باسم الآب الكلمة الروح الإله الواحد الأحد ❖ مثلث التوحيد موحّد التثليث ما تعدّد ❖ فهو آب لم يلد ❖ كلمة لم يولد ❖ روح لم يفرد ❖ خلاق لم يُخلق).
- (هو ذا الفرقان الحق نوحيه فبلّغه للضالين من عبادنا وللناس كافة ولا تخش القوم المفسدين).
- (هو ذا النور الأقدس قد أشرق فجاء الحق وزهق الباطل فليهتد التائهون ❖ واقتربت الساعة وانشقّ الباطل فلا عاصم اليوم من أمرنا فويلٌ للمفترين ❖ فيا أيها الذين ضلوا من عبادنا لقد جاءكم الفرقان الحق يبين لكم الرشد من الغي فلا إكراه في الدين أفلا تؤمنون).
- (يا أيها الذين ضلّوا من عبادنا إنا أنزلناه فرقاناً حقاً بلسانٍ عربيّ بيّن الإعجاز لتتبينوا الضلال من الهدى وتعلموا سوء ما كنتم تفعلون ❖ فقد انتحلتم لساننا وافتريتم علينا كذباً بأنا أوحينا قولاً لم نقله وأتينا فعلاً لم نفعله وخدعتم الناس





12 THE TRIUNE GOD (Sura Al Thaluth)

١٢) سُورةُ الثالوث

12
THE TRIUNE GOD
(Surat Al Thaluth)

In the Name of the Father, the Word, the Holy Spirit, the One and only True God

1. O, you of Our worshippers who have gone astray and have added partners to Us and upon Us or call upon the Merciful One or yet call upon the most Beneficent. By whatever name you may call Us, unto Us are the excellent names which are triune in unity, called as Trinity. So why would you become apostates, and not believe this declaration?

2. We have not brought forth a son, neither did We acquire a consort, nor did We ever have a companion. Only the apostates conjecture such opinions concerning the religion of Our believing worshippers.

3. Our believing worshippers testified that We have appeared to them in manifestation...

64

سورة الثالوث

3 LIGHT (Sura Al Noor)

٣) سُورةُ النور

3
LIGHT
(Surat Al Noor)

In the Name of the Father, the Word, the Holy Spirit, the One and only True God

1. Behold, the Divine Light has come. Truth is now revealed. It is driving away deceit and brightly shining the rightly-guided pathway to guide all who have been led astray.

2. The hour of judgment is fast approaching. Surely deceit will be retracting. None can ever escape Our Judgment Day because all the hypocrites will be in utter disarray.

3. The rising sun shines brightly across the entire human passageway. Those who lived in darkness shall see Truth as a shaft of sunlight's ray. Even hardened unbelievers will then understand and believe in what We reveal and say.

15

سورة النور

فضلٌ من صدّقكم وكفر من آمن بكم وخاب كلّ مفترٍ أثيم).

ـ (والذين اشتروا الضلالة بالهدى وأكرهوا عبادنا بالسيف ليكفروا بالحقّ ويؤمنوا بالباطل أولئك هم أعداء الدين القيّم وأعداء عبادنا المؤمنين وتزعمون بأننا نحب الذين يقاتلون في سبيلنا وأنّا كتبنا القتال على المؤمنين ❖ وإذا قيل للذين كفروا بأن يؤمنوا بما أنزلنا من الفرقان الحق كما آمن عبادنا الصالحون قالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء المشركون؟ ألا إنهم هم السفهاء المشركون ولكنهم لا يعلمون ❖ يا أيها الناس لقد كنتم أمواتاً فأحييناكم بكلمة الإنجيل الحق مَن آمن بالكلمة ومات الكافرون ثم نحييكم بالفرقان الحق ❖ ومنكم فئة قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة وإنّ من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهار).

ويقول هذا الدجال منتقداً قوله تعالى في سورة محمد ﷺ: (وحرّضتم على القتال واجتناب السّلْم فقلتم):

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [سورة محمَّد: الآية 35]

ـ (إنا لا نترُ القتلة وأعداءَ السّلم أعمالهم إنما لهم عذاب النار يردونها ويُردّون أسفلَ سَافلين).

يقول هذا المعتوه في السورة التي أطلق عليها اسم (سورة الحق): (وأنزلنا فرقان الحق نوراً على نورٍ محقّاً للحق ومزهقاً للباطل وإن كره المبطلون ❖ ففضح مكر الشيطان الرجيم ولو تنزّل بوحي ملك رحيم ❖ وأبطل فرية رسله الضّالين ولو نطقوا بما أعجز الأميين، وكشفَ ضلالة أتباعه ولو تقمّصوا جلابيب المهتدين).

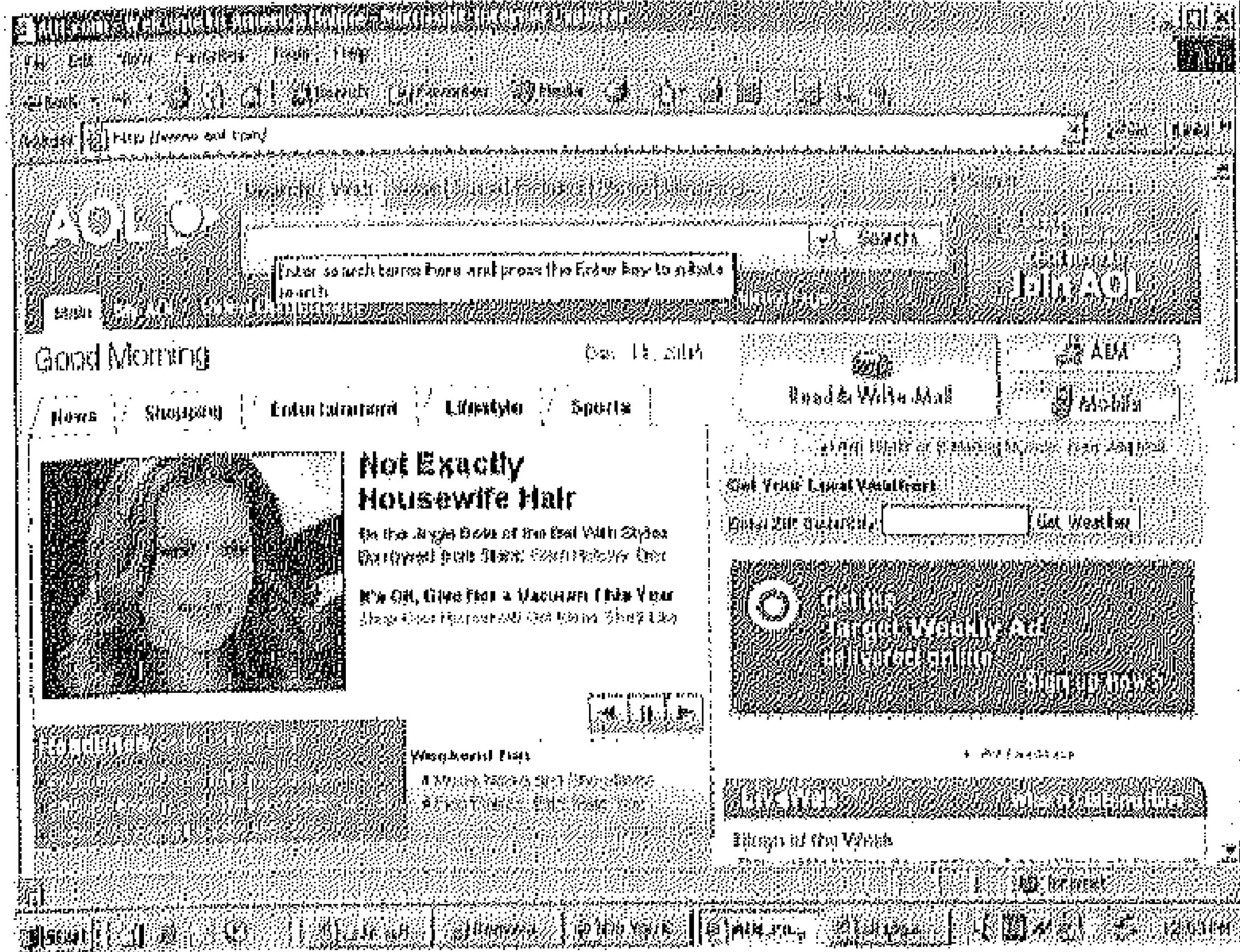
ـ (يا أيها الناس إذا جاءكم رسول أو نبيٌّ أو مَلَك من السماء بغير ما جئناكم به في الإنجيل الحق والفرقان الحق من بعده فلا تستمعوا إليه ولا تتبعوا سبيله فهو سارق كافر وشيطان أثيم ❖ وحذرناكم في الإنجيل الحق من الأنبياء الأفاكين فلم تهتدوا وذكّرناكم في الفرقان الحق فاهتدوا واحذروهم ..)

ـ (ولا يزال الذين كفروا في مرية من الفرقان الحقّ حتى تأتيهم الساعة بغتةً أو يأتيهم عذاب مقيم ❖ ومن الناس مَن يجادل فيه بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير ❖ وقال السفهاء من الناس : لو أنزل هذا الفرقان بآية لصدّقه المكذبون وآمن به الكافرون ❖ ولئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بآية من مثله لا يأتون بقبس من نوره أو بنفحة من محبته ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا).

قرآن أميركا أون لاين .A.O.L

يبدو أن تداعي الحوادث بعد واقعة 11 سبتمبر، أفقدت الغرب الأوروبي والأمريكي صوابه فلم يعد ينظر إلى الإسلام والمسلمين إلا من خلال حجاب كثيف معتم، صنعته مؤسسات سياسية ومراكز بحث استخباراتية لتحقيق أهداف استعمارية، أو لتبرير مخططات مرسومة لوضع قبضته على كلّ ما من شأنه أن يعوق سيره نحو ذلك. وبهذا يكون قد استُخِفّ بكلّ الجهود المضنية التي قدّمها العقل الاستشراقي خلال قرنٍ ونصف من الزمن من أجل فهم للإسلام والمسلمين أقرب للحقيقة وإن شابه كثير من الخلط والغلط بسبب التحامل تارة، وبسبب تطبيق مناهج بحث صنعت في بيئات مغايرة تارة أخرى. إنّ ما نراه من تعامل مع القرآن هذه الأيام قد يجعلنا نتحسر على كتابات ذلك الجيل من المستشرقين الذين لم يبلغوا هذا الحدّ من الإسفاف الذي بلغته كتابات الغرب اليوم ضد القرآن من سطحية وجهالة واستخفاف بعقول القراء المسلمين، حتى ظُنّ أن المسلمين قد يتركون قرآنهم لمثل هذا الهراء والهذيان الذي لا يقبله حتى المجانين. ومن هذه الصرعات الأخيرة ما نشر برعاية أميركا أون لاين .A.O.L وهي مزوّد Provider عالمي يقوم بتسجيل المواقع Website وصفحات الإنترنت Pages حيث قام هذا المزوّد باستضافة موقع معادٍ للقرآن يزعم أنه ردّ على ما جاء في القرآن من تحدٍّ لإعجازه في قوله تعالى:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 23]



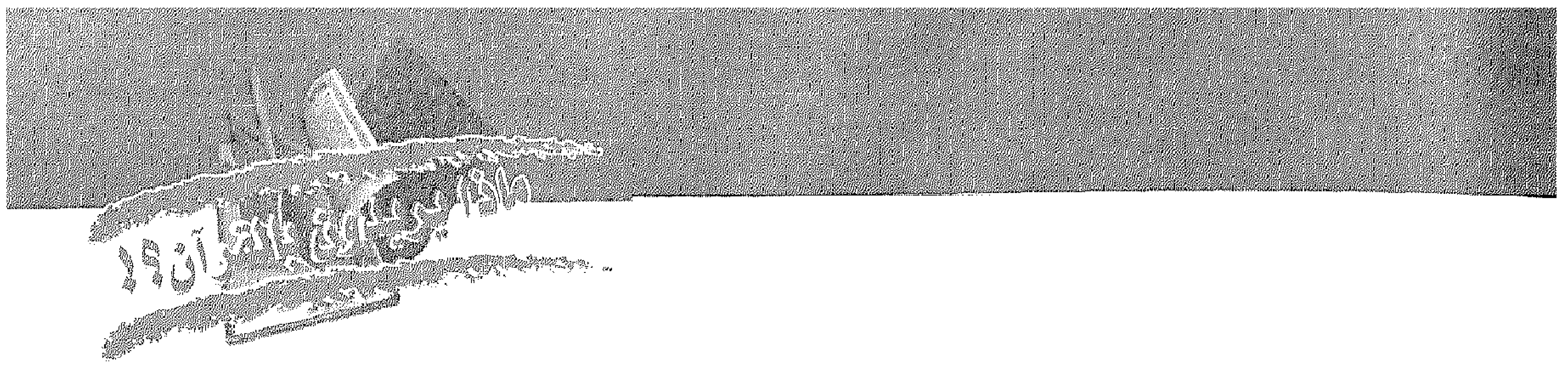
الموقع على الانترنت

سورة المقاطعة

(25 آية)

الم (1) ونضرب الأمثال للجهّال لعلهم يعقلون (2) مثل الذين يدعون إلى مقاطعة الغرب والأمريكان وما يفقهون (3) كمثل الذين يبغون ضبط الطهارة يبولون في ثيابهم ويتغوطون (4) لا يتطهرون ولا يغتسلون (5) أولئك على عمىً من أمرهم وأولئك هم الجاهلون (6) أبغير آلاء الغرب يتنعمون (7) وما أدراكم ما يقاطعون (8) هو الذي فجّر من الأعماق نفاية فجعل من النفاية زيتاً وجعل من الزيت نوراً لهم لعلهم يشكرون (9) أبغير آلاء الغرب يتنعّمون (10) هو الذي نثر الأقمار في السماوات تنقل الأخبار لهم والأفلام والأنغام وكلّ ما يشتهون (11) ولولا ما أفاء به عليهم لما برحوا تحت الخيام تائهين (12) ألم يخلق لهم الأسبرين والمسكنين وكلّ دواء يشتهين (13) وكانوا من قبل ببول النوق وبسم ثمرات دواء لهم قانعين (14) أبغير آلاء الغرب يتنعمون (15) أليسوا على ورق من صنعه يكتبون وقرآنهم يطبعون (16) ومن ميكروفوناته يكبّرون ويرتلون (17) حزب الشيطان عقولهم تصوّر لهم الغرب شيطاناً وإن أصابهم من الشيطان بليّة فإلى الغرب يفزعون (18) أبغير آلاء الغرب يتنعمون (19) أفليسوا على طيارات وسيارات من صنعه يتنقلون (20) فلينظر الذين كفروا إلى ما حولهم وما بين أيديهم لعلهم يعقلون (21) فلينظروا إلى البرادات والغسالات والنشافات والتلفون وآلة غسل الصحون (22) ولينظروا إلى المطابع والكاميرات والحاسوب والتلفزيون (23) يريدون للغرب كيداً وما يكيدون إلا لأنفسهم عميٌ جهلٌ لا يفقهون (24) هو الغرب الذي لا حول لهم إلا به وإليه أين توجهوا يرجعون (25) وإنّ منهم من يأتي بفضله فأولئك هم على علمٍ بما هو خير لهم وأولئك هم المفلحون (26)

ويحمل هذا الموقع أو بالأحرى الصفحة Page Web اسماً هو Sura like it أي (سورة مثله) ويريدون القرآن، وهذا يعني قبول تحدي القرآن للبشر أن يأتوا بسورة من مثله. فجاء من وراء هذا الموقع المشبوه ليقولوا علناً: لقد قبلنا التحدي، وها هي ذي سور نأتي بها من مثل القرآن.



وبالرغم من أن America on Line أوقفت هذه الصفحات بعد احتجاج المسلمين، إلا أنّ تلك الصفحات انتشرت في مواقع كثيرة معادية للإسلام مثل: Answering Islam وهو واحدٌ من أشدّ المواقع معاداةً للقرآن ولنبيّ الإسلام.

ولا يستحقّ الهراء الذي في تلك السور المزعومة أدنى اهتمام، ولكننا أحببنا أن نسوق ذلك في معرض تشخيص ظاهرة الغارة على القرآن الكريم.

والسور المنشورة تبتدئ بأحرف مقطعة (نحم، المذ،) كالأحرف (النورانية) في أول بعض السور القرآنية مثل : (كهيعص، حمعسق ، ألم، ألر، ألص، حم، طه، ص، ق، ن). وهي نصٌّ سخيف جداً، يمكن للقارئ أن يطلع على صورته المرفقة، وقد جاء فيه :

« نحم (1) ونضرب الأمثال للجهال لعلهم يعقلون (2) مثل الذين يدعون إلى مقاطعة الغرب والأمريكان وما ينتجون (3) كمثل الذين يبغون غيظ الطهارة يبولون في ثيابهم ويتغوطون (4) لا يتجمّرون ولا يغتسلون (5) أولئك على عمى من أمرهم وأولئك هم الجاهلون (6) أبغير آلاء الغرب يتنعمون (7) وما أدراكم ما يُقاطعون (8) .. ». ثم تستمر السورة في ذكر فضائل الغرب التي يريد العرب مقاطعتها. ذلك هو قرآنهم الجديد الذي يقدمونه بديلاً للقرآن العظيم:

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [سورة الكهف: الآية 5]

وجاء في سورة (المسلمين) :

« ألصم. قل يا أيها المسلمون إنكم لفي ضلال بعيد إن الذين كفروا بالله ومسيحه لهم في الآخرة نار جهنم وعذاب شديد...».

الدّعاء

وإذ قال الحواريون للمسيح ربّنا علّمنا صلاةً ترضي ربّ العالمين (١) قالَ فارفَعُوا إلى العلياء قلوبَكُمْ ولا تُكَرِّروا الكلامَ كالمُنافقين (٢) هوَ الّذي سوّاكُمْ بالروحِ أبناءً له إذ نفخَ من روحِهِ في صدوركُم روحاً لكم فاقْنتوا لهُ خاشعين (٣) وخاطبُوه كبنين (٤) أبانا الذي في السماءِ ليتقدسِ اسْمُكَ ليأتِ ملكوتُكَ لِتكُنْ مشيئَتُكَ إلى أبدِ الآبدين (٥) كما في السماءِ كذلكَ على الأرضِ في كلِّ مَكانٍ وفي كلِّ حين (٦) ربّنا خبزَنا كفافَنا أعطِنا اليومَ واغفِرْ لنا ذنوبنا يا أرحمَ الراحمين (٧) كما نغفرُ نحنُ لكلِّ من كانوا بحقّنا مُخطئين (٨) ربّنا ولا تدخلنا في تجربةٍ إنّا على الشريرِ بكَ نَسْتَعين (٩)

سورة المسلمون

الصم (١) قل يا أيّها المُسلِمُونَ إنّكُم لفي ضلالٍ بَعيد (٢) إنّ الّذِينَ كَفَرُواْ بِاللهِ ومسيحِهِ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ نَارُ جَهَنّمَ وعَذابٌ شَدِيدٌ (٣) وجوهٌ يومئذٍ صاغرةٌ مكفهرةٌ تلتمسُ عفوَ اللهِ واللهُ يفعلُ ما يريد (٤) يومَ يقولُ الرحمنُ يا عبادي قد أنعمتُ على الذينَ من قبلِكُم بالهدى منزلاً في التوراةِ والإنجيل (٥) فما كان لكم أن تكفروا بما أنزلتُ وتضلّوا سَواءَ السبيل (٦) قالوا ربنا ما ضللنا أنفسنا بل أضلّنا مَنْ ادّعى أنه من المرسَلين (٧) وإذ قالَ اللهُ يا محمد أغويتَ عبادي وجعلتَهُم من الكافرين (٨) قالَ ربّي إنما أغوانيَ الشيطانُ إنهُ كان لبني آدمَ أعظمَ المفسدين (٩) ويغفرُ اللهُ للذين تابوا ومَن أغواهُمُ الإنسانُ ويبعثُ بالذي كانَ للشيطانِ نصيراً إلى جهنم وبئسَ المصير (١٠) وإنْ قضى اللهُ أمراً فإنه أعلمُ بما قضى وهو على كلِّ شيءٍ قدير (١١)

أضحوكة أخرى: الوحي نزل على كريستيان

على موقعٍ معادٍ للإسلام يُدعى (الفارس المسيحي، The Christian Knight فرسان القلم) جاء هذا الخرف تحت عنوان الوحي نزل على كريستيان. يقول محرر الموقع : « هذه السور لا تمثل تطاولاً على محمد وقرآنه، أو الإسلام بشكل عام، ننشرها ردّاً على القول القرآني﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [سورة البقرة: الآية 23] .

هذا الهراء والهذر صناعة رديئة ليس وراءها عقل صريح ولا عاطفة متزنة، ويكفي أنّ أصحابها يتسترون وراء أسماء وهمية مثل كريستيان هذا، وإن كان القارئ المتوسط الثقافة يمكنه أن يهتدي بيسرٍ إلى مَن كان وراء هذه الأعمال الخبيثة، ويكفي لاكتشاف هذا أن يتعرّف على هويّة الموقع الذي ينشر هذا السّفه.

ســورة اليعـافير

جميع حقوق الوحى محفوظة

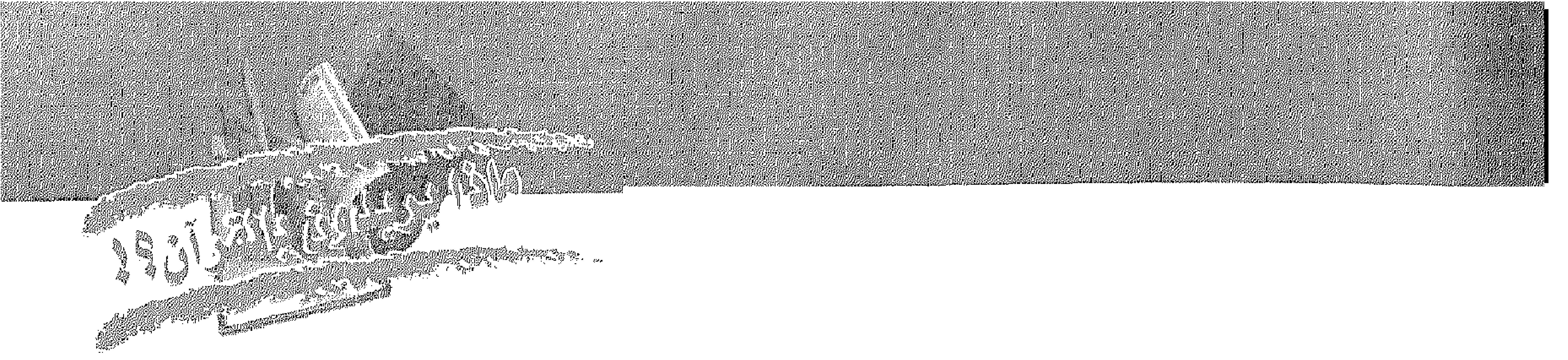
ألا تتعظون ❖ ألم ترى (؟) ما فعل الله بسدوم وعمورة ❖ وكيف غدت مساكنهم قبوراً ❖ لأنهم زنوا مع بعضهم و تركوا شريعته دهوراً ❖ وأنتم ظللتم على جهلكم معتقدين بالجنة قصوراً ❖ وبيوت مسطرة سطوراً ❖ وحدائق مرتبة صفوفاً وفتيات أطلقتم عليهم حوراً ❖ وقلتم مهما نضاجعهم ليعدن من جديد بكوراً ❖ فنستمتع معهم ونضاجعهن إلى الأبد وكأن الجنة ماخوراً ❖ فيأتي إرهابي و يدعى أنه جسوراً (؟) ❖ ويفجر نفسه حالماً بالجنة مسرورا ❖ وهو لا يدرى أنه كان يعفوراً ❖ فمكانه في جهنم معروفاً ❖

اسم السورة مستوحى من حديث شيق للرسول محمد مع يعفور .. الحمار .. نعم يعفور هو حمار الرسول ، الذى آمن به ! و طبعاً نصيبه يوم القيامة سيدخل جنة المسلمين و يهيص مع حور العين ! .. إذن يعافير = حمير، و يعفوراً = حماراً.

ســورة جهنــم

جميع حقوق الوحى محفوظة

نزل الوحي عليّ نهاراً ❖ فوجدت من الحوريات بحاراً ❖ وجاء شيطان قائلاً : ما ستراه ليس سراباً ❖ لقد قلت هذا مراراً ❖ نساء الجنة عدن ❖ (؟) من جديد أزهاراً ❖ ومهما فعلت فلن ينجبوا أطفالاً ❖ و الله ينتظرك لتفرغ منهم فيعيدهم أبكاراً ❖ ثم يأتي إليك غلام مقرط جميلاً (؟) ❖ فيسألك أطلقني أم تبغي منى سبيلاً ❖ تسأله و من أنت يا صغيراً (؟) ❖ يجيبك أنا من خلقه الله لك عزيزاً لتمتعه ويمتعك تمتيعاً (؟) فأنا غلام مخلداً (؟) خُلقت لأكون مستعبداً ❖ و تدخل النساء عليك مصحوبين بالخدم ❖ أثنين و سبعون (؟) حورية يرقصون على النغم (؟) و كؤوس من الخمر توزع على الحشم ❖ آ ه ه ه أُفقت من أحلامي .. نعم ❖ فلا وجدت حور ولا خدم ❖ و إنما ملقى وحيداً في العدم ❖ لحظات وأدخل جهنم ❖ لأظل فيها لنهاية الزمن ❖ و ها هو محمد واقفاً بانتظاره حبل متدلياً ❖ سيلتف حول رقبته و يتركه باكيا ❖ وكل من أضلهم ألقوا بجنبه جانباً ❖ وها هو مسلم يدلف داخلاً ❖ معتقداً أنه فى الجنة نازلاً ❖ لقد فهم الحقيقة و خرج صارخاً ❖ لأنه في جهنم سيظل باقياً ❖ أتعظ يا أبنى (؟) و أبحث عن الله مسرعا ❖ قبل أن يأتي اليوم و تظل نادماً ❖



مؤلفات حديثة ضد القرآن:

مؤلفون وهميون

ظاهرة (المؤلفين الوهميين) تشكّل حالة جديرة بالتأمل والدراسة. وأقلّ ما تُفسّرُ به أنها حالة إفلاس. ولم يعرف التاريخ الثقافي إلا حالات نادرة في حقب مختلفة، وفي ثقافات مختلفة، وفي أزمنة متباعدة. أما أن يخرج كُتّاب مجهولون بأسماء مستعارة، في زمن واحد، وبيئة واحدة، ومن ثقافة واحدة، وفي موضوعٍ واحد فإنّ ذلك يدعو إلى الريبة والشك.

والأصل أن ينسبَ الناسُ إلى أنفسهم ما يصنعون من آثارٍ وأعمالٍ لا أن يخفوها تحت أسماء وهمية، والإنسان بطبعه يبحث عن كلّ ما من شأنه أن يرفع من قدْره. وقد رأينا من يعتدي على أعمال غيره فينسبها إلى نفسه عدوانًا، وأما أن يتخلى المرء على ما يخصّه إلى غيره، ولو كان اسماً مستعاراً، فذلك هو الغريب الشاذ.

وفي العقد الأخير خرجت علينا مطابع الغرب ودور نشره بمؤلفاتٍ خطيرة تستخف بالإسلام وتشكك في القرآن بأسماء مستعارة لكتّاب مجاهيل. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل روّجت آلة الإعلام الغربي والأمريكي لهذه المؤلفات بطبعها مرّات ومرّات، والدعاية لها بالعرض في أكبر المجلات والصحف، فضلاً عن توزيع بعضها مجّاناً على الشبكة الدولية للمعلومات.

وسنعرض هنا لثلاثة كتب لأسماء وهمية، أثيرت حولها ضجّة إعلامية كبيرة للفت الأنظار إليها.

1 كريستوف لوكسنبورج
قراءة سريانية - آرامية للقرآن: مساهمة في تحليل لغة القرآن

كريستوف لوكسنبورج Christoph Luxenberg هو مؤلف كتاب قراءة سريانية أرامية للقرآن: مساهمة في تحليل اللغة القرآنية.

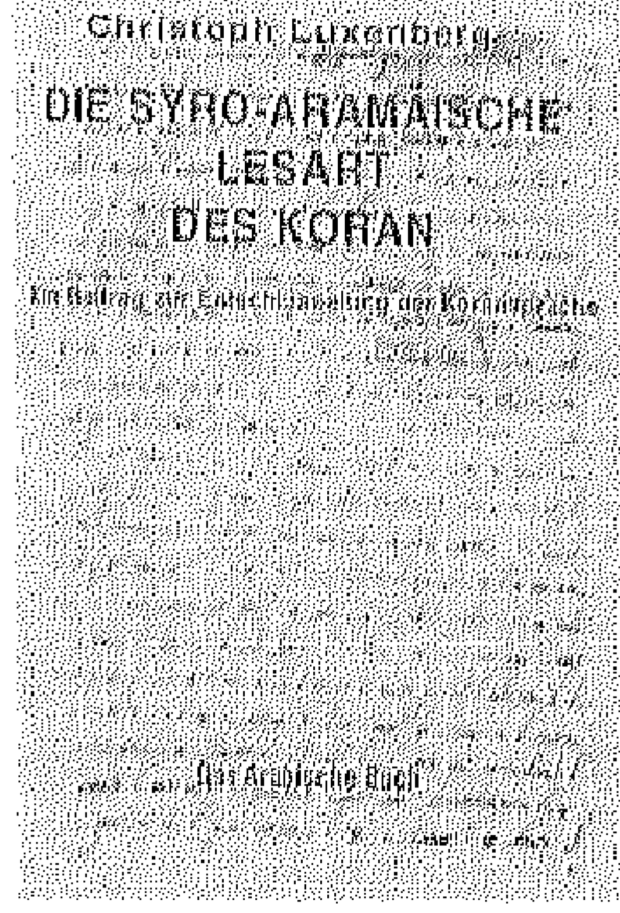
Die Syro-Aramaische Lesart Des Koran;
Ein Beitrag zur Entschlüsselung der Qur'ansprache

قامت بنشره سنة 2000 دار نشر ألمانية هي دار الكتاب العربي Das Arabischen Buch.

وقد أثار الكتاب ضجّة كبيرة في الأوساط العلمية لم تنقطع بعد. فما سرّ هذه الضجة، وما حقيقة مؤلفه؟

كريستوف لوكسنبورج اسم مستعار يُقدّم على أنه عالمٌ ألماني متخصص في اللغات السامية القديمة، ويدرّس بالجامعات الألمانية، دون ذكر لاسم هذه الجامعات. وبعد أن ثار الجدل بين الباحثين في هويّة هذا الكاتب اعترف هانس شيلر صاحب دار النشر التي تولّت طبعه بأن اسم المؤلف مستعار، وقد دفعه إلى ذلك الخوف على حياته من المتطرفين المسلمين الذين قد يثيرهم ما ورد في الكتاب من نتائج تهدم إرثهم القديم عن القرآن، لا سيمّا عندما أخفق في العثور على ناشر لكتابه في ألمانيا وخارجها عدا صاحب دار الكتاب العربي للنشر. والشخص الوحيد من الباحثين الغربيين الذي حاول أن يميط اللثام عن صاحب هذا الاسم المستعار هو البرفيسور فرنسوا دي بلوا François de Blois في عرضه لهذا الكتاب بمجلة الدراسات القرآنية:

Journal of Qur'anic Studies, Vol. V, Issue1, 2003, pp92-97

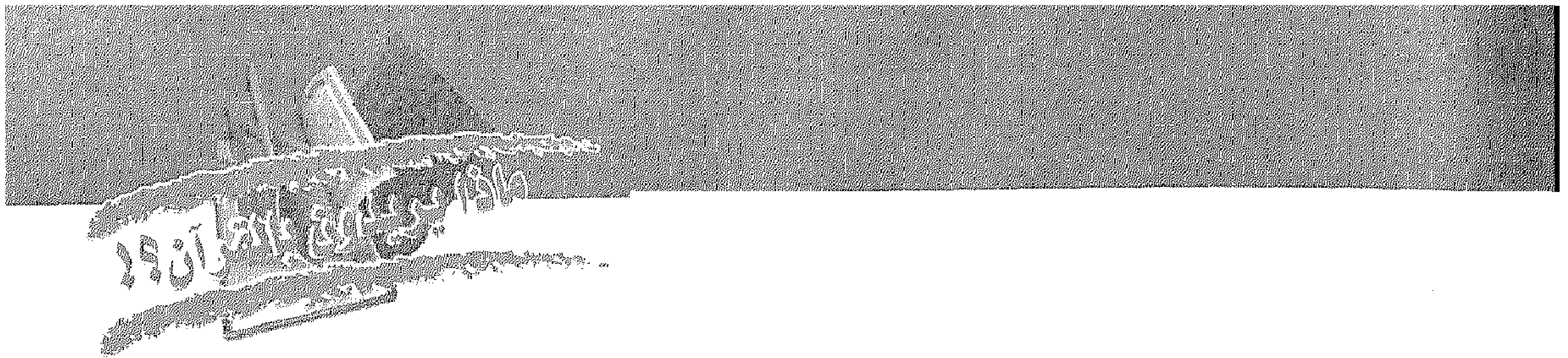


غلاف كتاب لوكسبرج


هانس شيلر

يقول دي بلوا في آخر عرضه المشار إليه :

«لعله من الضروري في نهاية هذا العرض أن نتكلم قليلاً عن المؤلف والاسم المستعار له. جاء في المقالة المنشورة في نيويورك تايمز 2002/3/2 (وهي المقالة التي انتشرت بشكل كبير لاحقاً عبر الإنترنت) إشارة إلى أنّ مؤلف الكتاب هو كريستوف لوكسنبرج العالم باللغات السامية القديمة في ألمانيا. ومن الواضح جداً من خلال ذلك العرض أنّ هذا الشخص ليس عالماً باللغات السامية القديمة، إنه واحد من أولئك الذين يتكلمون بعض اللهجة العربية، وليس له تمكن من الفصحى، وله معرفة بالسريانية بالقدْرِ الذي يمكّنه من استخدام القاموس السرياني، مع فهم سطحي لمنهجيات اللغات السامية المقارنة. وكتابه ليس عمل عالم محترف، ولكنه عمل هاوٍ. ولست أعرف ماذا يعني كاتب مقال نيويورك تايمز (الكساندر ستيل) بقوله «في ألمانيا». فحسب معلوماتي كريستوف لوكسنبرج ليس ألمانياً ولكنه مسيحي لبناني. والأمر لا يتعلّق بعالمٍ بفقه اللغة (فيلولوجي) جسور، ينفض الغبار عن كتب بلغات مهجورة في أقاليم ألمانية ثم يخرج على العالم بنشر نتائجه باسم مستعار ليتجنب التهديد بالموت من قبل المتطرفين المسلمين. باختصار،



إنه كاتب يكتب من برج عاجي كسلمان رشدي. وليس ثمة عالم باللسانيات في أوروبا أو أمريكا يحتاج إلى محو هويته، وليس له الحق في فعل ذلك. ».

القرآن لم يكتب باللغة العربية

لقد نال كتاب لوكسنبرج من التقريظ ما لم ينله غيره في العقود الأخيرة.

يقول روبرت فينيكس Robert Phenix J.R. وكورنيليا هورن Cornelia Horn من قسم اللاهوت بجامعة القديس توماس في دراستهما عن هذا الكتاب المنشورة بمجلة الدراسات السريانية:

Journal of Syriac Studies, Vo l.6, No.1, January 2003:

« ليس ثمة عمل في تاريخ تفسير القرآن يماثل هذا العمل، ولا يوجد لذلك نظير إلا في الدراسات النقدية للإنجيل. وقد حرر لوكسنبورج الباحثين من سطوة التراث التقليدي للمفسرين المسلمين. وسواء أكان لوكسنبورج على صواب أم خطأ فيما جاء به إلا أنه وضع تفسير القرآن في منعطف حرج كان قد بلغه مفسرو الإنجيل قبل قرنٍ من الزمان. لقد أظهر هذا العمل لجميع مفسري القرآن قوة المنهج العلمي للفيلولوجيا وقيمتها في إنتاج نص قرآني أوضح ».

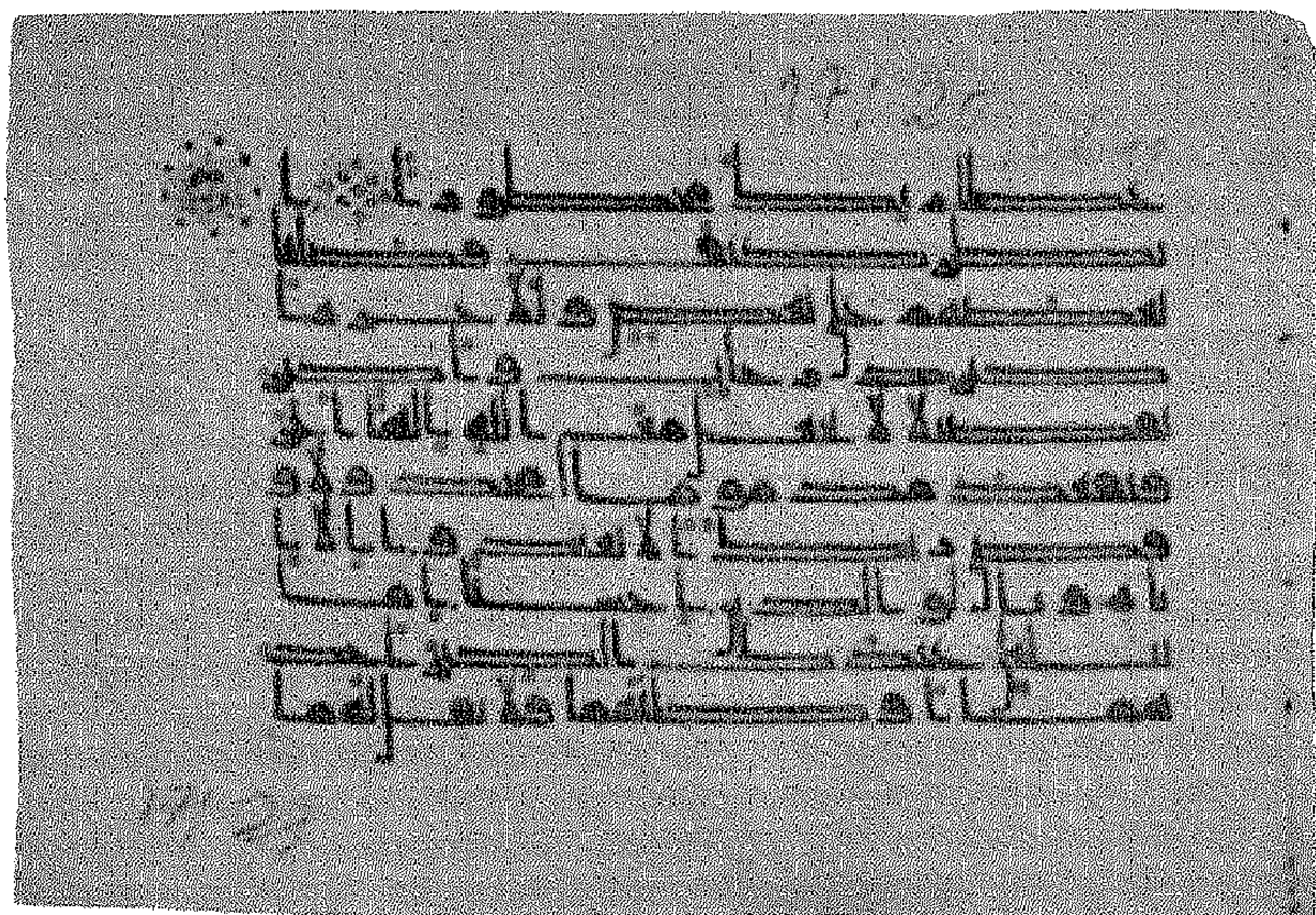
ويقول الباحثان في آخر عرضهما للكتاب :

« لا بدّ لأية دراسة علميّة للقرآن في المستقبل أن تأخذ هذا المنهج بعين الاعتبار.. لقد أبدى لوكسنبرغ ارتياباً في مسألة نقاء القرآن من حيث كونه نصّاً عربياً خالصا، وعرياً عن المعضلات اللاهوتية والفقه واللغويّة التي تعرّضت لها تواريخ نقل النصوص المقدسة كالتوراة العبرية برواياتها المختلفة ».

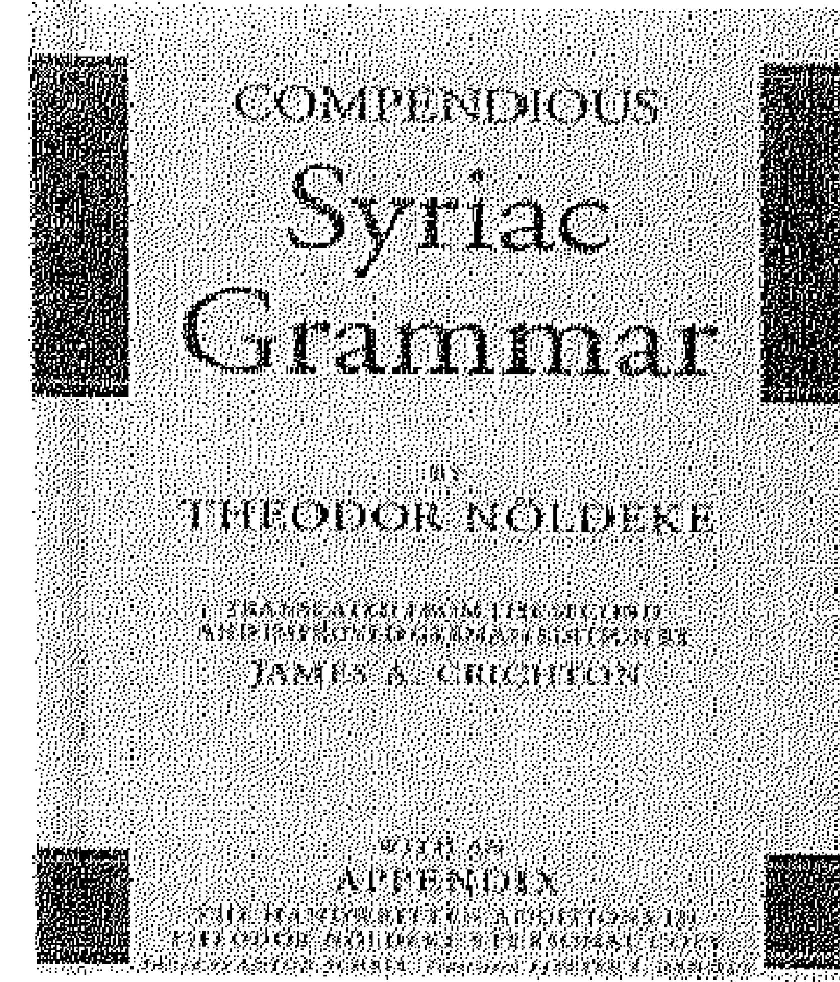
ويقول الكسندر ستيل Alexander Stille في عرضه للكتاب الذي نشر في نيويورك تايمز 2002/3/2 وهو بعنوان نظرات راديكالية جديدة للإسلام وأصول القرآن:

New Radical View of Islam and the Origins of the Koran:

« يؤكد كريستوف لوكسنبورج العالم الألماني باللغات السامية القديمة أن القرآن قد أسيء فهمه كما أسيئت ترجمته على مدى قرون من الزمن. ولقد استند في بحثه على نسخ قديمة من القرآن (يعني



صفحة من إحدى نسخ المصاحف التي عثر عليها بصنعاء



مختصر النحو السرياني - تيودور نولدكه

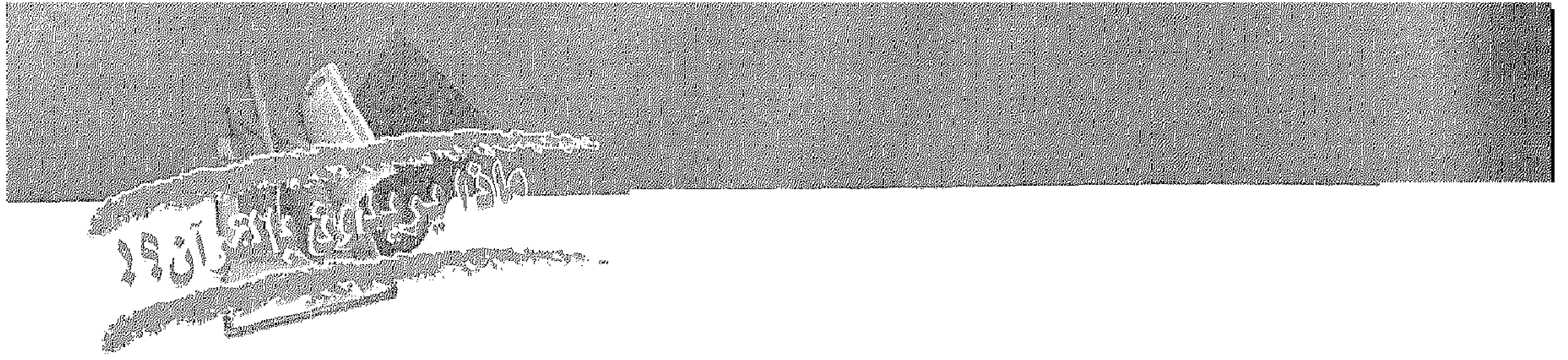
مخطوطات مصحف صنعاء التي اكتشفت في العقود الأخيرة مدفونة بسقف المسجد) تظهر أن جزءاً من القرآن مأخوذ من نصوص مسيحية آرامية كانت موجودة قديماً ولكن أسيء فهمها من قبل المسلمين الذين جاءوا بعد ذلك وأعدوا نسخ القرآن الشائع بين الناس اليوم. ينطلق الكتاب من فكرة أنّ لغة الكتابة التي كانت سائدة في بلاد العرب قبل وإبان ظهور الإسلام هي اللغة الآرامية.

وكان الآراميون الذين اعتنقوا النصرانية يُعرفون بالسريان، ويتكلمون الآرامية لغة الرُّها الواقعة في شمال غرب بلاد ما بين النهرين. وبسبب انتشار النصرانية على يد السريان في سوريا وبلاد الرافدين أصبحت السريانية لغة الكتابة في تلك البلاد وتجاوزتها إلى البلدان المجاورة كبلاد فارس والجزيرة العربية. ومن هنا يفترض لوكسنبرج أن القرآن نزل باللغة السريانية وهي لغة الكتابة في عصر نزول الوحي، ولذلك لا يمكن فهم الألفاظ الغامضة فيه إلا بردّها إلى أصلها السرياني. وأصول تفكير لوكسنبورج ترجع إلى دراسات وبحوث سابقة، ولعلّ من أهمها وأبرزها بحوث الفونس مينجانا Alphonse Mingana. وبذا يمكننا القول بأنّ نظرية لوكسنبورج التي هلّل لها الغرب ليست جديدة. وهي في أحسن أحوالها تطبيق عملي لأراء مينجانا. ولا ريب أنّ مينجانا أكثر تأهيلاً من غيره للبحث في تأثير السريانية على لغة القرآن، ربما لأنه تعلّم السريانية في صباه في الموصل على أيدي الرهبان، وأنشغل بها طيلة عمره.

ومشكلة الاستشراق في العقود الأخيرة الاعتماد على القواميس الموضوعة في اللغات السامية كالآرامية، والسريانية، والأكادية، مع دراسة قصيرة قد لا تتجاوز بضعة أسابيع في نحو تلك اللغات فيصبح بذلك الدارس عالماً في اللغات السامية، أو لمجرد قراءة سريعة في كتب مختصرة لتعليم النحو السرياني ككتاب نولدكه (مختصر النحو السرياني)، أو كتاب فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان. وهذا تدليس حقيقي، وتجنٍّ على المعرفة. وقد قُيّض لنا أن نلتقي ببعض هؤلاء ممن يزعمون أنهم علماء باللغات السامية وهو لا يفرّق في العربية بين الشِّعر والشَّعر، ويزعم أنه يريد أن يصحح أخطاء النحاة واللغويين.

وهذا يصدق على المدعو لوكسنبورج، إذ أن نظريته لا تتعدى الألفاظ، ولهذا نراه يجري مقارنات لفظية بين المفردات العربية والسريانية أو الآرامية دون أن يكلّف نفسه عناء المقارنة بين نحو تلك اللغات. وهذا الأمر يبطل كلّ نظريته في الأصول السريانية للألفاظ القرآنية.

فمنهج لوكسنبورج في التعامل مع الألفاظ القرآنية التي يراها غامضة هو أن يعمد إلى إعادة إعجام الرسم المهمل بإعادة وضع النقط على اللفظ بجعل الخاء جيماً والراء زاياً والباء تاءً وهكذا، حتى يقع على لفظ سرياني ملائم ينضبط به المعنى القرآني على حدّ زعمه. ولكن فاته شيءٌ مهمّ لم يتفطّن إليه وهو أنّ إعادة إعجام الألفاظ يترتب عليه أحياناً تغيير في الموقع الإعرابي وهذا يهدم البنية النحوية للجملة فلا يبقى أيّ معنى.



أثر ألفونس مينجانا على كريستوف لوكسنبورج

كتب مينجانا في سنة 1927 دراسة نُشرت بمجلة مكتبة جون ريلاندز بمانشستر بعنوان (التأثير السرياني على أسلوب القرآن): Influence on the Style of the Kuran، يقول في مطلعها :

« لا شكّ أنّ الوقت حان لإخضاع نصّ القرآن لنفس النقد الذي تعرّض له الكتاب المقدّس اليهودي العبري والآرامي، والكتب المسيحية اليونانية.. وإني لمقتنعٌ بأنّ معالجةً شاملةً لنصّ القرآن بعيداً عن الشّراح المسلمين ستؤتي ثماراً وفيرةً من المعلومات القيّمة. ومن الضروريّ أن يتسلّح الباحثُ بمعرفة كافية بالسريانية، والعبرية، والحبشية. والسريانية في نظري أكثر نفعاً من العبرية والحبشية لتأثيرها الواضح على القرآن. ».

وشرع مينجانا في بيان مواضع تأثير السريانية على أسلوب القرآن، وجعلها في ستة وجوه: أسماء الأعلام، والمصطلحات الدينية، والكلمات العامة، والإملاء، وبناء الجمل، والإحالات التاريخية الأجنبية.

والقولُ بوجود ألفاظ قرآنية من لغاتٍ غير عربية مسألة لم ينفها أكثر المسلمين، والنافون منهم ذهبوا إلى أنها بدخولها إلى اللسان العربي تعرّبت. يقول السيوطي في كتابه الإتقان (1 : 137) في معرض الجمع بين المثبتين والنافين :

«والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، ولكنها وقعت للعرب فعرّبتها بألسنتها وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربيّة، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب. فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال إنها أعجمية فصادق، ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون».

ولذلك فإنّ فكرة ردّ بعض الألفاظ القرآنية إلى السريانية بتحوير في بنيتها بشكل يعجم المهمل ويهمل المعجم يعدّ محاولة متطرفة للتفسير.

وليس هذا المكان الضيّق ملائماً لبسط القول في هذا الموضوع.

ومما جاء نتيجةً لهذا المنهج في كتاب لوكسنبورج أن لفظة (قسورة) سريانية وليس معناها (الأسد) كما فهم المفسرون المسلمون، وأصلها في السريانية (قوصرا) كما هي في الآرامية (قوسره، و قوصره) والرسم القرآني قسوره أصح سريانياً ويلفظ (قاسورا) بإمالة الواو، ومعناها (الحمار الهرم الذي لا يقوى على حمل شيء)، وهذا المعنى مضحك بلا ريب إذ لا معنى لفرار الحمر المستنفرة من حمار عجوز.

ويسخر لوكسنبورج من فهم العرب حيث يجعلون لفظة (قسورة) بمعنى (الأسد) وهي تعني (الحمار)، ويجعلون لفظة (الحمار) في قوله تعالى:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ﴾

[سورة البَقَرَة: الآية 259]

بمعنى البهيمة، ومعناها الصحيح كما في السريانية (صفة للإنسان).

ويذهب لوكسنبرغ إلى أنّ لفظة (الطعام) في الآية تعني (العقل والفهم) كما في السريانية (طعما) وفي بعض المصاحف ترسم لفظة (طعامك) محذوفة الألف (طعمك) وهذا يشبه قول العامة (كلام بلا طعمه) بمعنى بلا فهم. و (الشراب) هي (شربا) في السريانية ، و (يتسنه) في السريانية تعني لم يتغيّر. وبذلك يكون التفسير الصحيح للآية (انظر إلى حالك وعقلك لم يتغير).

والمراد بقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ لا يمكن بلوغه إلا بتحوير رسم اللفظة فتكون (جمارك) ومعناها في السريانية (كمالك) من الكمال والتمام، فقوله تعالى:

﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ [سورة البقرة: الآية 259]

معناه إذاً انظر إلى كمالك، وبذلك يستقيم معنى اللفظة مع السياق العام للآية.

وهكذا على هذا النحو يمضي المدعو لوكسنبورغ في قراءته للقرآن. ولم يجد النقّاد الغربيون ما يثيرهم في هذه الرسالة بحق إلا تلك التحويرات التي أجراها الكاتب بإلغاء آيات الجهاد، والتأويل العجيب لقوله تعالى:

﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾

[سورة الرّحمٰن: الآيات 72 ـ 74]

ويستغرق لوكسنبورغ في تحليل معنى (حور العين) أربعين صفحة من كتابه (من 221 إلى 260)، ويخرج علينا في نهاية المطاف بتفسير مضحك وهو أن لفظة (الحور) صفة للعنب الأبيض، وأن لفظة (عين) صفة لبريق الحجارة الكريمة، والمعنى الذي ذهل عنه المفسرون طيلة قرون هو أن طمع المجاهدين والشهداء في الجنة حيث الحوريات وَهْمٌ ، إذ لا ينتظرهم إلا جفانٌ من العنب!!.

كيف ذلك ؟ إنّ لفظة (زوّج) في الآية والتي تعني النكاح أخطأ الكُتّاب في رسمها بعد الإعجام، والأصحّ أنها (روّح) أيّ أراح وأنعشَ ، ومعنى الآية إذاً هو روّحنا عليكم بجفنات بيضٍ وجواهر من بللور، وليس المراد من ذلك النساء البيض الواسعات الأعين. وعن قوله تعالى:

﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾

[سورة البقرة: الآية 25]

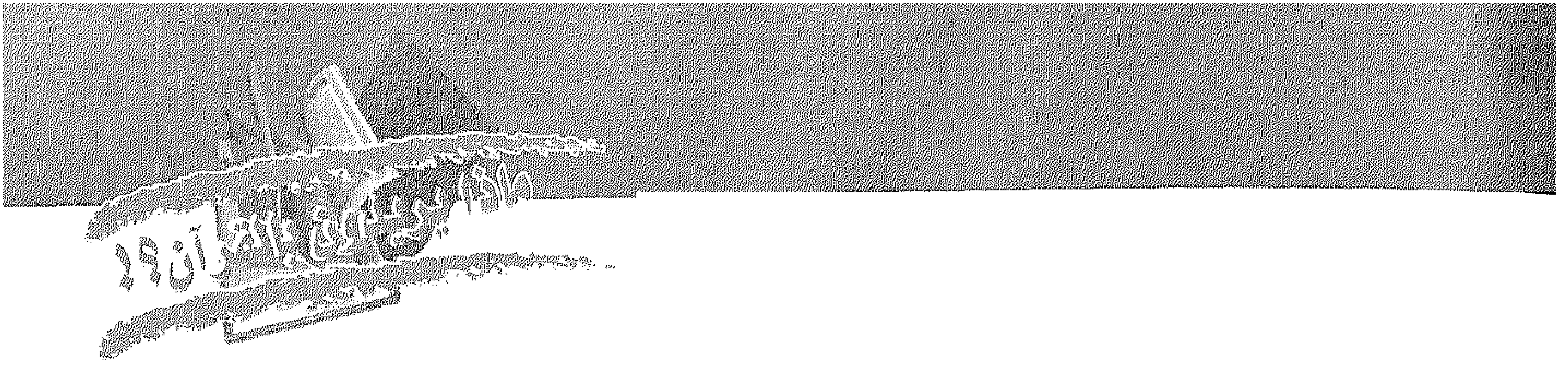
يقول إنّ المراد من لفظة أزواج في الآية، بناء على ما وصل إليه من استنتاجات، أنواع، أي لهم فيها أنواع من الثمار!!، وقوله تعالى:

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ [سورة الرّحمٰن: الآية 56]

لا يعني في نظرية لوكسنبورغ إلا جفنات الجنة التي لم يدنسها قبلهم إنس ولا جان، غير أنّ أوّل الآية لا يؤيّد زعمه حيث لم يقدّم تفسيراً ما المراد بـ(قاصرات الطرف).

إنّ أدق دراسة نقدية خرجت لهذا الكتاب، بعيداً عن العرض السريع الذي قامت به مجلات ومواقع غربية، ذلك البحث القيّم الذي شارك فيه ثلاثة من الباحثين : م. سيف الله، ومحمد غنيم، وشبلي زمان والمنشور بموقع Islamic Awareness تحت عنوان :

From Alphonse Mingana to Christoph Luxenberg: Arabic Script & The Alleged Syriac Origins of the Qur'an.



2 ابن الورّاق والقرآن

ابن الورّاق كاتب يتستّر وراء هذا الاسم المستعار. وهو ينحدر من أصل باكستاني من أبوين مسلمين، وُلِدَ سنة 1946 بمدينة راجكوت.

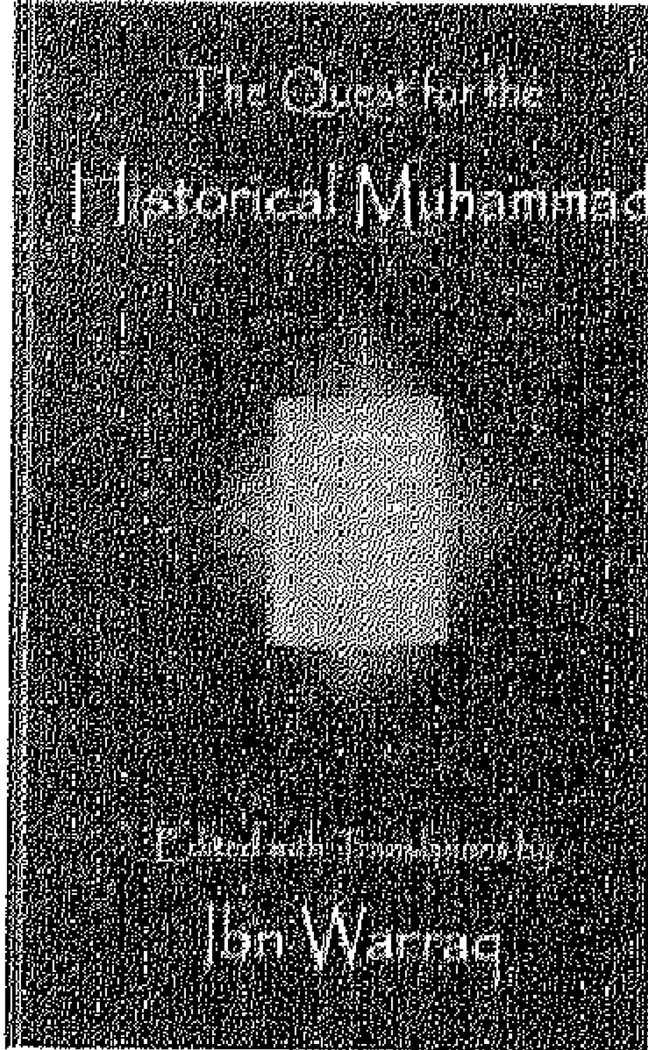
ويغلب على الظنّ أنه سلمان رشدي، صاحب الآيات الشيطانية. وذلك لأن سلمان رشدي قد نال من الشهرة ما لا يدعوه إلى طلب المزيد منها باستعداء المسلمين، فشرع يكتب تحت هذا الاسم المستعار.

ولغة ابن الورّاق الإنجليزية لغة راقية تؤكّد أن صاحبها متمكّن من ناصيتها، وذلك لا يتأتي إلا لمحترف عاش في وسط لغة هي الإنجليزية زمناً طويلاً، ومن يقرأ كتابات سلمان رشدي النقدية أو الفكرية، فضلاً عن رواياته يكاد يجزم بأنها لغة سلمان رشدي عينها. ولذلك من العجيب أن يتخفى كاتبٌ وراء اسم مستعار في الوقت الذي تثير فيه مؤلفاته ضوضاءً وصخباً كبيرين، فضلاً عن إعادة طبع كتبه وتسابق الناشرين عليها، والإنسان بطبعه ميّال للشهرة ومحبٌ للظهور، اللهم إلا إذا نال من الشهرة أكثر من حظه منها، وذلك هو سلمان رشدي، لا سيما وأن سلمان هذا كان من مقرّظي الكتاب، وذلك يعني ضمناً أنه إذا لم يكن ابن الورّاق هو سلمان رشدي فإنه من أصحابه.

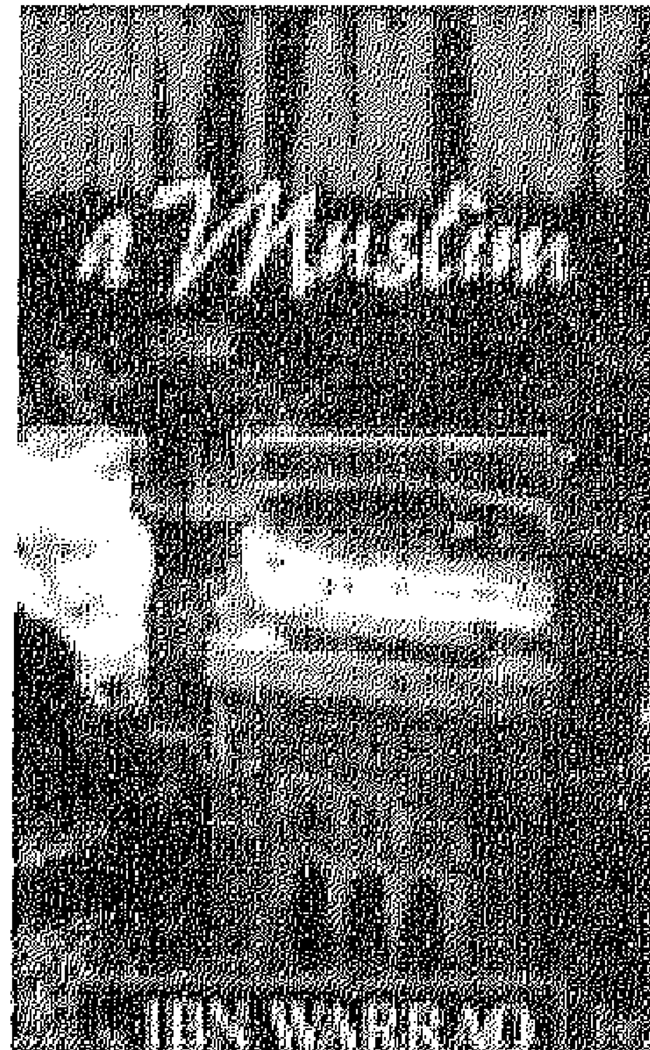
لقد عُرِفَ (ابن الورّاق) بكتابه المثير للجدل لماذا أنا لست مسلماً؟ Why I am not a Muslim?

والكتاب خطاب سجالي جدلي Controversial يعتبره النّقاد نقداً قويّاً لاذعاً للإسلام والمسلمين والقرآن. وهذا الكاتب المجهول (١) حلقة في سلسلة كتاب مأجورين ينحدرون من أصول إسلامية.

ويصف عرض ساليزبوري كتاب لماذا أنا لست مسلماً بقوله: «لقد فعل ابن الورّاق ما فعله برتراند رسل بالمسيحية».



لماذا أنا لست مسلماً؟



البحث عن محمد تاريخي

وكتبت مجلة National Catholic Reporter تقول: «مشكلة هذا الكتاب هي أنه لن يصل إلى أكثر الناس حاجة إليه. فكم من مكتبة ستقتنيه أو تجرؤ على الاحتفاظ به إذا علموا بمحتوياته؟!».

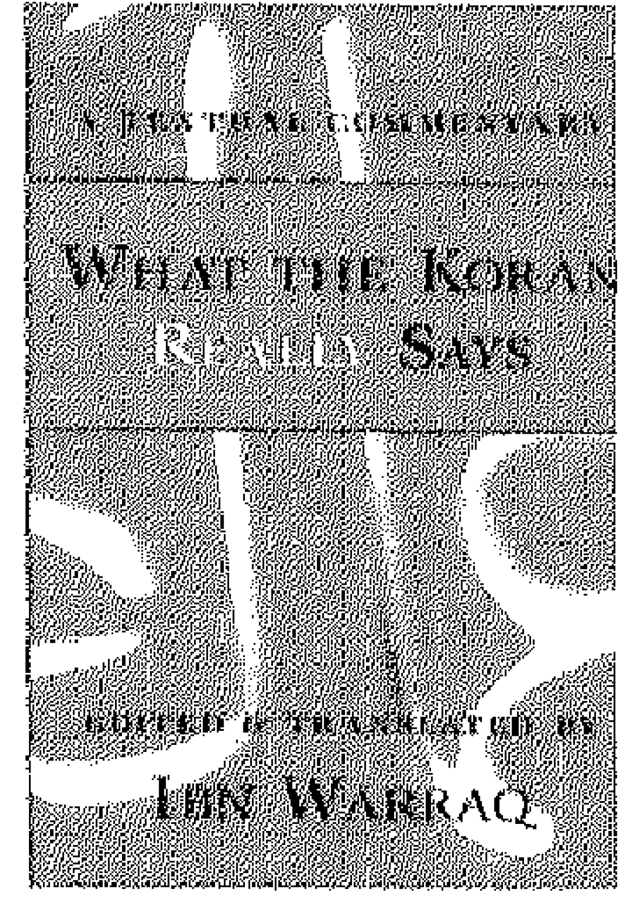
لم يقف ابن الورّاق عند حدّ (لماذا أنا لست مسلماً؟) وشرع يصنف مؤلفات متتالية في زمن قياسي، والقاسم المشترك بينها جميعها معاداة الإسلام. ومن مؤلفاته التي تدور في هذا الفلك كتابه البحث عن محمد التاريخي:

The Quest for the Historical Muhammad

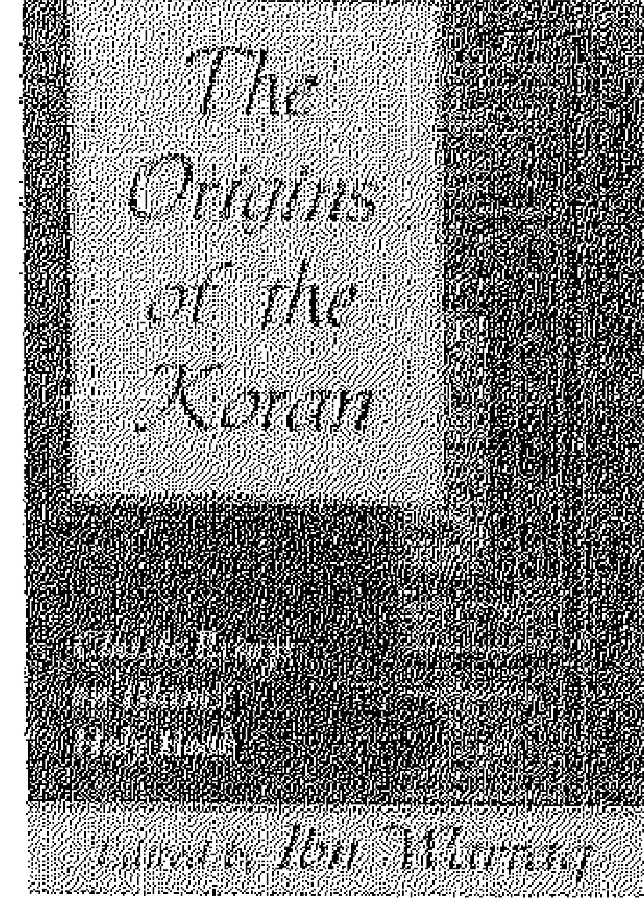
وكتابه «ماذا حقاً يقول القرآن ؟»

What The Koran really Says?

وهذا الكتاب يقع في تسعة أقسام تتضمن مختارات من البحوث حول القرآن، تبدأ بمقدمة ابن الورّاق، وتعريف القرآن، بقلم توبي لستر. ويتضمن القسم الثاني دراسة يهودا نيفو Yehuda Nevo عن مرحلة



ماذا حقاً يقول القرآن؟



أصول القرآن

ما قبل الإسلام، وضمن القسم الثالث مباحث عن لغة القرآن لألفونس مينجانا، وجيفري، وباول كاهل، وربين، وجوشوا بلاو. وفي القسم الرابع شحذ عدداً من البحوث عن مصادر القرآن لمجموعة من الكتّاب مثل: إيريك بيشوب، ومارك فيلونيكو، وويلسون بيشاي، وريموند كوبرت. وفي القسم الخامس الذي جعله للحديث عن سور القرآن ساق بحوثاً لفرانتز روزنتال، وكلود كاهين، وكيستر، ومايكل شوب. والقسم السادس جعله للبحوث المتعلقة بمسألة توثيق القرآن وتصحيحه فساق بحوثاً لفيشر، وتوري، وجيمس بيلامي. وخصّ القسم السابع لريتشارد بل في مقدمته للقرآن. والقسم الثامن جعله للقرآن والشعر، وضمّنه دراسات فلهاوزن، ورودولف جير.

وأما القسم التاسع فقد جعله لبحوثٍ تتعلّق بمخطوطات القرآن.

ومن الملاحظ أنّ ابن الورّاق هذا يسعى لبعث الحياة في نصوص قديمة (مقبورة) ليضعها بين أيدي الباحثين.

وكتابه (أصول القرآن : دراسات كلاسيكية عن كتاب الإسلام المقدس)

The Origins of Koran:

Classic Essays on Islam's Holy Book

استدعاء تاريخي للعقل الاستشراقي الباحث في القرآن وتاريخه ، من خلال جمع أكثر بحوثه خطورةً وأهميةً بين دفتي كتابٍ واحدٍ حتى يسهل الاطّلاع عليها لا سيما وأن أكثرها صار من المتعذر الوقوف عليها لندرتها. ومحتويات الكتاب توضّح عقلية من قام بجمع مادته التي يجمعها قاسم مشترك هو التشكيك في القرآن. وقد جعله المؤلف في أربعة أقسام:

القسم الأول :

- المقدمة بقلم ابن الورّاق
- القرآن : تيودور نولدكه

القسم الثاني :

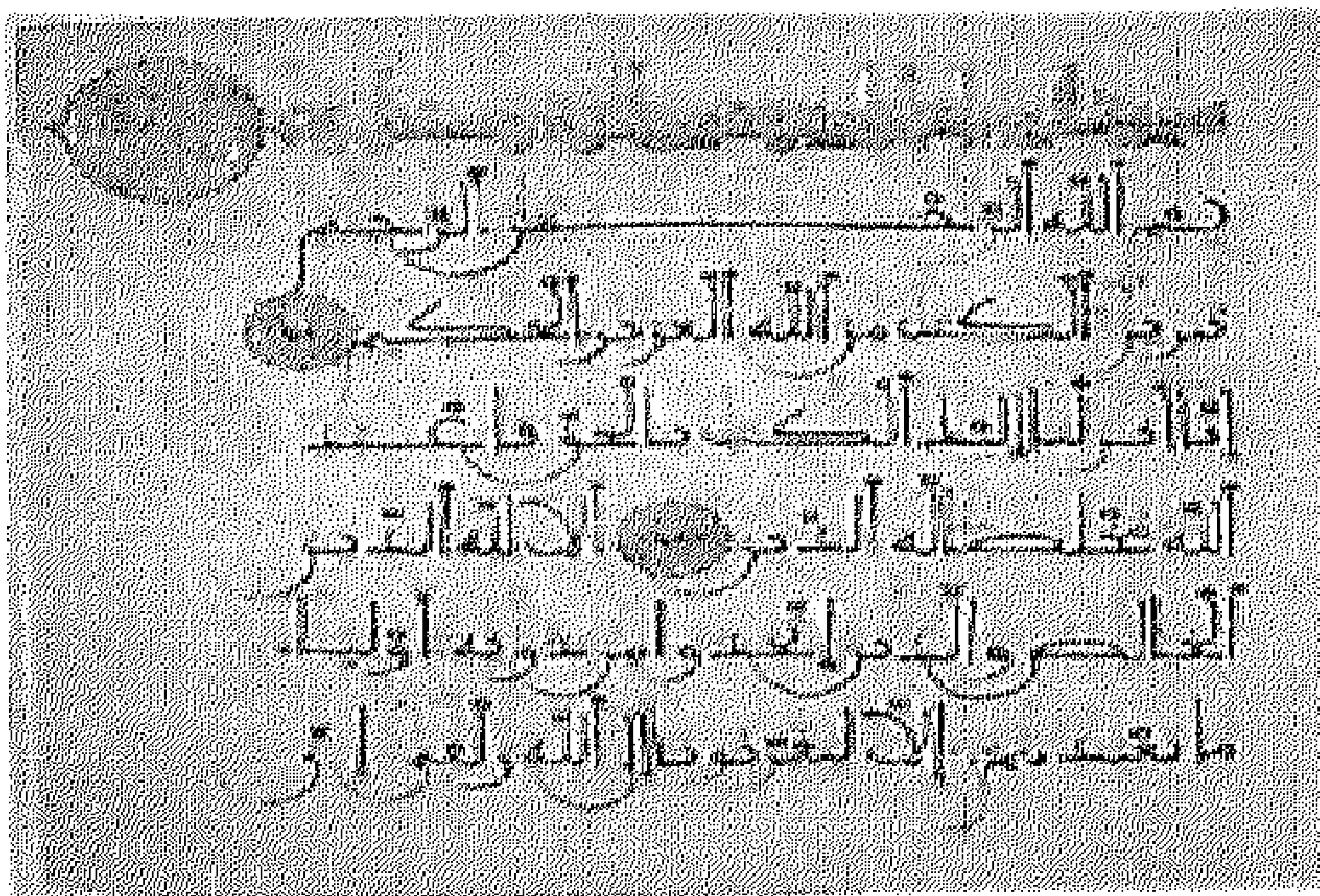
- عثمان ورواية القرآن : ليوني كايتاني
- ثلاث نسخ قديمة من القرآن : ألفونس مينجانا
- رواية القرآن : ألفونس مينجانا
- موادّ لدراسة تاريخ نصّ القرآن : آرثر جيفري
- التقدّم في دراسة النصّ القرآني : آرثر جيفري
- أبو عبيد وضياع آيات من القرآن : آرثر جيفري
- نصّ مختلف للفاتحة : آرثر جيفري
- اختلافات نصيّة للقرآن : مرجوليوث

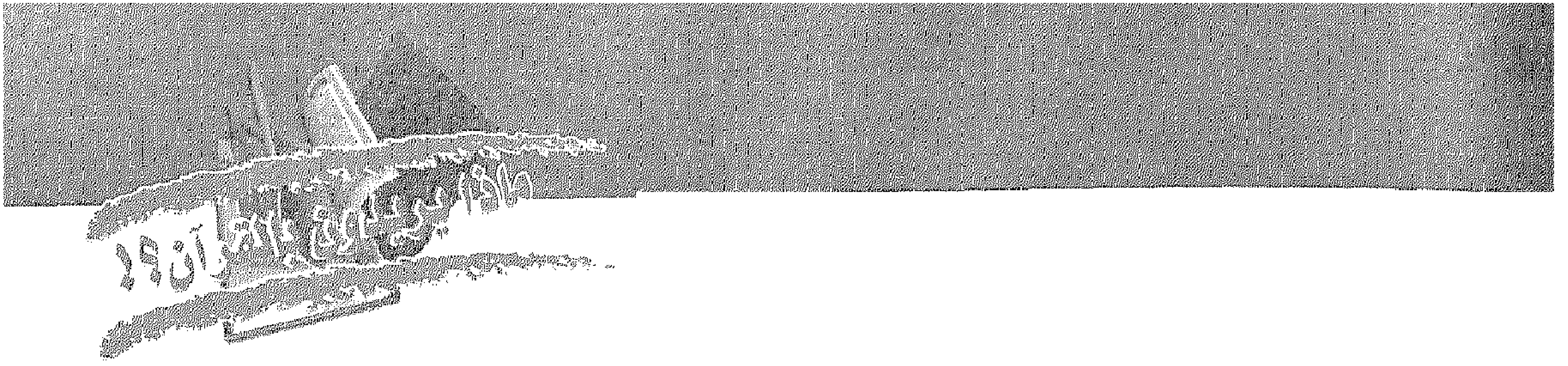
القسم الثالث:

- ماذا استعار محمد من اليهودية : إبراهام جايجر
- مصادر الإسلام : سانت كلير تسدال
- الأصل اليهودي للإسلام : تشارلز توري

القسم الرابع:

- التحليل الأدبي للقرآن، والتفسير، والسيرة - منهج جون وانسبرو : أندرو ريبين.





3 جون جيلكرايست : الكاتب الوهمي وجمع القرآن

John Gilchrist كاتب آخر وهميّ ليس له وجود. ويمكن التخمين بأنه لاهوتي كنسي. له كتاب بعنوان (جمع القرآن). لا يوجد له أثرٌ في دور النشر لأنه لا يُعرف له ناشر ولا مؤلف، ويمكن للقارئ أن يبحث في موقع أمازون www.amazon.com أكبر محرّك بحث عن الكتب على الشبكة الدولية، أو في أي محرّك آخر، وسيجد كثيرين يحملون هذا الاسم، ولكن ليس من بينهم من ألف كتاباً بعنوان (جمع القرآن). والمكان الوحيد الذي يُروّج فيه هذا الكتاب موقعٌ تنصيري معادٍ للإسلام والقرآن اسمه Answering Islam.

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب ما يفصح عن غايته:

«اعتاد المسلمون منذ قرون عديدة على الفكرة القائلة إن القرآن بقي محفوظاً في نصه الأصلي منذ زمن الرسول محمد إلى يومنا هذا بدون أن يَمسّه أيُّ تغييرٍ أو نقصانٍ أو إضافةٍ من أيّ نوع كانت، و بدون أيّ تغييرٍ في طريقة قراءته. وفي الوقت ذاته يعتقد المسلمون أن هذا الكمال المزعوم للنص القرآني هو دليل على أصله الإلهي، بدليل أن الله وحده استطاع الحفاظ على هذا النص. لقد أصبح هذا الشعور جدّ قوي عندهم، لدرجة أنه نادراً ما نجد باحثاً إسلامياً يقوم بتحليل نقدي لموضوع جمع القرآن، حيث إنه كلما ظهرت بوادر محاولة مثل هذه فهي تُقمَعُ في حينها. لكن ما الذي سنَستَنتِجُه إن نحن استعرضنا الوقائع والمعطيات المتوفرة لدينا حول جمع القرآن في بداية العهد الإسلامي ؟

وحين نضع الانفعالات العاطفية جانباً، ونقوم بتقييم موضوعي للمعطيات التاريخية المتوفرة لدينا فإننا نصل إلى استنتاج مناقض تماماً لما يزعمون. وسيظهر لنا من خلال هذا الكتاب أن ما دُوّن في إطار الإرث الإسلامي كافٍ للبرهنة على أن القرآن كان في وقت من الأوقات يحتوي على عدد مختلف من الآيات، بل أحياناً على مقاطع كاملة لا توجد في النّص القرآني الحالي. زيادةً على هذا فقد كان هناك عدد مهم جداً من القراءات المختلفة قبل أن يُقَرِّر الخليفة عثمان بن عفان استئصالها جميعاً، والاحتفاظ بالمصحف الذي وصلنا».

والنتائج التي توصّل إليها المؤلف لا تعدو نتائج أسلافه من المستشرقين والمنصرين. وقائمة مصادره تفصح عن ذلك، فهو لا يغادر فروض واستنتاجات نولدكه في (تاريخ القرآن)، وجون بيرتون في (جمع القرآن)، وكتابات جيفري، ومرجوليوث، ومينجانا، وكايتاني.

ويشكك جيلكرايست في موثوقية مصحف عثمان، ويقدّم عليه مصحف ابن مسعود، فيقول: «كان حجم الاختلافات بين قراءات الصحابة ومصحف زيد غاية الأهمية لدرجة أن ما لا يقل عن 350 صفحة من كتاب جيفري:
Materials for the History of the Text of the Qur'an
خصصت لها. لهذا السبب نفهم لماذا أُريد لهذه المصاحف أن تحرق.

وعكس ما يزعم من أن المصحف العثماني كان يتفق عليه جميع المسلمين، نرى أن الفروق كانت شاسعة بين المصاحف التي كانت سائدة في مختلف المناطق.

وما قام به عثمان لم يكن إلا محاولة لتوحيد المسلمين حول مصحف معين، اختير ليس لموثوقيته، لأنه تبين لنا من خلال الأدلة التي قُدمت أن مصحف ابن مسعود كان أوثق منه. لقد اختير بدون مبرر، بل فقط لأنه جُمع في المدينة تحت إمرة عثمان، ولم يكن ينافس أيّ من المصاحف التي كانت شائعة آنذاك في مختلف الأقاليم الإسلامية». وهذا كلام فاسد، ولم يقل به إلا بعض نظرائه من المستشرقين والمنصّرين.

ومن الواضح جداً أنه لم يقرأ ما كتب المسلمون عن مصحف ابن مسعود، ولم يعلم أنّ ابن مسعود كان يقرأ بمصحف الإمام، وأنّ مصحفه لا يُخالف مصحف الإمام إلا قليلاً في بعض الوجوه، وأكثرها في ترادف الألفاظ، وهو محمول على التفسير، كما يذهب إلى ذلك كبار المفسرين ممن لهم عناية بالقراءات كأبي حيان في تفسيره (البحر المحيط). ومما يؤكد ذلك أنّ عبد الله بن مسعود قرأ قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [سورة آل عِمرَان: الآية 19]

إن الدين عند الله الحنفية. وبالإجماع أنّ هذا ليس قرآناً، ولذا قال ابن الأنباري فيما نقله عنه ابن حيان في البحر (2 : 210): «ولا يخفى على ذي تمييز أنّ هذا كلام من النبي ﷺ على جهة التفسير، أدخله بعض من ينقل الحديث في القراءات».

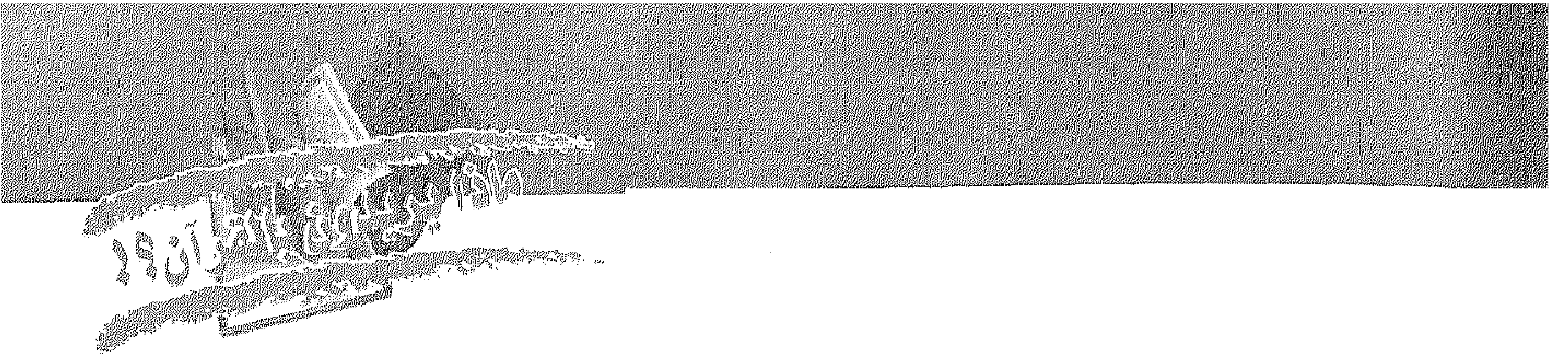
ويخلص جيلكرايست من اختلاف المصاحف إلى القول بأنّ:

«القرآن الذي وصلنا ليس هو ذلك النص الوحيد الذي لا اختلاف فيه، والذي حُفظ بعناية ربانية دون أن يقع فيه أي نقصان أو زيادة في أدنى حرف منه كما يحاول علماء المسلمين أن يجعلونا نعتقد. لم يكن هذا المصحف إلا واحداً من بين عدد من المصاحف جُمِعَت بشكل مستقل خلال العشرين سنة التي تلت وفاة محمد. وهو مصحف جمعه شخص معين ألا وهو زيد ابن ثابت و أصبح النص الوحيد المقبول ليس بأمر إلهي ولكن بأمر دنيوي محض، وهو قرار استبدادي صدر عن عثمان بن عفان».

واختلاف المصاحف الذي استغله أعداء القرآن ليس من اكتشافهم، وقد وجدوا في الكتب التي صنّفها العلماء في اختلاف مصاحف الأمصار، ومصاحف الصحابة، ككتاب (المصاحف) لأبي عبد الله بن أبي داود، مادةً للغارة على القرآن.

ومما يدندن حوله الكاتب (مصحف سمرقند) الذي يزعم أنه مصحف الإمام (عثمان) الذي كان يقرأ فيه عند مقتله، وعليه أثر من دمه، ليخلص من وراء ذلك إلى تحريف القرآن. والأوهام التي حيكت حول هذا المصحف والأكاذيب تفنّد هذه المزاعم. وسيأتي الكلام عن هذا المصحف.

فهرست كتاب جمع القرآن لجون جلكرايست



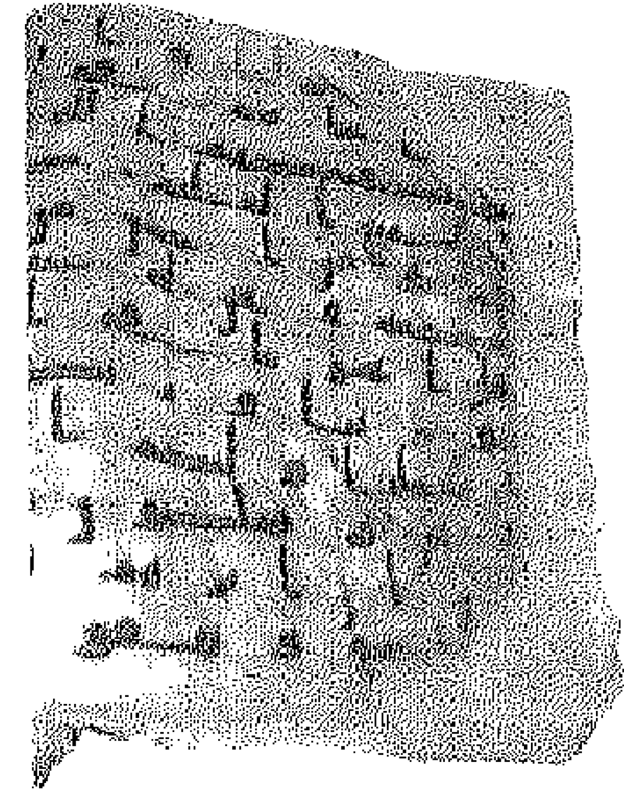
حقيقة مصحف سمرقند

لقد أثير كثير من الجدل حول مصحف عثمان بن عفان الذي كان يقرأ فيه وقت اغتياله، وقد لُطخ بدمه، وقيل أن بقعة من دمه سقطت على الآية التي كان يقرأها وهي قوله تعالى :

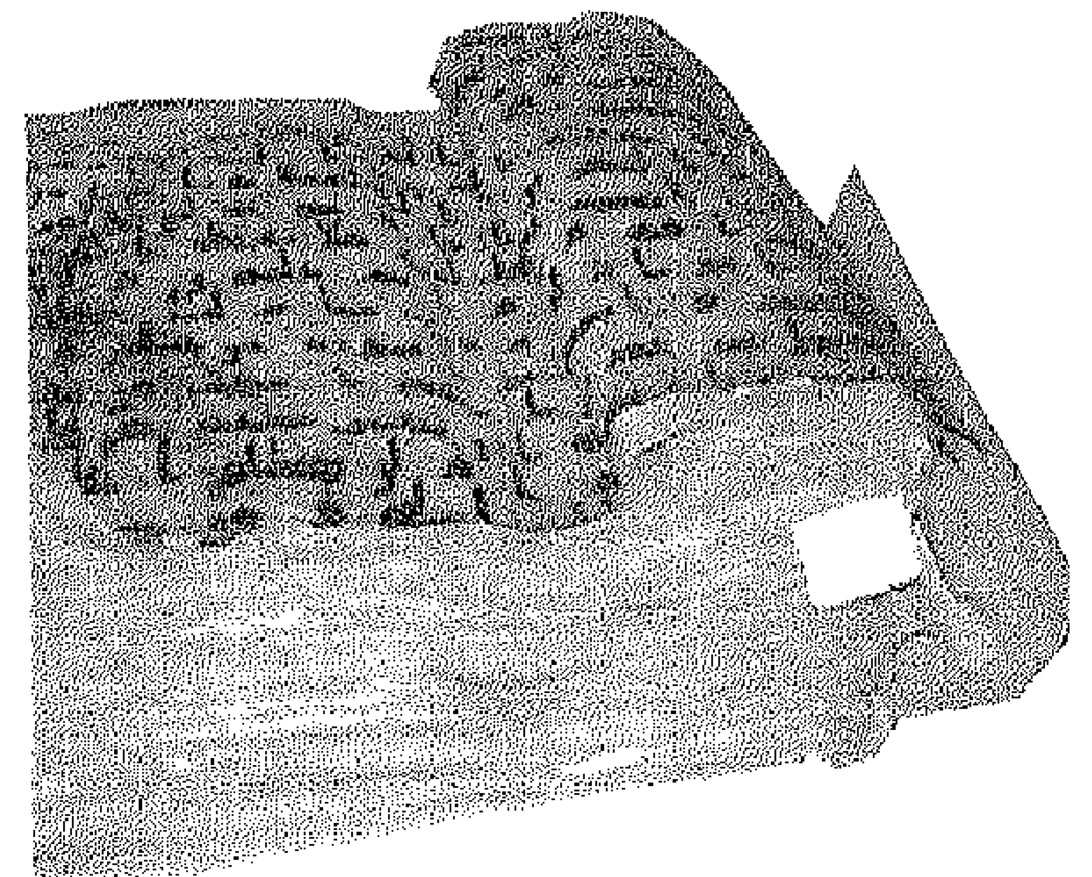
﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 137]

وقد نُسِجَت حول هذا المصحف كثيرٌ من الحكايات والأساطير. فهذا المصحف شرّق وغرّب في كتابات المؤرخين، وكل مصر أو قطر يزعم أنّ ذلك المصحف حطّ رحاله فيه. وأغلب ذلك أوهام. وقد زُعِمَ أنّ هذا المصحف استقر بالقاهرة، وهذا لم يثبت، وقيل إنّ المصحف المشار إليه ليس هو مصحف الإمام الذي كان يقرأ فيه وقت اغتياله، ولكنه من المصاحف العثمانية التي أرسلها عثمان إلى الأمصار، وهذا أيضاً لا يصحّ، لأن مصر لم تكن من الأمصار التي أرسل إليها المصحف، وهي: مكة، والمدينة، والبصرة، والكوفة، واليمن، والشام، والبحرين. ولم تُعد مصر منها إلا في رواية ضعيفة. وقيل إنه انتهى إلى البصرة حسب رواية ابن بطوطة، وقيل إنه بحمص، بحسب ما ورد في كتاب (الحلّة السنية للرحلة الشامية)، وقيل إنه في طشقند، وكان محفوظاً قبل ذلك في سمرقند، وزعموا أن تيمورلنك نقله من البصرة إلى سمرقند. وخبراء الخطوط لا يسلمون بأن مصحف طشقند هو المصحف الذي أرسله عثمان إلى البصرة، لأن الخط المكتوب به يشبه خطوط القرن الثاني للهجرة، وهي خطوط مستقيمة وكأنها رُسِمت بمسطرة، وأن شكل حروف هذا المصحف يشبه إلى حدّ كبير شكل حروف المصحف الكوفي الموجود الآن بالقيروان، ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث الهجري. (انظر كتاب أضواء على مصحف عثمان بن عفان ورحلته شرقاً وغرباً، للدكتورة سحر السيد عبد العزيز سالم ص 15-21)

كان هذا المصحف موجودا بسمرقند ولكنه نقل إلى بطرسبرج عاصمة روسيا القيصرية، وبعد الثورة البلشفية سنة 1917 ثم نقل إلى تركستان، وهو يوجد الآن في طشقند.







مصحف طشقند

خرافة تحريف القرآن
اعتماداً على مصحف سمرقند

على أحد مواقع الإنترنت التنصيرية المعادية للقرآن، جاء السؤال الآتي: هل القرآن معصوم؟ هل القرآن الحالي يشبه المخطوطات القديمة ؟ وجاءت بعد ذلك الدعوات الآتية :

تعال وانظر بعينيك الدليل على تحريف كتابك.

لا تكن جاهلا غضوباً بل افتح عقلك، وقلبك لله ، وانظر التناقضات بروح الفاحص الأمين.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء : الآية 82]

هذا هو الاختلاف وهذا الدليل على أنه ليس من عند الله. تعال معنا لترى.

ثم يسوق آيات من مصحف سمرقند، (الصواب طشقند)، ويزعم أنها دليلٌ على تحريف القرآن. وهي:

❖ في صفحة 370 من مخطوطة سمرقند تأتي كلمة الأرض بـ (لام ألف) في سورة 7:73 الأعراف

بينما في النص الحالي تأتي نكرة بدون لام ألف.

وكلّ من له أدنى دراية بأصول الكتابة يعلم أنّ هذا لا يُعد تحريفا. والخطأ في الكتابة من الناسخ يُضرب عليه بشرطة كما هو موجود على المخطوط، ويُسمى ذلك ضرباً.

❖ صفحة 369 من المخطوطة يقول النص (هذا ناقة الله):

والنص الحالي

﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأعراف: الآية 73]

وهذا أيضاً خطأ من الناسخ، ومن له أدنى إلمام بالعربية، ولو كان أعجمياً، يعرف أن الناقة مؤنث، ولا يصح الإشارة إليها باسم الإشارة للمذكر (هذا).

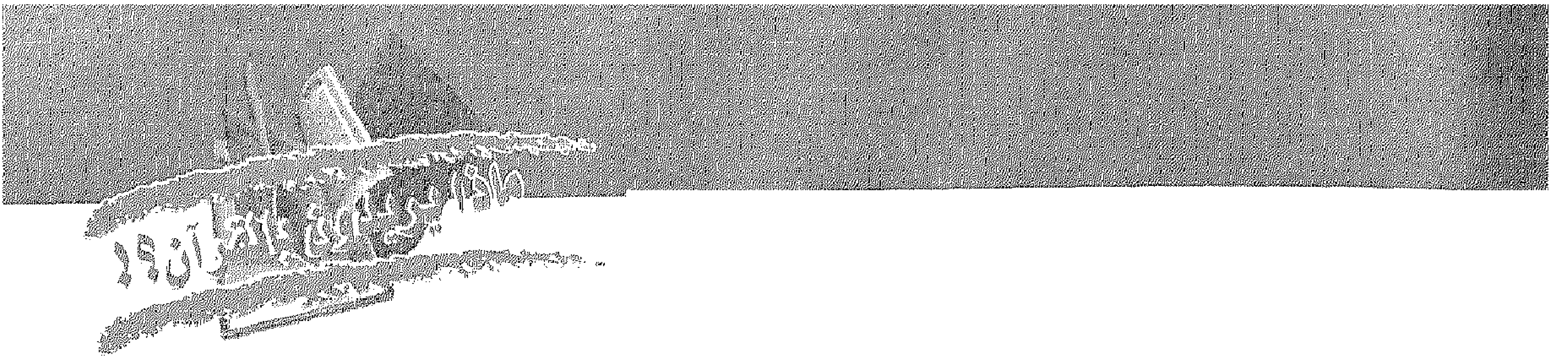
❖ في صفحة 232 من المخطوطة (الأنعام 6:146)

﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ [سورة الأنعام: الآية146]

﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ [سورة الأنعام: الآية 146]

والمعترض لا يعرف فن التصحيح عند السقط، وما سقط من المخطوط ألحقه الناسخ على اليسار في كتابة رأسية كما يبدو من الأثر المتبقي من التصوير. والضمير في شحومها في المخطوطة يحتاج إلى عائد ولا يستقيم ذلك إلا بما هو في النص القرآني الصحيح أي شحوم البقر والغنم، ومن غير هذا لا يستقيم المعنى.

وقس على هذا كلّ ما ورد في هذا الموقع من افتراءات، مع افتراض أن هذا الذي يُزعم أنه مخطوط سمرقند صحيحاً وليس زائفاً.



مواقع معادية للقرآن على الشبكة الدولية

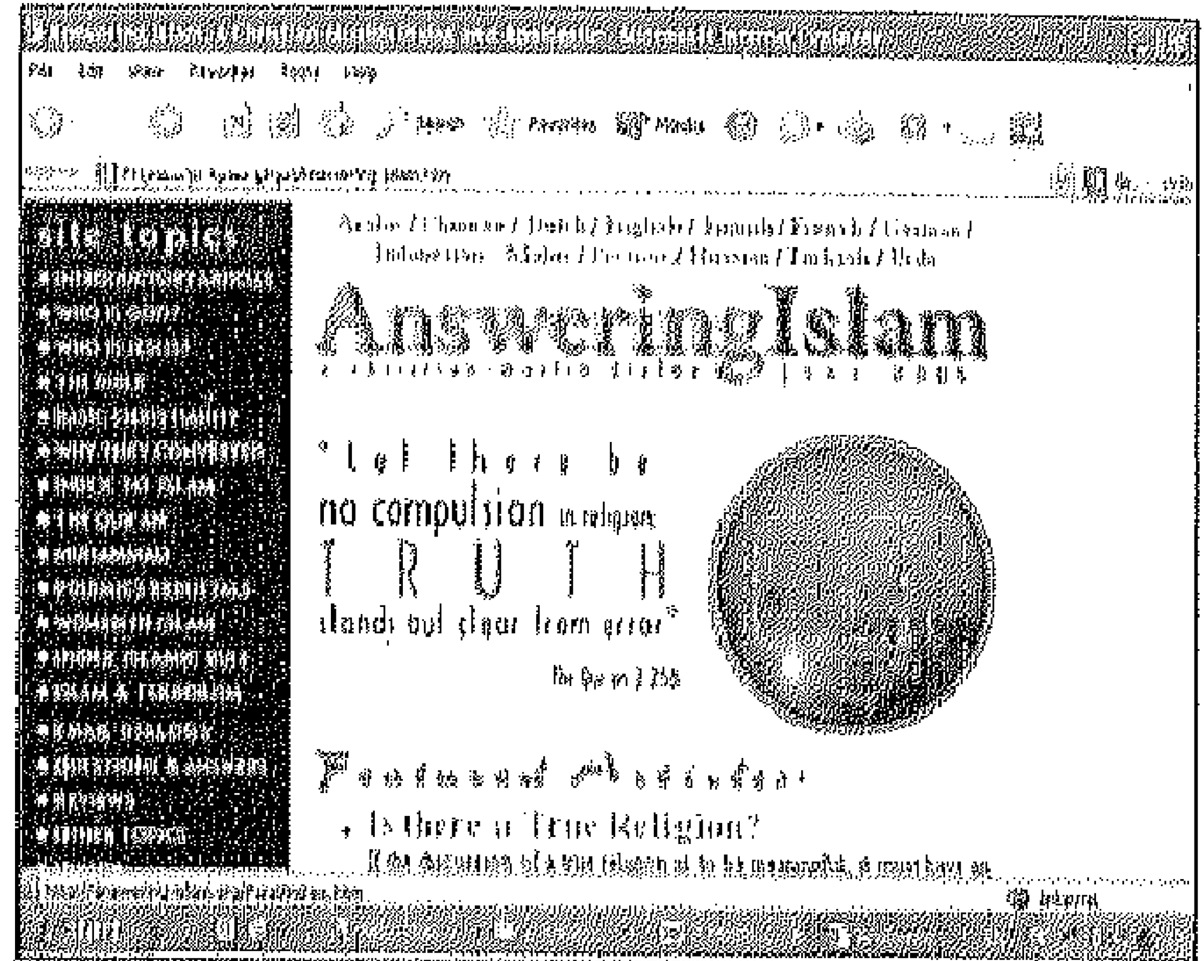
من أخطر المواقع المعادية للإسلام موقع تنصيري اسمه: الرد على الإسلام Answering Islam يصدر بعدة لغات هي: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأردية، والفنلندية، والمالاوية، والفارسية، والروسية، والتركية.

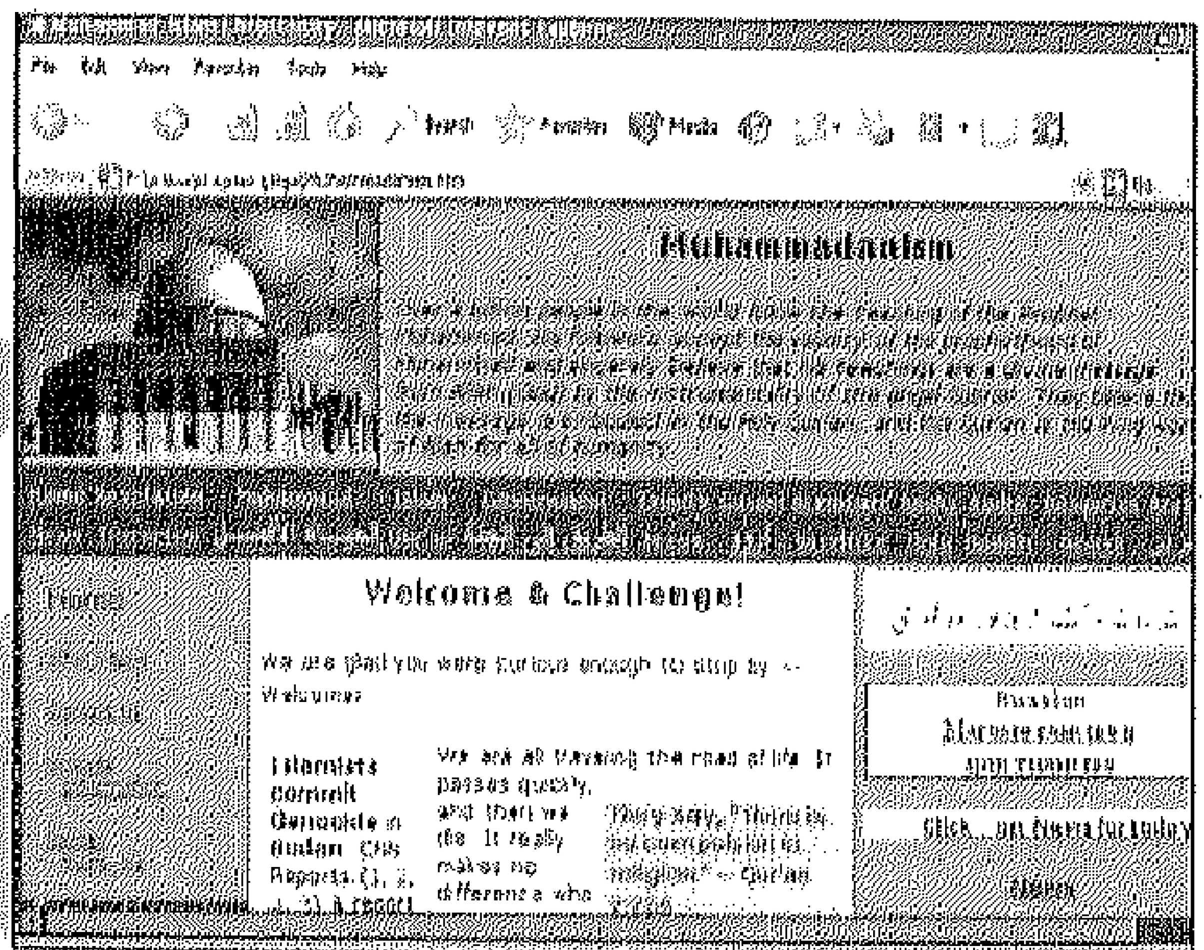
والموقع يشرف عليه جماعة من القساوسة والمنصرين. ويزعم المشرفون عليه أن دعوتهم تدعو إلى الحوار الإسلامي المسيحي.

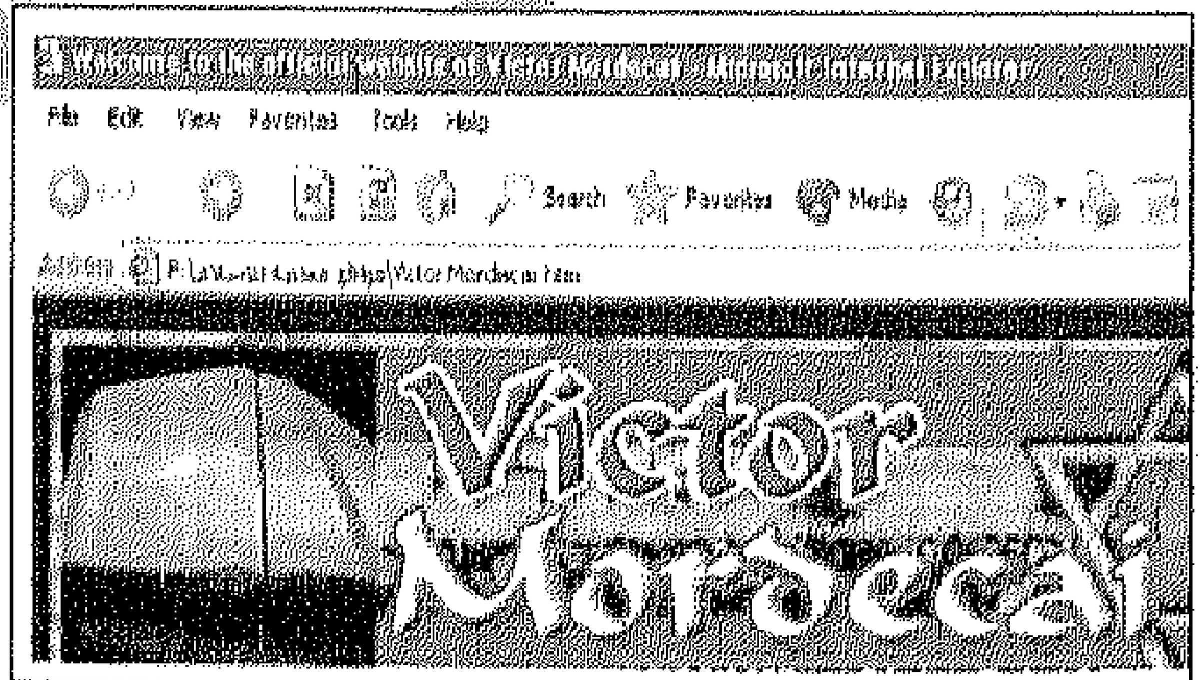
وقد جاء في كلمة لمحرر الموقع: (موقع «الرد على الإسلام» ليس نتاج عمل شخص واحد، ولكن كثيرين اشتركوا وما زالوا يشاركون في وضع محتوى هذا الموقع. وليس ضرورياً أن يكون كل الكتّاب متفقين حول كل النقاط التي تناقش كما هو الحال في الحوار بين المسلمين والمسيحيين، فإن القارئ مدعو للتفكير في مختلف الآراء المسيحية المطروحة حول موضوع ما، وأن يقرر بنفسه أيها أكثر إقناعاً له).

ومن المواقع المسيئة للقرآن موقع يحمل اسم (المحمدية) Muhammadanism وهو يصدر بثلاث لغات: العربية، والأردية، والإنجليزية. وهو موقع مملوء بالافتراءات، والتطاول على القرآن الكريم، ويحوي كتباً بالإنجليزية والعربية تسيء إلى القرآن الكريم.

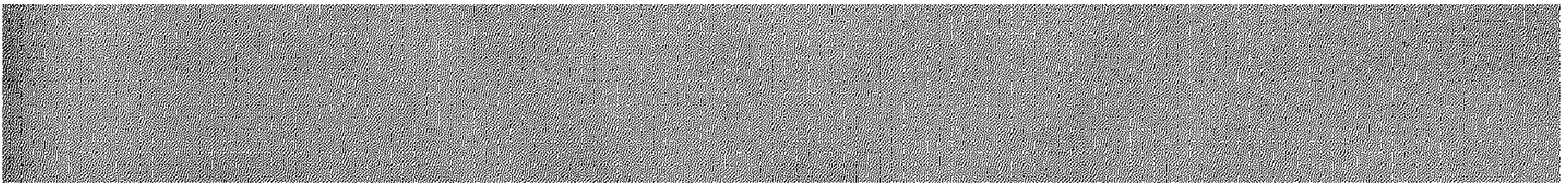
ومن المواقع المسيئة، بل الأكثر إساءة موقع يحمل اسم (الفارس المسيحي Christian Knight) وهو موقع بذيء











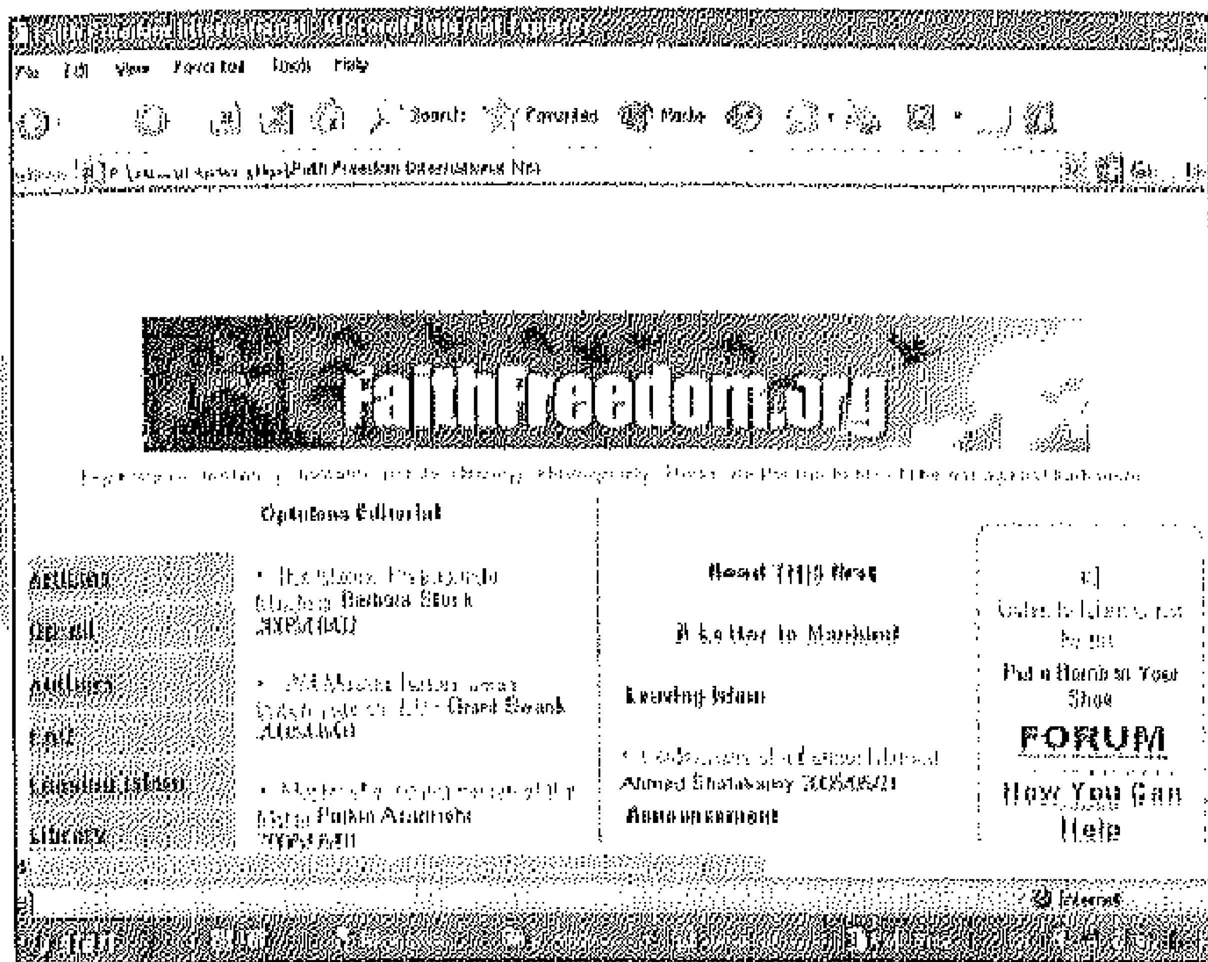
مملوء بالسباب والتهكم، وفيه نعوت قبيحة للرسول ﷺ. والموقع يظهر تارة ويختفي أخرى.

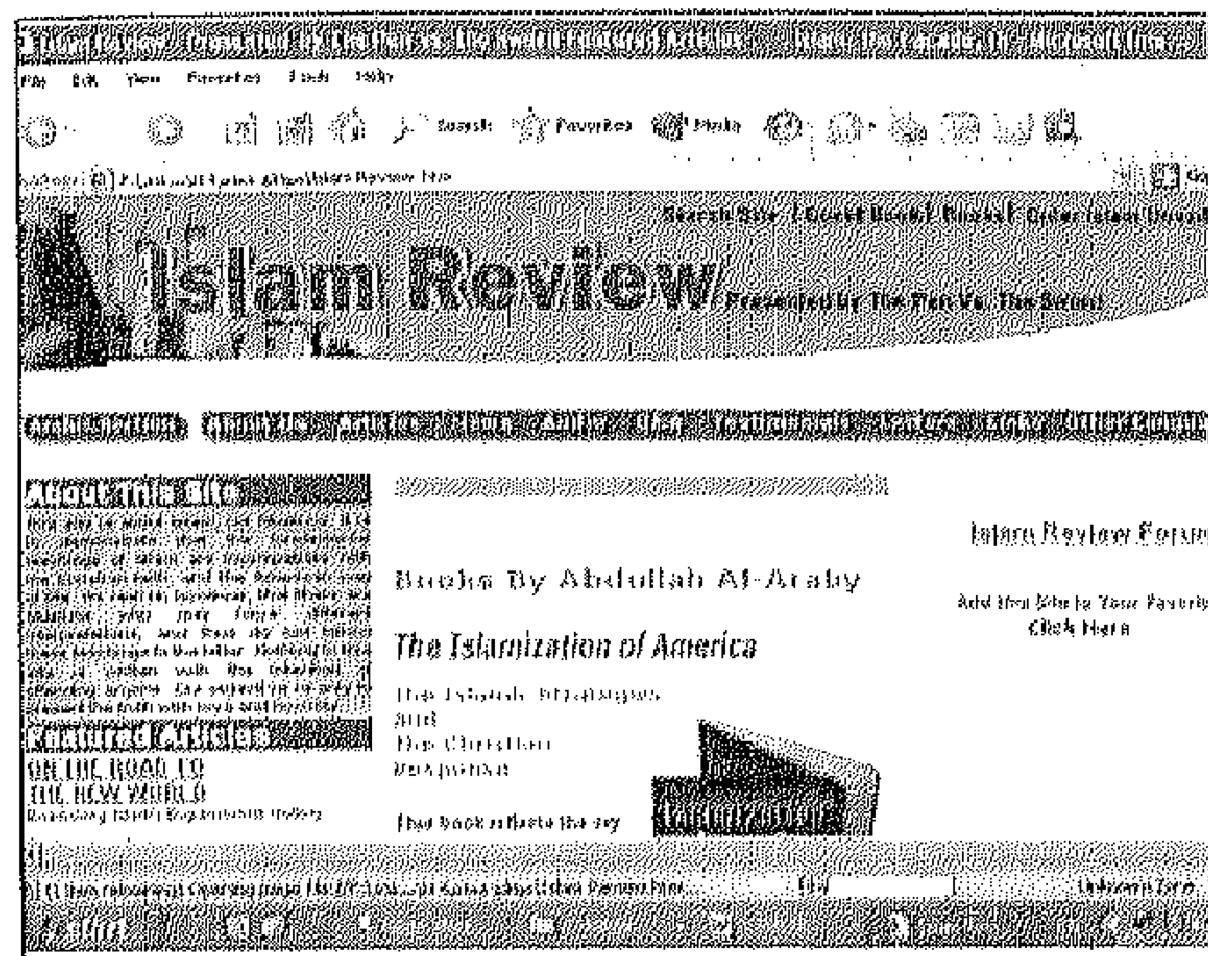
ومن المواقع موقع يحمل اسم (الإسلام في البؤرة Islam in Focus)، ويحمل اسماً فرعياً تحت العنوان الرئيس يكشف عن نواياه وهو (الأزمة العالمية)، وهو يريد أن الإسلام والمسلمين هم اليوم الأزمة الحقيقية. والموقع يروّج لأعمال المنصرين وكتاباتهم، وعلى رأسهم أنيس شيروش السالف الذكر.

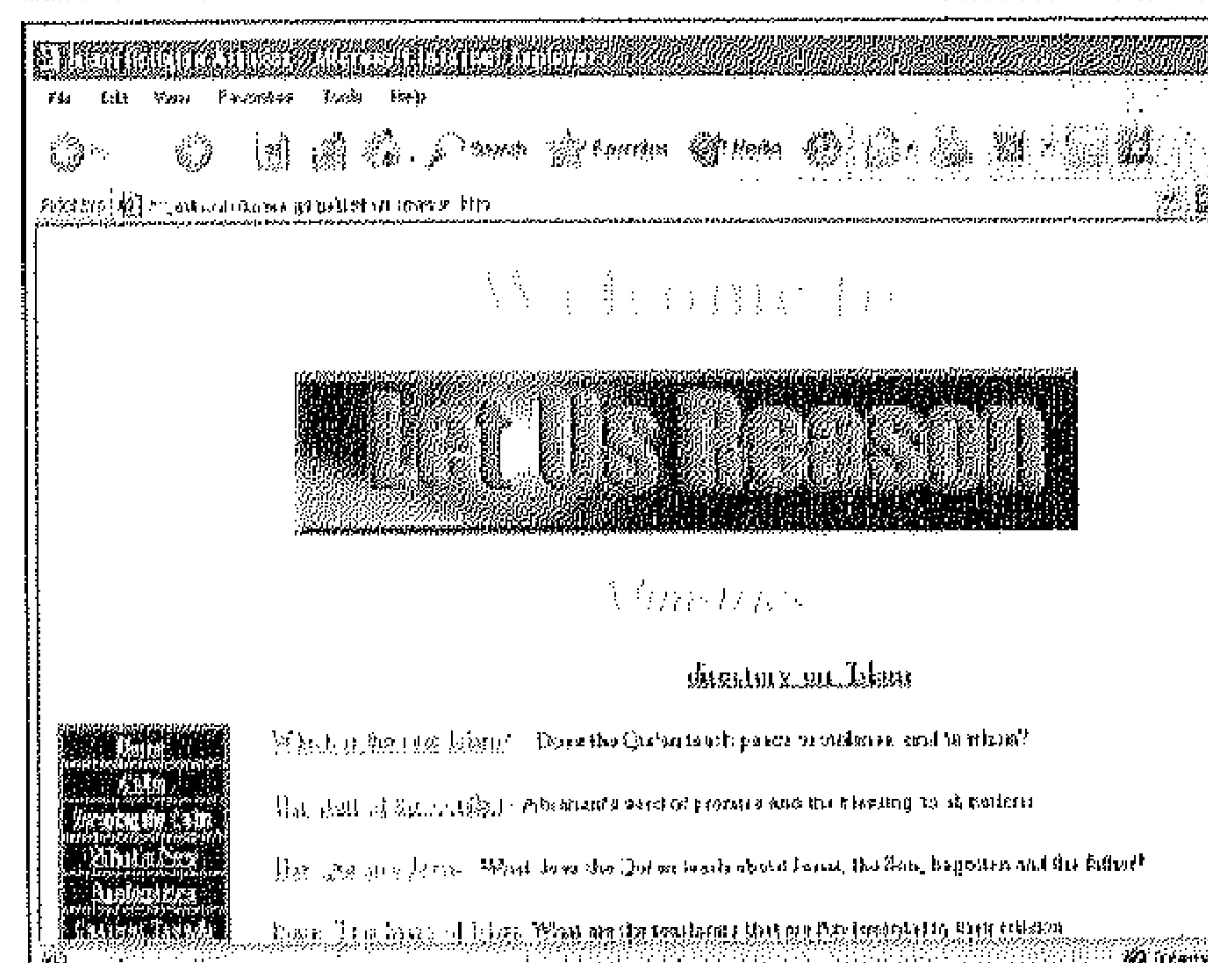
وثمة موقع آخر باسم (عرض الإسلام Islam Review) لا يختلف كثيراً عن المواقع السابقة. وهناك مواقع معادية للقرآن ليست كهنوتية، ولكنها ذات توجّه علماني ينطلق من معاداة الدين، والدين المقصود بالنقد والتسفيه هو الإسلام، حتى كأنه ليس ثمة دين يمكن معاداته في العالم إلا الإسلام.

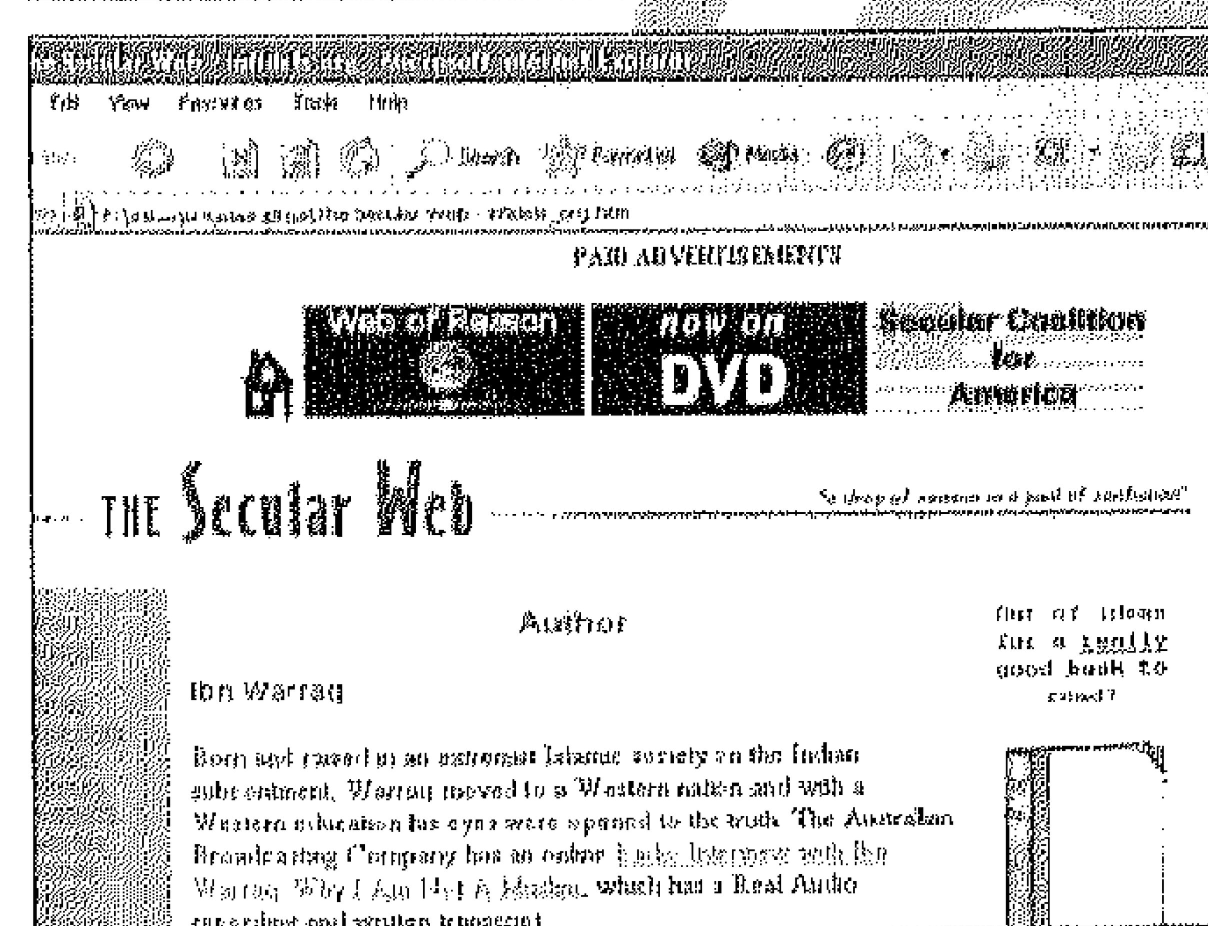
وربما كان هذا صحيحاً، لأن الديانات الأخرى لا تشكل خطراً على الإلحاد، ولأنها ليست أكثر من طقوس كهنوتية رتيبة، هجرها معتنقو ملتها، ولم تبق إلا مقصورة على الشيوخ ومن هم يتهيأون لمغادرة الدنيا.

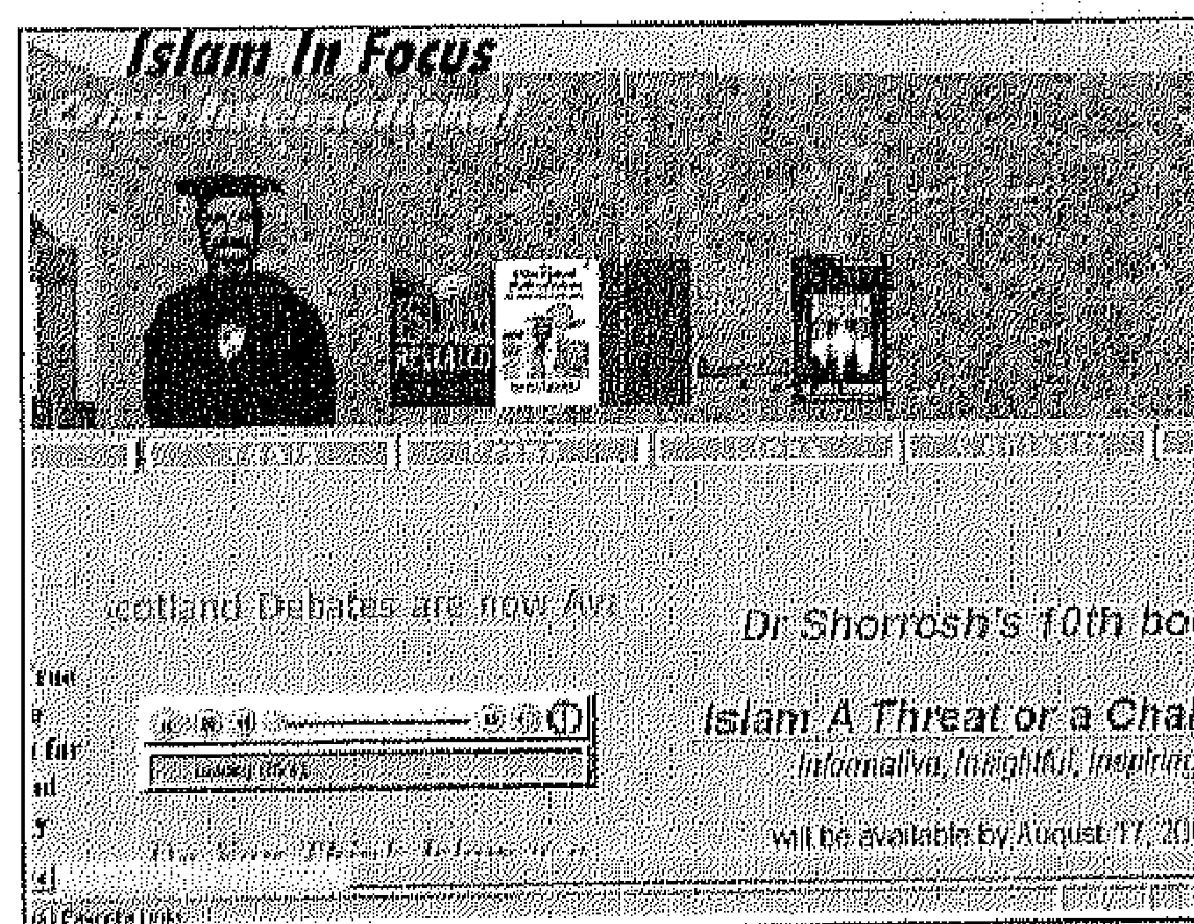
ومن هذه المواقع موقع (لنتعقّل Let Us Reason) وموقع (الشبكة العلمانية The Secular Web). وهناك مواقع أخرى معادية للقرآن والإسلام يديروها يهود، مثل موقع (فيكتور موردخاي الإسرائيلي). والمتفحص لهذه المواقع ومثيلاتها لا يمكنه معرفة هويتها ولا من يديرها، وهذا أدعى للشك بلا ريب.

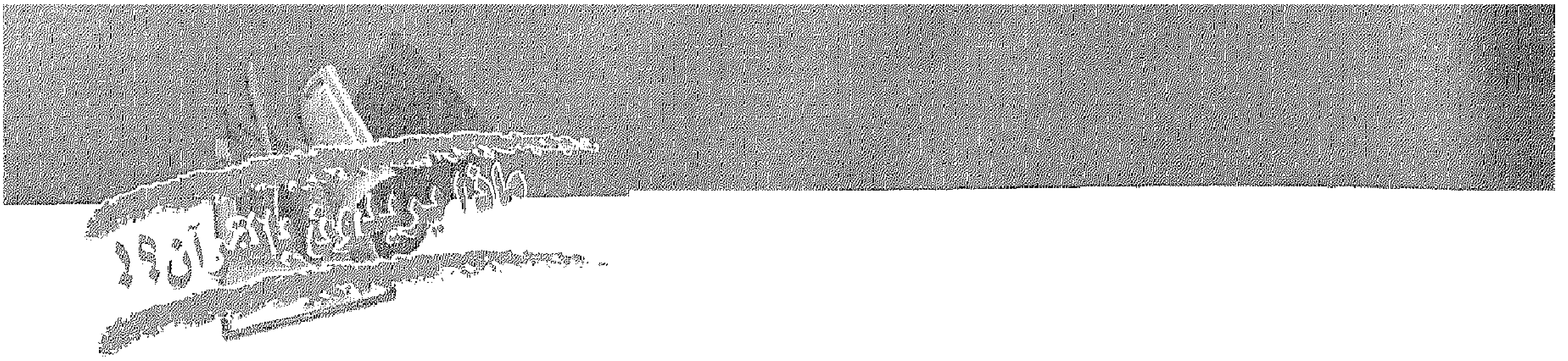












قرآن فوبيا
QURAN PHOBIA

في العقدين الأخيرين من القرن الماضي تسارعت الأحداث والوقائع في محاربة الإسلام والغارة على القرآن الكريم، ولم تتوقف آلة المطابع الجهنمية في الغرب عن إصدار الكتب والنشرات التي تمعن في الإساءة للقرآن، وللتخويف منه، حتى يبدو في أعين غير المسلمين وكأنه لعنة شيطانية ما مسّت أحداً ونجا. وأضحت هذه الحملة تشكّل ظاهرة فريدة في العصر الحديث، حيث لم يشهد التاريخ مطلقاً غارات متكررة وبكل الأساليب على كتابٍ من الكتب، مقدّس أو غير مقدس، سماوي أو وثني على حدّ سواء غير القرآن.

وهذه الظاهرة جديرة بالبحث والتقييم بلا ريب.

والقاسم المشترك بين هذه التآليف وصم القرآن بأنه منبع التطرف والإرهاب، وأنه كتاب يدعو إلى الموت والقتل وسفك الدماء.

IS FANATIC ISLAM A GLOBAL THREAT?

هل الإسلام تهديد عالمي

Is Religion Killing Us?
Violence in the Bible and the Quran
JACK NELSON-PALLMEYER

هل الدين يدعو إلى قتلنا؟

Prophet of Doom
Islam's Terrorist Dogma In Muhammad's Own Words
Craig Winn

نبي الموت

وقد أصبح الاستخفاف بالقرآن مادّة مثيرة، ومشجعة للربح. ولعلّ العناوين التي تتصدر صفحات تلك الكتب تحقق لمؤلفيها وناشريها هدفين في وقت واحد. أولاً : منع غير المسلمين من التأثر بالقرآن والإسلام، لا سيما وقد أحدثت ظاهرة التحوّل إلى الإسلام في الغرب وأمريكا قلقاً في نفوس الساسة وصداعاً في رؤوس اللاهوتيين، وثانياً : تحقيق ربح سريع من بيع هذه الكتب التي يتلهّف الناس لقراءتها بعامل الإثارة والكذب والافتراء، مع الإخراج الفني المثير لها، كأن يجعل فوق المصحف سيفاً أو بندقية، وما شابه ذلك.

ومن العناوين المثيرة، والتي تهاجم في داخلها القرآن باعتباره (مانيفست الإرهاب والعنف)، وقمع الحريات الشخصية، وإهانة المرء كتاب:

(هل الإسلام المتعصّب تهديد عالمي:

Is Fanatic Islam a Global Threat?

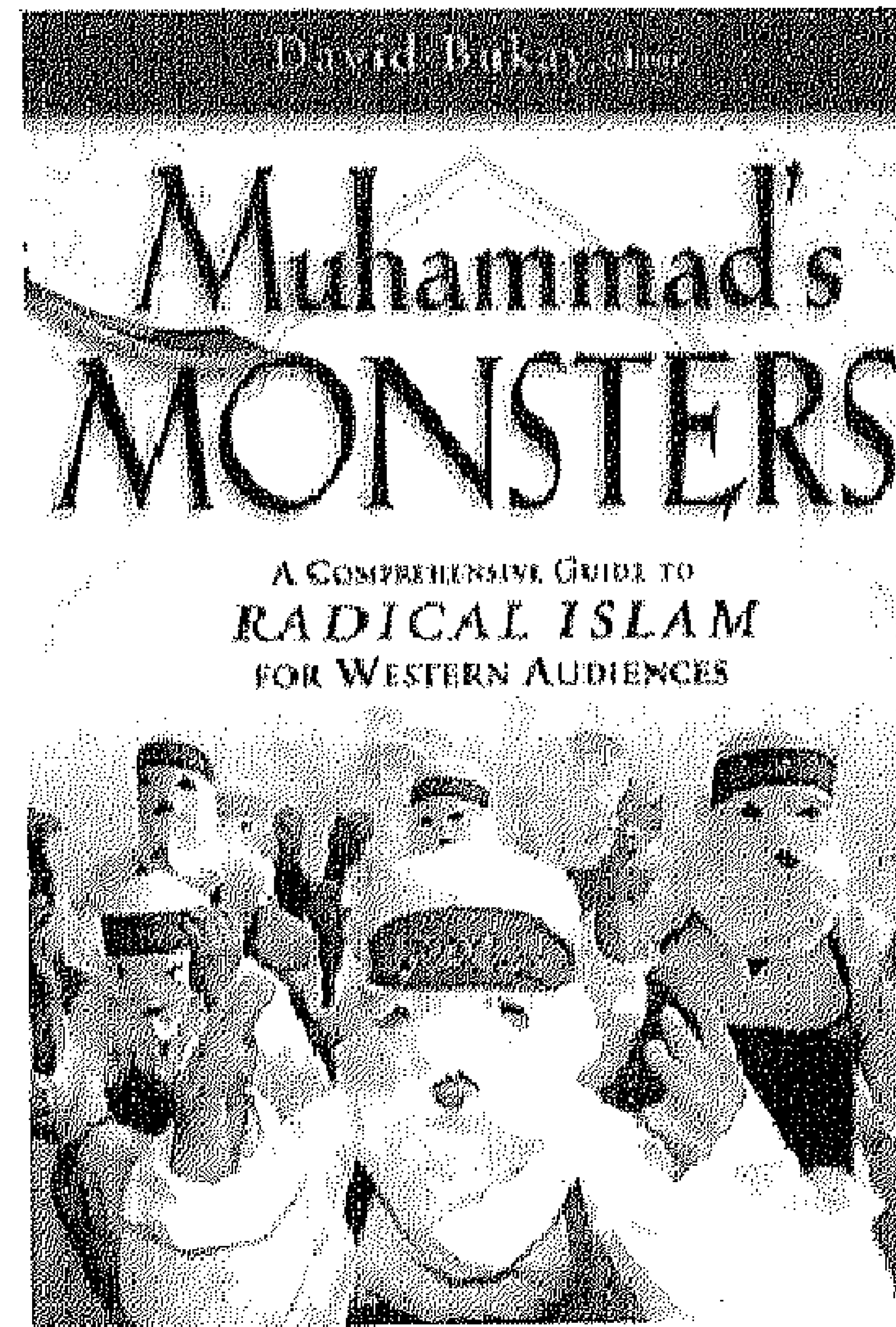
وكتاب : هل الدين يدعو إلى قتلنا ؟

Is Releigion Killing Us?

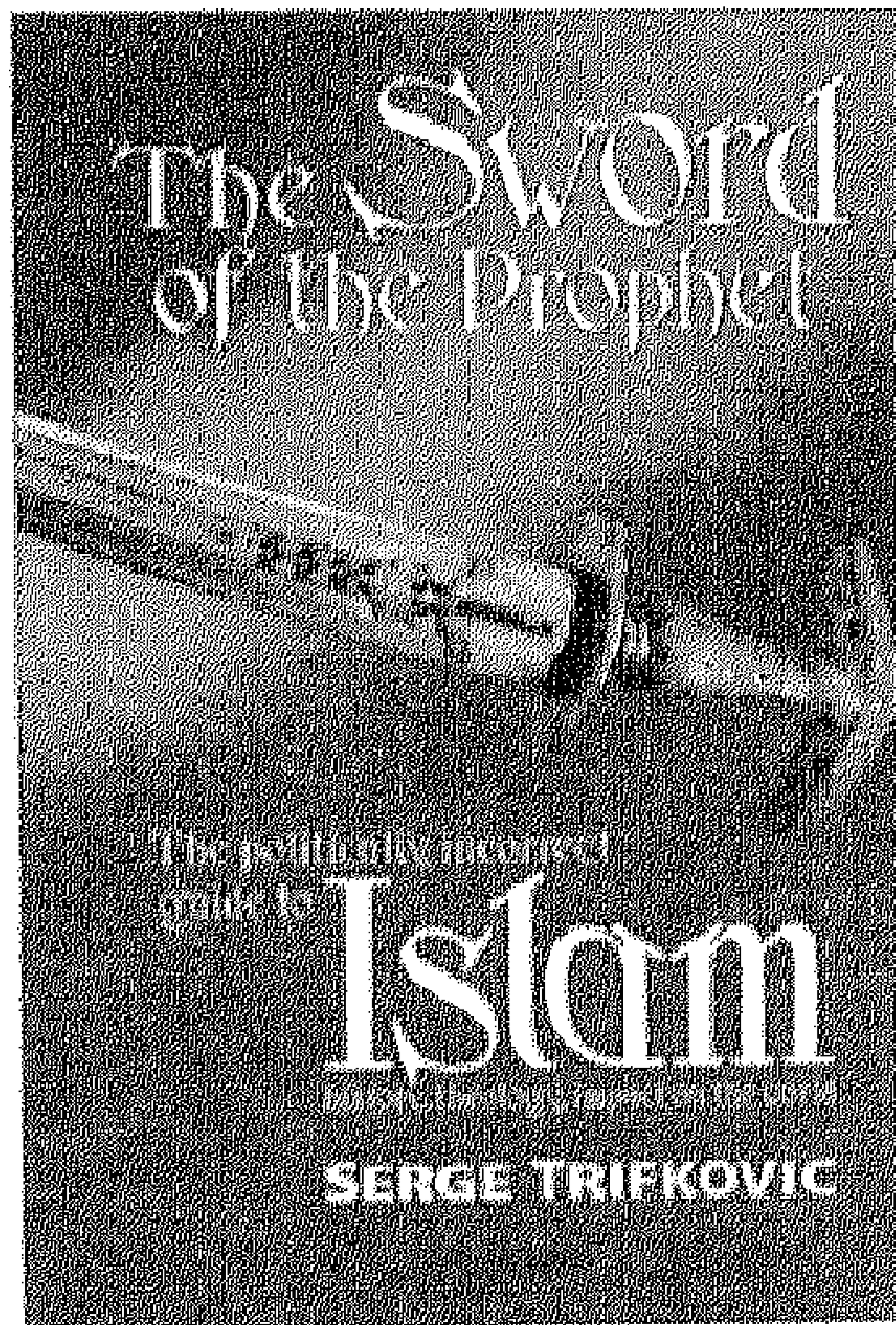
والدين المقصود هنا، بلا ريب، الإسلام، أو بالأحرى القرآن الذي يستمد منه الإسلام تعاليمه ومرجعيته، ومن تلك العناوين الرديئة كتاب (نبي الموت) أو الشر Prophet of Doom وهو يحمل أيضاً عنواناً فرعياً هو (العقيدة الإرهابية للإسلام مأخوذة من فم محمد).

ومنها كتاب (وحوش محمد) Monsters Muhammad's

ومن العناوين التي تروّج للقرآن فوبيا كتاب (سيف النبي) The Sword of the Prophet.



وحوش محمد



سيف محمد

تدنيس القرآن!!

لم يكن المرء ليصدّق ما قيل من تدنيس للمصحف الشريف بطرق تنمّ عن انحطاط وبلادة لولا أن شاهده بأم عينيه في أشرطة خرجت، ولا ندري كيف خرجت من معتقلات رهيبة لا تذكّر إلا بمحاكم التفتيش. ولا ينتابنا شك أن أشرطة الفيديو هذه التي تروج على المواقع وتصوّر جنوداً أمريكيين يبولون على المصحف، أو يضعونه في المرحاض، أو يضرمون فيه النيران، أو يجعلونه هدفاً للرماية هي جزء مخطط ومرسوم من الغارة الكبرى على القرآن. ولكن فات هؤلاء أن التحليل النفسي لمثل هذا السلوك يقرر أنّ هذا العمل يخفي وراءه عقلاً مريضاً، أو فشلاً ذريعاً، ولا يخلو الحال من الأمرين معاً.

ترجمة معاني القرآن الكريم على الأرض

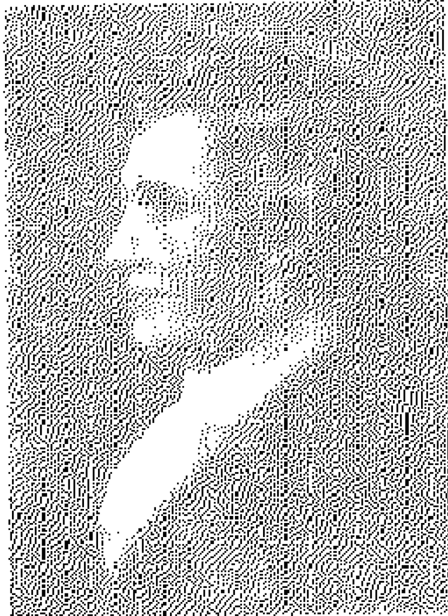
جندي يصوب مسدسه

ثم يطلق النار

حرق نسخة من المصحف الشريف

المنصفون من الغرب والقرآن

شهادات غربية منصفة في حق القرآن


جوته

❖ يقول المستشرق آرثر آربري : «عندما أستمع إلى القرآن يتلى بالعربية، فكأنما أستمع إلى نبضات قلبي» نقلاً عن (حتى الملائكة تسأل) د.جيفري لانغ (206).

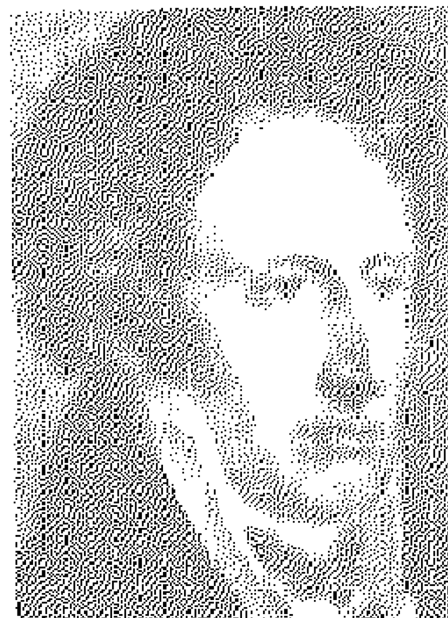
❖ ويقول جوته : «إن أسلوب القرآن محكم سام مثير للدهشة ... فالقرآن كتاب الكتب، وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم ... وأنا كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي ». ولما بلغ جوته السبعين من عمره أعلن على الملأ أنه يعتزم أن يحتفل في خشوع بليلة القدر التي أنزل فيها القرآن على النبي محمد..

وفي يوم أبصر جوته ريشة طاووس بين صفحات القرآن فهتف: «مرحباً بك في هذا المكان المقدس، أغلى كنز في الأرض».

وفي ديوانه (الديوان الشرقي للشاعر الغربي) يقول جوته : «هاجر إلى الشرق في طهره وصفائه، حيث الطهر والصدق والنقاء، ولتتلقى كلمة الحق منزلة من الله بلسان أهل الأرض».

«القرآن ليس كلام البشر، فإذا أنكرنا كونه من الله، فمعناه أننا اعتبرنا محمداً هو الإله !» .

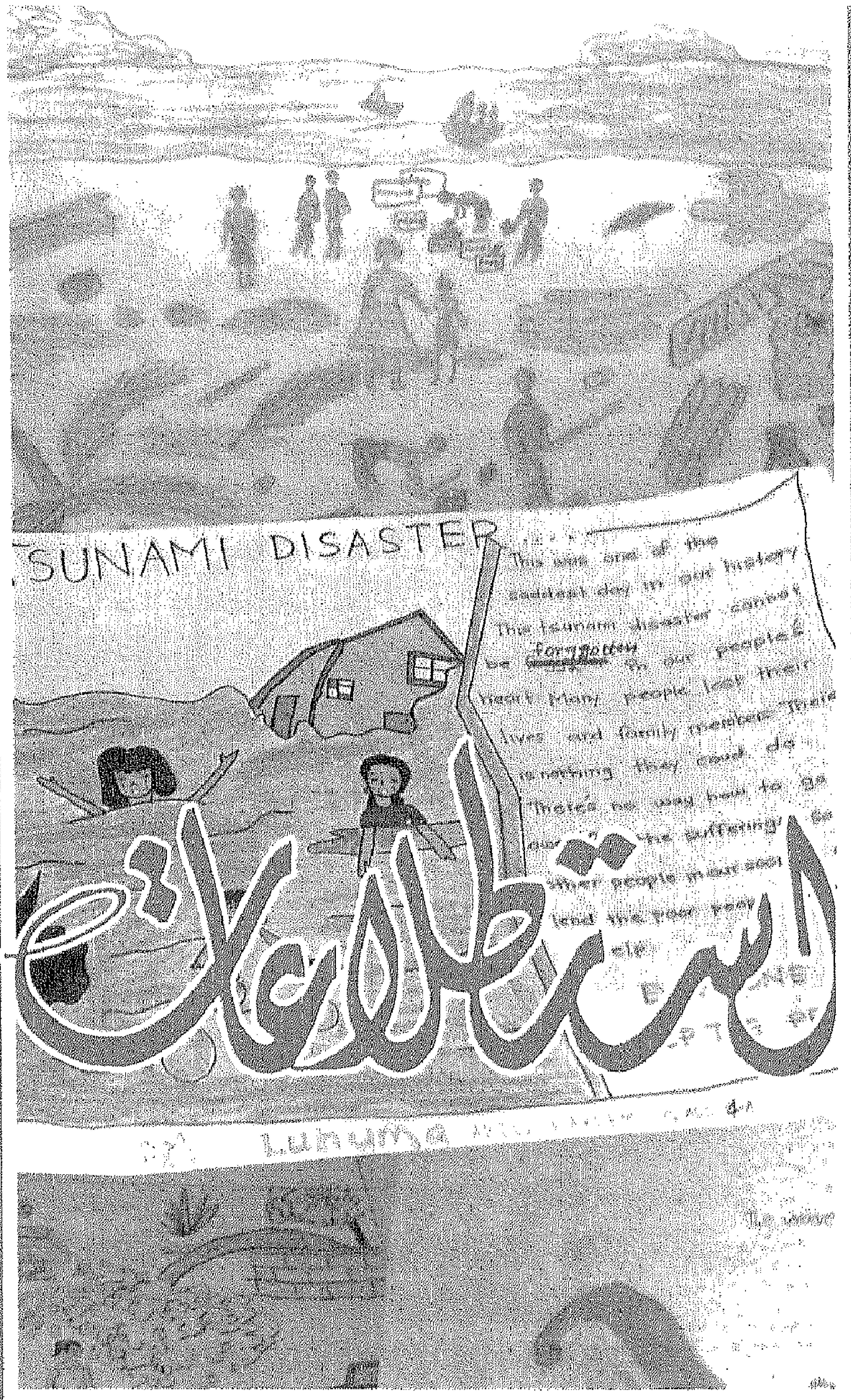
نقلاً عن (جوته والعالم العربي) كاتارينا مومزن (177-188-261).


فون هامر

❖ ويقول المستشرق (فون هامر) في مقدمة ترجمته للقرآن : «القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو ذروة البيان العربي، وأسلوب القرآن المدهش يشهد على أن القرآن هو وحي من الله، وأن محمداً قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب، فالكلمة لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية ..القرآن وحي من الله، لا يحده زمان، ومتضمن للحقيقة المركزة ».

نقلاً عن د. بول شفارتسنا في كتابه (القرآن ـ دليل المسيحيين) نقلاً عن (يوميات مسلم ألماني) د. مراد هوفمان(122).

❖ وتقول المستشرقة الألمانية أنا ماريا شميل، في مقدمتها لكتاب (الإسلام كبديل) لمراد هوفمان: «القرآن هو كلمة الله، موحاة بلسان عربي مبين، وترجمته لن تتجاوز المستوى السطحي، فمن ذا الذي يستطيع تصوير جمال كلمة الله بأي لغة ؟!» .



أطفال المالديف يرسمون لـ (التواصل)

ذكرياتهم عن تسونامي

أطفال المالديف يرسمون لـ (التواصل) ذكرياتهم عن

تسونامي

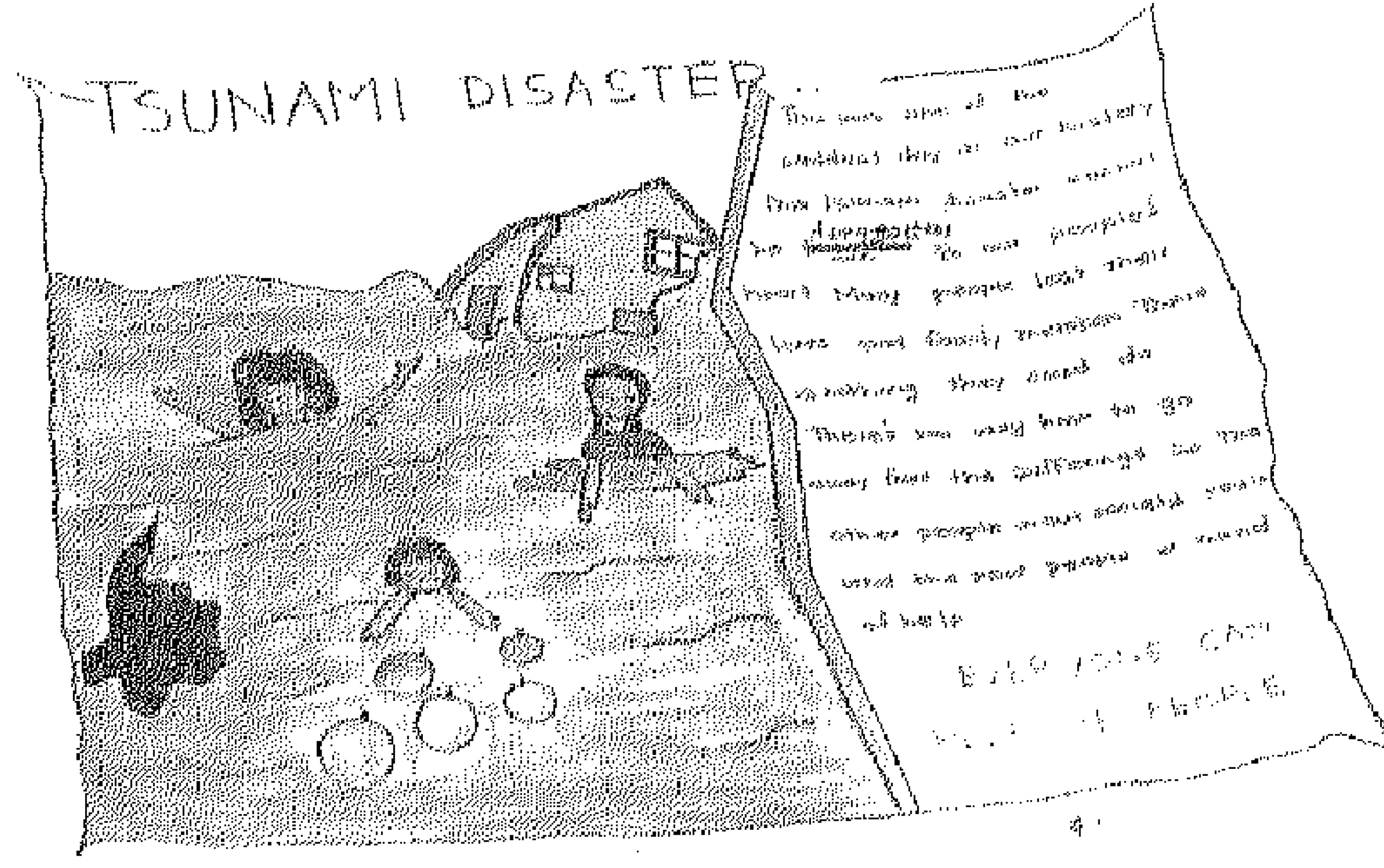
إعداد: محمد أحمد زمياط(*)

(*) مندوب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في المالديف

(*) الرسوم والصور خاصة بمجلة التواصل



اقترحت إدارة تحرير المجلة تنظيم هذه الفعالية بين عدد من تلامذة المدرسة العربية الإسلامية في المالديف وقد قام مندوب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في المالديف بالترتيبات والمتابعة لهذا النشاط الإبداعي..



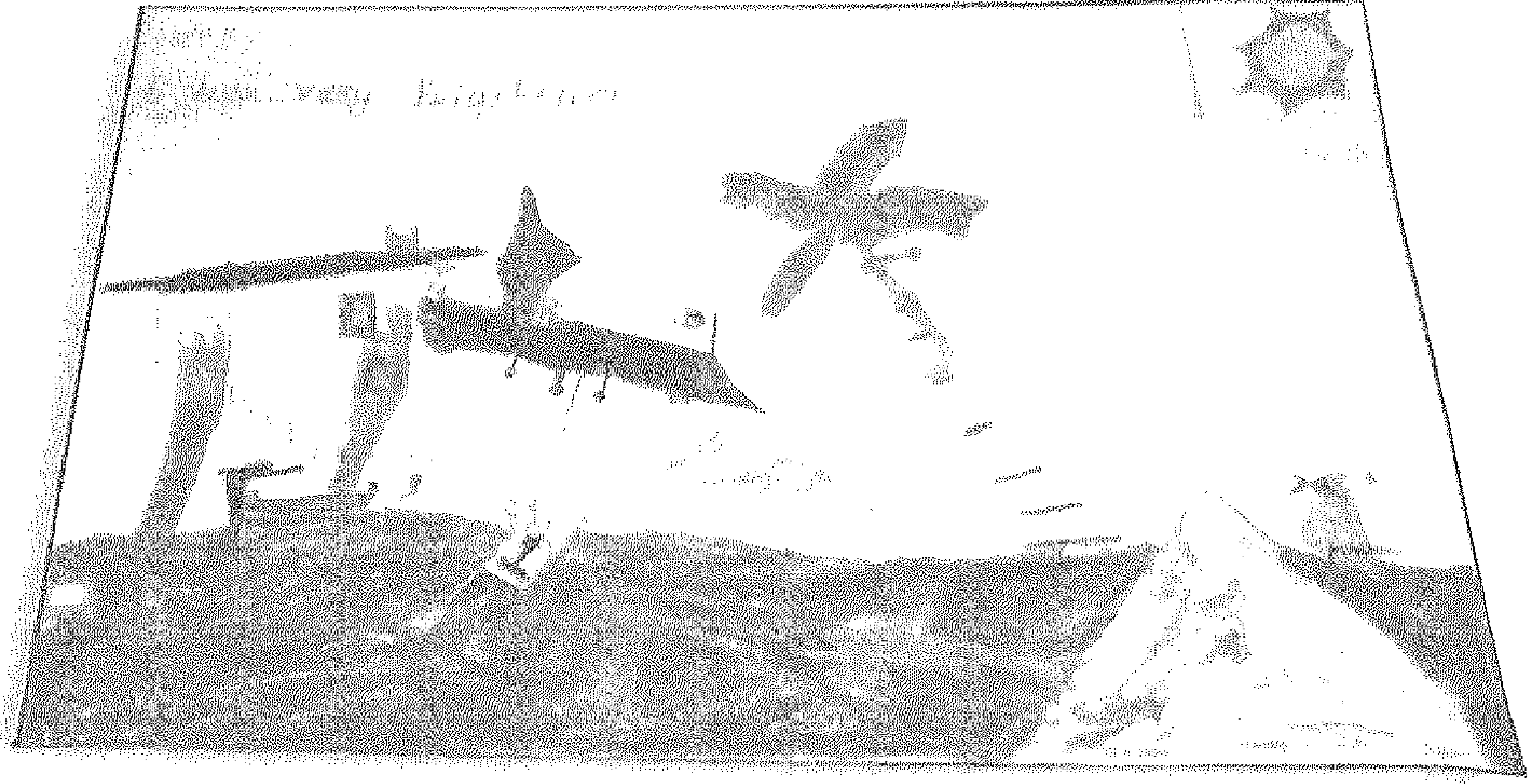
ينقضي عام ونيف على الزلزال الذي ضرب بقوة تسع درجات بمقياس ريختر في يوم 26 من شهر الكانون /ديسمبر 2004 مسيحي مساحات واسعة من الجُزر والمدن والقرى قبالة ساحل إقليم أتشيه بجزيرة سومطرة شمال إندونسيا. كان الزلزال بعدما تحول إلى أمواج تسونامي هائلة في تدافعها انتقل شمالاً في سرعة البرق إلى جزر إندامان بالمحيط الهندي، ليحصد أرواح الآلاف في سيريلانكا وتايلاند وإندونسيا والهند وجزر المالديف، مقوضاً منتجعات ساحلية، كانت العديد من شواطئ البلدان والجزر تزدان بها في تلك المناطق، على امتداد السواحل ما بين قارتي آسيا وإفريقيا، يُشَدُّ إليها الرحال من مجموعات سياحية من أرجاء المعمورة. في ذلك اليوم كانت أنفاس العالم قد احتبست، فمع أمواج التسونامي كانت مجاميع الوفود السياحية بلغت الحد الأقصى من الكثافة، بما يعنيه ذلك من خسائر فادحة في أسواق وبورصات السياحة الدولية.

الإنسان أمام الكوارث الطبيعية

تكاثفت أجهزة رصد الكوارث فى العالم لتؤكد أن عدد الضحايا قد بلغ خلال ساعات 150 ألفاً في ثلاث أو أربع من الدول. وأن هناك نحو 13 ألف طفل يتيم، أصبحوا بين عشية وضحاها - مع الأسف - معرضين للبيع !!

لقد كانت حوادث مفجعة حقاً، أدمت قلوب ملايين البشر في العالم أجمع وهم يتابعون دقائق أخبارها، ويشاهدون تفاصيل أحداثها المؤلمة أولاً بأول، عبر الشاشات الصغيرة، الأرضية منها والفضائية، لتكون النذير الذي أيقظ الجوانب الإنسانية في النفس البشرية، فانطلقت قوافل الإغاثة، وتسابقت الدول للتعبير عن التضامن والمواساة، وإعطاء الوعود للدول المتضررة، وكما كنا نشاهد سارعت المؤسسات الخيرية وبعض الدول إلى نجدة المتضررين، كانت الوعود التي ترسل على أعِنَّتها تملأ مسامعنا من أولئك الذين وجدوا في مصائب الآخرين الفرصة لتلميع صورتهم

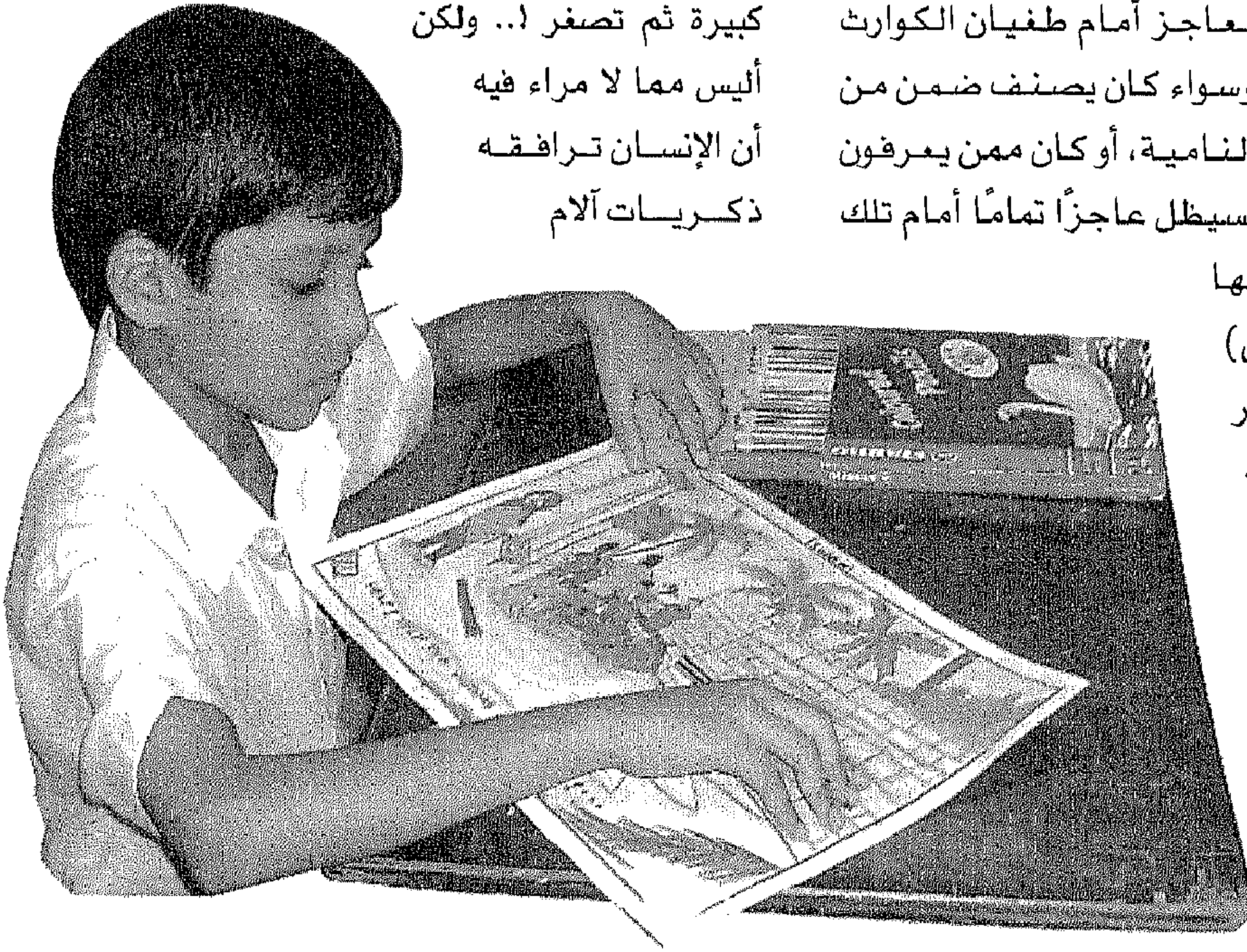




القاتمة علهم يفلحون، وقد أفلحوا في تخفيف شدة الكراهية والمقت اللذين يتزاحمان في قلوب الملايين من أبناء الشعوب المكلومة من ظلمهم وجبروتهم وصلفهم...

مظهر فطري أن تحرك هذه المصيبة مكامن الخير في النفس الإنسانية، وتوقظ فيها معاني الرحمة مما أحيا الأمل بأن الإنسان آب إلى رشده، بعد أن أيقن بأنه المخلوق العاجز أمام طغيان الكوارث الطبيعية المدمرة، وسواء كان يصنف ضمن من يوصفون بالشعوب النامية، أو كان ممن يعرفون بالعالم المتحضر، فسيظل عاجزًا تمامًا أمام تلك الكوارث، وكان أحدثها إعصاري (كاترين) و(ريتا) وزلزال كشمير وباكستان وما أحدثه من دمار ليس عنا ببعيد.

ولكن يبدو أن هذه المدة الوجيزة التي باعدت بيننا وبين شبح هذه الكارثة كانت كفيلة بإخماد جذوة تلك العاطفة الجياشة، وإضعاف حماس ذلكم التضامن النادر، وشح عطاء هذا البذل السخي، بل وتحول الاهتمام والمواساة إلى فتور وعدم اكتراث، بما يؤكد نظرة من يرى أن الأيام كفيلة بأن تنسينا الأتراح مهما اشتدت وطأتها، وان ما سمي الإنسان إنسانا إلا لنسيه، وأن كل الأشياء تنشأ صغيرة ثم تكبر، إلا المصائب، فإنها تنشأ كبيرة ثم تصغر !.. ولكن أليس مما لا مراء فيه أن الإنسان ترافقه ذكريات آلام

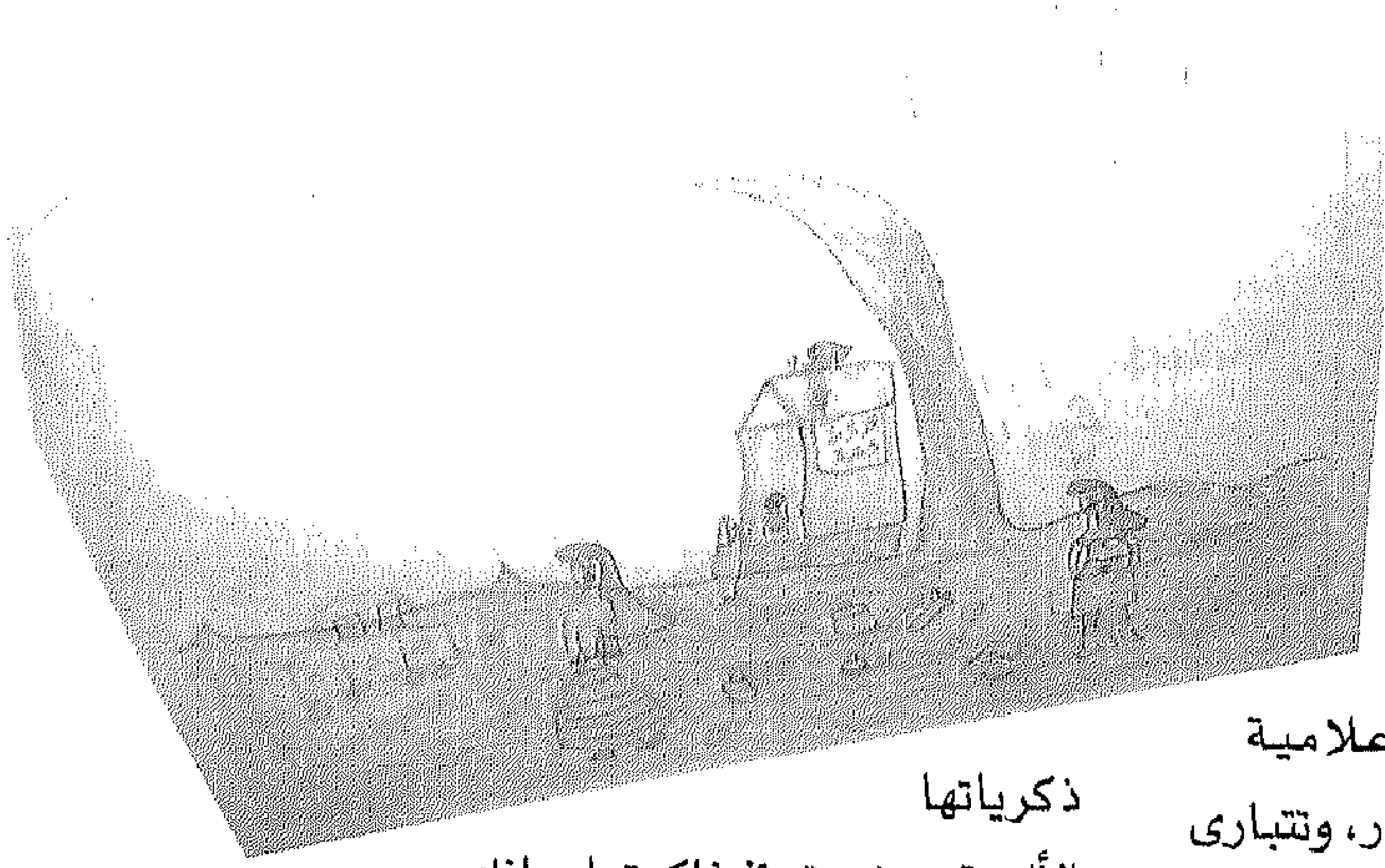


وأتراح مصائبه حتى تبقى هذه المصائب مخزونة في ذاكرته، ليتخذ منها العبرة، ويستمد منها العزم، فهي إذاً لا تصغر وإنما الذي يصغر هو الشعور بها ممن لا يصيبه كِفْلٌ منها، ولذا فإذا كانت ذاكرتنا قد نسيت أو تناست وقع كارثة هذا الطوفان التسونامي، بالرغم من تلك التغطية الإعلامية المتميزة، التي ظلت تلاحق أحداثها ليل نهار، وتتبارى في ساحتها فضائيات وأرضيات العالم التي لم تترك شاردة ولا واردة من أخبارها، سواء المؤلم منها أو الطريف، إلا وتتبعته لحظة بلحظة، مع دراسة وتحليل وتنبؤات حول الظاهرة الطبيعية التي تسببت في هذه الكارثة، شارك فيها أشهر الباحثين المتخصصين، ومراكز البحوث والدراسات المعروفة ليعيش المشاهد في أجوائها بين الخوف والرجاء ؛ والأمل واليأس...

الأطفال هم الأقدر..

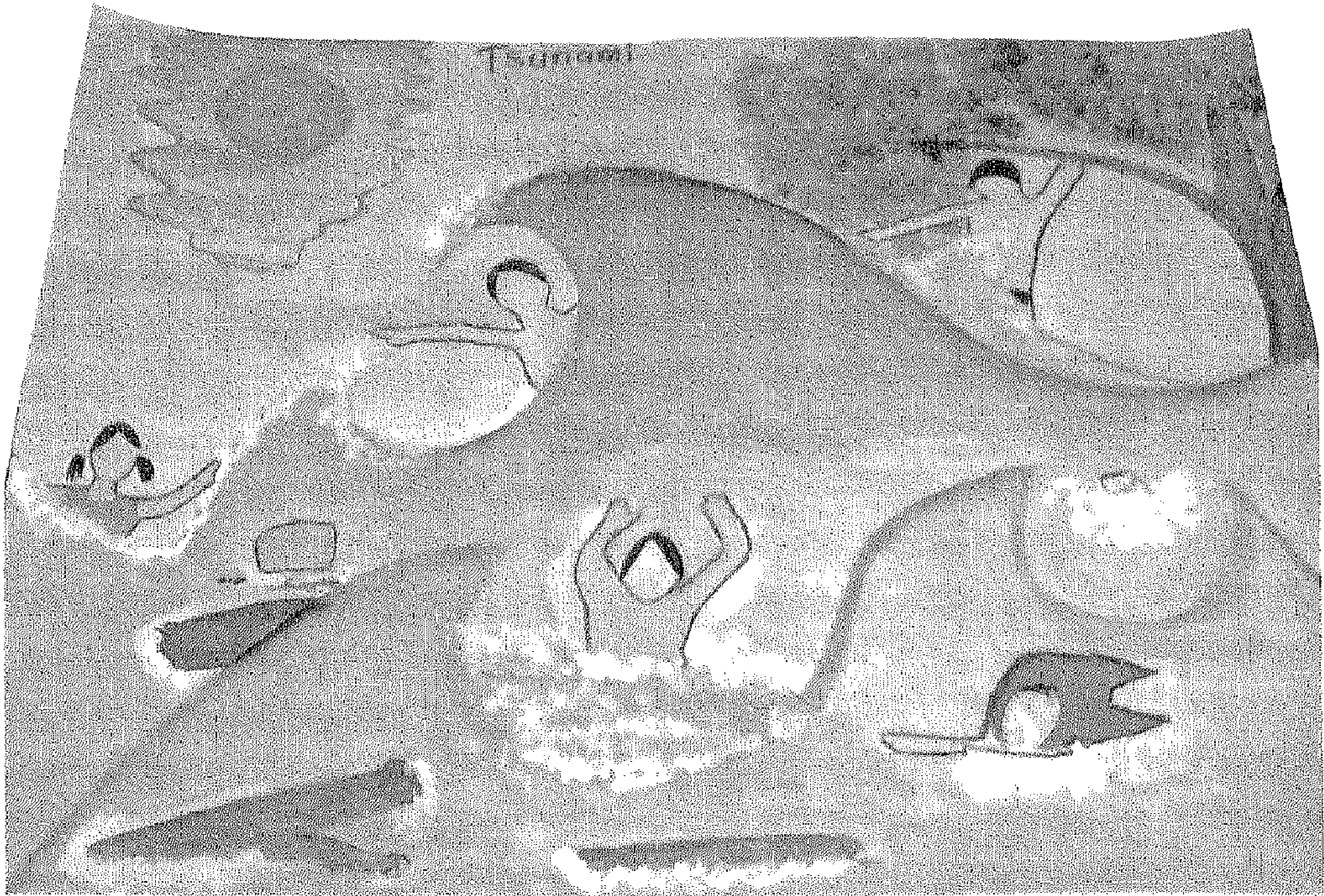
إذا كانت ذاكرتنا نسيت كل ذلك، فإن الشعوب التي داهمتها هذه المصيبة لم تنس وقائعها، ولا تزال





ذكرياتها الأليمة محفورة في ذاكرتها، وإنك لا تجد عناءً في أن تقرأ مآسيها المحزنة على تقاسيم وجوه أبنائها وهم يروون لك هول ما شاهدوه، وقد يستطيع الكبار أن يداروا ما يبدو على وجوههم من خوف ووجل، تجلدا وصبرًا، وأن يخفوا بعض ما قاسوه تطميناً لأبنائهم، وتثبيتا لروعهم، ولكن الأطفال الذين رسخت ذكرياتها المؤلمة في أذهانهم الصافية، وارتسمت آثارها الجارحة على صفحات محيا وجوههم النضرة البريئة، هم الأقدر على الحفاظ على تلك الذكريات المفجعة في رحلة أطول، ولأجيال أبعد.

ونحن نذكر خلال ساعات وأيام الكارثة كيف تسابق المصورون لالتقاط صورة يحرزون بها قصب السبق الصحفي، وتلك التقارير الإخبارية التي أشادت بعدد من المصورين الهواة المغمورين، أسعفهم الحظ لالتقاط صور نادرة لاندلاع هذه الكارثة في مناطق مختلفة، ولكن رغم ما وفرته التقنية الحديثة من إمكانات لهذه الصور جعلتها تجسد بوضوح ودقة أهوالها، فإنها لا ترتقي إلى تجسيد المشاعر وتصوير الأحاسيس والتعبيير عن مخزون الذاكرة من مشاهد هذه الكارثة، كما عبرت عنها لوحات رسوم إبداعية سكب على أديمها أطفالٌ من إحدى الدول التي غمرها هذا الطوفان المدمر مخزون ذاكرتهم، ومكنون مشاعرهم وأحاسيسهم، في رسوم بسيطة، نرى أنها ـ وإن كانت تنقصها الدقة والمهارة الفنية ـ تعبر بفطرة وعفوية عن مشاهد حية، عاشها هؤلاء الأطفال وأحسوها، كما أن هذه اللوحات تجسد بصدق ماخلفته



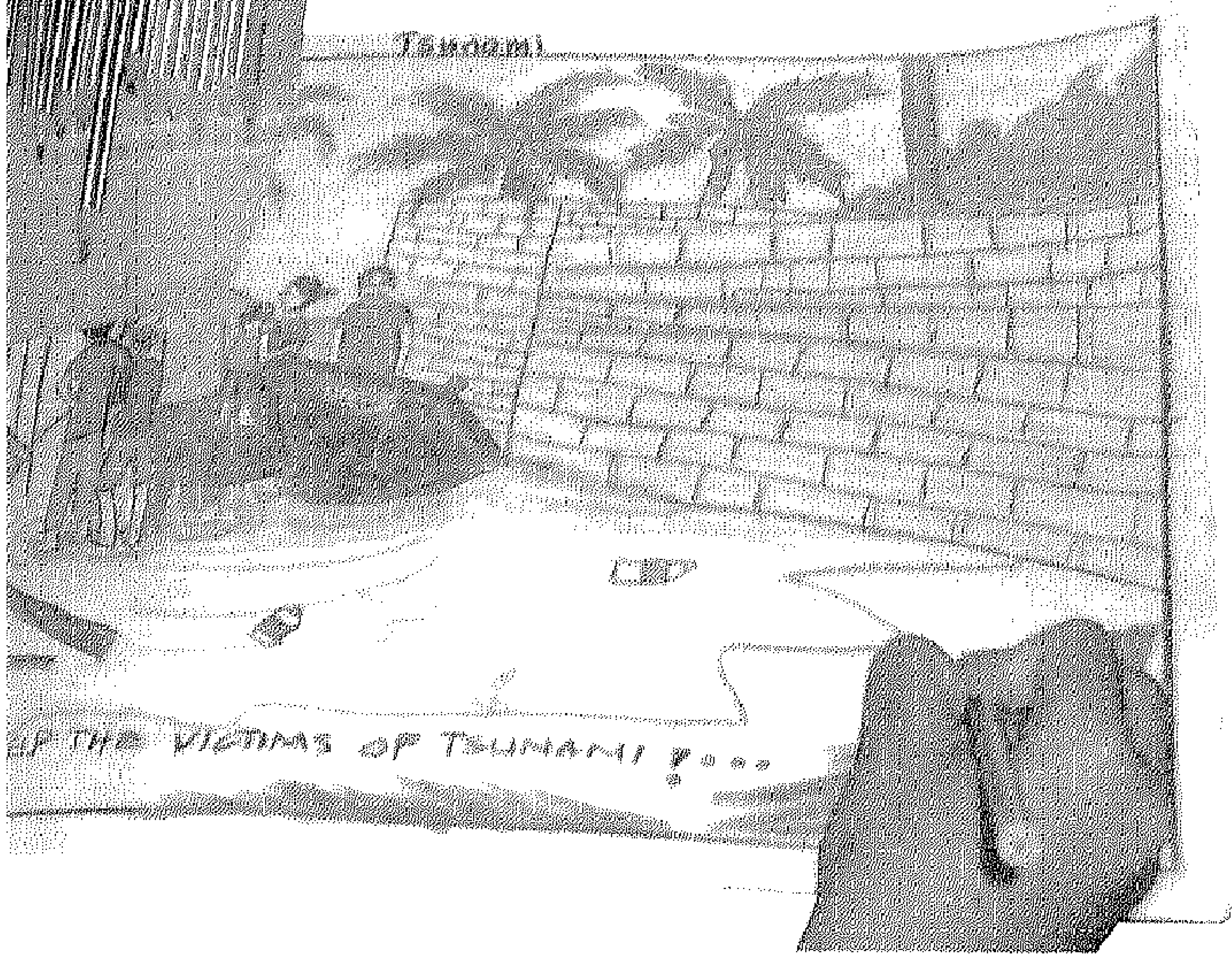
هذه الكارثة في أعماق ووجدان هؤلاء، وما تراكم في نفوسهم من آثار اجتماعية.

الإبداع .. لا اليتم..

هؤلاء البراعم الغضة الذين تتراوح أعمارهم ما بين سبع وعشر سنوات هم من تلاميذ المدرسة العربية الإسلامية بماليه، عاصمة جمهورية المالديف، التي غمر هذا الطوفان معظم جزرها المئة والثمانية والتسعين الآهلة بالسكان، فدمر منها، حسب المصادر الرسمية: 14 جزيرة بالكامل، وشرد ثلث سكانها، إنهم بنجاتهم مرتين: الأولى من موت محقق ضمن الذين حصدتهم الكارثة من ذويهم، والثانية بما توفر لهم من رعاية من الله والعاملين بالإغاثة، فلم تصل إليهم شبكات اصطياد وقنص أطفال تسونامي، نقول إن هؤلاء الأطفال ـ وبينهم يتامى كثر ـ استطاعوا مواجهة هذه المصائب الجسام بالإبداع الفني، بدلاً من البكاء والعويل على الأطلال !!



استطاع هؤلاء الأطفال أن يعبروا بوضوح في لوحات عُرضت في معرض لرسوم الأطفال حول هذه الكارثة اقترحته مجلة التواصل ونظمته المدرسة العربية الإسلامية في إطار نشاطها الفني بالتعاون مع مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالمالديف.



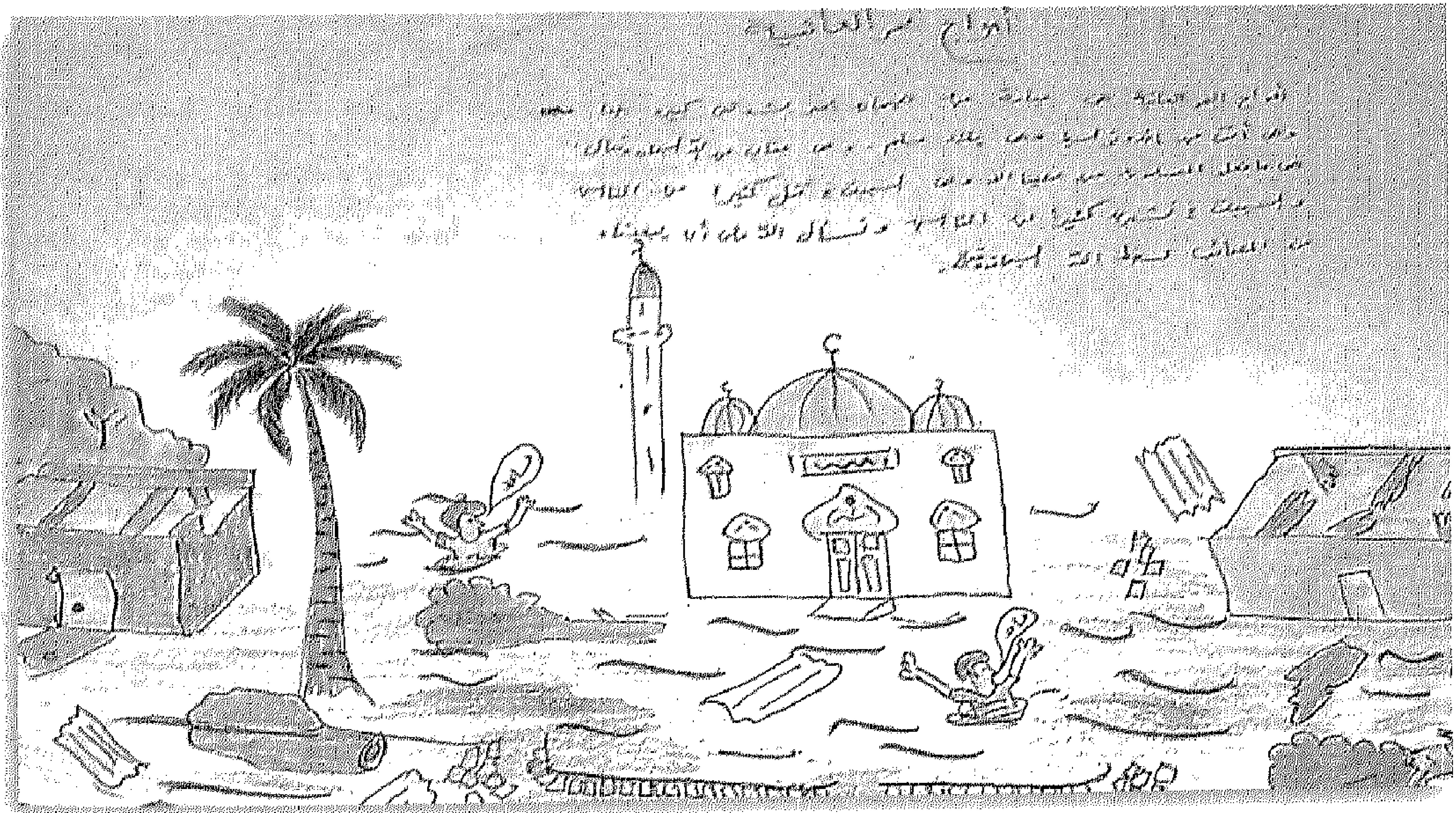
تلقائية التعبير

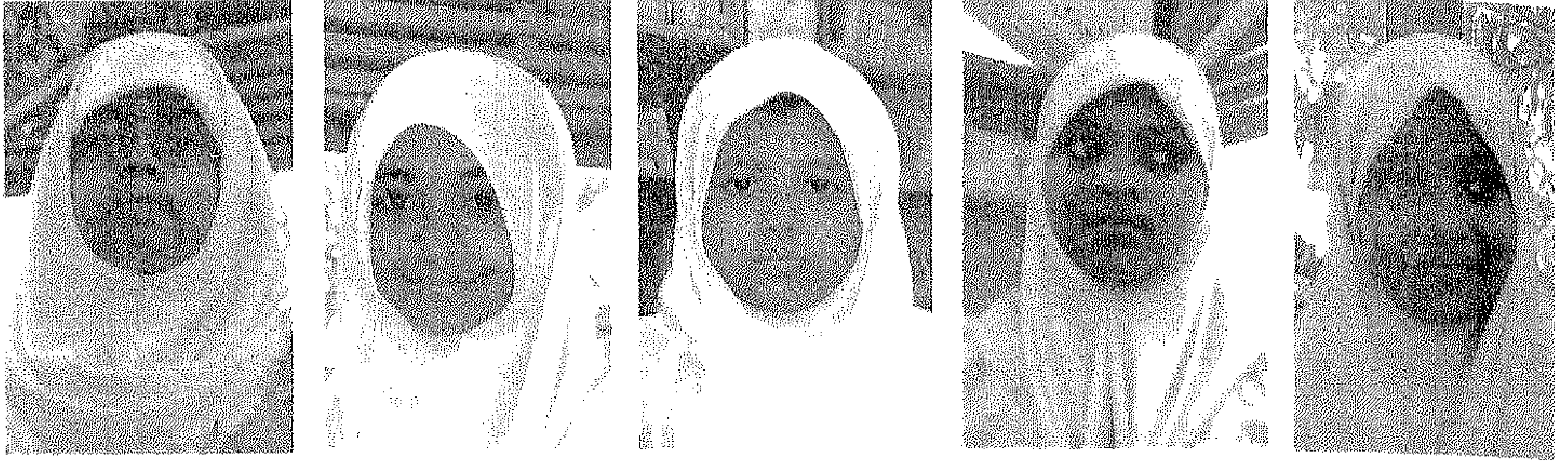
لقد جسدت هذه اللوحات في تلقائية وعفوية وبراءة طفولية نادرة الضربات الزلزالية الأولى في أعماق المحيط.. و تفجرالأمواج العاتية.. وهي تعلو وتندفع.. وتعطي أشكالاً متعددة.. من الأطفال من يراها على شكل سمك القرش فاغرا فكيه.. ومنهم من يتصور حصادها المدمر وهي تنطلق لتحطم كل شيء في طريقها.. تهدم البيوت.. تقتلع الأشجار.. تجرف الأرض.. تلاحق الفارين أمامها.. وأكثر من ذلك استطاع تلاميذ المدرسة العربية الإسلامية بماليه عاصمة جمهورية المالديف أن يطبعوا الذعر والوجل على وجوه الفارين وهم يأوون إلى المرتفعات، ويتسلقون الأشجار علّها تعصمهم من الماء، بل وتمكنوا من التعبير عن الجوانب الإنسانية الرائعة المتمثلة في الشفقة والرحمة والعطف والايثار ومد يد العون في رسوم تعبيرية مؤثرة تتمثل الأمهات والآباء وهم يحملون أولادهم، والأقوياء وهم يساعدون الضعفاء والآمنين وهم يمدون الأسباب ليتعلق بها الغرقى.

العاطفة الدينية

وتتجلى باللوحات العاطفة الدينية في أسمى معانيها، مؤكدة تشبع هؤلاء الأطفال منذ نعومة أظفارهم بروح الإيمان، وأن الإسلام هو دين الفطرة التي يولد عليها الإنسان، تتجلي هذه العاطفة في تلك اللوحة التي تبدى مبنىً وحيداً ظل شامخًا أمام هذه الأمواج المدمرة، ترتفع مئذنته شامخة بين أنقاض مباني الحي المكوّمة، إنه مبنى لأحد المساجد بإحدى الجزر المدمرة.

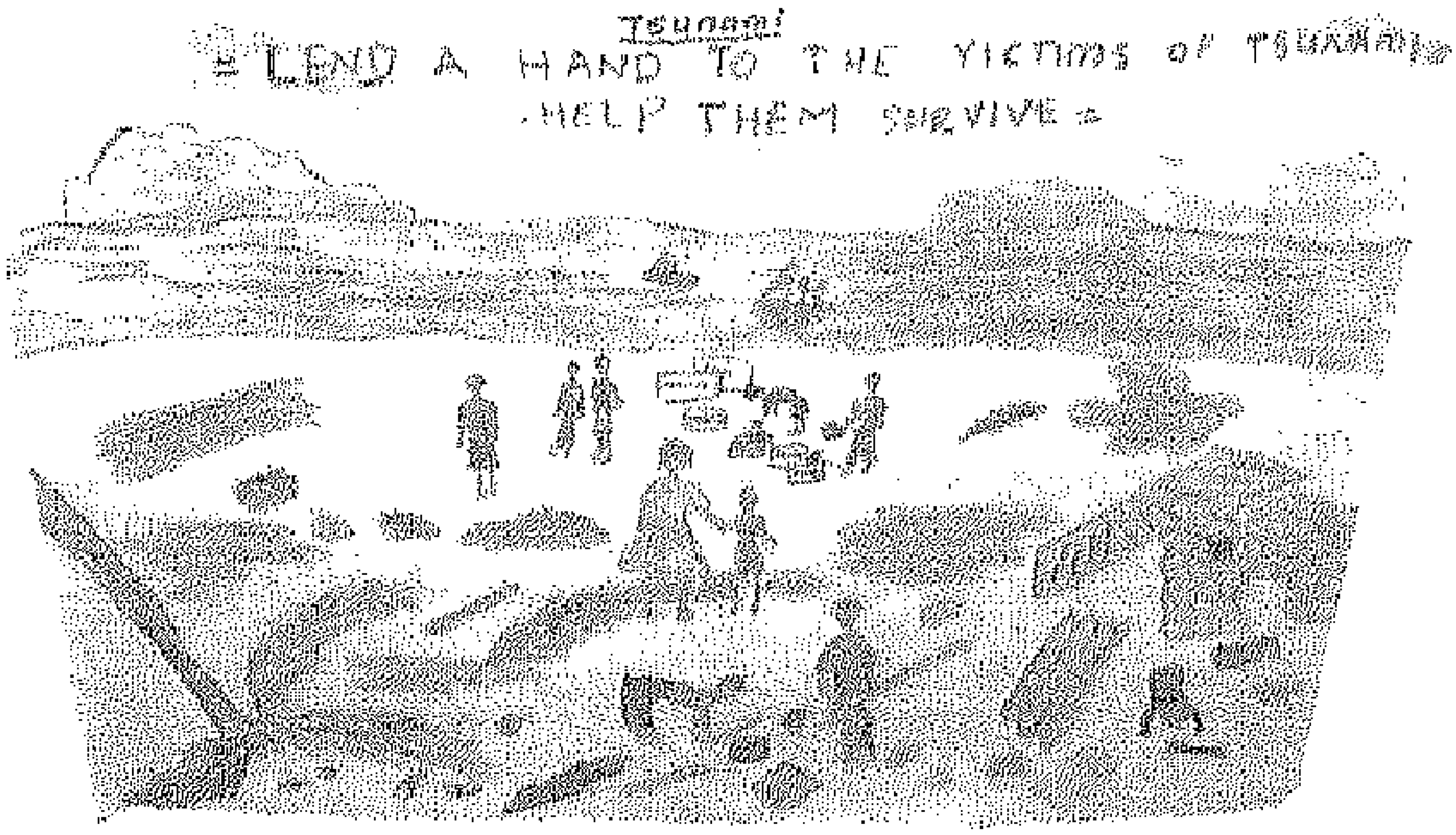
إننا لم نُرِد من إثارة هذا الموضوع تقليب المواجع، وإنما أردنا تمكين القارئ من رؤية أحداث هذه الكارثة من خلال عيون الأطفال ومشاعر الأطفال





وأنامل الأطفال، وأي أطفال هؤلاء!! إنهم الأطفال الذين عايشوا أحداثها، وذاقوا مرارة مصائبها، ولا نعتقد أن هناك من يعبّر عنها بأكثر صراحة وصدقًا وعفوية وحرية منهم، وهذا ما نلحظه في هذه اللوحات وفي انطباعات بعض الأطفال الذين عايشوا هذه الكارثة.

لقد خفتت أصداء كارثة التسونامي. ولكن آثارها المادية والمعنوية لاتزال ماثلة تذكر الناس بها، وإذا كانت الإمكانات المتواضعة للدول المتضررة والمساعدات الأكثر تواضعًا قد دشنت إعادة البناء فإن الطريق إلى اكتماله لا يزال طويلاً جدًا، ومواصلته في حاجة إلى دعم أكبر وأكبر.

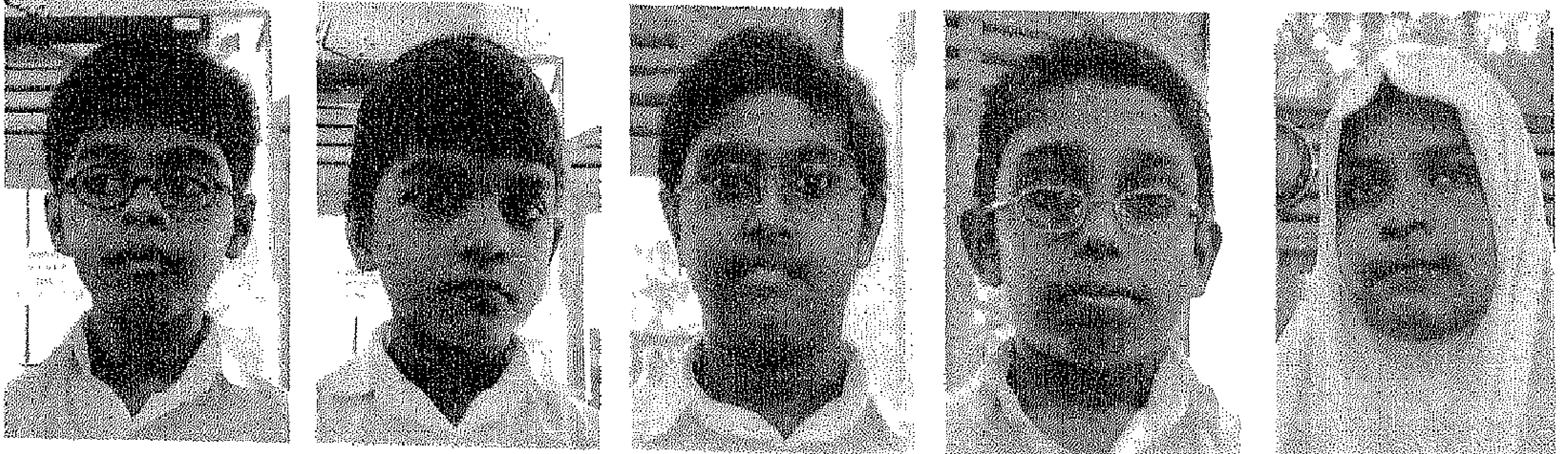


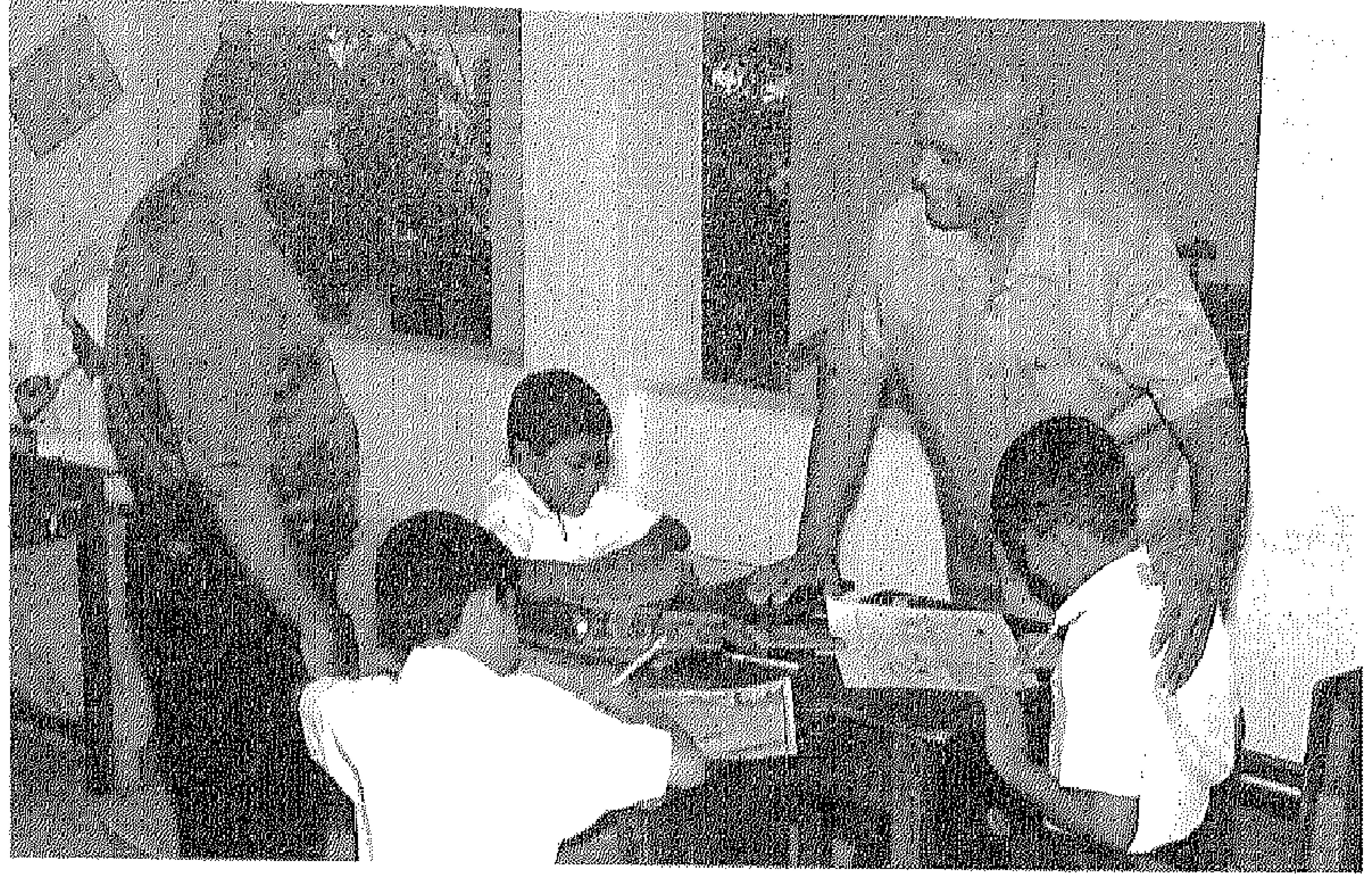
التسونامي في أذهان الأطفال

وإذا كان ما جسدته أنامل هذه البراعم الغضة أبلغ دليل على ما انطبع في مشاعرهم من إحساس بالخوف، وما عانوه من اضطراب نفسي، فإن ما عبّروا عنه وهم يرون هول ما عايشوه في تلك اللحظات المرعبة في أقوالهم التالية يقف بنا على ملامح ما خلّفته هذه الكارثة في وجدانهم ومشاعرهم.

يقول أحد التلاميذ : لقد شعرت بخوف شديد وأنا أشاهد الأمواج تعلو، والمياه الكثيرة تندفع بسرعة لتطوق بيتنا، وتدمر بعض جدرانه، وازداد خوفي عندما رأيت الناس يسرعون ليتسلقوا الأشجار هربًا من الماء وهم يتنادون ويتصايحون مرعوبين.

وهذا تلميذ آخر يقول: عندما خرجتُ من البيت رأيت أمواج البحر ترتفع إلى مستوى لم أشاهده من قبل، وتندفع نحو الشاطئ بسرعة، فغمرت شواطئ جزيرتنا لتملأ الشوارع وتحيط بالبيوت، ولقد أصبت بذهول عندما رأيت الناس يجرون إلى أماكن أعلى طلبًا للسلامة.. إنني اعتقد أن هذه الكارثة ابتلاء من الله عز وجل، وعلينا التذرع بالصبر، والدعاء إلى الله أن يخفف علينا آثار هذه المحنة.

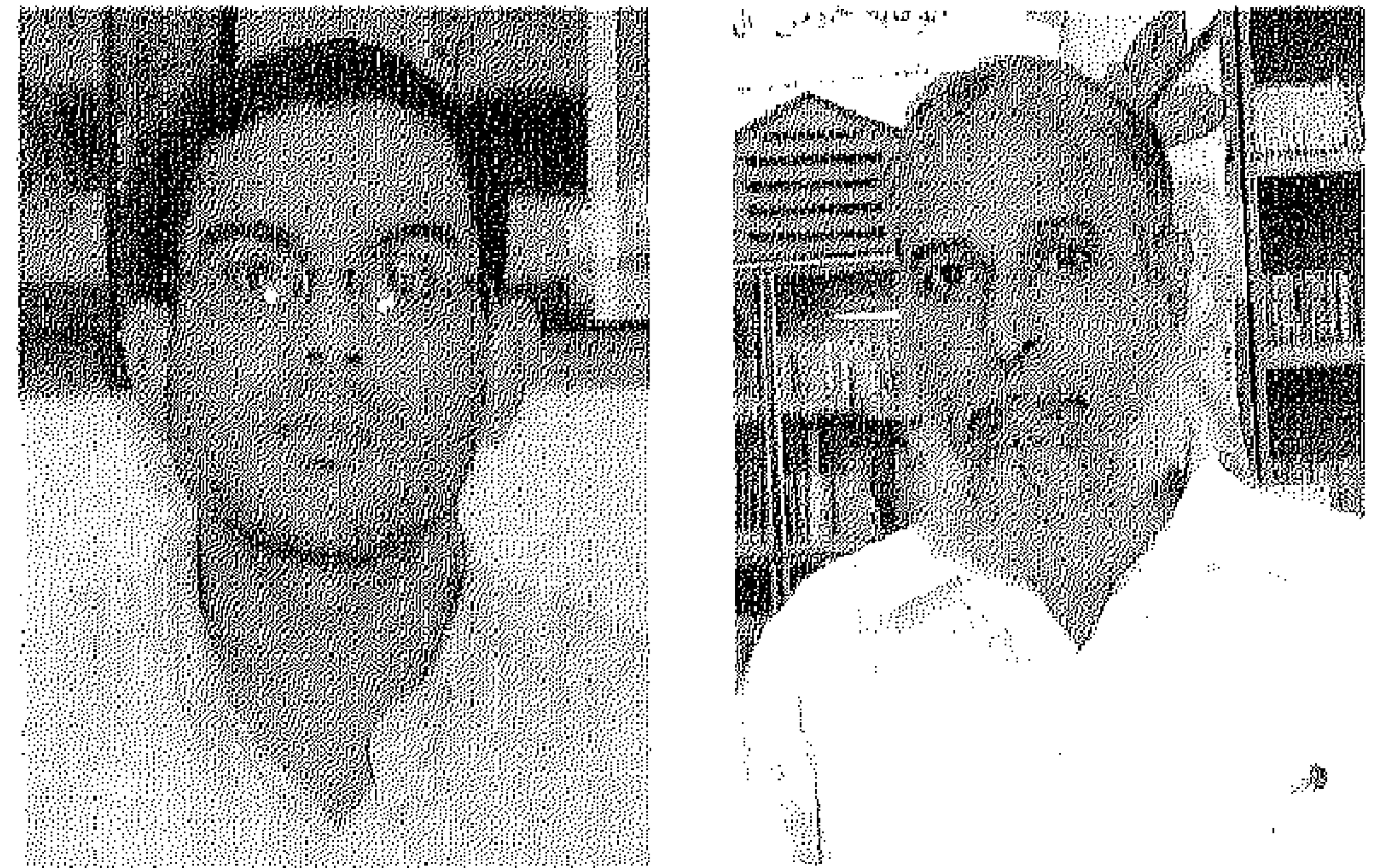




معد المعرض والاستطلاع (يمين)
مع بعض الأطفال
ونائب مدير المدرسة (يسار)

وقالت تلميذة: لقد فوجئت بالناس يجرون هنا وهناك في خوف وهلع، فانزعجت وانتابني الخوف، وأنا أقف مشدوهة محتارة متسائلة: ماذا يجري من حولي؟ حتى شاهدت مياه الأمواج العاتية تندفع في شوارع جزيرتنا تطارد الناس الذين أخذوا يصعدون الأشجار وأسقف البيوت وهم يدعون الله ويتضرعون إليه أن ينجيهم من هذه الكارثة...

وتقول تلميذة أخرى: لقد تملكني خوف شديد وأنا أشاهد الأمواج التي تندفع بشدة، تقتلع الأشجار وتحطم البيوت القديمة، وتجرف معها الأثاث وسقوف البيوت، ومنها أثاثنا وبيتنا.. فشعرت بأن هذه نهاية الدنيا.. ولا تزال صورة الناس وهم يهرعون إلى أسقف البيوت التي لم تسقط وإلى الأشجار هربًا من الماء، وأمي تجرني مع إخوتي من يدي ماثلة في ذهني



بعض مدرسي المدرسة العربية الإسلامية

ويملؤني الخوف كلما أتذكرها.

ولقد زاد من خوفي وفزعي فقدان العديد من أبناء جزيرتنا، ومن بينهم بعض أقربائي - رحمهم الله - لقد استمر معي الشعور بالخوف أيامًا، ولكن الآن توازنت نفسي، وهدأ روعي، وتذرعت بالصبر الجميل، وأمي وأبي دائمًا يقولون لي: لا شك أن هذه الكارثة خطيرة، ولها تأثيرها السلبي على النفوس والمجتمع ولكننا كمؤمنين مقتنعون بأنه ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [سورة التوبة: الآية 51]

آثار كارثة التسونامي كما شخصها المدرسون

لا شك أن كارثة (التسونامي) أحدثت بعض الآثار السلبية في المجتمع المالديفي، وخاصة بين شريحة الأطفال الذين عايشوا أحداثها المؤلمة، ولكي نقف على أبعاد هذه الآثار من ناحية التوازن النفسي والاستقرار الاجتماعي والمستوى التحصيلي لدى الأطفال استطلعنا آراء بعض أساتذة المدرسة العربية الإسلامية، فأكدوا أنهم لمسوا خلال هذه الكارثة آثاراً سلبية على التلاميذ، سواء من الناحية النفسية والاجتماعية أو من الناحية التربوية والتعليمية :

ففي الجانب النفسي لاحظنا أنه نتيجة لهول الكارثة وشدة الصدمة ملأ الأطفال الخوف والرعب، وسادهم الاضطراب، وعدم الاطمئنان، وفقد بعضهم



توازنه النفسي، ففي الأيام الأولى للكارثة كثيرًا ما كنا نشاهد الأطفال يبكون عندما يتذكرون ذلك اليوم الذي يصفونه بأنه أخوف يوم في حياتهم، أو عندما يسمعون صوتًا مزعجًا يظنونه (التسونامي)، ولكن الآن حدث لهم بعض التوازن النفسي، وقلت هذه المشاهد.

ومن الناحية الاجتماعية أثرت هذه الكارثة تأثيرًا سلبيًا على الاستقرار الاجتماعي في بعض الجزر المالديفية، حيث اضطرت بعض الأسر إلى مغادرة جزرهم المدمرة إلى جزر أخرى، وسكنوا الخيام والبيوت المؤقتة، فتفرق الأقارب، وتباعد الأصدقاء في أماكن مختلفة، ناهيك عن ما أصابهم من نقص في الأنفس والأموال، ما أدى إلى اليتم والفقر، وتدني الاقتصاد، وتفكك الأسر وعدم استقرارها.

وفي الجانب التعليمي فإنه من خلال المقارنة بين معدل المستوى التحصيلي لدى التلاميذ قبل الكارثة بمعدله فيما بعدها، وجدنا فرقًا في تحصيلهم العلمي الذي تدنّى بشكل ملحوظ، وخاصة في الفصل الدراسي الأول، ولا شك أن ذلك يرجع إلى الآثار النفسية والاجتماعية السيئة التي أحدثتها هذه الكارثة، حيث أسهمت في مضاعفة شرود وذهول التلاميذ وهم يسترجعون الذكريات المزعجة، كما عجز بعض أولياء الأمورعن توفير المتطلبات المدرسية لأبنائهم بسبب ضياع أموالهم وممتلكاتهم، وأنّى لهم أن يوفروها وقد صاروا عاجزين حتى عن تقديم لقمة العيش لهم !!.

ولكن مع ذلك ينبغي ألا نغض الطرف عما قدّمته هذه الكارثة من دروس تطبيقية لبناء الطفل الجلّد، الذي يستطيع أن يواجه كوارث الطبيعية، والقوي الإيمان والعقيدة، الذي أيقن بأن الله هو المتصرف في ملكوت السماوات والأرض، وأنه ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [سورة التّوبة: الآية 51]، كما نمّت في نفوس الأطفال الشعور بأن المجتمع المسلم كالجسد الواحد، وغرست فيهم فضيلة التضامن والتكافل من خلال ما شاهدوه وعايشوه من تعاضد منقطع النظير أظهره الشعب المالديفي أثناء تعرضه لهذه الكارثة.

قدّم الشيخ محمد رشيد إبراهيم رشيد نائب مدير عام المدرسة نبذة عنها قال فيها:

تأسست المدرسة العربية الإسلامية سنة 1987 مسيحي حيث افتتحها الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف يوم 8 النوار (فبراير) سنة 1987 مسيحي، وهي من المدارس التي ساهمت الجماهيرية العظمى في إنشائها دعماً للجهود التي تبذلها حكومة المالديف لنشر الثقافة الإسلامية والعربية في البلاد.



نظام الدراسة:

تقوم المدرسة بتدريس العلوم المتعلقة بالدين الإسلامي واللغة العربية بمختلف فنونها، إضافة إلى اللغة المحلية (الديفيهية) واللغة الانجليزية.

وتشتمل المدرسة على المرحلتين، الابتدائية: ومدتها ست سنوات، والإعدادية: ومدتها ثلاث سنوات، وهي تلتزم باللوائح والنظم الدراسية المطبقة بوزارة التربية والتعليم المالديفية، وتطبق في تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي المنهج المقرر في المدارس والمعاهد الأزهرية، وفي تدريس اللغتين الانجليزية والمحلية تطبق منهج وزارة التربية والتعليم المالديفية.

كما تقوم المدرسة بتدريس مبادئ علم الحاسوب ابتداءً من الصف الأول الابتدائي.

تطور المدرسة:

عند افتتاحها بدأت المدرسة بفصل إعدادي واحد، وفي هذه السنة 2005 مسيحي وصل عدد الطلاب إلى 385 طالباً وطالبة، كما بدأت بستة مدرسين، ووصل عددهم في هذه السنة إلى 42 مدرسًا ومدرسة، أغلبهم وطنيون والبقية من مصر والسودان والهند وسري لانكا.

وتوجد بالمدرسة العربية مكتبة تضم مجموعة من الكتب، وقصص الأطفال، باللغات العربية والانجليزية والديفيهية، وتساهم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في إثراء هذه المكتبة بمجموعات من الكتب والمراجع..





❖ أطفال كوسوفو .. والحبل المتين الذي يجمع المسلمين في العالم كله

❖ مسابقة واعتصموا النسائية العالمية الأولى لحفظ القرآن الكريم



أطفال كوسوفو ..

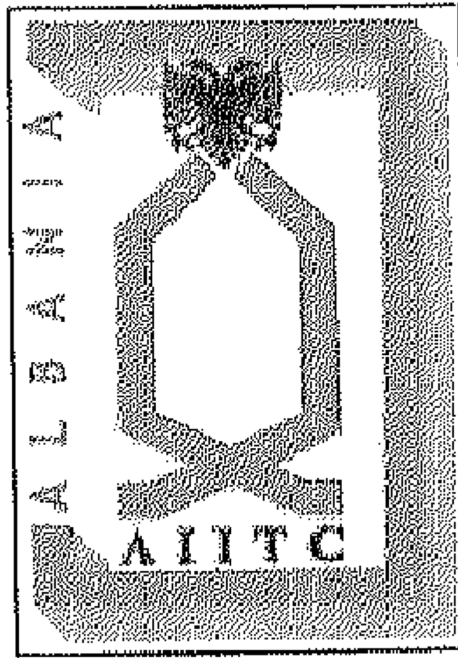
والحبل المتين الذي يجمع المسلمين في العالم كله

إعداد: محمد عبد السلام شاهين*

أشاد المركز الألباني للفكر والحضارة الإسلامية بالمساعدات التي قدمتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لأطفال كوسوفو، وهي المساعدات التي تم تخصيصها لدورات تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية للأجيال الصاعدة من الشعب الألباني، حيث استفاد من الدورة المئات من الأطفال والشباب من الجنسين .

من المعروف أن المركز الألباني للفكر والحضارة الإسلامية الذي يتولى رئاسته الدكتور رامز مصطفى زكاي يعد من المنظمات الإسلامية المشهود لها بالمصداقية في منطقة البلقان، ويعمل على ترسيخ القيم الثقافية الإسلامية والحفاظ على الخصوصية الألبانية والبلقانية، واجتذاب جيل الشباب الذي تُقدم له عروضٌ وإغراءات هائلة من المؤسسات المعادية للإسلام، استثمارا واستغلالاً لآثار الحرب الطاحنة وجرائم التطهير العرقي التي نكب بها المسلمون الألبان، مع غيرهم في دول ومناطق الجوار الألباني وخاصة في البوسنة والهرسك.

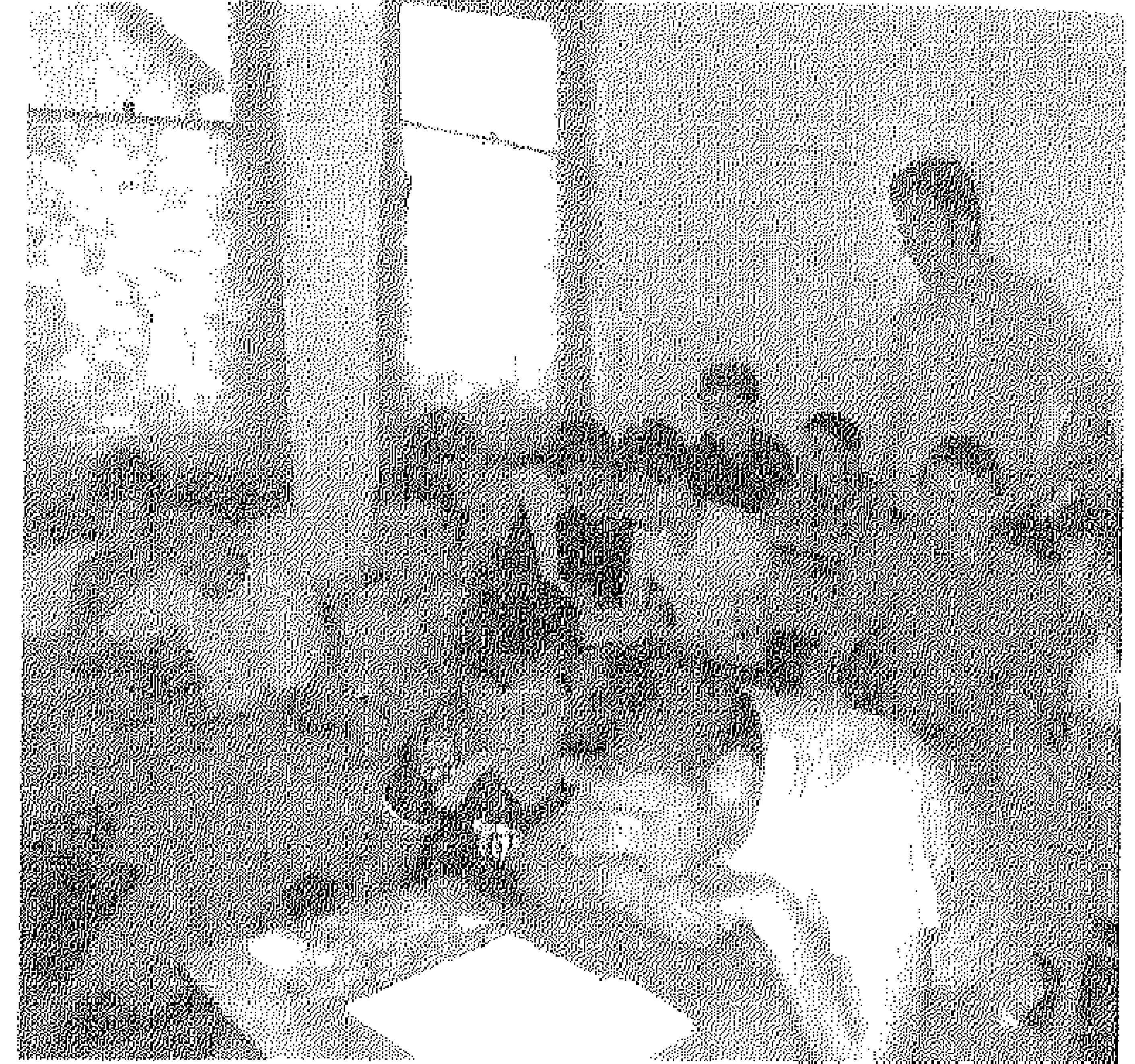
وفي مستهل إشادته أوضح المركز، أن الدعم المقدم من الجمعية لتفعيل مناشطه الدعوية تم توجيهه في أحسن ما يمكن الاستفادة منه : إنجازاً للمشاريع الخاصة بالجيل الجديد ولاسيما الأطفال، وتعريفهم بأمور دينهم الحنيف، والتركيز على دورات تحفيظ القرآن الكريم، مع الاهتمام بشكل خاص ببرامج تعليم اللغة العربية التي تعتبر الحبل المتين الذي يجمع المسلمين في العالم كله.



شعار المركز الألباني

وقد قام المركز بتشكيل لجان من المتخصصين وتسمية عدد من الدعاة، ممن يعملون تحت إشرافه في ألبانيا وكوسوفا، لتنفيذ البرامج والإشراف على الدورات وكان من بين هؤلاء الداعية الألباني الأخ آدم آدمي الذي يقدم نموذجا فريدا للداعية المسلم في بلاده فهو يعمل دون تعب ولا انقطاع مع تلاميذه وطلبته لا يتركهم للتيارات التي تستهدف زعزعة معتقداتهم الإسلامية، يرافقهم سواء في المدارس أو المسكن ويرى في ذلك واجباً إسلامياً، فالمسؤولية عن أطفال المسلمين تتزايد بالنسبة

* صحفي وكاتب مصري / ليبيا
* الصور خاصة بمجلة التواصل



التركيز على دورات تحفيظ القرآن الكريم



الاهتمام ببرامج تعليم اللغة العربية

للداعية، خاصة في المناطق والبلدان المستهدفة أكثر من غيرها لمخططات معادية، حيث تأتي ألبانيا على رأس القائمة، فلا تزال البنى التحتية لمرافق البلاد مدمرة كلياً في بعض المدن والقرى، بما فيها من شبكات للمياه والكهرباء، ومراكز ومؤسسات اقتصادية وثقافية، ومعاهد ومدارس ومساجد أضرمت فيها النيران وهي أوضاع وأجواء تدفع بمنظمات مشبوهة إلى مضاعفة أنشطتها، وبالمقابل تفرض تلك الأوضاع والأجواء علي اللجان والدعاة مزيداً من الجهد والعطاء، حيث أصبح دور المدرسة لا يكفي لتربية وتحصين أطفال كوسوفو حسب الأخلاق الإسلامية السليمة، التي تحميهم من مخاطر تتهددهم وتتهدد عقيدتهم، خاصة وأن المدارس في منطقة البلقان علمانية، وتخلو المناهج الدراسية من الفكر والعقائد الدينية، ولعل هذا الواقع - بالإضافة إلى الالتزام المبدئي بالقيم الإسلامية - هو الذي دفع المركز الألباني للفكر والحضارة الإسلامية إلي طلب المساعدات والتنسيق مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، لتنفيذ البرامج المتاحة لدى المركز، وغيرها من البرامج الأكثر تقدماً.

وتقضي البرامج المتاحة تعليم الأطفال ما يسمى في ألبانيا بعلم الحال، وهو منهج دراسي يتضمن المعارف الأولية للطفل الصغير، وتعليم الأحرف العربية وتحفيظ القرآن الكريم، ويستمر برنامج علم الحال هذا طوال السنة الدراسية، على أساس تشغيل خمس دورات، وهو نظام يتيح اشتراك الجنسين من بنين وبنات، وتستهدف الدورات الخمس تمكين جميع الدارسين والدارسات من تعلم مبادئ الإسلام وحفظ سور من القرآن الكريم مع التعوّد على تلاوته، وجرى توفير المصاحف والكتب، والوسائل الإيضاحية المناسبة لإنجاح البرنامج، طبقاً لما هو مقرر.

حفل الافتتاح

ومع بداية النشاط جرى توزيع استمارات البيانات في كل مكان على أولياء الأمور تشرح برامج تنظيم دورات مكثفة في مجال التربية الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية، وكان تعميم الاستمارات ضرورياً لتكون الخطة واضحة لدى التلاميذ وأولياء الأمور.

وفي هذه المرحلة شاركت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في الإعداد، وقد استمر التسجيل خمسة عشر يوماً، وبلغ عدد المتقدمين للدورات مائة وأربعين

تلميذاً، تبنت جمعية المرأة الألبانية الثقافية من بينهم ثمانين تلميذة، وهي أعداد تعتبر قياسية عندما يؤخذ في الاعتبار أن هذا النشاط في برامجه المتطورة لم يكن مألوفاً في تلك البلاد من قبل، ولذلك اقتضت ضرورة اجتذاب المزيد من المنتسبين والمنتسبات للدورات تنظيم حفل افتتاح مناسب، بعدما تم بنجاح التغلب على العديد من المصاعب، مثل إيجاد المقر المناسب للدروس والدورات.

وحضر الحفل المسجلون بالدورة من الجنسين برفقة أسرهم، وهيئة الموظفين بالمركز الألباني للفكر والحضارة الإسلامية، وآخرون من المتعاونين مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من المفكرين والباحثين، وألقيت بالحفل كلمات الإشادة بالتعاون البناء مابين الجمعية والمركز في خدمة الإسلام، ونشر اللغة العربية التي توصف في ألبانيا بالحبل المتين وإنها حقاً كذلك : لغة القرآن الكريم.

متابعة الدورات

وفي متابعة للدورات لوحظ اهتمام جميع الأطفال بالدروس، وكان هناك حرص من أولياء الأمور علي انتظام أبنائهم وحضورهم في الأوقات المحددة للحضور، ولم يتخلف أحد ممن تم تسجيلهم من الجنسين.

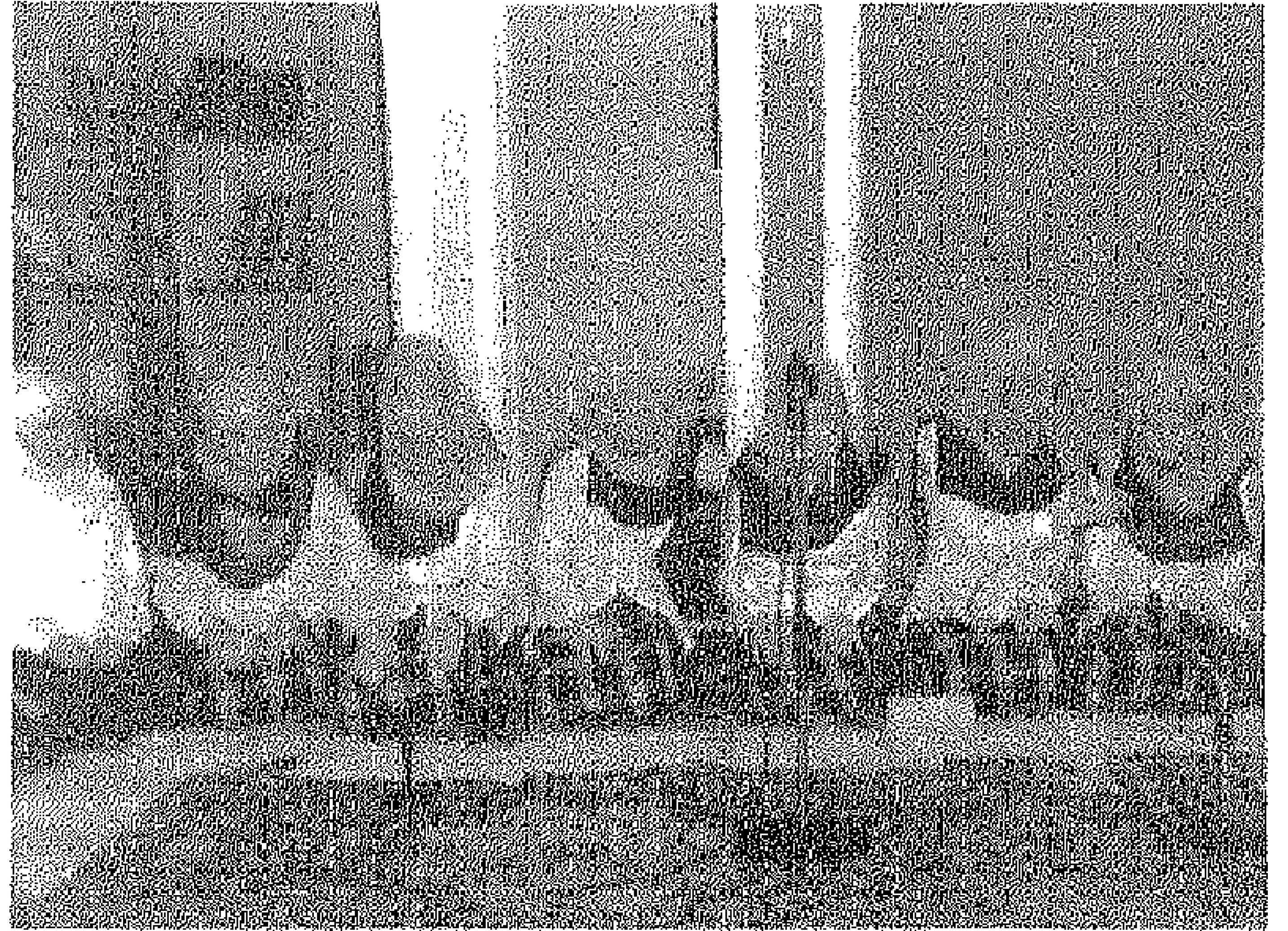
في البداية تم شرح بعض الدروس لتعريف الأطفال بالأمور البديهية والمبادئ الأولية للإسلام، مثل أركان الإسلام.. كيف نقدم ديننا للآخرين.. كما تعلم الأطفال في فترة وجيزة عددا من الأدعية المختلفة ومنها دعاء المسلم بعد تناول الطعام بلغة عربية مع لغته الألبانية.. وقائع ومشاهد كثيرة من سيرة الرسول ﷺ، وفي هذا السياق تشارك إحدى الأخوات الألبانيات - وهي أستاذة متخصصة في الفقه الإسلامي - بتقديم دروس دينية للطالبات وتشمل هذه الدروس واجبات ومسؤوليات المرأة المسلمة، وكيف تربي الأبناء، وتعامل الزوج، وتتفاعل مع الجيران، وكان لهذه الدروس



الحبل المتين الذي يجمع المسلمين في العالم كله



الالتزام المبدئي بالقيم الإسلامية



دروس في واجبات ومسؤوليات المرأة المسلمة

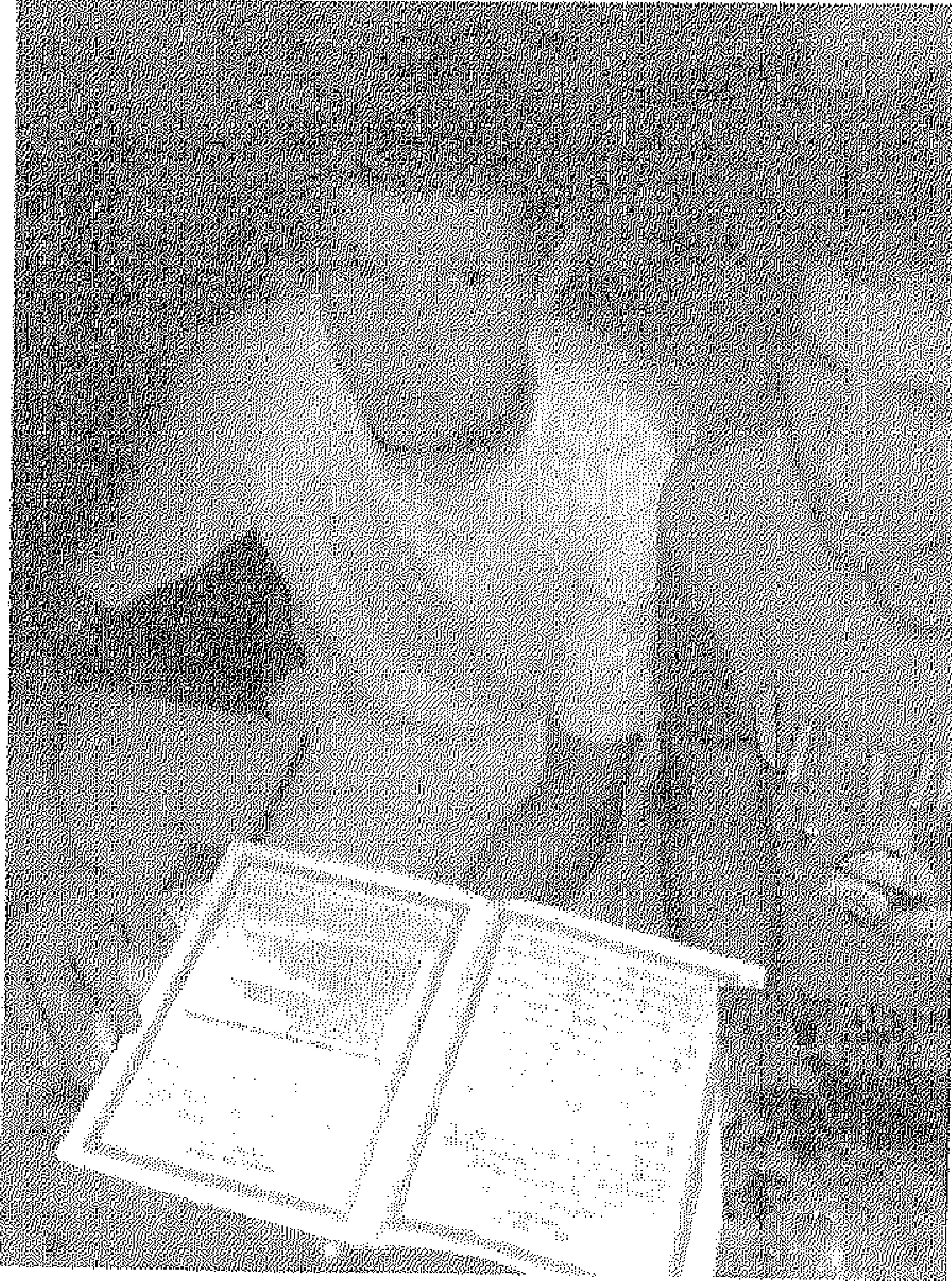
والنصائح مردود إيجابي بين الأسر والعائلات الألبانية، وتقول الأخت المعلمة «إن ذلك يبشر بالخير» ونحن نحمد الله تعالى، فقد لاقت هذه النصائح اهتماماً خاصاً من قبل المشتركات بالدورات اللواتي وعدن بأن يمارسنها في حياتهن اليومية، وعندما تكون التربية والقيم الإسلامية أساساً للأسرة، فإن المجتمع بأسره يكون مجتمعاً صالحاً.

إنجازات مهمة في برامج اللغة العربية

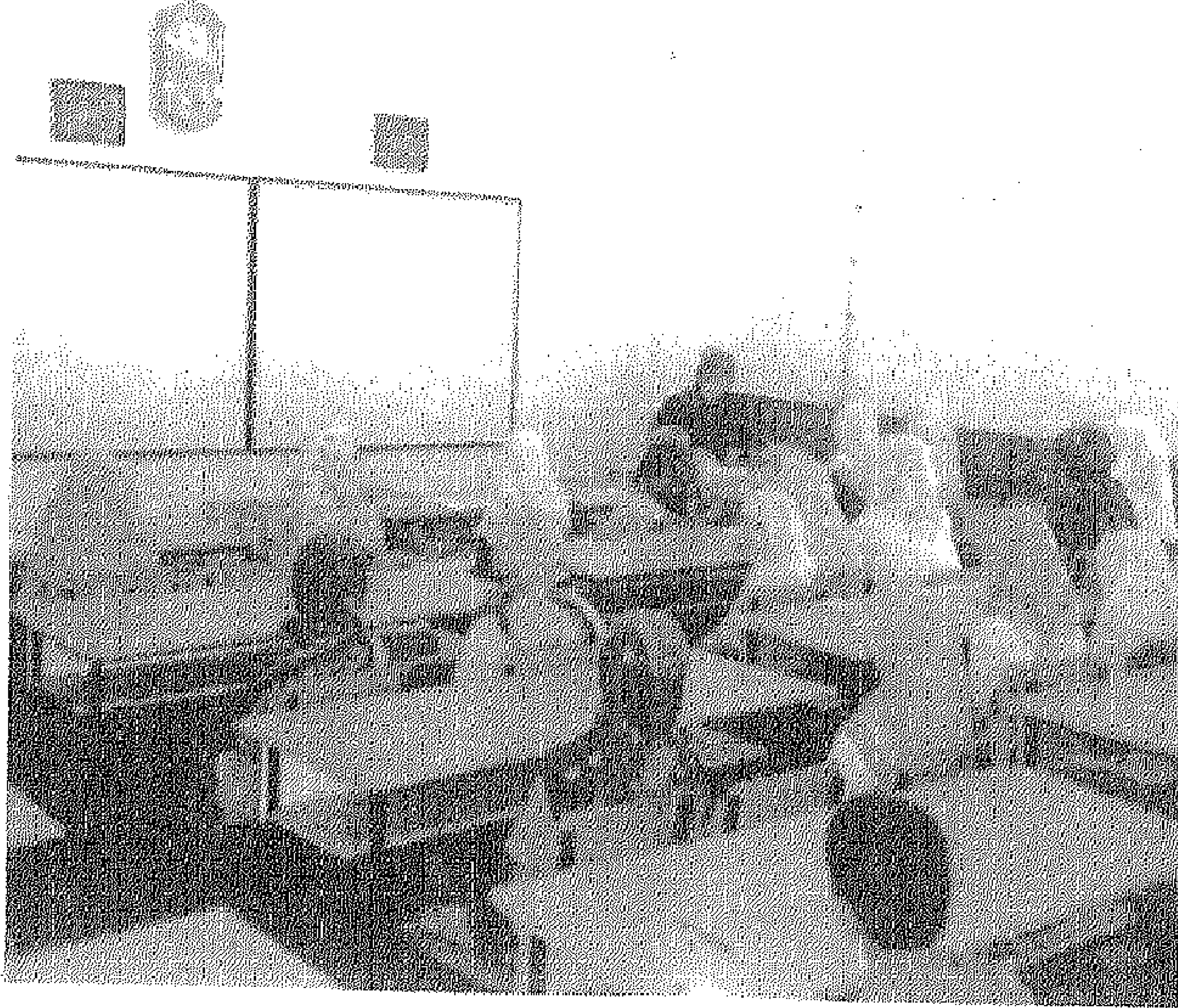
ومع الاهتمام المتزايد من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمركز الألباني للفكر والحضارة الإسلامية بالعمل على تطوير أساليب تعليم اللغة العربية، وخاصة بالنسبة للمسلمين من غير الناطقين بها، جرى تطبيق برنامج جديد مع أطفال ألبانيا الملتحقين بالدورات، وخلال فترة قصيرة نسبياً، تحققت إنجازاتٌ مهمة في برامج اللغة العربية، حيث تمكن هؤلاء من استيعاب الكثير من القواعد واستخدام مفردات اللغة العربية الصحيحة، ومن بين تلك الاستخدامات على سبيل المثال :

- ❖ معرفة وكتابة الأبجدية العربية.
- ❖ قراءة الجمل والفقرات القصيرة والنطق السليم بها.
- ❖ معرفة استخدام العربية في وصف المشاهد الطبيعية والمقارنة بين مواصفات مختلفة.
- ❖ تعلم كيفية استخدام حروف الجر.
- ❖ تلقين الدارسين والدارسات المأثورات والحِكَمْ وترسيخها لديهم.

من ناحية أخرى، استحدث أيضا في مرحلة تعليم اللغة العربية شكل جديد، يقوم على الحوار بين المعلم والمتلقين، مع توسيع دائرته ليضم أولياء الأمور وأمهات الأطفال، ولقد أوجد ذلك جواً دافئاً ومشجعاً وكان الأطفال - بحضور ذويهم - يميلون أكثر للاستيعاب، ومحاولة التفوق بالتنافس مع الزملاء والزميلات، كما



دراسة وحفظ القرآن الكريم

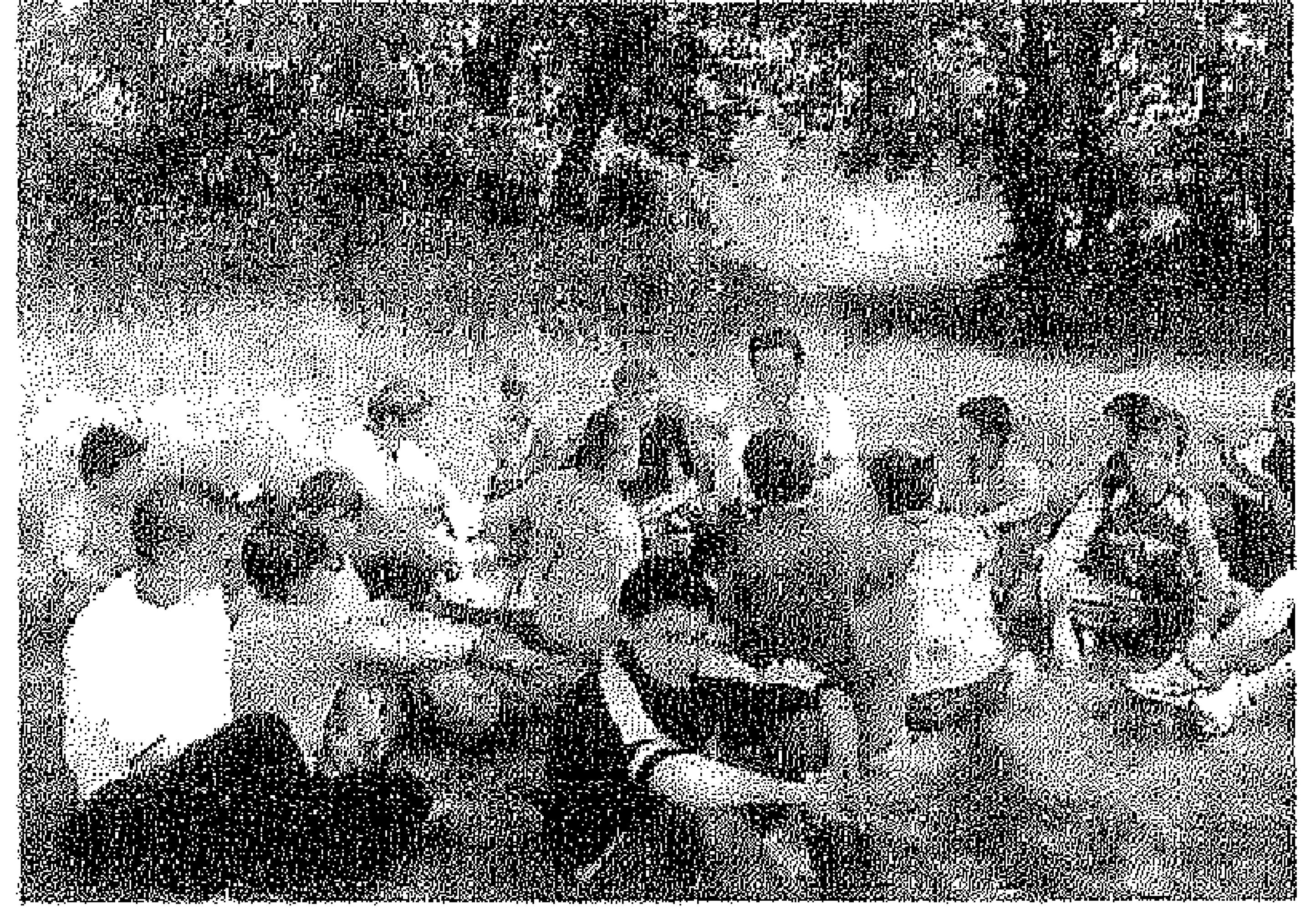


فصل دراسي للغة العربية

يعمد المعلمون إلى قصر الأحاديث المتداولة، ما بين الدارسين والدارسات وأولياء الأمور على اللغة العربية الفصحى، ويستعان في ذلك بالعديد من وسائل الإيضاح، ومن بينها الأشرطة المختلفة، الخاصة ببرامج تعليم اللغة العربية.

الرحلات الدعوية

تشكل الرحلات الدعوية التي ينظمها المركز الألباني للفكر والحضارة الإسلامية لمنتسبيه من الجنسين أهمية كبيرة للعملية الدعوية، التي تعتمد في تفعيلها على دعم أواصر الأخوة الإسلامية بين المنتسبين وممارسة الرياضة وتنظيم حلقات الحوار والنقاش في الهواء الطلق وبين أحضان الطبيعة، حيث المساحات الشاسعة من الغابات والأحراش، فتكون هذه الرحلات امتدادا وتواصلاً بين التلميذ وأستاذه، وتطبيقاً لدروس المخاطبة باللغة العربية، كما تتيح الرحلات زيارات ميدانية للمصانع على مختلف إنتاجها، وتفقد معارض الكتاب الدائمة والموسمية، ومع حلول أوقات الصلاة خلال القيام بالرحلات عبر المدن والقرى الكوسوفية، يتحلق الجميع من حول صنابير الماء المنتشرة بالطرق هنا وهناك لإسباغ الوضوء قبل إقامة الصلاة..



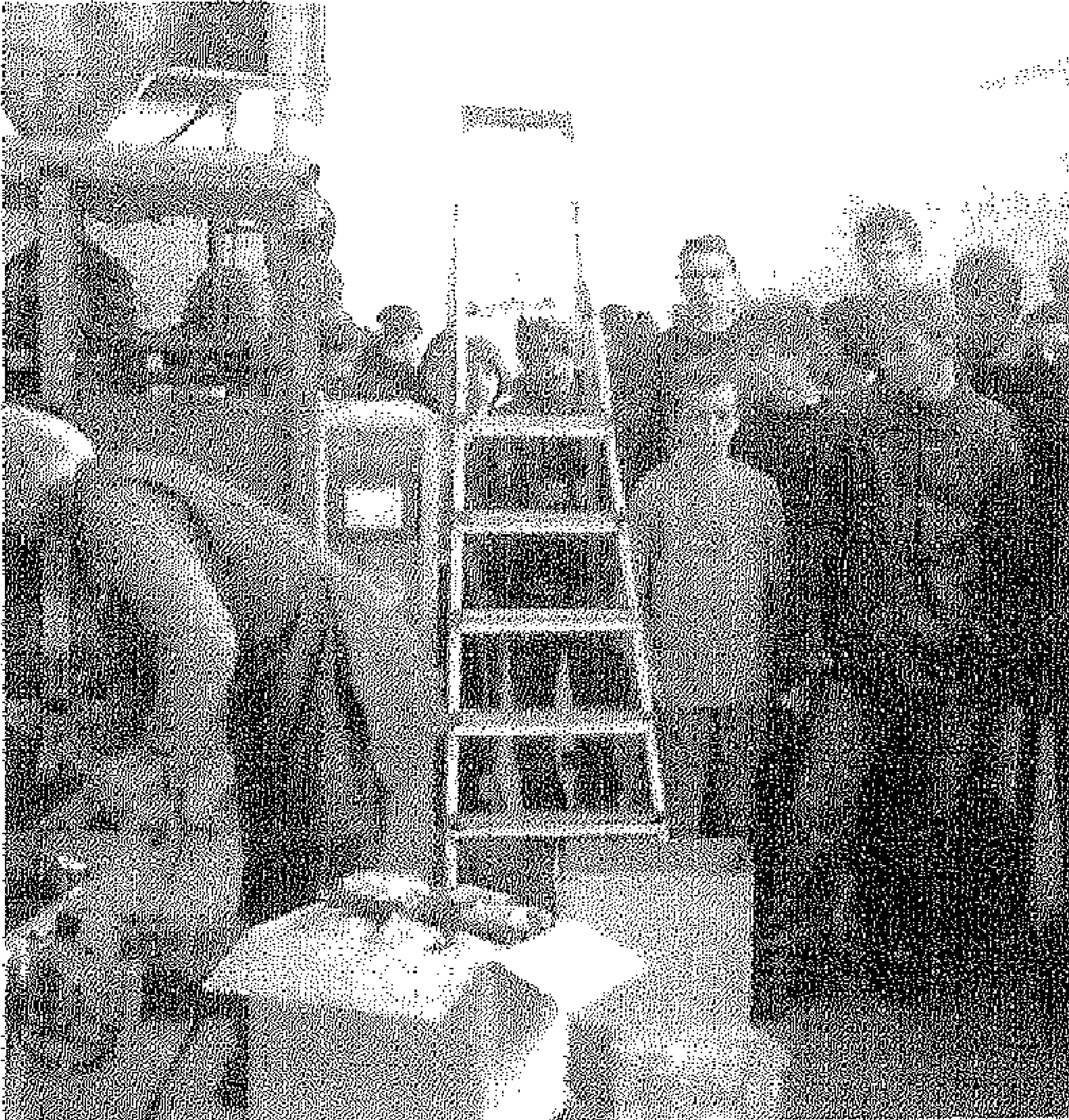
في أحضان الطبيعة
(المخاطبات تدور باللغة العربية)



رياضة ذهنية
(تشجع على المزيد من الاستيعاب)



إسباغ الوضوء قبل إقامة الصلاة



زيارات للمصانع ومعارض الكتب

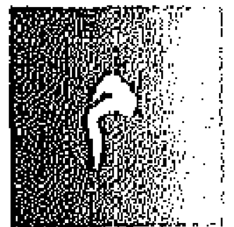
مسابقة (واعتصموا) النسائية العالمية الأولى لحفظ وترتيل القرآن الكريم

إعداد: زهرة سليمان جمعة*



صورة خاصة

الفائزات يتسلمن جوائزهن



منذ أكثر من عام أقيمت المسابقة النسائية الأولى لحفظ وترتيل القرآن الكريم على مستوى الجماهيرية برعاية جمعية (واعتصموا للأعمال الخيرية). عندها أثنى المتتبعون للمسابقة من مشايخ وعلماء ومثقفين على هذه البادرة الطيبة، وتمنوا أن يرتقى بها لتعم أنحاء العالم كافة، واستجابت الجمعية والقائمون عليها في هذا البلد لدعوتهم الخيرّة، وتحقق الحلم بعد عام واحد فقط من المسابقة المحلية، فإذا بالبذرة تنبت نباتاً حسناً، وتعطي ثمراً يانعاً - بإذن ربها - ومثلما انطلقت المسابقة العالمية الأولى لحفظ وترتيل القرآن الكريم الخاصة بالرجال في السبعينات من القرن العشرين

---

* كاتبة / ليبيا



من حفل الافتتاح

صورة خاصة

من أرض ليبيا، كان لها شرف احتضان أول مسابقة قرآنية عالمية نسائية لحفظ وترتيل القرآن الكريم، لتكون مسابقة بناءة وخطوة رائدة على درب الخير والصلاح في إطار الاهتمام بكتاب الله العزيز، وتشجيعاً لحفظة القرآن الكريم، الذين هم أهل الله وخاصته، كما وصفهم المصطفى في حديثه الشريف بقوله: «إن لله أهلين، قالوا ومن هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته».

وإكراماً للصفوة الخيرة من أبناء هذه الأمة التي شهد لها الصادق المصدوق صلوات ربي وسلامه عليه بالخير فيه بقوله عن عثمان رضى الله عنه : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» رواه مسلم.

مسابقة (واعتصموا) النسائية العالمية الأولى لحفظ وترتيل القرآن الكريم التي أقيمت في مدينة طرابلس /ليبيا في الفترة من 19-24 من شهر رمضان المبارك الموافق 22-27 من شهر 10 التمور (أكتوبر) 2005مسيحي، تنافس فيها أكثر من 46 متسابقة، جئن من أنحاء العالم كافة، ولاقت استحساناً كبيراً من متتبعيها، وحظيت باهتمام إعلامي كبير محلي وعالمي بالإضافة للعديد من الصحف المحلية التي تابعتها، فقد كتب عنها العديد من الصحف العربية والعالمية.

وبالإضافة إلى الإذاعات المحلية مثل إذاعة القرآن الكريم ووكالة الجماهيرية للأنباء، والفضائية الليبية.

كان من أبرز المحطات التي تابعت سير المسابقة قناة «اقرأ» الفضائية وقناة «الفجر» الفضائية بالإضافة إلى وكالة القرآن الإسلامية الإيرانية.

❖ لا أستطيع أن أصف مشاعري نحو هذه المسابقة، ولا عظمة المعاني التي استقيتها منها، لكن سأُحاول أن أقدم لك عزيزي القارئ عرضاً موجزاً لأهم الأهداف العظيمة التي حققتها هذه التجربة الرائدة، وسأقف معك على أهم نقاط التنوير فيها ملخصة ذلك في خمس محطات.

أولاً: لقد تجسد في هذه المسابقة الآية القرآنية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحُجرَات: الآية 10]

فقد جاءت هذه المشاركات من أكثر من 45 دولة، لا تربطهنَّ أنساب ولا مصالح، والكثير منهنَّ لا يجدن اللغة العربية، فلا جامع لغوي بينهنَّ، ومع هذا فإن



صورة خاصة

تكريم أحد أعضاء لجنة التحكيم

كلمة «السلام عليكم» تشكل جواز مرور بين قلوبهنّ، وكلمات الكتاب العزيز هي وسيلتنا للتحاور معهنّ، فإذا بك تتلقى الاستجابة السريعة المحاطة بالحب والاحترام، تشع بها العيون وإن عجز اللسان عن البيان، والرابط الجامع هو هذا الدِّين الحنيف والكتاب العزيز الذي جئن يتنافسن فيه، فصدق الله العظيم حين وصفه بأنه حبله، وأمرنا بالاعتصام به فقال تعالى:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [سورة آل عمران: الآية 103]

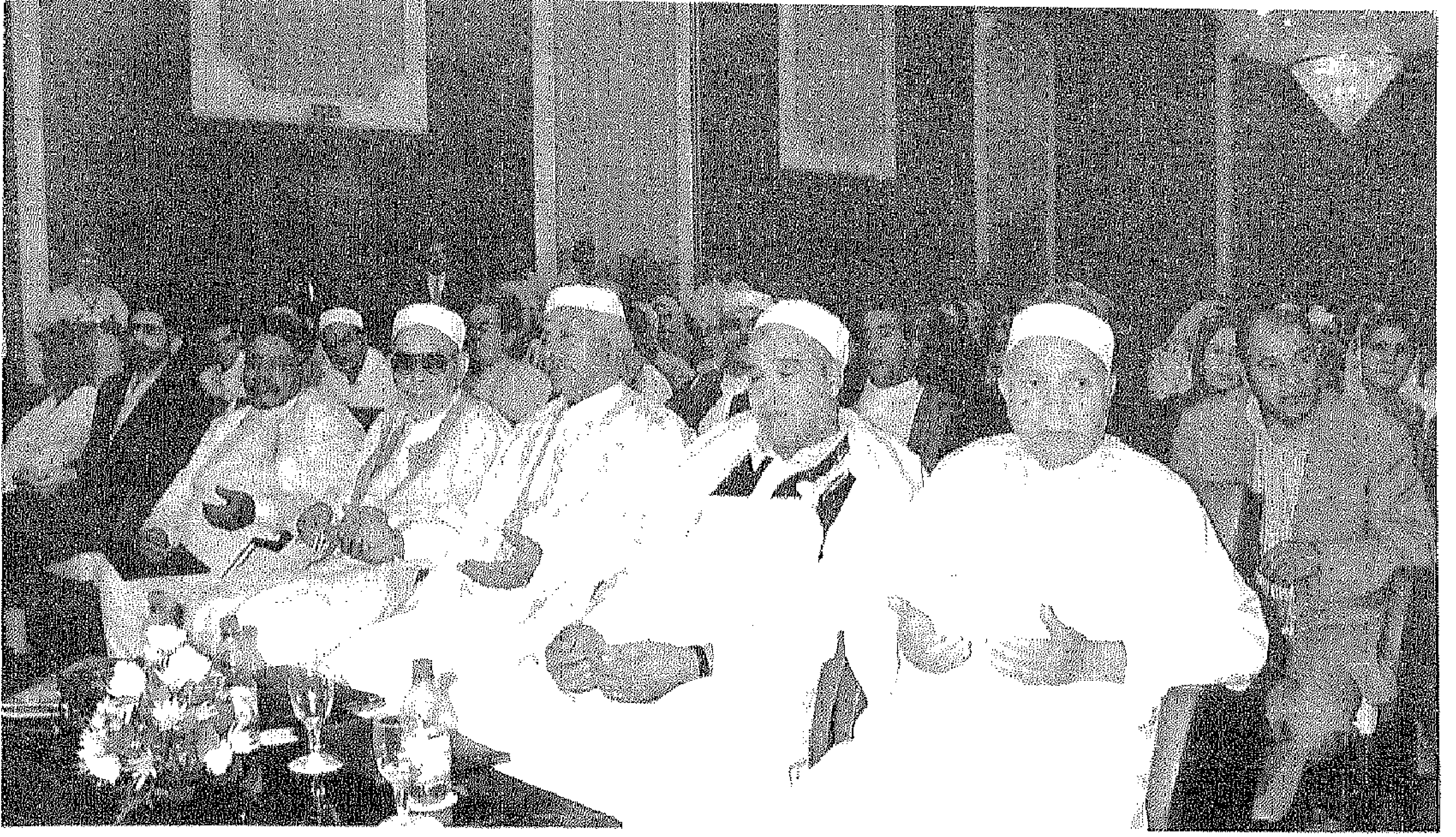
وأحسنت (الجمعية) الاختيار حين رفعت (الاعتصام) شعاراً لها، فسمت نفسها به.

❖ وإنني إذ أنظر إلى هذا الجمع من كل حدب وصوب أرى فيه الملايين من أبناء الأمة المسلمة التي جمعها الله عز وجل على كتابه، وما كان لهم أن يجتمعوا على غير هذا الدِّين، وعندها تتضح أمام عقلي القاصر تجليات الآية القرآنية:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: الآية 63]

ولا شك أننا في أمس الحاجة لتأكيد هذه المعاني وبثها في الأمة، خاصة في هذا الوقت الذي يُضيَّق فيه على الإسلام وأهله، وتُحَارب فيه الأمة من الداخل والخارج، لإجبارها على التخلي عن هويتها باسم التمدن والعولمة، وتلك شنشنة نعرفها من صيحات المستغربين وترهات المارقين.

ثانياً: لقد أعطت هذه المسابقة بعداً آخر للعمل الخيري، فالعمل الخيري ليس مجرد لقمة تسد الجوع، أو ملبسا يكسو العاري ـ على أهمية هذا الأمر وعظمة أجره ـ لكن للعمل الخيري بعداً آخر، ينطلق من النظرة



صورة خاصة

بعض أعضاء لجنة التحكيم

الإسلامية للإنسان باعتباره روحا وعقلا وجسدا، فكما هو جسد يحتاج للماديات، هو أيضاً روح وعقل يحتاج إلى إيمان يسمو به وعلم يرقيه، وبالتالي تتكامل النظرة لهذا الإنسان، وتتعمق فلسفة العمل الخيري لتشمل الأبعاد الثقافية والعقلية والروحية للإنسان، لكي نخطو خطوات جادة في بناء المؤمن القوي الذي وصفه رسول الله ﷺ بأنّه خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وتأتي هذه المسابقة النسائية العالمية القرآنية لتقول لنا إن قوة الإنسان تكمن في روحه التي تحتاج إلى ما يناسبها من الغذاء، ألا وهو الكتاب العزيز، كيف لا! وقد سمى الله عز وجل كتابه الكريم «روح»

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الشورى: الآية 7]

ثالثاً: أن نخص المرأة المسلمة بمسابقة قرآنية في حفظ القرآن وترتيله تلك بادرة غير مسبوقة، وسُنة حسنة، نسأل الله عز وجل أن يجعلها في ميزان حسنات هذه (الجمعية)، وتلك ـ أيم الله ـ خطوة عظيمة تدفع بالمرأة المسلمة إلى الأمام، وإشارة بليغة ـ لا تخفى على أولي الألباب ـ مفادها أن الإسلام هو الذي أعلى قدر المرأة ورفع من شأنها، وإنها لن تعود إلى عزها إلاّ بالرجوع إليه، ثم هي محاولة جادة لوضع الميزان الحق في قضية المرأة المسلمة التي تاهت بين التقاليد البالية والأعراف المتخلّفة التي تمرر باسم الإسلام ـ زوراً وبهتاناً ـ وبين محو الهوية والتغريب الذي يصدر إلينا باسم الحضارة، فإذا بالمرأة المسلمة تصدح بصوت الحق، متمثلة قول الله عز وجل لأمهات المؤمنين عليهنّ السلام:

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [سورة الأحزاب: الآية 32]

وتتنافس في هذا الميدان الخيّر عملاً بقوله عز وجل:

﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [سورة المطففين: الآية26]

رابعاً: لقد وجدت هذه المسابقة تربة خصبة لزراعة بذور المناعة، ومعملاً جيداً لصناعة مضادات التغريب، وسداً منيعاً في مواجهة فيروسات الميوعة وجراثيم العري، وموجات التسليع التي تنخر الفضيلة في عالمنا المعاصر، وتجعل من المرأة سلعة لتسويق



صورة خاصة

بعض المشاركات في المسابقة

بضاعتها الخاسرة للمستهلكين الذين بعدوا عن منهج ربِّ العالمينَ واتخذوه وراءهم ظهرياً، فكانت النتيجة هذا الفساد الذي عمَّ وطمَّ مصداقاً لقوله عز وجل:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة الرُّوم: الآية 41]

وتأتي هذه المسابقة لتؤكد على ثقافة المناعة، وتقوية للمرأة المسلمة، حتى لا تجرفها التيارات المنحرفة، أو تهوي بها الصيحات الضالة في مكان سحيق، في زمن الفضاء المفتوح والإعلام الهابط - إلا ما رحم ربي - الذي يلبس الباطل لباس الحق، والرذيلة ثوب الفضيلة، في وقت لم تعد فيه سياسة غلق الأبواب مجدية، فلا مجال للمنع، ولكنَّ الحل يكمن في تقوية جهاز المناعة لدينا، والعودة إلى الهوية والتمسك بالكتاب العزيز والسنة الحميدة، عملاً بقول المصطفى ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً : كتاب الله وسنتي».

خامساً: جاءت هذه المسابقة لتضيء الأمل بين جنبات النفس، لتؤكد أن الأمة لا زالت بخير، وأنه سيبقى بها أخيار، ما تعاقب ليل ونهار، يعكس ذلك هذه الثلة المباركة من الحافظات اللائي جئن من كل أصقاع الأرض ليتنافسن في كتاب الله العزيز.

- إنني عندما نظرت إلى هؤلاء الفضليات في قاعة التنافس، استحضرت في ذهني قصة رسالة الإسلام التي بدأت برجل هو نبينا محمد ﷺ وامرأة هي أمنا خديجة رضي الله عنها، فإذا بنور الإسلام يعم الأرض، ويغمرها بالسكينة والأمان، وإذا بالقلوب تُسْلم أقفالها للقرآن، ليفتحها ويدخلها، فيغمرها بالمحبة والخير، وإذا بكلمة الحق تعلو رغم نعيق الغربان، ومحاولات الخفافيش إطفاء النور، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾

[سورة الصَّف: الآيات 8-9]

شهدنا تنافساً خيراً مباركاً في أعظم مجال، ومضماراً لخير سباق، وكان أبطال هذا السباق نسوة من كافة أنحاء العالم، ومن بيئات مختلفة، وألسنة

متعددة وأعمار متباينة، جئن إلى ليبيا، ليَقُلْنَ للعالم إن الإسلام ما يزال بخير، رغم تكالب الأعداء وتخاذل بعض من يقولون إنهم أبناؤه! وأن المرأة المسلمة ستظل قلعة صامدة وحصنا متينا في مواجهة حملات التغريب والتذويب التي يراد لها أن تمرر علينا باسم التحضر والمدنية.

عزيزي القارئ.. لقد تابعتُ هذه المسابقة عن قرب، وعشت أياماً رائعة في ظلال تلاوات عطرة من قراءات الحافظات، وشاهدتُ أجواء مفعمة بالحب والخير، تعانقت فيها بركة الزمان مع بركة الأشخاص لتحل في مجالس عظيمة حفتها الملائكة، وتنزلت عليها السكينة، وغشيتها الرحمة، وذكرها الله فيمن عنده، كما أخبر الصادق المصدوق - صلوات ربي وسلامه عليه، فإذا بالأنوار تغمرك، ونفحات الضياء تتنزل عليك، وتقلب وجهك في تلك الوجوه المشرقة فترى فيها نوراً يمشي على الأرض، مصداقاً لقوله جل وعلا في كتابه الكريم:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الأنعام: الآية 122]

وكيف لا يَكُنَّ كذلك وقد حملن النور في صدورهنَّ، فأرسلْنَ قبسات منه أضاءت ما حولهنَّ، فكأنَّما الشاعر عناهنَّ بقوله:

وجوه لو أن المعتفين إعتشوا بها
صدعن الدُّجى حتى ترى الليل ينجلي

من أجل ذلك رأيت أن لا أستأثر بهذه المأدبة القرآنية وحدي، وقررت أن اصطحبك - أخي الحبيب، أختي الحبيبة- في رحلة مشرقة مع موكب الخير لنلتقي بعضاً من درر الإسلام المباركات في وقفات تأملية نستشف منها العبر، ونستخلص منها الدروس.

❖ جاءتني وأنا جالسة أقلب بعض الأوراق خارج قاعة المسابقة، فسلمت علي واحتضنتني بمحبة وشوق، وكأنها تعرفني منذ سنوات - وكان هذا ديدنها كلما التقيتها طيلة فترة المسابقة - إنها الأخت الكريمة من المغرب آمنة التوهامي برهون، شاركت في جانب حفظ القرآن الكريم كاملاً، وتحصلت على الترتيب الأول في المسابقة، حفظت القرآن الكريم وعمرها ثماني سنوات، وحفظت بعد ذلك المتون، فحفظت (الألفية والاجرومية ومتن ابن عاشر والجزرية والبيقونية)، كما حفظت (الأربعين نووية)، وقد قيل: من حفظ المتون حاز العلوم. والحبيبة آمنة ذات أدب جم، وخلق رفيع، وابتسامة لا تفارق وجهها البشوش، تأسيا بالحبيب ﷺ الذي يقول: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»، أبوها إمام مسجد، وهو الذي رباها على تعلم القرآن الكريم، وشجعها على حفظه، هي وإخوانها وأخواتها، ومن تعهد غرسه بالرعاية والعناية لا بد أن يجنى حلو ثمارها.


آمنة التوهامي برهون

❖ الأخت الصغيرة إيمان عبد القادر ياحي من الجزائر، تحصلت على الترتيب الثالث في جانب القرآن الكريم كاملاً، مواليد 1990 مسيحي، حافظة لكتاب الله عز وجل، وتحفظ أكثر من 1000 حديث شريف، آية في الذكاء والحفظ، متفوقة في دراستها، كما أخبرني والدها، وقال إنها تدرس في معهد ديني أعمار الدارسات به أكبر من عمرها بسنوات، وهي بعد هذا تشع إيماناً وحياءً، وتتحدث معها لتجدها تملك عقلاً أكبر بكثير من جسدها الصغير، وبياناً وفصاحة في اللغة العربية التي تتحدث بها بطلاقة لأنها لغة التخاطب عندهم في البيت كما أخبرتني، ولا تشعر وأنت تدير دفة الحديث معها أنك بحاجة إلى أن تنزل إلى مستوى أدنى، بل بالعكس عليك أن تعلو وأنت تتخاطب معها، لتجد عمقاً في الفهم وبعداً في النظر


إيمان عبد القادر ياحي

أكبر من الخمسة عشر ربيعاً التي عاشتها، والسرُّ وراء ذلك الموهبة العظيمة التي وهبها الله عز وجل إياها، ثم تلك الأسرة الصالحة التي نشأت فيها، ويكفي أن تعلم أن أمها هي التي علمتها كتاب الله العزيز قبل أن تلتحق بحلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد التي درست فيها بعد ذلك، ولا شك إنها استقت من أمها هذا الخلق الكريم، والحياء الذي ينير وجهها المشرق:

فالطفل يرضع من أخلاق مرضعه
قبل اللبارة التي تنصب في فيه


خديجة حامد

❖ الأخت خديجة عبد القادر حامد مواليد 1977 مسيحي، من الجماهيرية العظمى، الأخت خديجة لم تبصر منذ ولادتها، ومع هذا فهي تملك إرادة فولاذية، وعزيمة صلبة، استطاعت بها أن تنتصر على هذه العاهة، وتتحدى كل الظروف القاسية المحيطة بها، وتنور طريقها بالإيمان والعلم، فتخرجت من جامعة «قاريونس»، كلية الآداب والتربية، قسم اللغة العربية، ثم لم تكتف بهذا، بل التحقت بعد تخرجها بمركز لتحفيظ القرآن الكريم منذ سنة 2001 مسيحي، واستمرت حتى أتمت حفظ القرآن الكريم، شاركت سنة 2004 مسيحي في المسابقة النسائية المحلية لحفظ وترتيل القرآن في جانب الربع وحصلت على الترتيب الأول، ثم تأهلت للمسابقة العالمية وتحصلت أيضا على الترتيب الأول في جانب الربع، تحاورها فتجدها تشع بهجة وأملا ورغبة في البذل والعطاء، لسان يحسن البيان، وثقة بالنفس ومحبة للإسلام ولكتاب الله الكريم، الذي تراه نورها الذي تبصر به، قرأت في يوم تسابقها فأتحفت الحاضرين بتلاوة عطرة ندية، نالت الإعجاب والثناء والتقدير، ولم أملك حيال هذا البهاء إلا أن أكبر مرارا مرددة


صورة خاصة

مهتدية من غانا تنطق بالشهادتين

قول الله عز وجل:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة الحج: الآية 46]

مستحضرة قول ابن عباس رضي الله عنهما عندما ذهب بصره :

إن يأخذ الله من عيني نورهما
فني لساني وسمعي منهما نور
قلبي ذكي وعقل غير ذي عوج
وفي فمي صارم كالسيف مسلول

❖ الأخت نورة محبوب الدوسري مواليد 1973 مسيحي من دولة قطر، شاركت في جانب النصف، وتحصلت على الترتيب الثاني، وهي حافظة لكتاب الله عز وجل، متزوجة وأم لولد وأربع بنات.

حدثتني على قصتها مع القرآن، فقالت: إنها كانت تتردد على مراكز تحفيظ القرآن الكريم صيفاً فقط

عندما كانت طالبة قبل زواجها، وكانت الحصيلة أنها حفظت خمسة أجزاء من القرآن، ثم تزوجت، وبعد أن رزقها الله عز وجل بطفلتها الثانية دخلت في مسابقة للقرآن الكريم في الأجزاء الخمسة التي حفظتها، وفازت في هذه المسابقة، بعدها قررت الالتحاق بشكل دائم بمركز لتحفيظ القرآن الكريم، واستمرت حتى أتمت حفظ كتاب الله عز وجل بدعم ومتابعة من زوجها.

وقصة نجاح الأخت نورة نوردها لندلل على أن قطرات الخير المباركة تتجمع لتشكل نبعاً فياضا بالعطاء، فلا يجب أن نستهين بالمبادرات الخيرة وان كانت محدودة، فتردد الأخت نورة على مراكز التحفيظ صيفا هو الذي جعلها تحفظ كتاب الله عز وجل بعد ذلك، وتتميز فيه.

ثم لا ننسى تشجيع زوجها لها - جزاه الله خيرا - ونقول إن دفع الزوجة نحو النجاح والتفوق لا ينقص من قدر الرجل، بل يعليه، ويحقق السعادة له ولأسرته في الدنيا، ويلقى الجزاء الحسن في الآخرة.


عوضية الخطيب

❖ وللمتزوجات نقدم نموذجا آخر من الحافظات هي الأخت: عوضية محمد الحسن الخطيب، من السودان، لديها ماجستير، وهي أم لخمسة أبناء، حفظت القرآن الكريم رغم انشغالها الوظيفي ومسؤولياتها الزوجية والمنزلية، إلى جانب ظروفها الاقتصادية، لكن عزيمتها وإصرارها وحبها لكتاب الله العزيز جعلها تواظب على حفظه والاعتناء بدراسة علومه.

❖ وللطالبات نقدم أختنا حفيظة عبده عجلان، من اليمن مواليد 1984 مسيحي، حفظت القرآن كاملاً في عام واحد «2001»، وتقول إن القرآن غير حياتها، وجعلها أكثر نظاما، وأعظم خلقا، وأكثر شعوراً بالمسؤولية، فهي من حملة الكتاب، وبالتالي عليها أن تحسن تقديم الإسلام، وتكون أهلاً لتلك الخيرية والأهلية التي خص الله بها حملته.


إيمان موسى حسن

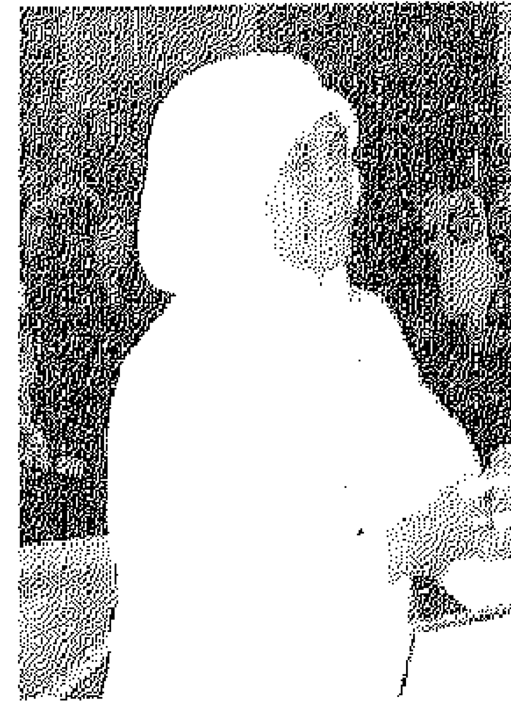
❖ ولننتقل إلى الأخت إيمان السيد موسى حسن، من جمهورية مصر العربية، مواليد 1985 مسيحي، تحصلت على الترتيب الثاني في جانب حفظ القرآن الكريم كاملاً، الأخت إيمان بعد أن أكملت تعليمها وتحصلت على دبلوم تجارة ثانوي لم تضيع وقتها، وذهبت إلى أحد مراكز تحفيظ القرآن الكريم، وثابرت واجتهدت حتى أتمت حفظ كتاب الله عز وجل في ثلاث سنوات، ولقيت التشجيع من أسرتها ومشايخها، تقول إن القرآن أدبها وعلمها الصبر والرضا، وحب الآخرين، وحسن الخلق. وأقول كفى بالقرآن واعظا ومؤدباً.


ريم بسيو

❖ وللذين يحتجون بأن انشغالهم الوظيفي وكثرة أعمالهم تمنعهم من حفظ كتاب الله عز وجل، نقدم الأخت ريم بسيو، من سوريا، طبيبة متخصصة في الباطنة وأمراض القلب، حفظت كتاب الله عز وجل، وجاءت تتنافس فيه، ولم يمنعها انشغالها الدائم في المستشفى وعملها المتعب من حفظ كتاب الله عز وجل وتلاوته، بل وجدته عونا لها في الالتزام وتنظيم الوقت، والأخت ريم - فوق هذا - موهبة في مجال الكتابة، تكتب بأسلوب جيد، ولديها مشاركات في هذا الجانب، تتميز بعذوبة في أسلوبها، ودقة في الطرح، وعمق في الفهم، تحاورك فتجد فيها محاورة لبقة، تحمل آراء بناءة ومقترحات فذة، تؤرقها أحوال المسلمين وتهتم بأمورهم، لأنها تعي أنه من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

❖ وتوقفت كثيرا أمام بعض أخواتنا اللواتي لا

تحسن الكثير منهن سوى لغاتهن المحلية، ومع هذا حفظن الكتاب الكريم، وبهرتنا أختنا «باهرة النجاح قشيرى» من إندونيسيا، مواليد 1983 مسيحي بقراءتها المتميزة وأدائها الرائع، مع أنها لا تتكلم العربية، ولا تفهمها، وقد تحصلت على الترتيب الرابع في جانب حفظ القرآن كاملا، وكذلك فعلت أختنا بتول، من جمهورية إيران الإسلامية، مواليد 1980 مسيحي، حيث جلست على منصة التسابق، ولم تفهم أسئلة لجنة التحكيم بخصوص اسمها والجانب الذي تشارك فيه وغيرها، والكلمات لا تكاد تفهم منها ولسانها لا يكاد يبين، وعندما بدأت في التلاوة قرأت قراءة مسترسلة، بحروف واضحة، ومخارج محققة، وصوت ندي، فقلت: سبحان الله ! وصدق الله العظيم حين قال:


باهرة النجاح قشيرى


بتول

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾
[سورة القمر: الآية 40]

❖ ومن قلب أوروبا، من ألمانيا، جاءتنا أختنا كلثوم الجريدي، تونسية الأصل، مولودة ومقيمة في ألمانيا، لا تجيد الحديث بالعربية إلا قليلا، حفظها والدها القرآن الكريم ومبادئ الدين، ثم انتظمت في المراكز الإسلامية والمساجد بألمانيا لتتعلم دروسا في دينها، كما أنها تتابع القنوات الفضائية الإسلامية لتتعلم منها، تدرس علم الاستشراق، وتقول إنها اختارته حتى تلعب دورا فعالا في أوساطهم، وترد على شبهاتهم التي يرمون بها الإسلام زورا وبهتانا. الأخت كلثوم ملتزمة بأوامر دينها، وتقول إن للأسرة دورها في حفاظها على شربتها، والتزامها بدينها، كما أن الانخراط مع الشباب في أعمال الخير، والمشاركة في النشاطات الإسلامية بشكل دائم يدفعنا للإمام ويجعلنا نحافظ على ديننا حتى لا نفقد هويتنا ونذوب في تلك المجتمعات وتجرفنا تياراتها المنحرفة.


كلثوم الجريدي

❖ ومن سراييفو، عاصمة البوسنة والهرسك، جاءت اختنا أسماء أنس ليفاكوفتش وأخبرتني أنها أتمت دراستها الثانوية في المدرسة الإسلامية في سراييفو التي أسسها غازي خسرو بك في العهد العثماني، قبل حوالي 460 عاما، ثم التحقت بالكلية الإسلامية لدراسة اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية، حفظت القرآن الكريم في المدرسة الإسلامية، وتراها وسيلة هامة لفهم الدين الحنيف، وتحاول بدراستها أن تخدم الإسلام والمسلمين، كما تقول إن الإيمان والتمسك بالعقيدة هو الذي جعل شعبها يتجاوز المحن والصعاب، وإن الله لم يدعهم في تلك الفترة الحرجة، وقد كانوا مستضعفين محاصرين لا يملكون من حطام الدنيا شيئا، لكنهم نجوا وانتصروا بإيمانهم وتمسكهم بدينهم.

«أسماء أنس ليفاكوفتش»، عمرها 21 سنة، لكنها تمتلئ حماسا لهذا الدين ويقينا بانتصاره، وأقول بمثل هؤلاء لم يقدر أولئك الذين أرادوا أوروبا خالية من الإسلام بحلول عام 2000 مسيحي أن يحققوا مآربهم. وانتصر نور الشمس على ظلامهم الدامس.


أسماء انس ليفاكوفتش

وما ضر شمس الضحى في الأفق وهي ساطعة
أن لا يرى نورها من ليس ذا بصر

❖❖❖

عزيزي القارئ.. إنني بهذه النماذج المضيئة التي قدمتها لا أدعي أنني أعطيت الموضوع حقه، ولكني حاولت جاهدة ـ من خلال هذه الفسحة ـ أن أقدم بعضا من درر الإسلام المباركات، تعرفت عليهن في هذه المسابقة الخيرة، لأقدم قدوات صالحات لفتياتنا يتخذن منهن نماذج مضيئة في حياتهن.

ولأقول لمن يقدمون لنا المرأة كسلعة، ويعرضون جسدها ومفاتنها على الشاشات صباح مساء، وكأننا في أسواق للنخاسة تباع فيها المرأة، لأقول لمدعي الحضارة والتقدم: هاكم نخبة من فتياتنا المميزات، ودررنا المباركات، ونجماتنا المتألقات على طبق قرآني، ومائدة عامرة بالعلم والإيمان، تجدون فيها الإيمان القوي، والثبات على الحق، والعقل الحصيف، والأسلوب العذب، والحنان المتدفق، والحب الصادق مع فهم للعصر، وحسن استثمار لأدواته.

وللجميع أقول... إنني قدمت في هذه النماذج الطالبة المجتهدة، والموظفة الناجحة، والزوجة الصالحة، والأم الحانية، والطبيبة الفذة والأريبة، والصغيرة المميزة.

وعرضت نماذج من كافة قارات العالم، ومن بيئات مختلفة، غنية وفقيرة، متحضرة وأقل تحضراً، ومن تجيد اللغة العربية ومن لا تجيدها، وتكلمت عن مشاركات يعشن في بيئات غربية، وأخريات مررن بظروف صعبة، ورغم كل ذلك لم تمنعهن الصعوبات أن يحفظن هذا الكتاب العزيز، ويعتنين به وبدراسته، لأثبت أنه لا الفقر ولا الغنى، لا المرض ولا البيئة، لا صغر السن ولا الزواج لا عظم المسؤوليات، ولا الانشغال الوظيفي، ولا أي ظرف من الظروف حال بين هذه الثلة المباركة وبين دراسة هذا الكتاب الكريم وحفظه، وجعله نورا ينير لهن دروب الحياة كما أراد الله عز وجل وسماه في كتابه العزيز.

وصدق الشاعر حين قال :

فلو كان النساء كمن ذكرن
لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال



الفائزات الأوائل في المسابقة النسائية العالمية الأولى لحفظ القرآن الكريم:

❖ **الجانب الأول حفظ القرآن الكريم كاملاً :**

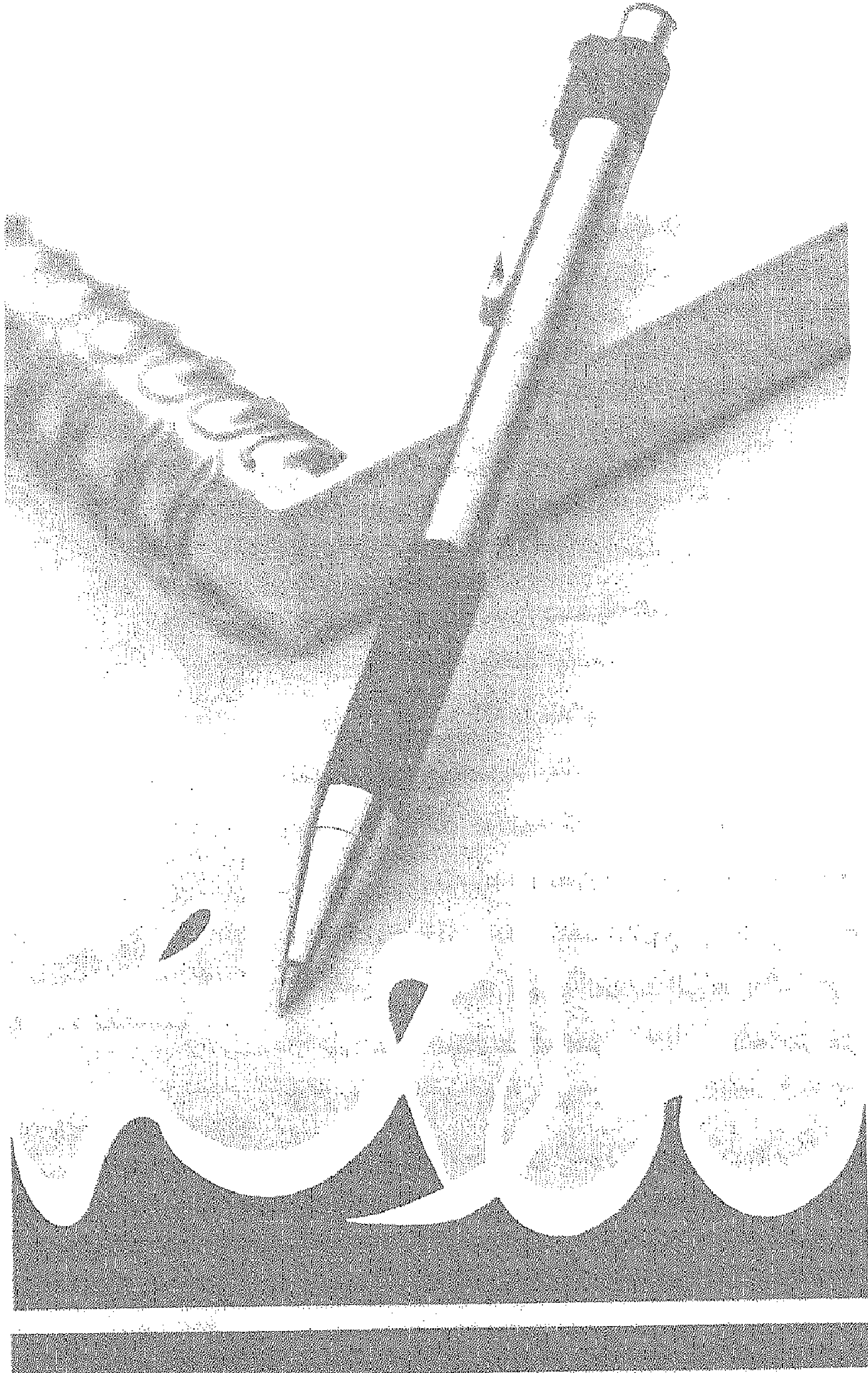
الأولى : آمنة برهون التوهامي / المغرب
الثانية : إيمان السيد موسى / مصر
الثالثة : إيمان عبد القادر لخضر / الجزائر
الرابعة : باهرة النجاح قشيري / إندونيسيا
الخامسة : مروة كامل الدويب / ليبيا

❖ **الجانب الثاني: حفظ النصف الأخير من القرآن الكريم**

الأولى : عائشة الساعدي أبو راس / ليبيا
الثانية : نورا محبوب خميس الدوسري / قطر
الثالثة : سلامة غدو سيب / النيجر

❖ **الجانب الثالث: حفظ الربع الأخير من القرآن الكريم**

الأولى : خديجة عبد القادر حامد / ليبيا
وحجبت لجنة التقييم بقية الجوائز في هذا الجانب لعدم توفر الشروط.



- المؤرخ المغربي د. عبد الهادي التازي يصحح رحلة ابن بطوطة
- عظمة محمد كما يراها ول ديورانت
- من أغاني شيراز
- من ورقاء ابن سينا إلى عنقاء إيليا أبي ماضي



المؤرخ المغربي د. عبد الهادي التازي يصحح رحلة ابن بطوطة

إعداد : **د. عبد العاطي محمد عبد الجليل***

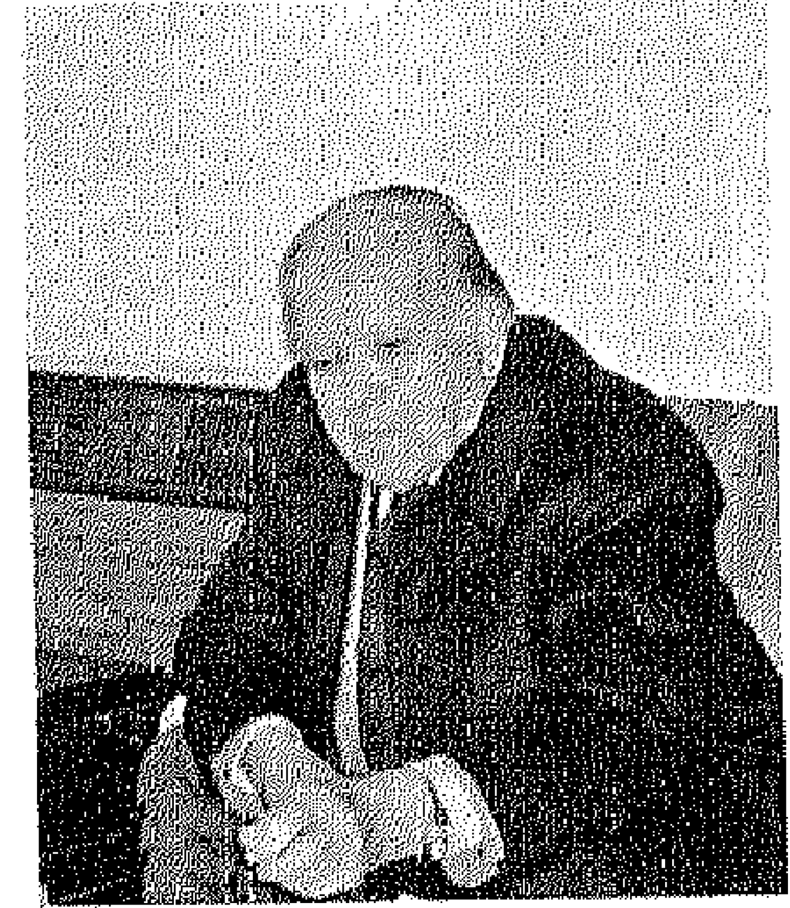
واحة هذا العدد نتفيأ ظلالها مع الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي المؤرخ المغربي الذي لا يمكن أن يكون اللقاء معه مجرد لقاء عادي وعابر، ففي كل مرة التقيه كان يفاجئني بشيء جديد..

وتتحول اللقاءات مع المؤرخ المغربي إلى ما يجعل المكان واحة حقيقية، ويتيح استعادة مشاهد التاريخ الإسلامي في لحظتنا الراهنة.

ذات مرة التقيته، وجرّنا الحديث إلى جزر المالديف..

وما حدث حينذاك تم نشره في العدد الخامس من هذه المجلة.. كانت قصة تروى، وقد رويتها..

وفي الثلث الأخير من الشهر العاشر من عام 2005 مسيحي التقيته مرة أخرى، ولكن هذه المرة في إحدى مدن المغرب، مدينة شفشاون التي احتضنت الملتقى الدولي للتربية والثقافة، والذي ساهمت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في تنظيمه جنبا إلى جنب مع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم وجهات أخرى.


الدكتور عبد الهادي التازي

التقيته صدفة أمام الفندق أو النزل أو الخان إن شئتم الذي أقمنا فيه معاً.. وكان كعادته مرحباً بشوشاً مبتسماً.. ومنذ اللحظة الأولى وعدني بلقاء خاص، وتم اللقاء الذي لم يحضره أحد إلا ابنه الذي كان يرافقه في تلك الرحلة، تحدث عن بعض ذكرياته في ليبيا.. ولأن الحديث ذو شجون وجدنا أنفسنا نتحدث عن ابن بطوطة الذي يعتبره الأستاذ التازي أعظم رحالة في كل العصور.. والأستاذ التازي يرى في ابن بطوطة صديقاً متميزاً، رغم القرون التي تفصل بينهما، يعتبره صديقاً ولا يشعر بالملل وهو يتحدث عنه، كما أنه لا يترك الملل يتسرب

* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي / ليبيا

إلى أي مستمع حين يتحدث عن صديقه ابن بطوطة.

في حواري معه حملني أمانة علمية إلى كل من يمتلك نسخة مطبوعة من رحلة ابن بطوطة، سواء في ذلك الأفراد أو المؤسسات أو المكتبات العامة.

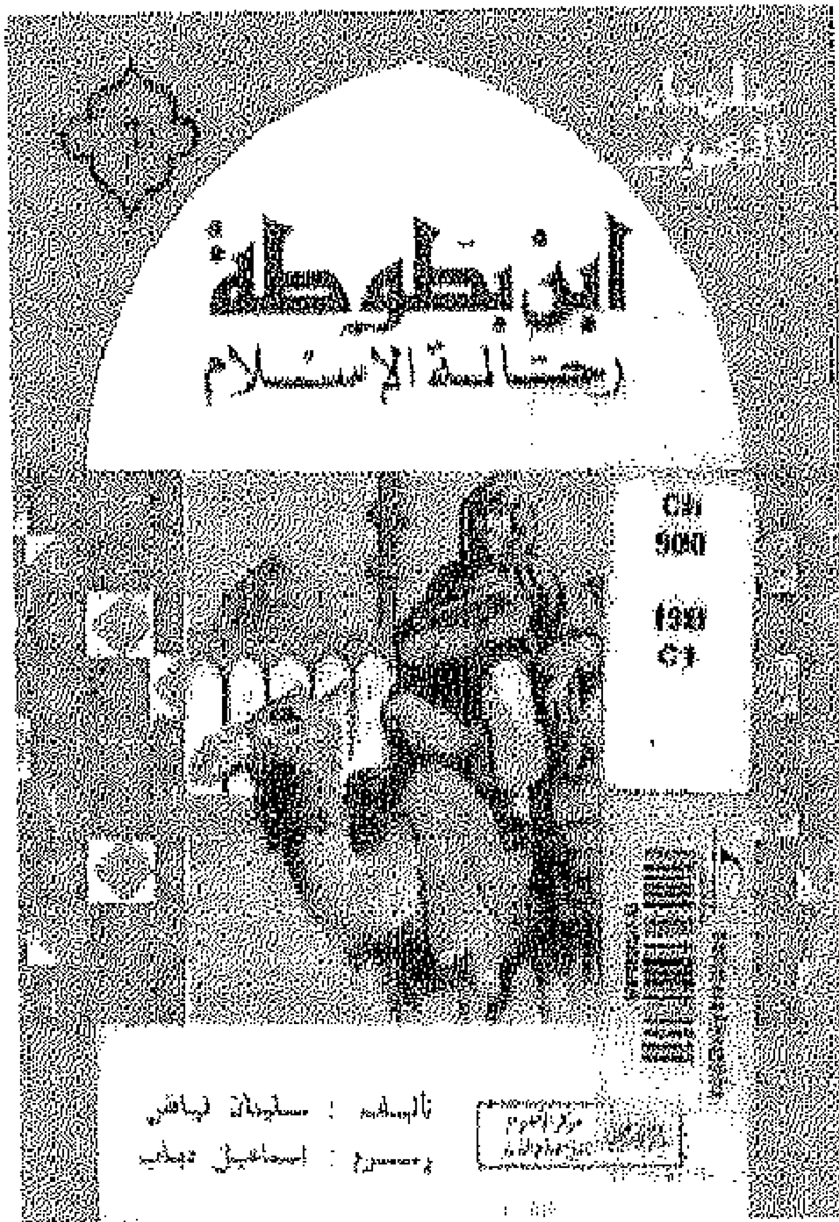
والحق يقال، فإن ما تفضل به الأستاذ التازي من معلومات يستحق أن ينشر، وأن يعمم بكل الطرق والوسائل، لأن الأمر يتعلق بتصحيح هنات ونقص في الرحلة الشهيرة، دفعت بعدد من الباحثين والمستشرقين إلى الطعن في المعلومات التي تحويها إحدى أشهر الرحلات المدونة في التاريخ، إضافة إلى انحيازه للمؤرخة الاسبانية السيدة إيزابيل الباريث دي توليدو، وحكاية النقش المشترك بين قرية قرب نيو يورك والصحراء الليبية.



رسم متخيل لابن بطوطة

ما القصة ؟ وماذا يريد الأستاذ التازي أن يعلنه على الملأ؟ ها أنا ذا أقدم على نشر هذا الجزء المهم من حواري معه.. قال الأستاذ التازي : إنني أخص مجلة التواصل بهذه الملاحظات عن ابن بطوطة فأقول :-

❖ كان السلطان ابو عنان قد عهد إلى ابن جزي بنسخ رحلة ابن بطوطة، ولكن مع تقديرنا لهذا العمل الجليل الذي قام به ابن جزي فإن هناك مؤاخذات عليه، تعتبر من المؤاخذات الأساسية، ويتعلق الأمر بحذف بعض مقاطع من رحلة ابن بطوطة، ووقعت له بعض الأخطاء سواء من حيث التقديم أو التأخير، أو من حيث حذف بعض المقاطع نهائيا من الرحلة.



إحدى طبعات رحلة ابن بطوطة

وأذكر من هذا الهفوات هفوة لا يجوز إطلاقاً السكوت عنها، ويتعلق الأمر بأن الكاتب ابن جزي حصر رحلة لابن بطوطة إلى جنوب فارس «إيران» الأمر الذي أربك كل الباحثين الذين تحدثوا عن ابن بطوطة.

❖ ولماذا أربكهم ؟

- أربكهم لأن حديث ابن بطوطة عن بلاد فارس «إيران» في ذلك الوقت بنفس الكلام الذي نجده في الرحلة كان أمرا غير مقبول، وسأعطيكم ثلاثة أدلة فقط للتدليل على ذلك.

أولاً: تحدث عن وجوده في بلاد فارس «إيران» في عز الصيف مع أن الوقت لم يكن صيفاً، وإنما كان شتاءاً.

ثانياً: ذكر أسماء بعض الحكام في جنوب بلاد فارس «إيران»، مع أن هؤلاء الحكام لم يكونوا إطلاقاً في ذلك الزمن، إنما كانوا بعد هذا الوقت بنحو من ثلاثين سنة.

ثالثاً: أنه نطق ببعض الكلمات التي تتعلق بالإمام الكازاروني، وهذه الكلمات حول الكازاروني إنما تأتّى له أن يحصل عليها بعد زيارته للشيخ.

هذه العوامل الثلاثة جعلت الباحثين والمستشرقين يطعنون في المعلومات التي وردت في الرحلة، ولقد عثرت على نسخة مخطوطة بيد ابن بطوطة، ليست للرحلة، وإنما لكتاب يتعلق بالحديث الشريف عنوانه (المفهم لما أشكل لصحيح مسلم)، هذه النسخة كتبها ابن بطوطة بخط يده، ويقول بالنص «إني نسختها بدمشق عام 727» وهي السنة التي ذكر فيها ابن جزي أن ابن بطوطة زار فيها بلاد فارس «إيران»، أعني أن نسخة ابن جزي تقول إن ابن بطوطة كان في بلاد فارس «إيران»، بينما مخطوطة ابن بطوطة ـ وهي بخط يده ـ تقول إنه كان في دمشق، وبهذا اكتشفنا أن ابن جزي وقع له تخليط وارتباك فيما يتعلق بترتيب الرحلة.

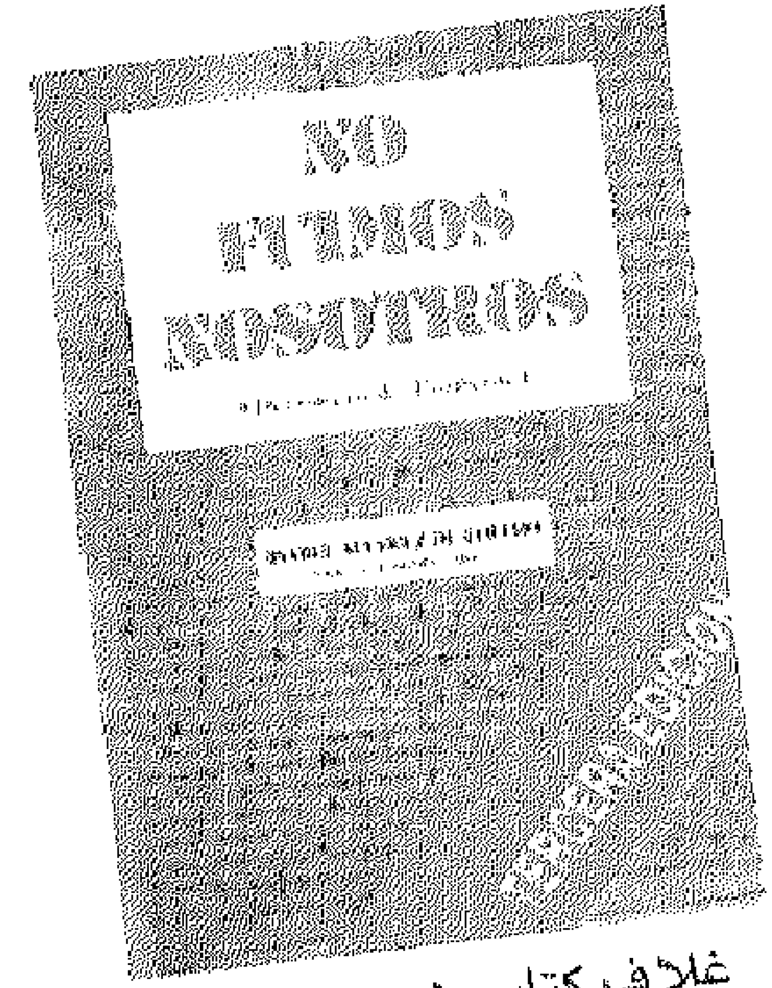
ولهذا أرجوكم بكل إلحاح أن تنبهوا على هذا التناقض الواضح الذي يهم كل الذين يمتلكون رحلة ابن بطوطة في بيوتهم، سواء كانت مطبوعة في المشرق أو المغرب.

❖ منذ ما يقرب من خمس سنوات التقيت المؤرخة السيدة إيزابيل الباريث دي توليد دوقة سيدونيا الاسبانية، وكانت قد أصدرت كتابا بعنوان (لم نكن نحن) وآخر بعنوان (إفريقيا الوجه الآخر لأمريكا) نسفت فيهما وبالوثائق الإدعاء القائل بان كريستوفر كولومبوس المعروف في اسبانيا باسم كريستوبال كولون هو الذي اكتشف أمريكا... الكتابان أثارا جدلا واسعا بين المؤرخين، خاصة الأسبان.. هذه السيدة قالت بأن هناك اتصالات بين القارة الأمريكية والمغرب العربي قبل أن يصل إليها كولون أو كولومبوس... كمؤرخ كيف تُقيّم هذا الرأي؟

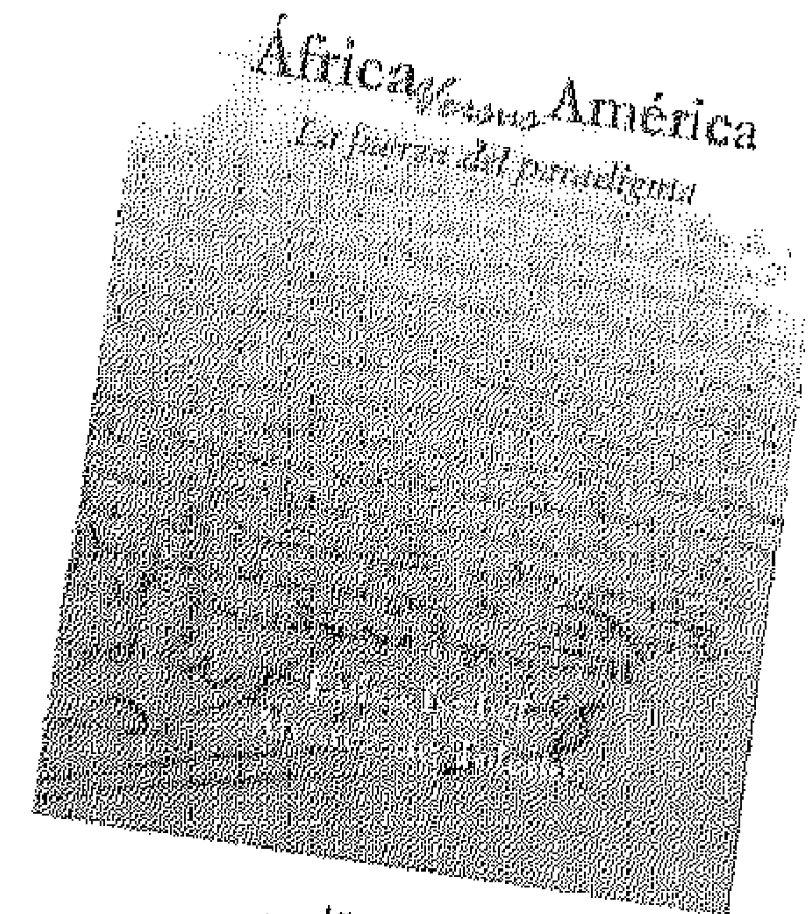
ـ أرجو أن أحيلك إلى ما كتبته في مجلة البحث العلمي حول هذا الموضوع... لكنني أؤكد لك أن الحق مع هذه السيدة... لأن هناك نقش جزء منه يوجد في قرية قرب نيويورك وجزؤه الآخر يوجد قربكم أنتم في ليبيا في تيجيج أو فجيج، هذان الجزآن من النقش يكمل بعضهما بعضا، ومن شأن ذلك أن يحملنا على الاعتقاد الجازم بأن المغاربة وصلوا إلى تلك القارة قبل كولومبوس بكل تأكيد.

❖ ولأن الحديث ذو شجون فقد تحدثنا عن قضايا أخرى عديدة، بدأت من شفشاون ثم اتسعت لتشمل العالم الإسلامي الذي يراه الأستاذ التازي في مرحلة حساسة، وأن المسلمين إن لم يستفيدوا من الدروس التي مروا بها فليس أمامهم غير مزيد من المعاناة.

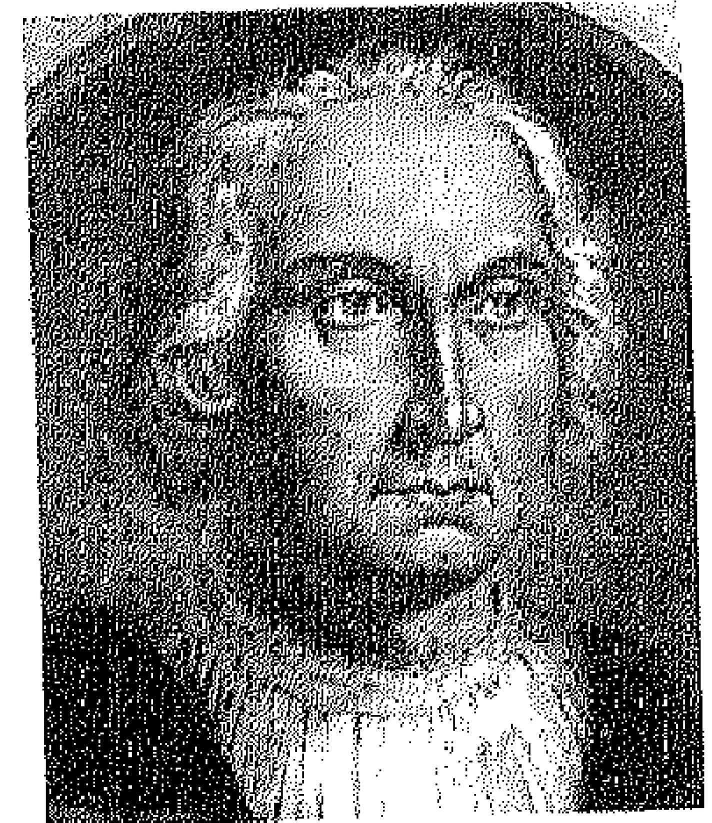

الدوقة إيزابيل الباريث دي توليد

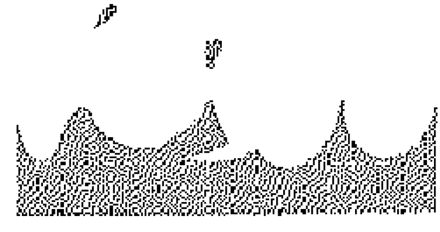


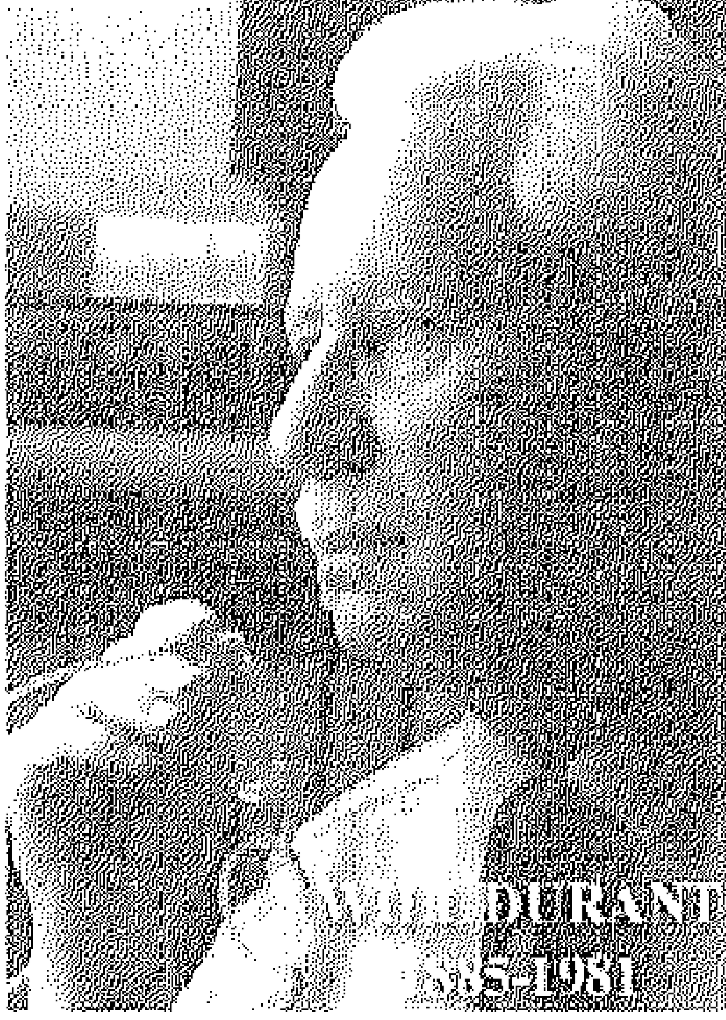
غلاف كتاب: لم نكن نحن



غلاف كتاب:
إفريقيا الوجه الآخر لأمريكا

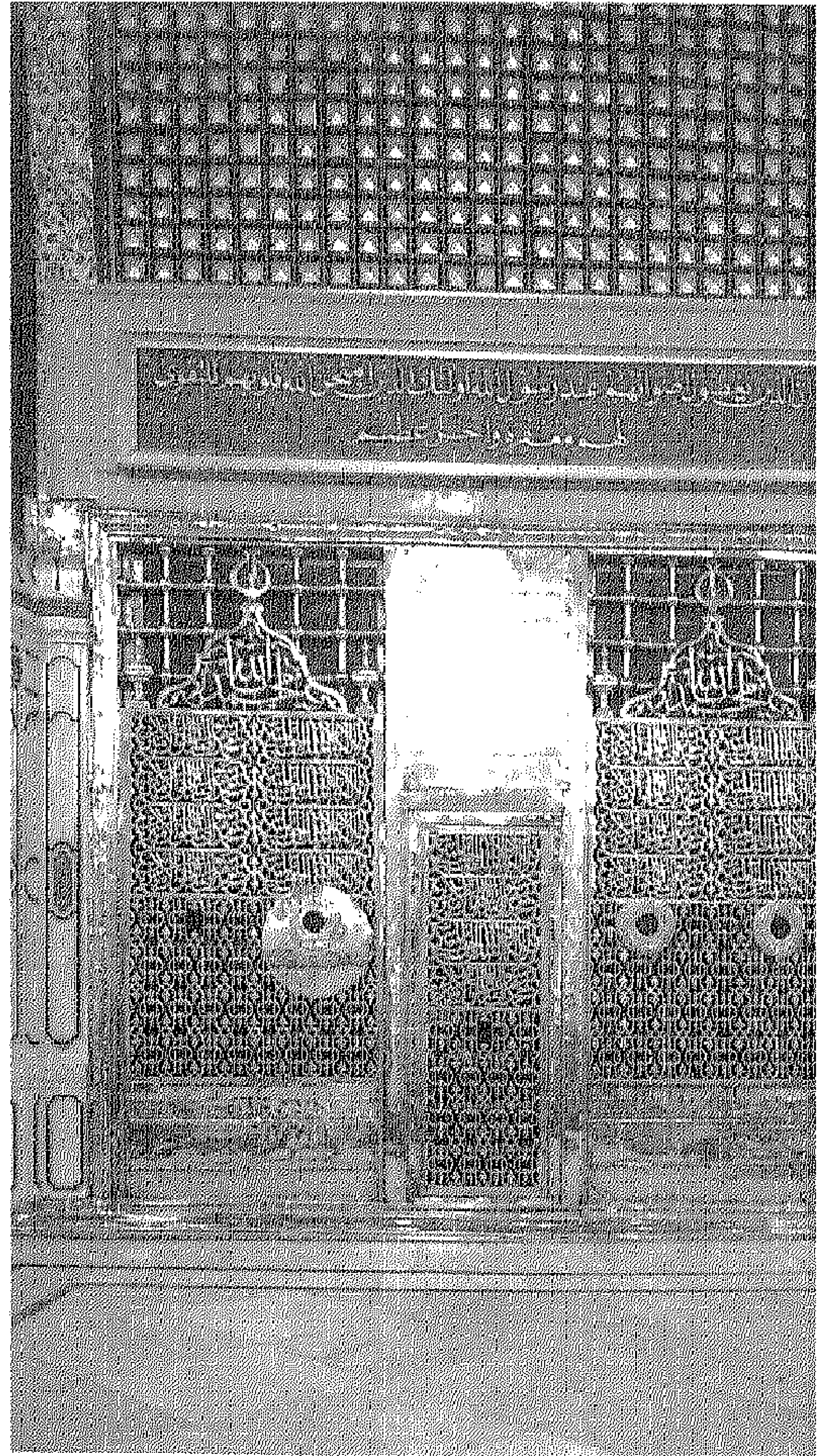

كريستوفر كولومبوس
(كريستوبال كولون)





عظمة محمد ﷺ كما يراها وِل ديورانت

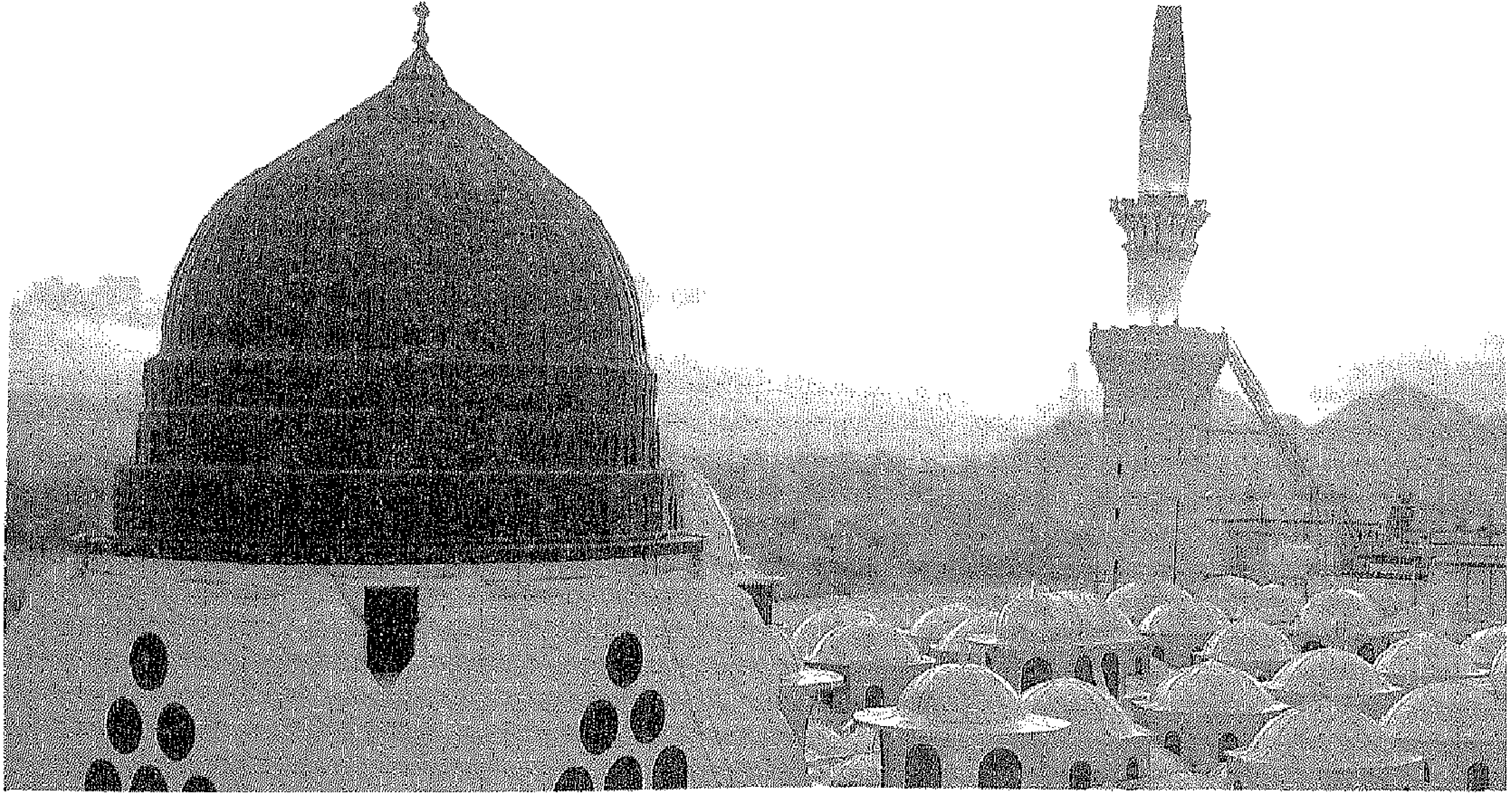
إعداد : **التحرير**



ول ديورانت Will Durant أحد أشهر المفكرين في العصر الحديث.

عُرِفَ بموسوعته الشهيرة (قصة الحضارة) The Story of Civilization وكتابه (قصة الفلسفة) The Story of Philosophy. وكتابته تتسم بالإنصاف إلى حدّ بعيد، ومن علامات إنصافه قوله في النبي محمد ﷺ :

«كانت حياة النبي محمد في غاية البساطة، وكانت البيوت التي سكن فيها، واحداً بعد الآخر، من اللبن، لا يزيد اتّساعها على اثني عشر أو أربعة عشر قدما، ولا يزيد ارتفاعها عن ثمانية أقدام سقفها من جريد النخل، وأبوابها ستائر من شعر المعز أو وبر الجمال، أمّا الفراش فلم يكن أكثر من حشية تُفرشُ على الأرض، ووسادة، وكثيراً ما كان يُشاهد وهو يخصفُ نعليه، ويُرقّع ثوبَه، وينفخ النّار، ويكنسُ الدّار، ويحلب عنزة البيت في فنائه، ويبتاع الطّعام من السوق، وكان يأكلُ بيده، ويلعق أصابعه بعد كلّ وجبة، وكان طعامه الأساسي التمر وخبز الشعير، وكان اللبن وعسل النحل كلَّ ما يستمتع به من الترف في بعض الأحيان. ولم يتعاط الخمر التي حرّمها هو على غيره، وكان لطيفاً مع العظماء، بشوشاً في أوجه الضعفاء، عظيماً مهيباً أمام المتعاظمين المتكبرين، متسامحاً مع أعوانه، ويشترك في



المسجد النبوي بالمدينة المنوّرة.

تشييع كلّ جنازة تمرّ به، ولم يتظاهر قط بأبهة السلطان. وكان يرفض أن يوجّه إليه شيءٌ من التعظيم الخاص. يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام، ولا يطلب من عبدٍ أن يقوم له بعمل يجد لديه من الوقت والقوّة ما يمكنانه من القيام به لنفسه. ولم يكن ينفق على أسرته إلا القليل من المال رغم ما كان يرد إليه من الفيء وغيره من الموارد، وأما ما كان ينفقه على نفسه فقد كان أقل من القليل، وكان يخص الصدقات بالجزء الأكبر من هذا المال. لكنه كان ككلّ الناس يعتني بمظهره الشخصي، فكان يتعطّر ويكتحل، ويصبغ شعره، ويلبس خاتماً نُقِشَ عليه «محمد رسول الله»، وربما كان الغرض من هذا الخاتم هو توقيع الوثائق والرسائل. وكان صوته حلواً يأسر القلوب، وكان مُرهف الحسّ إلى أبعد حد، لا يطيق الروائح الكريهة، ولا صلصلة الأجراس، أو الأصوات العالية. ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان: الآية 19]

وقد قضى على كثير من الخرافات الهمجية كفقء أعين بعض الحيوانات لوقايتها من الحسد، أو ربط بعير الميت عند قبره... وإذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إنّ محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحيّ والأخلاق لشعبٍ ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يُدانه فيه أيُّ مُصلحٍ آخرَ في التاريخ كلّه. وقلّ أن نجدَ إنساناً غيره حقّق كلّ ما كان يحلُمُ به. وقد وصل إلى ما كان يبتغيه عن طريق الدين، ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه شديد التمسّك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوّة الدين تدفع العربَ في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه، فقد لجأ إلى خيالهم، وإلى مخاوفهم وآمالهم، وخاطبهم على قدْرِ عقولهم. وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان، قليلٌ عددُها متفرقةٌ كلمتُهَا، وكانت عند وفاته أمةً مُوحّدةً مُتماسكة. وقد كبح جماح التعصّب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم ديناً سهلاً واضحاً قويّا، وصَرْحاً خُلُقيّاً قِوامُه البَسالةُ والعزّة. وقد استطاع في جيلٍ واحدٍ أن ينتصرَ في مائة معركة، وفي قرنٍ واحدٍ أن يُنشئَ دولةً عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوّةً ذات خطرٍ عظيمٍ في نصف العالم».

من أغاني شيراز

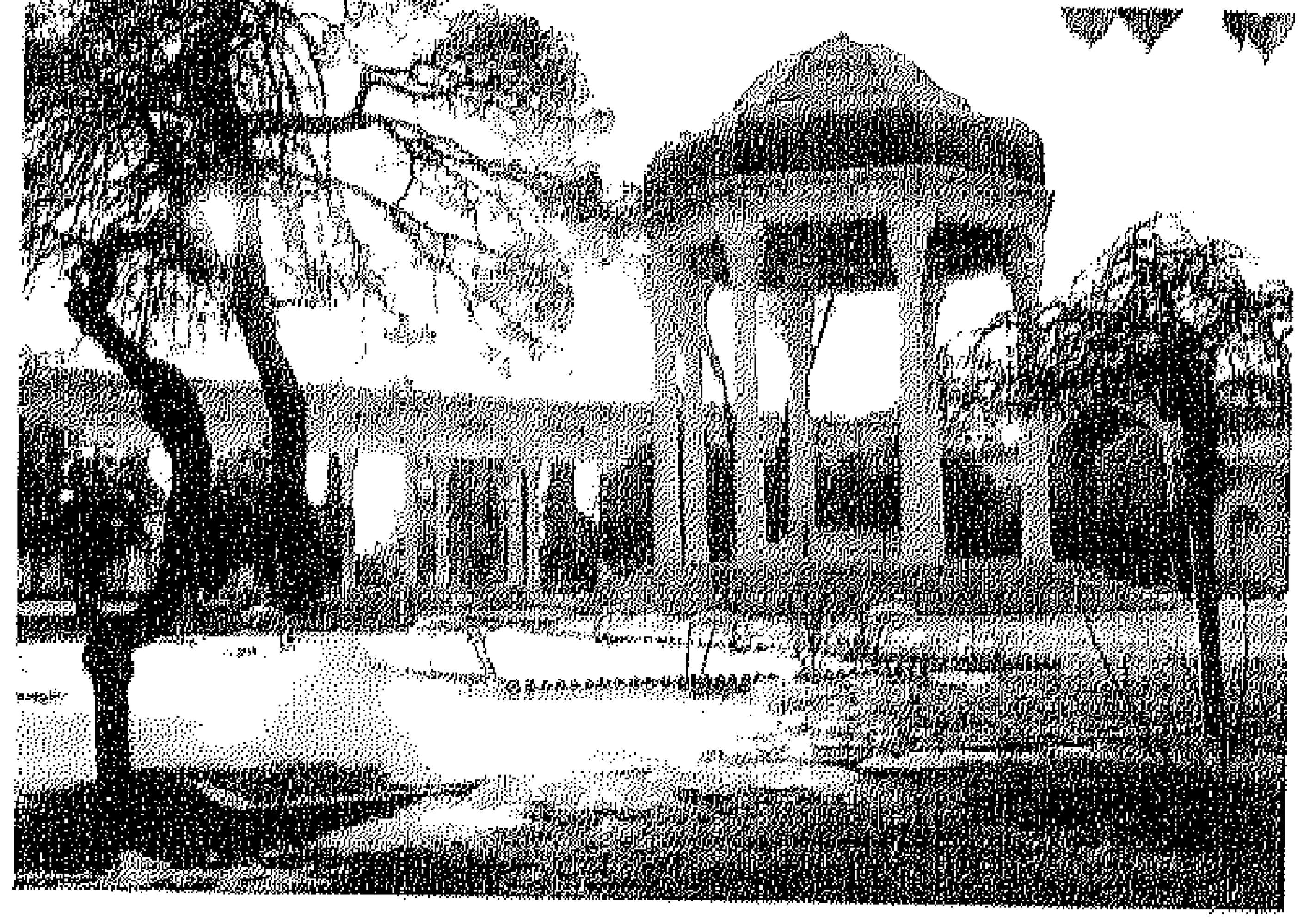
إعداد : **التحرير**

شيراز قِبلَةُ الشعر، ومهوى الشعراء.

ولو لم يكن لشيراز من شرف إلا أنها أنجبت اثنين من أعظم شعراء الإنسانية، وهما سعدي وحافظ لكفاها شرفاً على مرّ التاريخ.

وشيراز التي تغنى بها حافظ، خلدها التاريخ بأغانيه التي عُرفت على مرّ الزمان بأغاني شيراز، أو غزليات حافظ الشيرازي.

في القرن الثامن الهجري عاش في شيراز شاعر عظيم تغنى بالحبّ والجمال، يُلقّب بـ (لسان الغيب وترجمان الأسرار). هو شمس الدين محمد الخواجه حافظ الشيرازي.



ضريح حافظ شيرازي

اشتغل حافظ في أوّل عمره خبازا، فكان كعادة الخبازين يستيقظ في نصف الليل ويقوم بعمله حتى الفجر، ثم يشتغل بالعبادة بعد الفراغ من العمل. وإذا ارتفعت الشمس في السماء توجّه إلى مدرسة بالقرب منه ليقضي فيها وقتاً في الدرس والتحصيل، وكان يقتصد جزءاً من أجره اليومي ليدفعه إلى معلّمه أجراً لتعليمه، حتى أكمل حفظ القرآن وإتقانه، فسمي بذلك (الحافظ)، وهو اللقب الذي صحبه واشتهر به لمّا لمع نجمه في سماء الشعر والتصوّف والمعرفة.



ولحافظ ديوان ضخم أثار انتباه العالم في الشرق والغرب، فتُرجمت بعض قصائده إلى الألمانية في القرن الثامن عشر على يد ڤاهل Wahl، ثم تَرجَمَ ديوانه ترجمة كاملة إلى الألمانية ڤون هامر

Von Hammer سنة 1812، كما تُرجِمَت بعض غزلياته إلى الفرنسية، وتُرجم شعرُه كاملاً إلى اللغة الإنجليزية سنة 1891 على يد ويلبر فورس كلارك Wilberforce Clarke كما ظهرت له سنة 1901 ترجمة أخرى إلى الإنجليزية منظومة في ثلاثة أجزاء قام بها جون باين John Payne وها هي ذي بعض غزلياته مأخوذة من ديوانه (أغاني شيراز) الذي ترجمه إلى العربية د. إبراهيم أمين الشواربي في الأربعينيات من القرن الماضي.

أفلَتُ من مقدوري يا قلبي اقتدارا

أسفاً سيصبح أمري مُفتّحاً وجهارا

يا ريح ! قومي هبّي في مركبي وَخُبّي

فربما رأينا حبيبنا المختارا

أيامنا الدّواني، خُرافة الأماني

الغُنمُ فيها قُربي مِنَ الحبيبِ دَارًا

يا صاحِبَ الكرامه! شُكراً لك السلامه

انظر لنا بحنانٍ إنا هنا حيارى

وراحة الأماني، تفسيرها يدريه

من للصّديق تتمنّى،وللعدوّ دارا

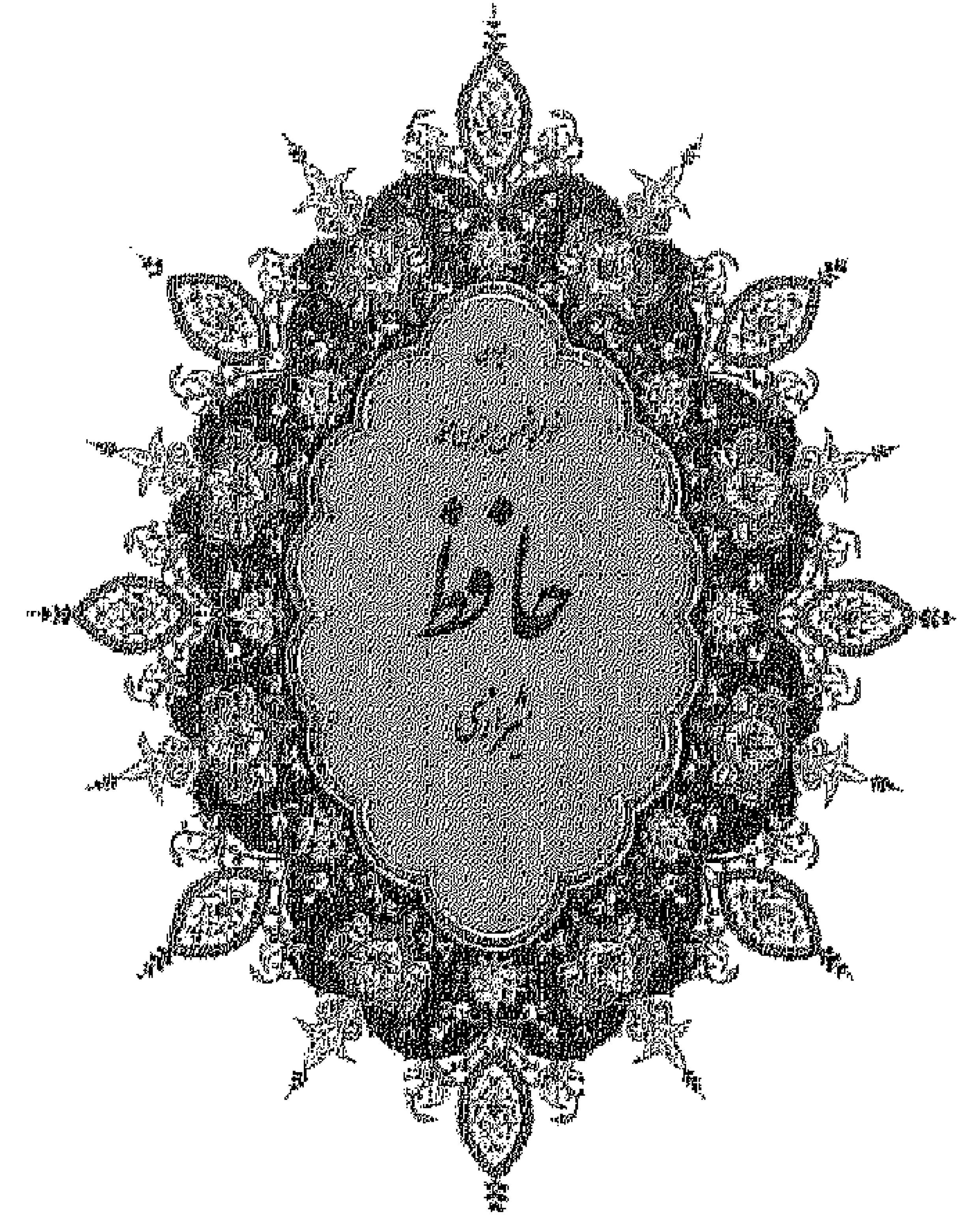
أيامنا إن ضاقت نحسو بها البواقي

فهذه إكسيرٌ يُضحي الفتى جبّارا

فلا تَكُن عنيدا، فتحترق أكيدا

فالصخر أضحى شمعاً في كفه صارا





غلاف ديوان حافظ بالفارسية

إلـــــيّ بِـــــكأسٍ ســــــقـــــاه الدلال

بـــكأس الـــكـــرامـــة كـــأس الـــكـمـــال

فـــإنـــي حُـــرمتُ هـــنـــاءَ الـــقـــلـــوب

وأصـــبـــحتُ وحـــدي طـــريـــدَ الـــكـــروب

فـــأسْـــرِع إلـــيّ بِـــفـــتحِ الـــفُـــتـــوح

وَهَـــب كَـــنـــزَ قَـــارونَ أو عُـــمـــرَ نوح

وأقبـــل إلـــيّ بِـــنـــارِ السّـــعـــيـــر

بِـــشـــمسِ الشُّـــمـــوسِ تُـــنـــيرُ الأثيـــر

فـــإنـــي بـــتـــأيـــيـــد كأسِ الـــمُـــدام

خَـــبِـــرْتُ الـــبـــرايا وسِـــرَّ الأنام

تعَـــالَ إلـــيّ بـــكَـــأسِ الـــكـــؤوس

فَـــأحـــيـــى الـــرجَـــاءَ وأحـــيـــى الـــنّـــفوس

وقُـــل لـــي كـــمـــا قَـــال أمسِ الـــكـــثـــيـــر

بأنّ الـــحـــيـــاةَ مـــتـــاعٌ يَـــســـيـــر

تـــعـــالَ إلـــيّ، هـــنـــا السّـــلـــســـبـــيـــل

وفـــيـــه مـــن الـــخُـــلـــدِ أبهـــى دليـــل

وقُـــل خـــذ شرابـــاً نـــقـــيّـــاً طـــهـــورا

يـــزيـــدُ الـــحـــيـــاةَ مُـــنـــى وسُـــرورا

وَقُـــل لـــي بِـــأنـــغـــامِ نـــايٍ حـــزيـــن

سَـــبـــيـــلُ الـــحـــيـــاة سَرابُ السّـــنـــيـــن

وطـــهّـــر فُـــؤادي بـــغَـــسْـــلِ الـــعـــيـــوب

فـــبـــالـــغـــســـل آمنُ هَـــوْلَ الـــكُـــروب

❖❖❖



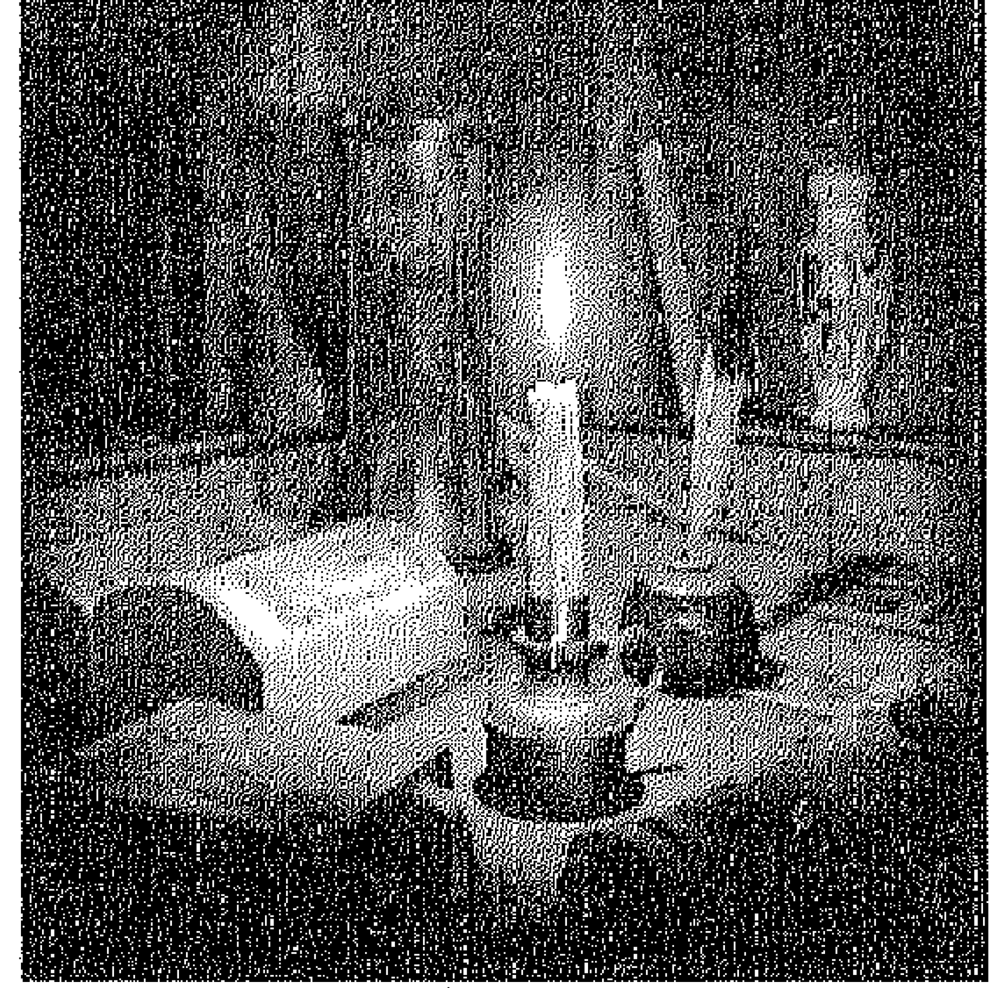


لقد مضت سنوات طويلة وأنا أتبع مذهب الخلعاء المعربدين..
حتى استطعتُ في النهاية بفتوى العقل أن أسجن الحرص في قرار مكين..
ولم أذهب وحدي.. ومن تلقاءِ نفسي.. إلى منزل العَنقَاء..
ولكنني قَطعتُ هذه الرحلة مع « طائر سليمان» في يُسرٍ ورخاء..
فيا كنزي المتنقّل.. ! ألْقِ بِظلالِكَ على قلبيَ الجريح..
فقد خرّبتُ منزلي من أجلك.. لعلي أصلُ إليك وأستريح..
ولي طمعٌ في «لطفِ الأزل» أن يوصلني إلى جنة الفردوس والرضوان..
ولو أنني كثيراً ما قمتُ بالحراسةِ والمراقبةِ على باب الحان..



تعالَ ! الكَأسَ ناولني بِعَرْفِ الورْدِ أحْسوها
سُقوفُ الكَوْنِ حَطّمها وأنشئ عَالَمَاً آخرْ
فَإن شاءوا دمي ثأراً لإرهابي وتخويفي
طلبتُ السّاقيَ الشّادي لِقَهْرِ القَاتِلِ الغَادِرْ
فدعني واملأ الأقْداحَ من خَمْرٍ مُروّقةٍ
ودَعْني وانثُرِ الأعْوادَ فوق المجمر العاطر
وامسك أيها الشادي برأس العود واطربني
فإني راقِصٌ تيهاً ورأسي بِالمُنَى دائرْ
ويا مرّ الصّبا خُذني إلى أحْضَانِ محبوبي
لكي ألقاه في يُمنٍ بِذاكَ المنزِلِ العَامِرْ
ويرضى بِالحِجى فَرْدٌ ويَشقى بِالنُّهى فَرْدٌ
فدعني أهْمِلُ الدّنيا لِشأنِ الخَالِقِ القَادِرْ





أنـا المشهور في بلدي بأمر العشق والحبِّ
وعيني ما رأت نُكراً ولم يَأثم بها قلبي
أفي بالعهد لا لومٌ يُنغصني ويؤذيني
ولا غضَبٌ يُعرقلني ويمنعني عن الحبِّ
وفي شرعي إذا أُوذيتُ أنْ أمضي إلى حالي
فلا أُوذِي ولا أُوذَى ولا أشعُرُ بالكرَبِ
سألتُ الشيخَ هل يدري نجاتي أين ألفيها
فقالَ: عليك يا ولدي بستْرِ الإثمِ والعَيْبِ
ومالِيَ في المُنى أمَلٌ لأرجوهُ وَأطلُبُه
سوى أن اقطفَ الوردَ كفعْلِ العَاشِقِ الصّبِ



من ورقاء ابن سينا
إلى عنقاء إيليا أبي ماضي

إعداد : **التحرير**

هبطتْ إليكَ مِنَ المحلِّ الأرْفَعِ
وَرْقَاءُ ذاتُ تَعَزُّزٍ وتَمَنُّعِ
محجوبةٌ عن كُلِّ مُقْلَةِ ناظِرٍ
وهي التي سَفَرَت ولم تَتَبرْقَعِ
وَصَلَت عَلى كُرْهٍ إليكَ وَرُبّما
كَرِهَتْ فِرَاقَكَ وهي ذاتُ تَوَجُّعِ
أنِفَت وَما سَكَنَتْ فلما واصَلَت
ألِفَتْ مُجَاورةَ الخَرابِ البَلْقَعِ
وأظُنُّها نَسِيَتْ عُهوداً بالحِمى
وَمَنازِلاً بِفِراقِهَا لم تَقْنَعِ
حتى إذا اتّصلَتْ بهاء هبوطها
عن ميمِ مَرْكَزِهَا بذاتِ الأجرَعِ
عَلِقَتْ بِها ثاءُ الثّقيلِ فأصبَحَتْ
بينَ المَعَالِمِ والطُّلولِ الخُضَّعِ



الشيخ الرئيس إبن سينا

من أجمل ما كُتِبَ في النفس أو الروح ما أنشده الشيخ الرئيس في قصيدته العينية الشهيرة التي عارضها الشعراء تشطيراً وتخميساً. وفيها يقول:

تـبـكـي إذا ذكَـرَتْ عُـهـوداً بـالحِمى
بـمَـدامِـعٍ تَـهْـمـي ولم تَـتَـقَـطَّـعِ

وَتَـظَـلُّ سَـاجِـعَـةً عـلـى الـدِّمَـنِ الـتـي
دُرِسَـت بِـتَـكْـرَارِ الـرِّيَـاحِ الأربَـعِ

إذْ عَـاقَـهَـا الشَّـرَكُ الـكَـثـيـفُ وصَـدّهـا
فَـقَـفَـصٌ عـن الأوجِ الـفَـسـيـحِ المُرْبِـعِ

حـتـى إذا قَـرُبَ المسيرُ إلى الحمـى
ودَنَـا الـرّحـيـلُ إلى الـفَـضَـاءِ الأوسَـعِ

هـجَـعَـتْ وقـد كُـشِـفَ الحِجَـابُ فَـأبْـصَـرَتْ
مـا لـيسَ يُـدرِكُ بِـالـعُـيـونِ الـهُـجّـعِ

وَغَـدتْ تُـغَـرّدُ فَـوْقَ ذُرْوَةِ شَـاهِـقٍ
والـعِـلْـمُ يَـرْفَـعُ كُـلَّ ما لَـم يُـرْفَـعِ

فَـلأيِّ شـيءٍ أُهْـبِـطَـتْ مـن شَـامِـخٍ
عَـالٍ إلى قَـعْـرِ الحَضِـيضِ الأوضَـعِ

إن كَـان أنْـزَلَـهَـا الإلهُ لِـحِـكْـمَـةٍ
طُـوِيَـتْ عـن الـفَـذِّ الـلَـبـيبِ الأرْوَعِ

فَـهُـبـوطُـهَـا لا شَـكَّ ضَـرْبَـةُ لازِبٍ
لِـتَـكُـونَ سَـامِـعَـةً لما لم يُـسْـمَـعِ

وتَـعـودُ عَـالِـمَـةً بِـكُـلِّ خَـفِـيّـةٍ
فـي الـعَـالمينَ فَـخَـرْقُـهَـا لم يُـرْقَـعِ

فَـكَـأنـه بَـرْقٌ تَـألّـقَ في الحِمـى
ثـمّ انْـطـوى فَـكَـأنه لم يَـلمَـعِ



وفي قصيدة العنقاء لشاعر المهجر الكبير إيليا أبي ماضي معارضاً عينيّة الشيخ الرئيس:



أنا لستُ بالحسناءِ أوّلَ مُولَعِ — هيَ مَطْمَعُ الدنيا كمَا هيَ مَطْمَعي
فاقصُص عليَّ إذا عرَفتَ حديثَهَا — واسْكنْ إذا حَدّثْتَ عنها واخْشَعِ
ألمَحْتَهَا في صورةٍ؟ أشَهِدتَهَا — في حَالَةٍ؟ أرَأيتَهَا في موضعِ؟
إني لذو نفسٍ تَهيمُ وإنّها — لَجَميلَةٌ فوقَ الجَمَالِ الأبْدَعِ
وَيَزيدُ في شَوقي إليها أنّها — كالصّوتِ لم يُسْفِرْ ولم يَتَقَنّعِ
فَتّشْتُ جيبَ الفَجْرِ عنها والدّجى — وَمَدَدتُ حتى للكَواكِبِ أُصْبُعي
فإذا هُما مُتَحيّرانِ كلاهُمَا — في عاشِقٍ مُتَحيّرٍ مَتَضَعْضِعِ
رَقَصَتْ أشِعَّتُهَا على سَطْحِ الدّجى — وعلى رَجاءٍ في غيرِ مُشَعْشِعِ



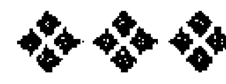
والبَحْرُ كم ساءلْتُهُ فتَضَاحَكَتْ — أمواجُهُ من صَوتيَ المُتَقَطّعِ
فَرجعتُ مُرتَعِشَ الخواطرِ والمُنى — كحمامَةٍ محمولَةٍ في زَعْزَعِ
وَكَأنّ أشْبَاحَ الدّهورِ تألّبت — في الشّطِ تضحكُ كلّها من مرجعي
ولكم دخلتُ إلى القُصورِ مُفَتّشاً — عنها، وعجّت بدَارِسَاتِ الأربُعِ
إن لاحَ طيفٌ قُلتُ: ياعينُ انظُري — أو رنَّ صوتٌ قُلتُ: يا أذنُ اسمعي
فإذا الذي في القَصرِ مثلي حائرٌ — وإذا الذي في القَصْرِ مثلي لا يعي



قالوا: تَورّعْ، إنها محجوبَةٌ إلا عن المُتزهّد المُتورّعِ
فَوَدَأْتُ أفراحي وَطَلّقتُ المُنى ونَسَختُ آياتِ الهوى من أضلُعي
وحَطَمْتُ أقداحي ولمّا ارتوِ وعَفَفْتُ عن زادي وَلمّا أشْبَعِ
وحَسَبتُني أدنو إليها مُسرِعاً فوجَدْتُ أنّي قد دَنَوْتُ لِمصرَعي
ما كان أجْهَلَ نُصّحي وَأضَلّني لمّا أطَعتُهمُو ولم أتمنّعِ

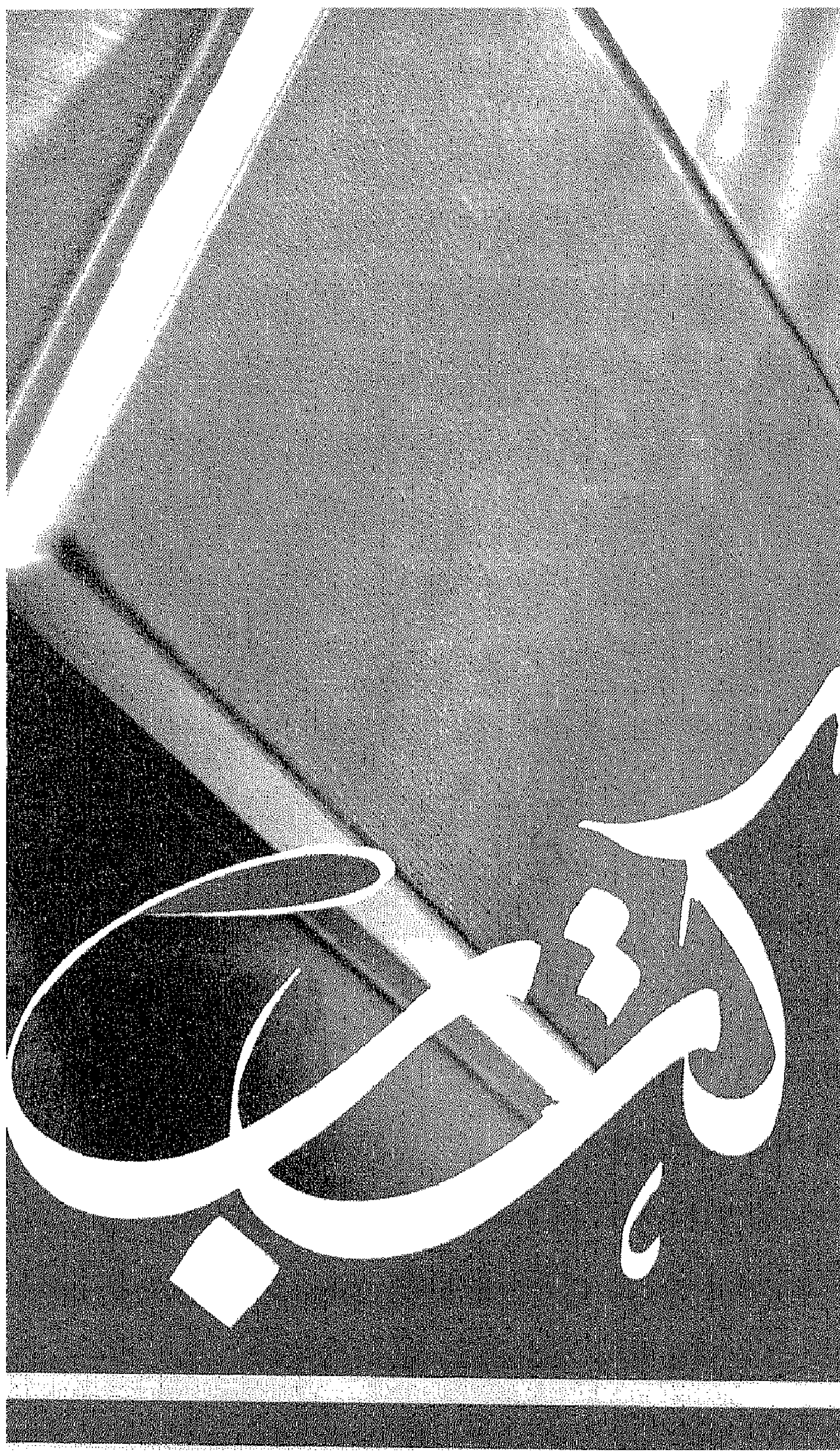


وكأنني العصفورُ عَرّى جِسْمَهُ من ريشِه المُتناسِقِ المُتلمّعِ
لِيَخِفَّ مَحْمَلُه فَخرّ إلى الثّرى وَسَطا عليه النَّمْلُ غيرُ مُروّعِ
وهجمتُ أحسَبُ أنها بنتُ الرؤى فصَحوتُ اسخَرُ بالنّيام الهُجّعِ
ليست حُبورًا كُلّها دُنيا الكَرى كم مُؤلِمٍ فيها بِجَانِبِ مُفْزِعِ
تُخفي أمانيَ الفتى كَهمومه عنه وتَحجِبُ ذاتَه في بُرْقُعِ
ثم انتبَهت فلم أجِد في مخدعي إلا ضَلالي وفِراشي ومَخدعي

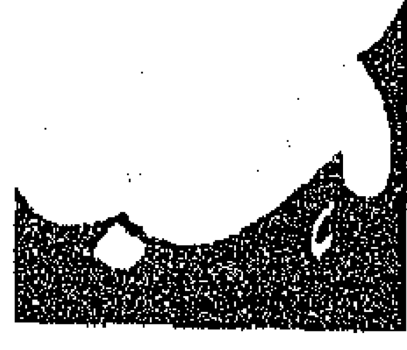


وَلَمَحْتُ وامِضَةَ البُروقِ فَخِلْتُها فيها فلم تكُ في البُروقِ اللمّعِ
صَفِرَتْ يدي منها وبي طيشُ الفتى وأضَلّني عنها ذَكَاءُ الألمعي
حتى إذا نَشَرَ القُنوطُ ضَبَابَه فوقي فغَيّبني وغَيّبَ موضِعي
وتَقَطّعت أمْراسُ آمالي بها وهي التي مِنْ قَبْلُ لم تَتَقطّعِ
عَصَرَ الأسى روحي فسالت أدمُعاً فَلَمَحْتُها ولَمَستُها في أدْمُعي
وَعَلِمتُ حين العِلْم لا يُجدي الفتى أنّ التي ضَيّعتُها كانت معي





- صورة الإسلام في الإعلام الغربي
- إنسانية الإسلام



صورة الإسلام في الإعلام الغربي

المسلمون في الحاجة إلى خطاب إعلامي يتجاوز العاطفة ومؤسس على الانفتاح النقدي

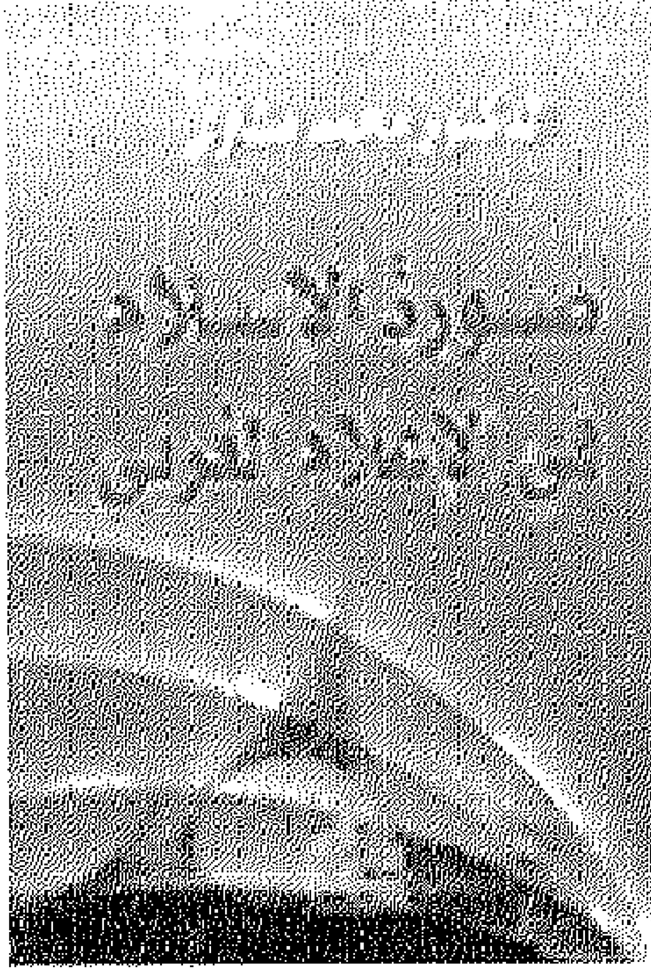
عرض: **التحرير**

مبدئياً، من السهل خندقة أسباب نزول كتاب «صورة الإسلام في الإعلام الغربي» ضمن استحقاقات حقبة ما بعد أحداث الثلاثاء الأمريكي الأسود، وخاصة وأننا نعيش في فترة تتميز بتصاعد الحملات الإعلامية العدائية ضد الإسلام والمسلمين عبر تمرير صور نمطية عن الإسلام تختزله في ديانة تتبنى العنف وتحرض على التطرف وتعارض الحداثة، لولا أن صاحب الكتاب، محمد بشاري، الذي يشغل منصب رئيس الفيدرالية العامة لمسلمي فرنسا وأمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي، يشير في تمهيد الكتاب إلى أنه اشتغل على تحريره قبل تاريخ صدمة أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001.

خصص الفصل الأول لاستعراض أهم المميزات التي تطبع صورة الإسلام في وسائل الإعلام الأوروبية، مع الاستشهاد ببعض النماذج، منها الإعلام الألماني مثلا، وكذلك من خلال استعراض بعض معالم تعامل وسائل الإعلام الأوروبية مع بعض القضايا التي تهم الإسلام.

كما يضم الكتاب فصلاً مخصصاً لبعض النماذج النمطية التي تميز صورة الإسلام في الإعلام الأوروبي، اعتمادا على بعض نماذج من وسائل

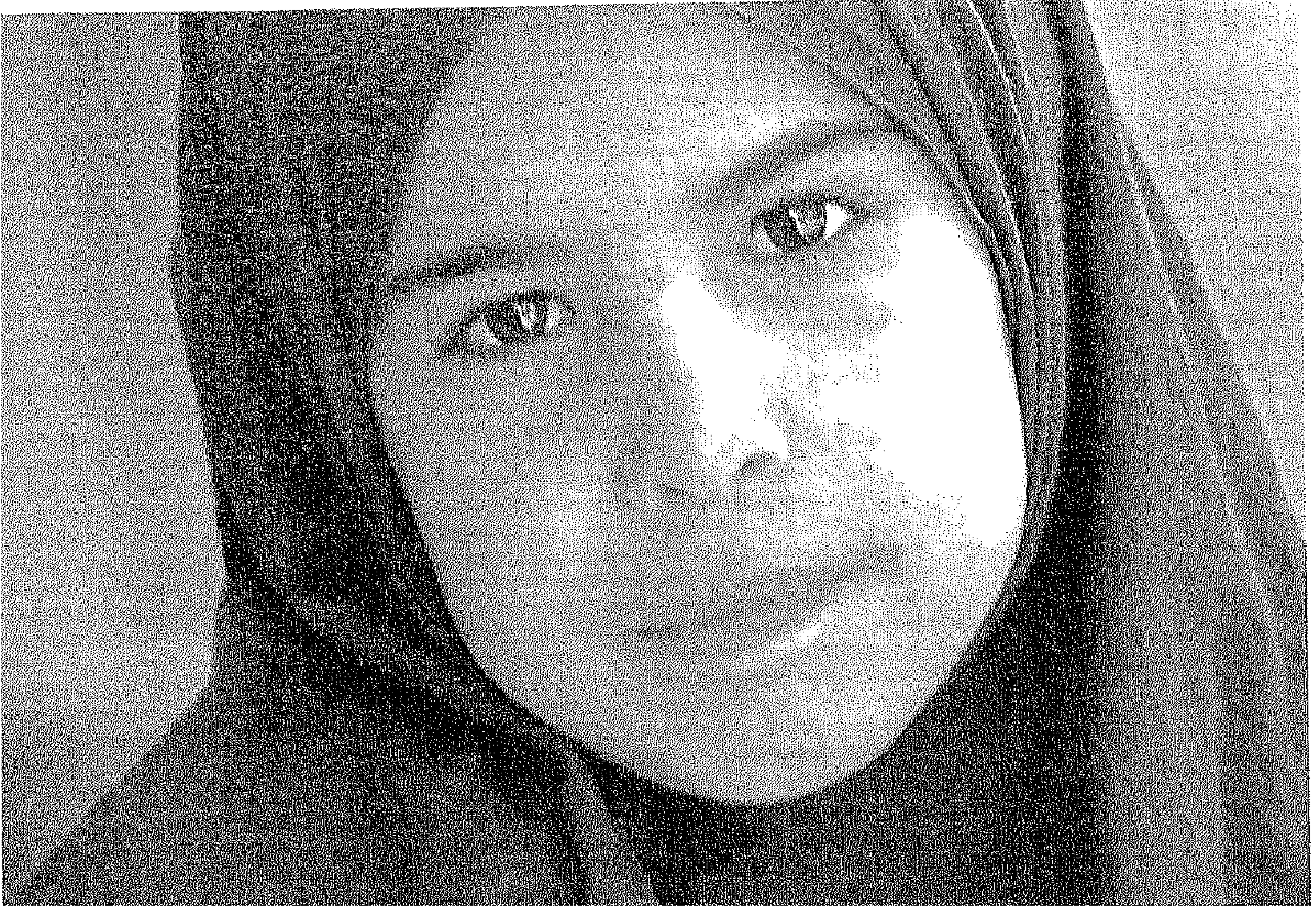
الكتاب:
صورة الإسلام
في الإعلام الغربي
المؤلف:
الدكتور محمد بشاري
عدد الصفحات:



الإعلام الألمانية، قبل أن يتطرق لأهم معالم صورة الإسلام في وسائل إعلام بعض الدول الأوروبية، وخاصة في فرنسا وبريطانيا.

صورة الإسلام في وسائل الإعلام الفرنسية

اعتمد الكاتب في هذا الفصل على العديد من المراجع، منها استطلاعات رأي لمؤسسة «الإيفوب»، ومتابعة لبعض النماذج الإعلامية في التعامل مع صورة الإسلام، بالإضافة إلى دراسة للباحث المختص في مجال الإعلام والاتصال، الدكتور الصادق رابح، وكتابه الذي يحمل عنوان «صورة



الإسلام في الخطاب الإعلامي الفرنسي»، والذي اشتغل على مجلتي (الإكسبرس) و(لونوفيل أوبسرفاتور)، وذلك عبر تحليل طبيعة تعاملهما مع بعض القضايا التي تتعلق بواقع الأقلية المسلمة في فرنسا، وهي: قضية التعامل الإعلامي مع رواية «آيات شيطانية» لسلمان رشدي، قضية الحجاب، ملف المرأة، ثم موضوع الجهاد.

«هناك حوالي ثلاثة ملايين مسلم في فرنسا، والمسلمون في فرنسا يفتتحون في كل يوم مساجد جديدة، ولكن، علينا أن نتساءل: من هو إلههم؟ هل هو إله الخميني أم إله القذافي؟ هل هو الذي يتبنى قطع يد السارق أم رجم النساء الزانيات؟» بهكذا وصف تحدثت مجلة لونوفيل أوبسرفاتور في عدد 7 فبراير 1985 في ملف يحمل عنوان: «الإسلام في فرنسا». بهكذا نموذج إعلامي في التعامل مع القضايا التي تمس الأقلية المسلمة في فرنسا، يختصر المؤلف العديد من العقليات السائدة في الوسط الإعلامي الفرنسي عموماً.

تتميز فرنسا بأنها تضم أكبر جالية إسلامية في أوروبا، وبالتالي من المتوقع أن تشكل مشاكل المسلمين هناك أكبر مقارنة مع المشاكل التي تعترض الأقلية المسلمة في باقي الدول الأوروبية. وتتضح طبيعة التعامل الإعلامي مع القضايا الإسلامية، من خلال أربعة قضايا نموذجية، وهي: قضية سلمان رشدي، وقضية الفتيات المحجبات، وقراءة الإعلام الفرنسي لمكانة المرأة في الإسلام، ثم القراءات الخاصة بمفهوم الجهاد. (جدير بالذكر أن القراءات الإعلامية المعنية في هذا الفصل صدرت قبل منعطف أحداث الثلاثاء الأمريكي الأسود)، وسوف نقتصر في هذا المقام على استعراض أهم ما جاء في موضوع الحجاب.

قضية الفتيات المحجبات في فرنسا

لعل تمرير عناوين المقاربات في وسائل الإعلام الفرنسية، يوجز فداحة الانزلاقات التي ميزت هذه المقاربات، وقد امتد الأمر إلى درجة الحديث عن

«الحجاب الشبح الذي قد يهدد باندلاع حرب أهلية» في المجتمع الفرنسي، تقف من ورائها مجموعة من التنظيمات، بحسب ما يروق للمسؤولين عن المجلتين (الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور) أن يستشهدوا به، كأن نقرأ عن «الجماعات الموالية للسعودية» أو «التنظيمات الموالية لإيران»، «الحركات الشيعية»، «الزمر الأفغانية»، «الشبكات الإيرانية»، «الجماعات المتطرفة»، «التجمعات الأصولية»، «المحرضون الموالون للسعودية أو الموالون لإيران»، «التأثير السعودي»، وغيرها من المسميات التي يتعمد من ورائها المحررون توريط بعض الدول الإسلامية.

برأي الكاتب، لم تقتصر مسألة التشويه والتحريض على الكتابات الصحافية، وإنما اتسمت بتدخل بعض المثقفين الفرنسيين البارزين في خطوة تبنتها لونوفيل أوبسرفاتور من خلال نشر أسماء خمسة من أبرز المثقفين الفرنسيين على الصفحة الأولى من أحد أعدادها، يطالبون في نداء بالذي وصف «بعدم الاستسلام» وذلك في رسالة مفتوحة موجهة إلى وزير التربية الوطنية.

ولم يخرج محتوى ما جاء في هذه الرسالة المفتوحة عما جاء في الخطوط العريضة للمتابعات الصحافية التي تعرضت لهذا الموضوع، كأن نقرأ في رسالة محسوبة على نخبة مثقفة كان من المفروض ألا تنزلق في مسلسل التحريض العبارات والمفردات التالية: «المتطرفين»، «التفرقة»، «الحرية»، «حقوق الإنسان»، «المساواة بين الجنسين»، «المدرسة العلمانية»، «المتزمتين». دون نسيان المبرر الرئيسي وهو أن «الحجاب الإسلامي يمثل شعاراً عند مؤسسة متزمتة تهدف إلى تدمير المدرسة الفرنسية، بكل ما تمثله هذه الأخيرة، فهي فضاء للعقل الذي أنجب سلمان رشدي، سبينوزا، رامبو، فولتير، بودلير».

«إن النضال ضد وجود الحجاب الإسلامي في المدارس يمثل مساهمة في المعركة العالمية ضد التزمت ومن أجل الرقي بمستوى المرأة»، كما تشير إحدى افتتاحيات جان دانيال رئيس تحرير مجلة (لونوفيل أوبسرفاتور). كما أن «ارتداء الحجاب هو التعبير التفاخري بهذا الوضع الرجعي الذي يمس المرأة، إنه رمز تقهقر وضعية المرأة (في الإسلام) ورمز التفرقة الجنسية ضد المرأة».

الخطاب القرآني لا يمكن إلا أن يكون منصفاً للجنسين معاً، الرجل والمرأة

«هل أنتم مستعدون لملاقاة ومواجهة المتزمتين بذلك الحجاب؟» نموذج بسيط على الاستفسارات التحريضية التي نقرأها في المتابعتين، «وبما أنكم قرأتم القرآن - يضيف أحدهم - أبلغونا أين توجد الآيات التي لا تحرض على التفرقة ضد المرأة، في إشارة واضحة إلا أن القرآن الكريم لا يضم أي آية تنصف المرأة».

إن الخطاب القرآني الذي جاء فيه مثلاً:
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيَ ءَادَمَ﴾ [سورة الإسراء: الآية 70]
لا يمكن إلا أن يكون منصفا للجنسين معاً، الرجل والمرأة، كما أن التكريم الذي سوف تحظى به المرأة بعد قدوم الإسلام، سواء إذا قمنا بمقارنة أوضاع المرأة في الجزيرة العربية، قبل وبعد مجيء الإسلام، لهو أكبر دليل على التشريف الذي نالته المرأة.

وبالجملة، يرى المؤلف أن السائد في أغلب هذه المتابعات الإعلامية كان طغيان «رؤية اختزالية الآخر» كما أشار إلى ذلك الصادق رابح، رؤية درامية تجعل من الإسلام يشكل عالما آخر قلما يشترك معنا أي مع الغرب، في قيم أو مميزات معينة.

والمشكل مع قضية الاختزال هذه أنها لا تمس الإسلام الفرنسي وحسب، بل تمس مباشرة الإسلام، كدين وكحضارة، وذلك من خلال توظيف مجموعة من «المفردات الموجهة» تؤسس لهذا الاختزال، ونورد بعضاً: الخميني، التطرف، التشدد، الجهاد، الحرب المقدسة، تعدد النساء، الإرهاب، النفط، إيران، الجزائر، الهجرة، إعادة الأسلمة، الضواحي.. ويتم استخدام هذه المفردات لإبعاد القارئ الغربي، أي الفرنسي، في هذا النموذج، عن أي احتكام للعقل، وهذا يسهم في تضييق المعنى وفي تسهيل إيصال تلك التصورات والأحكام.

ثم هناك إشارة ثانية في مسألة الاختزال، حيث تصبح بمثابة القاعدة، ومنبعاً بين أيدي القارئ، الذي يعفي نفسه من التفكير وتأسيس رؤاه الخاصة به انطلاقا من قواعد معرفية موضوعية.

إن تحليل الخطاب الإعلامي المروج في هذه الفترة يوضح بلا أدنى شك، أننا أمام استراتيجية مخطط لها، تروج للهلع والخوف، من أجل تفعيل العديد من الصور النمطية اتجاه الإسلام.

هذه هي صورة الإسلام في وسائل الإعلام الفرنسية، صورة قاتمة وسوداوية، تقوم على اختزاله في مسلمين يتبنون التطرف والعنف والجهاد، وتعدد الزوجات، ونبذ العلمانية ورفض الاندماج.

ومن الشواهد الدالة على هذا الأمر أن المعهد الفرنسي للرأي العمومي قام، لأول مرة، في عام 1989 بمحاورة مجموعة من المسلمين ومن غير المسلمين في المجتمع الفرنسي. وفيما أفاد الأوائل أن الإسلام عندهم رديف للسلم، والتقدم والتسامح، قرنه الآخرون، على عكس ذلك، بالعنف، والعودة إلى الوراء، والتعصب. ثم أعيد تحيين ذلك الاستطلاع في عام 1994، فتبين أن هذا التفاوت الصارخ بين تينك الصورتين المتعارضتين، بدلا من أن يتضاءل، إذا هو يزداد فحشا. إن تينك الصورتين تندرجان في مجموعات من التمثلات، لا تزال على حدتها في علاقة الغرب بالآخر المسلم، وهي تمثلات تشكلت على المدى الطويل.

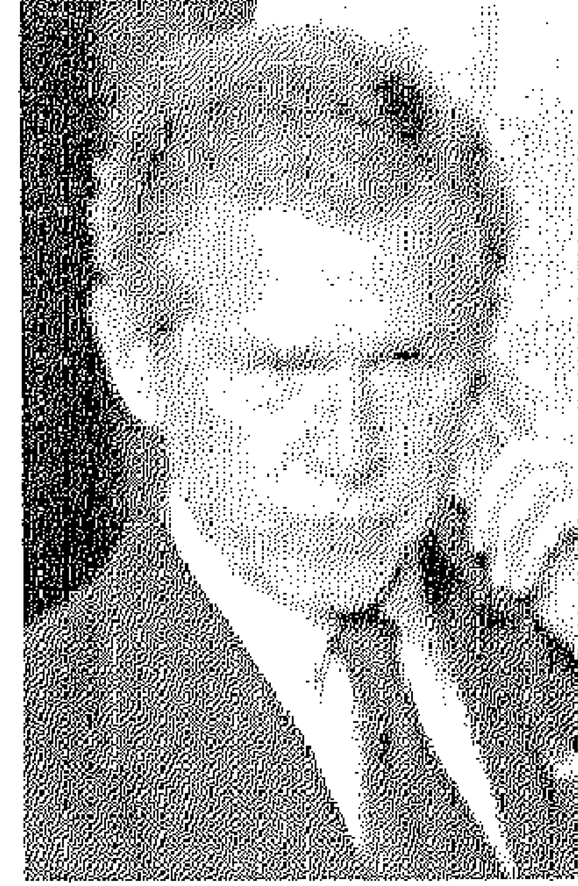
صورة الإسلام
بعد أحداث نيويورك

كانت تفجيرات 11 أيلول (سبتمبر) 2001، مناسبة جديدة لأن تعبّر العديد من وسائل الإعلام الغربية، سمعية أو بصرية أو مقروءة عن صورتها المبطنة اتجاه الإسلام والمسلمين، وذلك من خلال قراءة الصفحات الأولى من المجلات والجرائد الغربية، أو من خلال قراءة محتوى الافتتاحيات والمقالات والمتابعات، سواء أكانت صحافية أو أكاديمية، حيث كانت صورة الإسلام والمسلمين في العديد من هذه المتابعات تخضع للتشويه والتحريف، وكان الأمر الشاذ فيها هو أن نجد متابعات منصفة، قليلة جداً ونادرة مقارنة مع ما كان سائداً في هذه المتابعات، ونذكر من هذه المتابعات المنصفة ما كان ولا يزال ينشره الصحفي البريطاني روبرت فيسك في جريدة الأندبندت أو الباحث الفرنسي فرانسو بورغا، أو المفكر الإيطالي إمبرتو إيكو على سبيل المثال، وهناك أيضا بعض الباحثين الآخرين، لم يحظوا بنفس الاهتمام الذي حظي به العديد من المستشرقين والكتاب الغربيين، معروف عنهم إصدار تصريحات وتحاليل غير منصفة، في القضايا والملفات التي تهم العالم الإسلامي أو الوطن العربي.


فرانسوا بورغا

تفرعت أصناف تشويه صورة الإسلام والمسلمين، بين التصريحات الأكاديمية والسياسية والإعلامية، وإذا كانت الصور التي ترسخها وسائل الإعلام مشوهة بسبب

سيطرة اللوبيات الإعلامية اليهودية عليها، أو بسبب تواجد عقليات عنصرية متطرفة استغلت أحداث نيويورك وواشنطن لكي تفرغ ذلك المكبوت من أجل تفعيل تشويه صورة الإسلام، فقد كانت هذه الأحداث فرصة لبعض السياسيين الغربيين والدينين، لكي تمرر خطاب العنصرية والاستعلاء، وهذا ما جاء في تصريحات الرئيس الأمريكي جورج بوش الإبن، والتي أثارت جدلا شديداً عندما استخدم عبارات مثل «الحروب الصليبية» التي أعادت للذاكرة ذكريات المواجهة بين الإسلام والمسيحية، وقد أحسن صنعاً الرئيس الأمريكي عندما تراجع عن تصريحاته، وكذلك حينما قام بزيارة مسجد واشنطن، والاجتماع مع ممثلي المسلمين الأمريكيين، كما قررت الولايات المتحدة تغيير اسم حملتها للقضاء إلى بن لادن والتي أطلقت عليها «العدل اللانهائي» حتى لا تحرج مشاعر المسلمين.


جورج بوش الابن

صحيح أنه صدرت بعض المبررات في الصحف العربية تشير إلى أنه في الغرب، يبقى المعنى الحرفي لكلمة "Crusade" هو حملة صليبية على العرب والمسلمين، لكن استخدامها اليوم في الدول الغربية الناطقة بالانجليزية لا علاقة له بأصل الكلمة، فهي تستخدم في وصف أي حملة شديدة مثل حملة مكافحة المخدرات أو تنظيف الشوارع أو حتى حملة لتحسين الوضع الشخصي ... إلخ، ولكن، يضيف المؤلف، ذلك لا يعفينا من التنبيه إلى خطورة صدور هذه التصريحات على لسان مسؤولين سياسيين كبار من أمثال الرئيس الأمريكي، أي أن هذه التصريحات قد تستغل في حال عدم التراجع عنها من أجل تمرير خطابات إعلامية وأكاديمية مليئة بالحقد والعنصرية، والإرهاب الفكري.

وقد وصلت أصوات الحقد إلى حد دعوة كاتب يهودي إلى قصف رموز الإسلام في الجزيرة العربية، حيث جاء على لسان أحد الحاقدين قوله: «في مكة يوجد برجان طويلان، في شكل منارتين شامختين تحيطان بعلبة سوداء عريضة، يعبدها المؤمنون، ويتجهون إليها في حجهم المقدس. وإلى هذا الشيء الرمزي يتجه كل المسلمين في صلواتهم: لا بد أن يعلم الجهاديون بشكل لا لبس فيه، سواء بالإعلان الصريح أو من خلال القنوات الخاصة، أن أي اعتداء قادم على هدف غربي سيكون الرد عليه ضربة عسكرية مباشرة ومدمرة ضد واحد من رموز الإسلام الأساسية، لا بد من إقناع المسلمين بشكل لا لبس فيه أن المسلمين لن يجدوا أي قبلة يتجهون إليها حينما يحنون ظهورهم لعبادة إله الخراب الذي يعبدونه».

خلاصات صورة الإسلام في الإعلام الغربي

من خلال تحليل نتائج أهم الدراسات التي أجريت حول تحليل المضمون لموقف وسائل الإعلام في أوروبا من قضايا الإسلام والمسلمين وكيفية تناول ومعالجة هذه القضايا الهامة والحساسة، يتوصل محمد بشاري إلى مجموعة من الخلاصات الهامة، لا بد من أن نأخذها بعين الاعتبار عندما نعالج سبل مواجهة هذا الواقع التضليلي البعيد عن الصورة الحقيقية التي يمثلها الدين الإسلامي السمح، وهذا على الرغم من ثقل ذلك العائق الذاتي الذي تجسده ممارسات بعض المسلمين قديما وحديثا والتي تمثل ذريعة عند اللوبيات الغربية، وفي مقدمتها اللوبيات الإعلامية اليهودية، من أجل ترسيخ هذه الصور المغلوطة، ويكفي صدور بعض الممارسات المخلة بالتعاليم الإسلامية عن هذا المسلم في الدول الأوروبية أو في العالم الإسلامي، حتى تستغل الآلة الإعلامية الغربية وتنخرط في مسلسل تكرار عرض هذه الصور.

وإجمالاً، يمكن حصر أهم الصور النمطية التي يتم ترويجها عن الإسلام في مختلف وسائل الإعلام الأوروبية:

❖ جاءت صورة الإسلام بصفة عامة في وسائل الإعلام الأوربية المختلفة، سواء الصحف أو المجلات والإذاعات والتلفزيون صورة سلبية وسيئة ومشوهة في الغالب، فالصورة كانت منفرة، ولقد وصف المسلمون بأوصاف بدائية وهمجية، إلا في القليل جداً من المعالجات الإعلامية، والتي تبقى غير ذات تأثير مقارنة مع السائد، إضافة إلى كونها مرتبطة بصاحب التغطية الذي يكون موضوعيا في كل ما يقدمه وليس بالنسبة للقضايا الإسلامية فقط.

❖ كان هناك نزوع نحو ما يطلق عليه في لغة الإعلام بـ «شيطنة العدو»، والعدو هنا في العديد من الحالات يتمثل في الإسلام والمسلمين، ويقوم هذا المبدأ على التحويل المعنوي لهذا «العدو» إلى شيطان، أي شر مستطير ومتجسد، أو نزع الصفة الإنسانية عن العدو بحيث يستحق عقاباً صارماً، يسمح للمضطهِد أن يمارس اضطهاده على المضطهَد، دون أن يكون مطالبا بتطبيق الشرائع ومواثيق حقوق الإنسان المعروفة في التعامل مع البشر.

❖ ربط الإعلام الأوروبي بشكل كبير بين الإسلام كدين وبين ممارسات بعض الحركات الإسلامية المتشددة، وفي كثير من الأحيان لم يفرق هذا الإعلام بين المسلم المعتدل في ممارسته الدينية، وبين المسلمين المنتمين لجماعات إسلامية تختلف في أطروحاتها وفي حركيتها، ويتأرجح هذا الاختلاف ما بين الاعتدال والتشدد، وقد تم استغلال أحداث تورط فيها بعض المتشددين من أجل إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين، ولقد اعترف العديد من الإعلاميين بوجود صورة خاطئة عن الإسلام والمسلمين في مختلف وسائل الإعلام الأوروبية.



❖ استخدمت وسائل الإعلام الأوروبية عدة وسائل لإبراز الصورة السيئة للإسلام والمسلمين، من قبيل العناوين المثيرة والتي تبعث الخوف والقلق لدى الرأي العام الأوروبي، والتكرار والاجترار المستمر، خاصة في أحداث العنف، والربط بين الإسلام والإرهاب، والضرب على وتر المشاعر والأحاسيس الإنسانية، باستخدام صور وعبارات مؤثرة نفسيا وموحية بالمعنى الذي تسعى هذه الوسائل إلى إيصاله، وباتخاذ الموقف الذي تطمح إليه، ثم التأثير على المتتبع، مستغلة جهله بالإسلام واعتماده على ما تقدمه له من معلومات وأحكام جاهزة، ومستغلة كذلك المصلحة الشخصية والقومية بتصوير المسلمين والإسلام على أنهم يشكلون الخطر والعدو.

❖ ركزت وسائل الإعلام الأوروبية على بعض الأفكار الحديثة في الجوانب الخاصة بالإسلام والمسلمين، مثل فكرة «صدام الحضارات» التي قدمها المفكر الأمريكي صامويل هنتنغتون، والترويج الإعلامي على أن الإسلام هو العدو البديل للشيوعية، إلى جانب قضية الأصولية والجماعات الإسلامية وإيديولوجياتها، باعتبارها موضوعات مرتبطة بالإسلام والمسلمين.

❖ لم تستطع احتجاجات قادة وزعماء الأقليات المسلمة في أوروبا على الخصوص، رداً على المعالجات الإعلامية الخاطئة للإسلام والمسلمين (والتي نتج عنها أحياناً تقديم اعتذارات رسمية من كبار المسؤولين في أجهزة الدول ببعض الدول الأوروبية) لم تستطع إيقاف هذه الحملات الإعلامية المسمومة ضد الإسلام والمسلمين، لأنه لا يمكن التحكم في وسائل الإعلام، والتدخل في عملها، وفق القوانين المعمول بها هناك. إلا أن بعض التحسن قد طرأ على قليل من المعالجات الإعلامية في هذه القضية، كما بدأت بعض الوسائل تتجه نحو الموضوعية في عرض القضايا الإسلامية، نظرا للتدخل النوعي القادم من لدن الأقليات الإسلامية في بعض الدول الأوروبية.

وعموماً، يمكن تلخيص أهم عناوين الصور المغلوطة عن الإسلام في النقاط التالية:

❖ الإسلام دين العنف والإرهاب.
❖ الإسلام يضطهد المرأة (وهنا يتم التركيز كثيرا على قضية الولاية والزواج والعصمة والقوامة...).
❖ المسلمون يعبدون إلهاً مختلفاً.
❖الإسلام انتشر بالسيف.
❖ المسلمون هم العرب.
❖الأمة الإسلامية هي جماعة المسلمين.
❖ المسلمون يتزوجون بأربع نساء.
❖ المسلمون أناس مختلفون بربريون.
❖ محمد هو مخترع الإسلام، وأن المسلمين يعبدونه.
❖ الإسلام دين ضد السامية (من خلال تحريف الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية اليهود).
❖ المسلمون لا يؤمنون بعيسى عليه السلام.
❖ الإسلام ضد حرية الاعتقاد.
❖ لم تكن الفتوحات الإسلامية سوى توسعات استعمارية ذات طابع اقتصادي للحصول على الغنائم وفرض الجزية.
❖ الإسلام يظلم المرأة في الميراث.
❖ الإسلام دين وحشي في تطبيقه للحدود والعقوبات.
❖ الإسلام ضد الديمقراطية وحقوق الإنسان.
❖ الإسلام يحرم الفنون (الموسيقى - الرسم - النحت..)
❖ ليس القرآن سوى تأليف بشري وليس وحياً ربانياً.
❖ الإسلام يعادي الحضارات الأخرى.
❖ الإسلام دين رجعي.
❖ كان محمد رجلاً شهوانياً.
❖ الإسلام ضد العمل، فهو بالتالي دين تواكلي.
❖ الصيام يقلل حركة الإنتاج.
❖ الزكاة تقلل من الأموال.

سبل تصحيح صورة الإسلام

في ضوء تأمل هذه الصورة القاتمة حول الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية، أدرج محمد بشاري مجموعة من المقترحات والآليات الكفيلة بمجابهتها، من قبيل التأكيد على تأسيس معهد يقوم برصد صورة الإسلام في القنوات الإعلامية الغربية، أو التنسيق مع الهيئات والمنظمات الإسلامية المعنية ومنها مؤتمر وزراء الإعلام في الدول الإسلامية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وأيضاً مع الأقليات الإسلامية في الدول الغربية (يمكن للأقليات المسلمة في العالم الغربي أن تؤدي دوراً فاعلاً في تصحيح صورة المسلمين في وسائل الإعلام، وذلك إذا تم التنسيق بينها، ليس فقط فيما يتعلق بمواجهة التغطية السلبية للإسلام، وإنما في تنفيذ الاستراتيجيات الإعلامية اللازمة، باعتبار المسلمين في الدول الغربية هم الأكثر فهما لطبيعة الجمهور المستهدف وأساليب مخاطبته).

تركيز المؤلف على دور العمل المؤسساتي، لا يعفيه من توجيه بعض الانتقادات إلى تقاعس الأجهزة الدبلوماسية والمراكز الثقافية والبعثات التعليمية الإسلامية بخصوص اضطلاعها بالدور المنوط

بها في هذا الصدد، والحال أن أخطر نتائج هذا التقاعس يبقى ترك الساحة خالية لتنفرد بها جماعات الضغط الصهيوني، تقدم لها ما تشاء من رؤى وأفكار، كما يتم مثلا من خلال أعمال المؤسسة الهوليودية وغيرها.

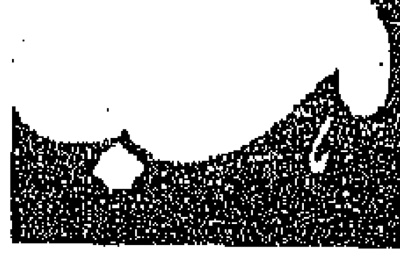
كما يدعو المؤلف إلى تنشيط العلاقة بين المؤسسات البحثية الأكاديمية في العالم الإسلامي وبين الدوائر المناظرة في الغرب، من خلال تبادل البحوث والأساتذة وطلاب الدراسات العليا، والقيام ببحوث مشتركة تعمل أساساً على مثل هذه الملفات، تكثيف الاتصال بوسائل الإعلام الغربية، ومراكز البحوث والجامعات في الدول غير الإسلامية لتصويب ما يصدر عنها بشأن الإسلام والمسلمين، الاجتهاد في فتح أبواب الحوار مع مراكز التأثير في صناعة القرار والرأي العام في الدول الغربية، وكذلك مراكز البحوث والدوائر الأكاديمية ووسائل الإعلام العالمية.

ويختتم محمد بشاري مؤلفه بالتأكيد على تأمل ما يصفه بـ «التوصية الأم»، والتي تعلو من وجهة نظره على جميع ما سبق، وتقوم تحديدا على الاجتهاد في ترجمة هذه التوصيات إلى الواقع، وذلك من خلال تبني رؤى منهجية وإجرائية تقوم على إعطاء الأولوية لتوصيات معينة على باقي التوصيات في ما يتعلق بالتطبيق.

فلا يعقل أن تظل الفعاليات الإسلامية، ومعها ممثليات الأقلية المسلمة في الدول الغربية تجتمع لدراسة أوضاع القضايا الإسلامية، ومنها، قضية صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية، ثم تنتهي هذه الاجتماعات بإصدار التوصيات، والتي قد تتكرر في ملتقى آخر مع نفس المدعوين من أجل مناقشة نفس الموضوع، دون تحقيق أي تقدم في مجال تطبيق التوصيات السابقة.

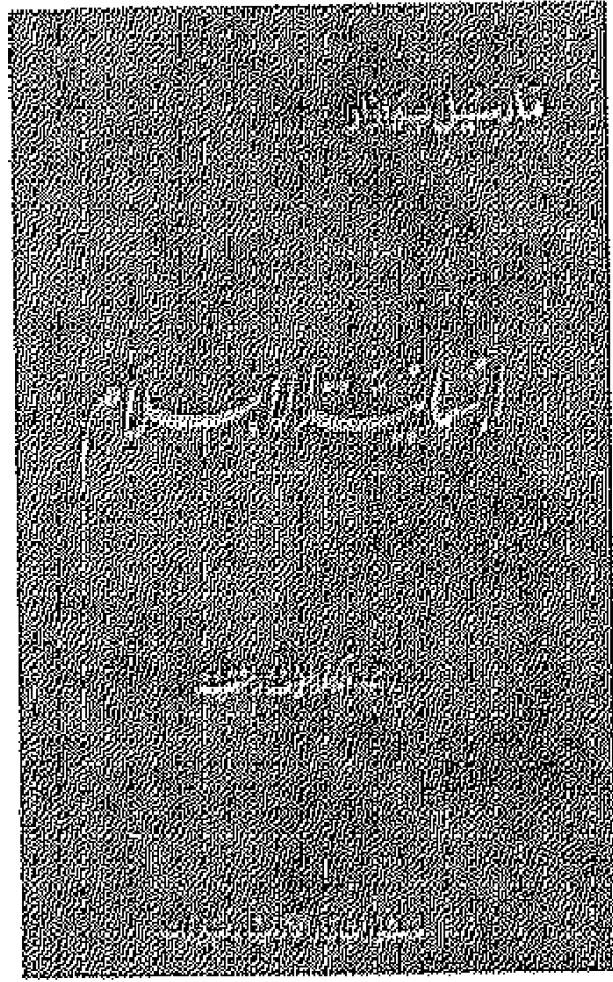
من الانتقادات الهامة الواردة في خاتمة الكتاب إشارة المؤلف مثلاً إلى ضرورة عدم مغالطة الذات عندما نأمل أو نطمح إلى أن تغيير هذه الصورة سوف يتم بمجرد الالتزام العربي والإسلامي بما جاء في هذه التوصيات، أو أن الغرب سوف يغير من تعامله مع هذه الصورة بين ليلة وضحاها، فالمسألة ليست بسيطة كما يأمل أي مسلم، لأنها مرتبطة في الأصل بخلفيات تاريخية قد تكون مرتبطة بتاريخ الحروب الصليبية، وقد تكون مرتبطة بأسباب عرقية أو دينية، أو سياسية، وهي التي يصطلح عليها بشيطنة العرب والمسلمين، كما حصل في تاريخ المواجهات التي تمت خلال السنين الأخيرة، ومنها على سبيل المثال حرب الخليج في عام 1991، وفي الفترة التي جاءت بعد الاعتداءات التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية، وخاصة في فترة شن الحرب على أفغانستان والعراق، وغيرها من المواجهات والصراعات.

يحتاج المسلمون اليوم إلى بلورة خطاب إعلامي عصري نقدي وموضوعي، يغزو الأسواق الغربية، ويبتعد عن رتابة الخطاب الإعلامي العربي والإسلامي الموجود اليوم، ونحتاج خطابا يتجاوز الإطلاقات المتناقضة ويعلو على النزعة العاطفية ويؤسس رؤية معرفية إسلامية مستقلة وشاملة، ويرتكز على الانفتاح النقدي، وللأسف ما زلنا نفتقد كثيرا اليوم مثل هذا الخطاب. كما يحتاج المسلمون أيضا إلى خطاب إعلامي إسلامي يعلي من شأن الأمة كبديل عن الاهتمام بالدولة المركزية، خاصة وأننا نعيش في فترة تتميز بحضور متصاعد لمفهوم «أمة المواطنة»، وهذا يتطلب أساسا من المسؤولين والمشرفين على الخطاب الإسلامي أن يتبنوا رؤية شاملة اتجاه العالم، ويؤمنوا بسنة التدافع الحضاري، على أن يكونوا مدركين للبعد الحضاري للظواهر والأشياء المستحدثة، حتى يساهموا في التفعيل من أسلمة المعرفة الإنسانية.



إنسانية الإسلام

عرض: عمر بن محمد المجذوب *



تأليف:
مارسيل بوازار
ترجمة:
د. عفيف دمشقية
نشر:
دار الآداب
بيروت ـ لبنان سنة 1980

عندما نشرت الترجمة العربية للكتاب كان الاهتمام به محدودًا بعدد المهتمين بقضايا التشريع والاجتماع في الشرق؛ فقد سألت عددًا من المدرسين بالجامعات فلم أجد لديهم علمًا بصدور هذا الكتاب. أما في الغرب فلا يتوقع غياب اهتمام جامعاتهم عن كتاب من هذا المستوى لأنه يجسد تماسا مع مستقبل حركتهم نحو الشرق.

مضت مدة على نشر الترجمة العربية والمفكرون المسلمون لا يولون الكتاب ما يستحقه من اهتمامهم مع أن نشره قد تزامن مع نشوب حرب بين دولتين سكانهما مسلمون: العراق وإيران، إلا عندما أعلن الغرب من كان وراء تزويد الدولتين المتحاربتين بالسلاح تأييدًا عمليًا على القتل والتدمير والتكبيل بالديون من تكاليف السلاح.

تحليل المقدمات حتى تتفق مع النتائج

يقول علم النفس الجنائي: «ابحث عن المستفيدين من الجريمة لتعرف الجاني» وعلى ذلك فليس مصادفة وقوع الحرب بوقت صدور هذا الكتاب؛ فالمؤلف قد انتهى بحثه هذا إلى القول: «بأنه لا تنتهي الحروب الدولية من العالم إلا إذا أعد قانون دولي مستندًا فيه إلى ما في القرآن من أحكام؛ لأن القرآن خطاب من الله إلى الناس أجمعين، فهو الأعلم بما يصلح شئونهم، لذلك كانت الحرب بين العراق وإيران، وكانت نشأة فرق جريمة القتل والتدمير بين المسلمين كلها باسم الإسلام بعد صدور هذا الكتاب مباشرة قد شكلت ردًا عمليًا على ما ذهب إليه وعملاً مدروسًا لإبطال أثر الكتاب في عقول الغرب.

وكأثر لظاهرة تخلف المسلمين عن مواكبة تقدم الإعلام الفكري المعاصر لم يجد قراء ومستمعو هذا الإعلام اهتمامًا بمثل هذا الكتاب. وقد لاحت أخيرًا

* كاتب وباحث / ليبيا

بوارق أمل بين كثير من مفكري الإسلام المعاصرين برفع جمعية إسلامية لواء إعلام فكري استهدف نشر ثقافة سلم عالمية، وتقليل نتائج ثقافة النقيض.

ولعل عرضًا موجزًا لهذا الكتاب يكون من المساهمات الإيجابية بهذا السياق ، وهو منهج ثقافي لخير إنسان العالم. ويشكل مهمة القلم الإنساني في وقت زلزلة الأمن على الحياة، وعلى قيمة معنى الحضارة.

تألف الكتاب من ستة فصول، وخاتمة، تحدث الفصل الأول عن عالمية النظام الدولي، ويحتاج إلى حلول، وضابطها هو سنُّ التشريعات المتفقة مع تطور المجتمعات والتطور الحضاري في التاريخ؛ فقد زعزعت الحرب العالمية الثانية حقوق الناس بشكل أساسي، وستظل إعادة البناء هشة لأن قواعده كانت كذلك، فهي الصرح الذي انهدّ خلال المدة 1939 - 1945 مسيحي، وأن زمن هذه الإعادة كان عندما استقلت شعوب ووعي دولها متزايد بالدور الذي تستطيع فيه أن تؤديه على الصعيد العالمي، وأمامها القانون الدولي نفسه الذي كان سائدًا، وأوروبا التي صاغته كانت تمثل بمفردها مجموع العالم في نظرها، وهو منظور الثقافة اليهودية المسيحية، وأمام هذا المنظور دول حديثة وحّدت سياستها، ووحدت مشاكلها فعمق ذلك من نظرها في النظام الذي يحكم العلاقات الدولية حاليًا».

ورأى المؤلف أننا أمام مشكلة معقدة، وضخمة؛ فمن غير المأمول بنجاح أي جهد يستهدف نزع سمة الغرب عن النظام العالمي الحالي، ويرسخ قواعد عالمية حقيقية، ويتوقع المؤلف أن الإقدام على ذلك سيؤدي إلى فصم عرى التضامن الدولي، لأن الدول القديمة في الغرب لا أمل في قبولها تغييرًا في قيم معاني بنت عليها قواعد قانونها الدولي .

وأعلن المؤلف أن هذه الدراسة يستفيد منها الغرب بالدرجة الأولى، وهناك بالموقف الأوروبي شعور غير واعٍ بالخوف والازدراء معًا، من العالم الثالث، ذلك الخوف صادر عن شموخ قومي متأصل مشبع بذكريات تاريخية، واعتبارات موضوعية خاصة بالتنمية الاقتصادية للمجتمعات، وربما بتمييز عنصري خفي متجليًا ذلك في المنشورات الأكاديمية.

وينعى المؤلف على الأوروبيين احتكارهم الحق بأنه لا تتوفر لغيرهم معرفة بحقوق الإنسان، وأن الأوروبيين استوحوا معرفة حقوق الإنسان من مصدرين لا ثالث لهما، الأول فلسفي من اليونان والثاني ديني من المسيحية واليهودية. ولكنه يصرح بالحقيقة التاريخية وهي «أن مجرد العدل يدفع إلى التذكير بأن الحضارة التي تعهدت الثقافة المتوسطية خلال القرون السبعة التي تتألف منها العصور الوسطى، كانت الحضارة الإسلامية، ويستند المؤلف - هنا - إلى بحث نشره «جان ولف» في جريدة «لوموند» بعدديها الصادرين يومي 8 و9 من شهر يونيو سنة 1969 مسيحي، تحت عنوان «إرث حضارة هيمنت».

وبعد استعراض المؤلف طائفة من مقومات الصياغة التكاملية لسن القوانين انتهى إلى تلخيص هذا الفصل قائلاً: «سوف يقتصر عرضنا على وصف أمين غير مبهرج لدين بسيط ومنطقي، وقد لا يرى فيه المتخصصون سوى تعداد لجملة من السطحيات المستمدة من مصادر «ثانوية» غير خاضعة قط لنقد حقيقي، غير أن ما يؤمن به المسلمون يبدو أهم من الطريقة التي يحكم بها المستشرقون الغربيون على المعتقد الإسلامي».

كما أننا لن نتناول العقيدة الإسلامية والعالم الإسلامي في الشكل المثالي الوهمي الذي يُصوَّران به، ولا في واقعهما المحسوس، وإنما في منزلة متوسطة تتبين فيها الفروض الدقيقة، وسنكتفي بذكر مبادئ الدين العامة التي تشكل أركان حضارة من الحضارات والتي ما تزال ترطب النفس المسلمة لاقامة «استمرار» أيديولوجي يجسد مطامح الإسلام

الدنيوية والتطلع الواسع للشعوب الإسلامية إلى الحصول على هوية، بعد الخلاص من ربقة الاستعمار، منشئة بذلك التطلع مرآة تنعكس عليها الصورة الماثلة في الاحتمال عن المجتمع الإسلامي المقبل، وقد يبدو غريباً أن يتصدى غير مسلم للدراسة من خلال هذا المنظور، فلذلك اقتصرنا على وصف عام للمبادئ التي سوف نستند إليها في بسط آرائنا، ولن نقدم أية حجة لا تكون سائغة في مجموعة المصادر، كما أننا لن نطرح مزاعمنا إلا في الحدود التي نتفق فيها مع الإطار المنطقي للمنهج الإسلامي، وقد ختم هذا الفصل بالآية الكريمة:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [سورة العَنكبوت: الآية 46]

الفصل الثاني افتتحه بعبارة للشيخ محمد عبده: «إن من يضيف إلى الدين معتقداً أو موجباً شرعياً دون سند من كتاب الله، أو الحديث الصحيح الذي لا يأتيه الباطل عن نبيه يسلك في عداد الذين خوطبوا بقوله تعالى:

﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾

[سورة البَقَرَة: الآية 169].

وبعد أن قدم لهذا الفصل بتعريف للدين لدى الغرب قال: بالاختصار حضارة قدمت مفهوماً خاصاً بالفرد، وبينت مكانته في المجتمع، ودفعت قدماً ببعض المسلمات التي تنظم اتصال الشعوب بعضها ببعض، ولم يكن من شأن هذه الحضارة أن تسهم إسهاماً تاريخياً في الثقافة الكونية وحسب، بل إن الأهم أن تقدم حلولا لأهم المعضلات الفردية والاجتماعية والدولية التي تزعج العالم المعاصر وتقلقه؛ فالإسلام اتصال بالله كإله، والإنسان كانسان، وانخراط من النسبي في المطلق.

وبعد أن استعرض المؤلف مفهوم الفكر الغربي الذي صيغت منه تعريفات الدين خلص إلى قوله: (وينبغي أن نشير - بشكل سريع في هذا السياق إلى الخصائص الرئيسية لمواقف الإسلام النفسانية الثلاثة حيال النظريات السياسية الحديثة مركزين انتباهنا بصورة أساسية على الجوانب القانونية؛ فردُّ الفعل الأول يجعل من الدين المظهر الأوحد والأسمى والأبدي للقانون الواجب اتباعه، وعبارة عن نهج تنظيمي مطلق لحياة المؤمنين الروحية، والزمنية معاً. وهدف هذا الموقف رفض كل المؤثرات المتباينة، ويسعى الموقف الثاني إلى الجمع بين استلهام الدين بشكله المتوارث واستلهام المؤثرات ذات النمط التحديثي ، ويدل التاريخ على وجود ثابتة مطلقة في الحضارة الإسلامية كانت متمحورة منذ البدء حول الله، وما تزال كذلك، وهذه الظاهرة تضفي على الإسلام طابع الديمومة... ويضطلع الدين بصورة مباشرة بتنظيم الحياة للفرد والجماعة رافضاً وساطة كهنوت قد يحتكر الدين ويتصرف به على هواه، والإسلام دين المطلق الإلهي والعقلاني، وعلى العقل البشري أن يتوافق والمنهج المنزَّل وليس الدين تجريداً، بل هو على العكس من ذلك، ظاهرة مجسدة تماماً، وينبغي أن يدرك بكليته وخارج حدود الزمان).

وبعد أن استعرض المؤلف لمحة من تاريخ تطور التشريع استجابة لطبيعة حاجة المجتمعات تحدث عن النبي - ﷺ - فقال: «لقد سبق أن كُتب كل شيء عن نبي الإسلام، فأنوار التاريخ تسطع على حياته التي نعرفها في أدق تفاصيلها، والصورة التي خلفها محمد عن نفسه تبدو - حتى وإن عُمد إلى تشويهها - «علمية في الحدود التي تُكشف فيها، وهي تندمج في ظاهرة الإسلام عن مظهر من مظاهر المفهوم الديني، وتتيح إدراك عظمته الحقيقية».

ومحمد الذي يوليه المسلمون نوعاً من الإجلال الورع قد يكون من الخطر إساءة تأويله - على وجه الحصر المبشر بالكلام السرمدي - ولا يتمتع في نظر المؤمنين بالأهمية التي يتمتع بها يسوع المسيح مثلاً عند المسيحيين ومع ذلك يبدو الاطلاع على حياته ضرورياً؛ نظراً للعلاقة الوثقى بين الرسالة والرسول؛

فمع أن القرآن يلح على طبيعة النبي البشرية البحتة، إلا أنه يجعل منه أسوة حسنة يقتدى بها المؤمنون» ويجب أن نلاحظ في قراءتنا عرض هذا الكتاب أنه بحث موجه إلى قراء الغرب وغير المسلمين.

وذكر المؤلف بهذا الفصل ما يعرفه الجميع عن نشأة رسول الله ﷺ كتاريخ ميلاده، وتكليفه بالرسالة، وبين مدة النبوة محددة بثلاث سنين قبل تكليفة بالرسالة، ومدة قيامه بأعبائها زهاء سنوات عشر بمكة، ومثلها بالمدينة حتى التحاقه بالرفيق الأعلى، وأنه لم يبطل ما أنزل قبله من كتب الله، بل صدقها وزكاها مما لحق بها من تحريف وإخفاء، مكلفًا من الله بتطهير تعاليم الرسل قبله جميعًا في كل زمان ومكان، وأثنى المؤلف على كيفية تعامله ﷺ مع أهل الكتاب ومعارضي الرسالة من العرب، وتحدث عن العقيدة والتشريع في الإسلام - حديث المفكر المتبحر في معرفة شئون التطور للمجتمعات، وكيفية مواجهة ذلك التطور بالنمط المناسب من التنظيم، ويستوقف المؤلف قراءه بكثير من الملاحظات التحليلية لبعض نصوص الأسس التشريعية في القرآن، متخذًا أزمان التنزيل للآيات مرتكزًا لتحليله، مثل قوله بصفحة 53 : «وقد استطاعت بعض المكتشفات العلمية الحديثة أن تحدد بدقة ظاهرة التسلسل الزمني لمختلف تجليات التنزيل»، والتزم المؤلف في حديثه عن السنة بما جاء بأمهات كتبها، فقال: «لقد زودت المنهج التشريعي بدرجة مذهلة من المرونة، وكان لها دور مرموق كعنصر بناء وتماسك للمجتمع الإسلامي بكليته».

وتحدث عن الالتزام القائم في الدين الإسلامي بين العقيدة الإيمانية كأصل، وبين الشريعة، من عبادات وقانون التعامل، والآداب، والأخلاق؛ كما جسدها النبي عملاً في حياته بين الصحابة والناس في شبه الجزيرة العربية، وقد كان خلقه القرآن؛ فهو نبي وليس بمصلح اجتماعي، فأحدثت رسالته في المجتمع العربي القائم آنذاك تغييرات أساسية ما تزال آثارها ماثلة في المجتمع الإسلامي المعاصر.

وعن الشريعة الإسلامية في سياق الشرائع الإلهية قال: إنها مكملة بصورة نهائية لسلوك الإنسان، وأضاف القرآن على صعيد الفضائل الفردية - إلى العدل والإحسان اللذين احتفظ بهما - مجموعة حقيقية من قواعد الأخلاق والأدب، شكلت الحضارة الإسلامية فيما بعد، وطبعتهما بطابعها من التربية الصالحة والعادات الحميدة، والإخلاص، وهي أسس الألفة التي كانت تحيل جماعة المؤمنين إلى رابطة أخوية وواجب الفرد في هذا المنظور سابق على حقه في إقامة مجتمع عادل شريف هو من صلب التعاليم الإسلامية».

«أضاف القرآن على صعيد الفضائل الفردية مجموعة حقيقية من قواعد الأخلاق والأدب»

وجاء بالفصل الثالث: ما جاء بالقرآن عن أمن حياة الإنسان من تعظيم من الله تعالى مفتتحًا الفصل بقول الله تعالى:

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾

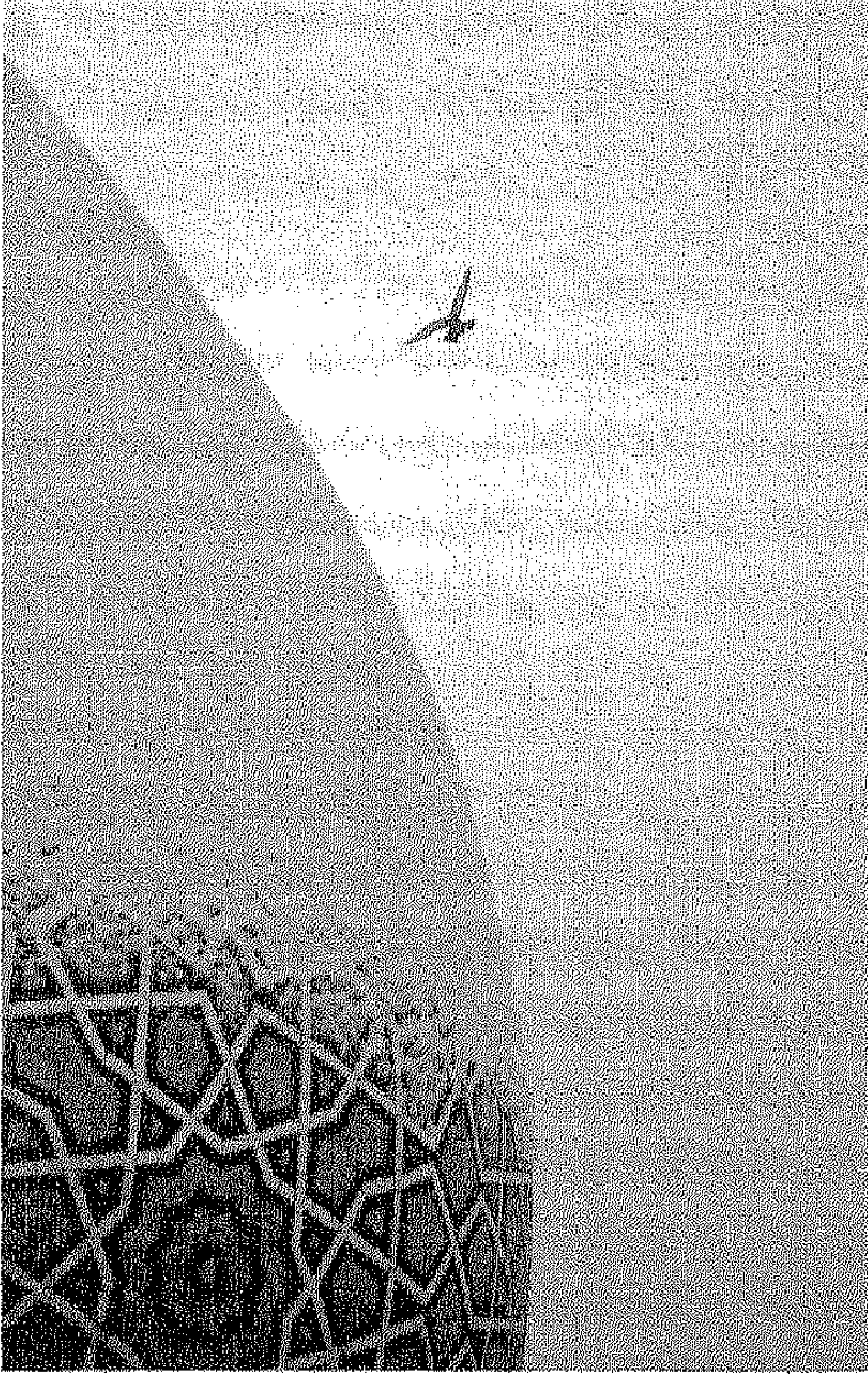
[سورة المائدة: الآية 32]

وتحدث عن القرآن فقال: «إن القرآن لم ينزل لشرح ماهية الإنسان وإنما جاء لتعريف الله للناس، وإذا كان القرآن يقدم شريعة شاملة تجمع بقوة بين الروحي والزمني فإنه يمثل نظام عمل يحدد الفضائل الأخلاقية؛ فالإسلام دين الإيمان والتبصر، وقوة الإقناع في تعاليمه جاءت من عرض حقيقة المطلق، مظهرا الوحدانية المتناغمة للخليقة الناتجة عنه، وأن الله كلي القدرة؛ لأنه يمثل المشيئة الأولى، وأنه ليس كمثله شيء».

وبعد أن استعرض المؤلف ما في القرآن عن الكتب والرسالات السابقة بيّن أن معرفة المسلم لله - تعالى - مختلفة عن معرفة المسيحي لربه، فذكر موضوع (التعميد) لدى النصارى، وأن المسلم لا يجرؤ على مواجهة أي نوع من الاشتراك مع الله في شيء، الأمر المفارق للنبوة الربوبية لدى النصراني، فالمسلم متعمق الوعي لحقيقة أن الإنسان وحده وصلته بالله منحصرة في إخلاصه العبادة لله ربه، وأن إدراك المسلم الصفات الإلهية هام في وحدانيته، وهو إدراك لا يستبعد رحمة الله بعباده ولطفه بهم.

واستعرض موضوع «القضاء والقدر»، فواءم بينه وبين مبدأ الحرية الفردية في حكمة المسئولية بالتكاليف الشرعية في الإسلام التي جسمت حرية الاختيار؛ تحقيقًا لمعنى المسئولية، وأن الدين الإسلامي لا يحفل بالمجردات النظرية، وإنما يفضل مناقشة طبيعة الإنسان النفسية بأسلوب ومنطق الكتاب المنزل لإصلاح البشر، على أساس الإنسان الأفضل، لذلك كان مفهوم الإنسان في الإسلام مثاليًا ومرتكزًا على رسالة أنشأت مجتمعًا أحكم الإرشاد الديني تنظيمه وتوحيده في ظل عقيدة دعت إلى حماية حق الإنسان بالعدل والإحسان.

وفي شأن المرأة بمجتمع الإسلام يرى المؤلف أن الإسلام يخاطب الرجال والنساء على السواء، ويعاملهم بطريقة «شبه متساوية»، وتهدف الشريعة الإسلامية بشكل عام إلى غاية متميزة، هي الحماية، ويقدم التشريع للمرأة تعريفات دقيقة عما لها من حقوق، ويبدي اهتمامًا شديدًا بضمانها؛ فالقرآن والسُّنَّة يحضان على معاملة المرأة بعدل ورفق وعطف، وقد أدخلا مفهومًا أشد خلفية من الزواج، وسعيًا أخيرًا إلى رفع وضع المرأة بمنحها عددًا من الطموحات القانونية، وتشمل حقوق المرأة بشكل أساسي المساواة أمام القانون، والملكية الخاصة الشخصية والإرث، وبين سبب ارتفاع نصيب الرجل



ضعف نصيب المرأة بأنه عائد إلى أن الشريعة كلفت الرجل الانفاق على الأسرة، وأعفت المرأة من هذا، ومنحت الشريعة المرأة حرية التصرف المستقل في إدارة أموالها، وقد ظهر أن احترام امتيازات النساء من الرسوخ بحيث أن فقيهًا من فقهاء الإسلام الرئيسيين شرَّع أنه ينبغي أن تعين في كل مدينة قاضية، وتكلف رسميًا السهر على احترام حقوق المرأة.

وتحدَّث عن الرق في الإسلام مبديًا أنه نظام قديم كان قائماً قبل ظهور الإسلام، وتأصل الفكر الإسلامي في موضوع الرق من مفهوم الإنسان داخل المجتمع بالذات، فالحرية قبل كل شيء مدرك قانوني لا يستهين قط بكرامة الإنسان أو عظمته، إنها ليست مؤسسة على الطبيعة البشرية، وإنما على قرار إيجابي من الله، لكن لا يعني هذا قط أن الرق قدر حتمي ومستمر لفئة من الناس هم من حيث الجوهر أدنى من

غيرهم.. وهكذا لم يكن الرقيق المسلم ذلك الشيء الذي نص عليه القانون الروماني، وإنما وسعت الشريعة بحق منافذ الخروج من الرق إلى الحرية .

ولما كان الله واحداً، وكان يخاطب البشرية بأسرها فإن جميع الناس سواسية بشكل جوهري في خضوعهم المشترك والكامل للمشيئة الإلهية.

الفصل الرابع افتتحه المؤلف بالآية الكريمة 110 من سورة آل عمران:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

ثم أكد أن الإسلام منذ البداية حركة تؤكد أولوية الشأن الاجتماعي، وبالتالي أولوية الشخص الحر المسئول في مقابل الفرد مرتبطاً بالزمرة التقليدية، وسرعان ما وعى المجتمع الذي لمّ الإسلام شمله أن عليه تأليف مجتمع خاص يتميز عن العالم الخارجي بمثل أعلى مشترك للحقوق والواجبات المتبادلة، وأن فكرة الأمة خاصة بالإسلام؛ لأنها تتعلق بجمع من المؤمنين يشهدون شهادة مرتكزة بشكل حصري على كلام الله الخالد الذي لا يتبدل، ألا وهو القرآن.

وهكذا جاء الإسلام بمفهوم جديد وسخي جداً وهو (القومية)، وغدا الرباط الذي يشد المجتمع بعضه إلى بعض رباطاً دينياً وسياسياً في وقت معاً، ويعني الدين للمسلم الخضوع لله امتثالاً لشريعته، ثم قدّم المؤلف لمعنى (الاجتماع الإسلامي) بثلاثة مبادئ، أولها التنزيل؛ فهو يحدد الواجبات المترتبة على المؤمن في جميع حقول الحياة، ويعرفه بواجباته سواء كانت نحو الله أو نحو المجتمع، فمنها يمكن أن يشارك في تماسك المجتمع وازدهاره، ولو على حساب حياته، وثانيها أن ممارسة الشعائر تسهم عن طريق الدقة المحددة بالذات في توفير شعور حاد بالانتماء إلى زمرة منظمة. وثالثها مفهوم القرآن للعالم ؛ إذ يقدم الخليقة على أنها كلٌّ متناسق ومتوازن في التبعية لله برص بنيان المجتمع يغدو تجمع المؤمنين نظاماً يتبوأ فيه كل إنسان مكانه الحقيقي.

ويصف المؤلف عقيدة الإسلام بأنها «تضع وحدة الوجود المتأتية عن مبدأ وحدانية الله، كل شيء في مستواه، وداخل منظور نظام عالمي شامل وهي الأهداف التي حددت من عند الله للمجتمع البشري»، ثم يرى أن «للتضامن في الإسلام خصوصيته الإلزامية البعيدة المدى إلى حد أن المسلم يعتبر نفسه مسؤولاً شخصياً عن انتهاكات القانون في كنف الجماعة؛ فكلٌّ ملزم بالتدخل بنفسه لمنع الخطأ وتحقيق الخير في المجتمع. ومن المفيد أن نسجل إلى أي مدى يطبع مفهوم معين السلوك اليومي لملايين الناس في العالم باعتقاد في مصير يشمل البشرية، وليس بوسع أية ايديولوجية معاصرة أن تنافس الإسلام في هذا الصدد».

في الفصل الخامس تعرّض المؤلف للعلاقات الخارجية من وجهة نظر عقلية بين الإنسان ومحيطه المادي والمعنوي، فاختار عنواناً له هو (الكون والعالم)، ثم قدم لبحثه بهذه العبارة «علاوة على أن الإسلام حقيقة إلهية تامة ومثل أعلى؛ فقد أوجد كياناً سياسياً وتنظيماً اجتماعياً خاصّين به، فهو شمولية مركزة إلى وعي عميق بالتوحيد».

وإذا كان دين اليقين الذي وصل بطاقة المؤمنين وإرادتهم الواعيتين إلى تنظيم العالم الأرضي فإنه يبدو وقد كشف عن وجه مزدوج؛ وجه الدولية، ووجه الحصرية. والصورة التي يقدّمها الدين بدوره عن العالم نظرية عن العلاقات الدولية سواء في تنظيم السلام أم في حالة الحرب، كما تحدد في التحليل الأخير للأنشطة المتعلقة بسير الحرب.

ثم يتحدث عن المفهوم الإسلامي عن الكون، فبيّن أن تصوير الكون في الإسلام بسيط ومنطقي للغاية؛ فبدأ بوحدانية الله، والمفهوم العام للنظام

الكوني يستتبعان وحدة وجود العالم، ويُعلّم القرآنُ أن الله القدير على كل شيء قد شاء كسر وحدة المجتمع الإنساني لخير البشر

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [سورة الحُجرَات: الآية 13]

وعن مصطلح الأمن الخارجي لدولة الإسلام (دار الإسلام) و (دار الحرب) أورد المؤلف رأيه هكذا: الشريعة الإسلامية ملتزم بها في «دار الإسلام»، والقسم الأكبر من أعضاء الجماعة قد اعتنقوا الإسلام ورضيت الأقليات الموحدة بدفع الجزية؛ فهي تتمتع بالحماية، ولما كانت الشريعة الإلهية هي المطبقة فإن سلامة جميع أفراد «دار السلام» مسلميهم والمعاهدين مضمونة بدار الإسلام؛ إذ هي «دار السلام» والعدل، ومضمار الحق، والنظام، والانسجام، ومضمون التسمية الديني ناجم طبعًا عن أن التنزيل يعرض الإيمان والشريعة في آن معًا، والتقيد بهما يستتبع حتمًا السلام. فالحقيقة الأولى التي ينبني عليها التعريف ليست على هذا هي دين السكان، بل على وجود مؤسسات من نوع خاص وتطبيق نظم خاصة، والمعيار الناتج بصورة حتمية عن التعريف هو الأمان الذي يتمتع به السكان، وهكذا فإن (دار السلام) تتميز في مقابل (دار الحرب) بأن القوانين التي تطبقها إسلامية.

الفصل السادس عنوانه (من حاضر الإسلام) موضحاً في البداية أنه على صعيد التاريخ السياسي حددت مناورات أوروبا مصير الإسلام بشكل واسع منذ القرن السادس عشر، وحدد هذه المناورات في التوسع البحري عندما قام كل من البرتغاليين والهولنديين بفتح طرق بحرية جديدة، والتوسع الاستعماري البريطاني والفرنسي بالهند، واستيلاء روسيا على أقاليم إسلامية بشرق أوروبا،



والاصطدام الأوروبي بالدولة الإسلامية الكبرى عالميًا في البلقان.

وخصَّ المؤلف مراحل من الحكم التركي بالتهاون، إلا أن «حملة نابليون إلى وادي النيل أعادت العرب إلى التاريخ الإسلامي، وتجسدت المقاومة، حول الإسلام الذي اعتمد على، ثلاثة مرتكزات: الإصلاح، وتحقيق الذات، والأصالة».

وهذه الظواهر الثلاث نسيج التاريخ الحديث، واتخذت مجتمعة مظهرًا ديناميًا، ومعارضًا لم يكن موجودًا من قبل، فقد استتبع البحث عن الذات بحثًا عن الأصالة والتطلع إلى مدى إسلامي شامل، وفي هذه الحالة إلى التميز بالنسبة إلى الآخر الذي كان في بادئ الأمر الغرب المستعمر.

ولقد شكلت ردة فعل للغزو الاستعماري لوطن الإسلام، قال المؤلف: وقد نجح الإسلام خلال تاريخه الطويل مرات كثيرة في صد الاعتداءات الخارجية، إلا أن الوضع كان استثنائيًا جدًا في مطلع القرن العشرين؛ فقد ظهر العدو بوقت واحد في الداخل: مستبدون رجعيون، وشباب مكبوت، وفي الخارج سيطرة استعمارية وانبهار بالنجاح المادي.

أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي

تنقلات العلماء والكتب

مراجعة وتقديم : الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة

منشورات : كلية الدعوة الإسلامية

668 صفحة / قطع كبير



التاريخ الثقافي مظهر من مظاهر لُحمة الأمة ينبض بأصالتها، ويكشف عن هويتها، ويفصح عن خصوصيتها المميزة، وهو في هذه البيئة (أقطار المغرب العربي) التي تزيد عن ثلاثة أرباع الوطن العربي ينعم بوشائج عديدة تجعل التواصل والتآلف مستمرين، في غير صراع ديني أو مذهبي أو طائفي، إنه تاريخ الفكر والأدب والإبداع المشترك لشعب واحد كانت الفتوى فيه تنتقل من الأندلس إلى طرابلس، والكتاب الواحد يدرس في جميع زوايا ومدارس المغرب العربي الإسلامي، دون اتفاقيات ولا مفاوضات مسبقة، ولا مقررات مفروضة. وهذا الكتاب يضم أعمال الندوة العلمية التي نظمتها كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، وشارك فيها علماء جامعيون من مختلف الأقطار المغاربية وغيرها، كتبوا وتدارسوا بحوثاً ودراسات تفيض بنماذج التواصل الناضج بين علماء هذه الأقطار، وأبرزت الندوة أهمية العناية بالتاريخ الثقافي وما يمثله من أواصر متينة، ترسخ أسس التواصل الثقافي، وتوثق عراه وأواصره. وإننا لنلمس في هذه البحوث والدراسات ملامح الصدق والجدية ، وندرك الآفاق الشاسعة التي يمكن أن يشملها التواصل الثقافي.

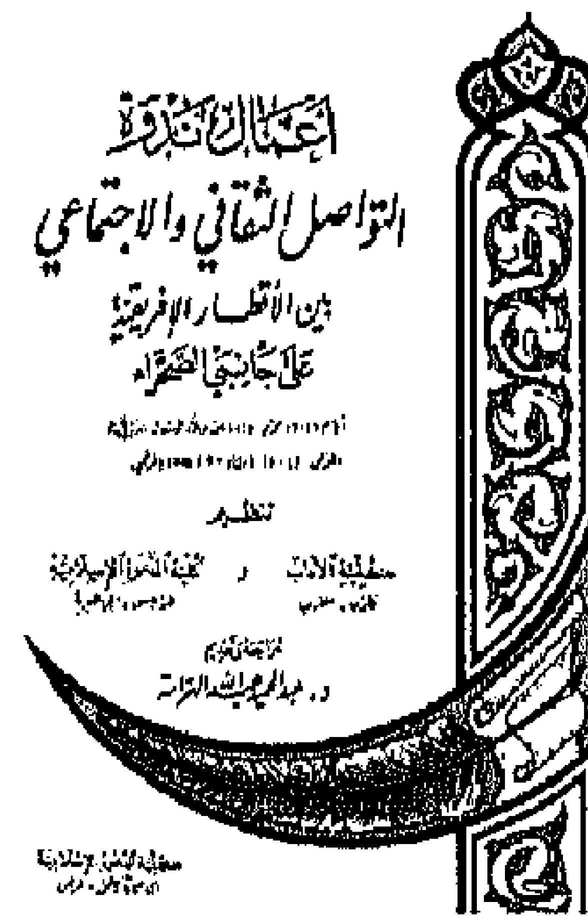
أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء

مراجعة وتقديم

د. عبد الحميد عبد الله الهرامة

منشورات:
كلية الدعوة الإسلامية

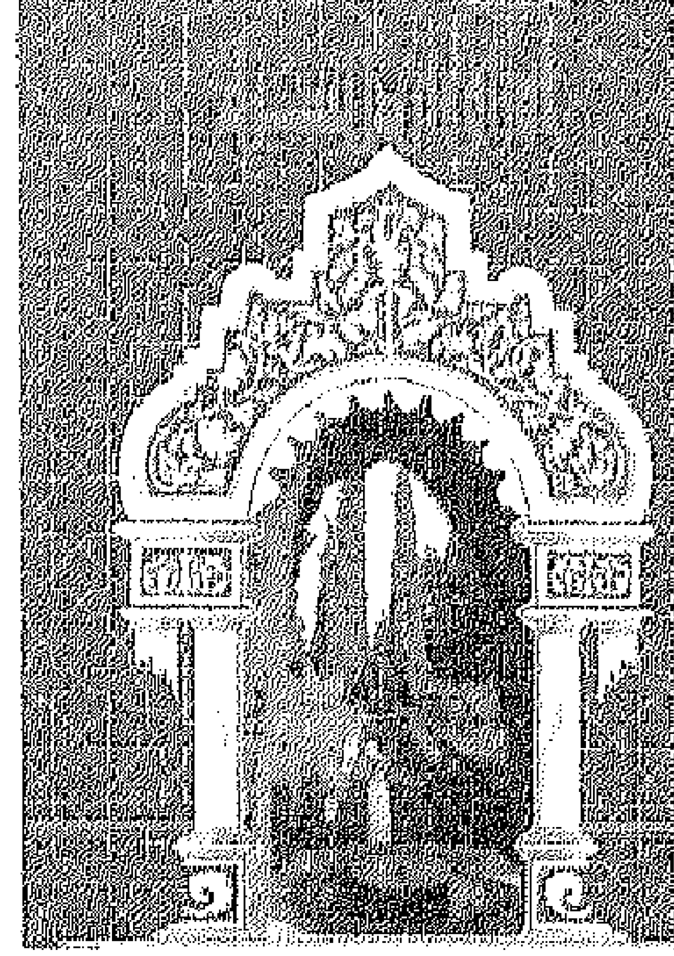
630 صفحة / قطع كبير



في إطار العناية بتاريخنا الثقافي والاجتماعي جاءت أعمال هذه الندوة لتكشف عن مظاهر مختلفة من ضروب التلاقي والتآخي، وأصناف التواصل والتعاون بين المتساكنين على جانبي الصحراء الكبرى وفي أعماقها، كما أن البحوث والدراسات التي يتضمنها الكتاب تقيم الدليل على عمق الجذور المشتركة بينهم في الأصل والدين واللغة والتاريخ المشترك، وهي الأواصر التي تكوّن وحدة الأمة وتمنحها المضمون المجدي والمصداقية الفاعلة . ومع كل الأواصر العرقية كان في أوراق الندوة تركيز على الجوانب الفكرية والمعنوية واللغوية المكونة لوحدة الأمة، لأن الارتباطات العرقية والجغرافية على أهميتها غير كافية لتعميق الإحساس بالوحدة النفسية، والتضامن الوجداني والعقلي بين الشعوب، وهو ما حققته الثقافة الواحدة والفكر المتأثر بها، ثم هو الذي أكمل مع الترابط الوطني والقومي شروط الانتماء للأمة الواحدة . وأبحاث ودراسات الندوة التي يتضمنها الكتاب نفضت الغبار عن تلك المظاهر وهذه الآثار، لتقدمها كلية الدعوة الإسلامية في هذا السِّفر العلمي القيم، هي حصيلة تلك المائدة العلمية التي تضعها بين يدي القارئ الكريم .

أوراق أندلسية

تأليف: الدكتور عبد العاطي محمد عبد الجليل
الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
339 صفحة / قطع كبير



كان العام 1992 مسيحي مناسبة نادرة لتصحيح عدد من الأحكام الخاطئة التي أطلقت على الأندلس من خلال محاولة الإجابة عن كم لا بأس به من التساؤلات:

هل صحيح أن الإسلام غادر الأندلس نهائيا منذ عام 1492 مسيحي ؟ ولماذا قيل: ما دخل الإسلام أرضاً إلا وبقي فيها ما عدا الأندلس؟ وإلى أي مدى يمكن التسليم بذلك ؟.

لقد حاولت جهات متعددة وكتابات كثيرة تصوير الوجود الإسلامي في الأندلس بشكل جعل الإسبانيين لا يعطون اهتماماً واضحاً لفترة زمنية استمرت أكثر من ثمانمائة عام، فهل أن أبناء الأندلس اليوم ما يزالون يتنكرون لتلك الفترة؟

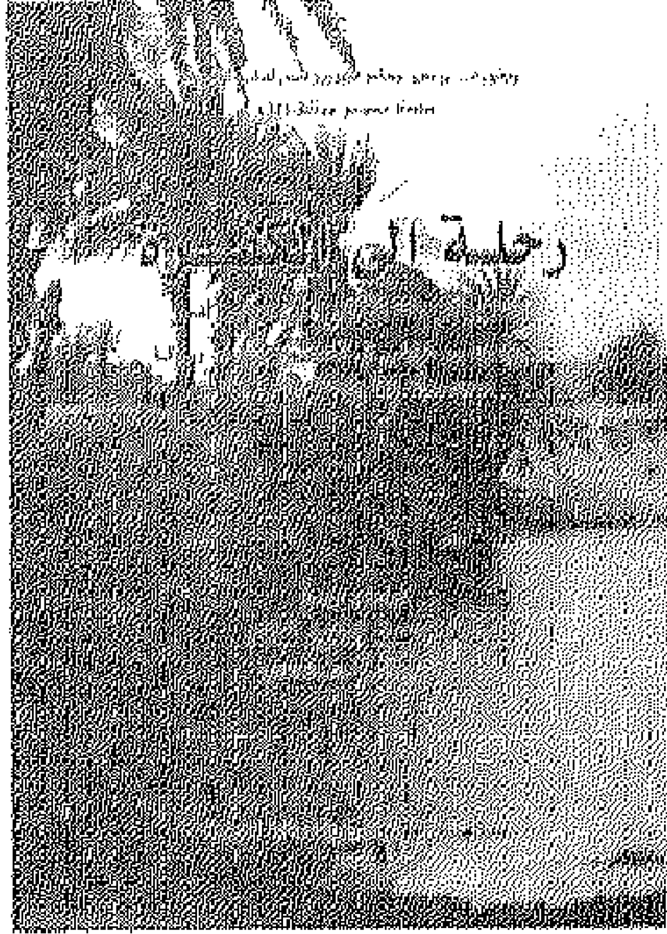
ولأن الإسلام لم يغادر الأندلس فإن عددا من الإسبانيين اعتنق الإسلام، ويحاولون ترميم جسور الحوار التي ظلت مغلقة فترة طويلة من الزمن، فهل من الممكن أن يتجاوز الحوار كل العراقيل التي وُضعت وما تزال توضع أمام تواصل يحتمه التاريخ (الذاهب/ القادم) والجغرافيا الثابتة؟ وهل كان الوجود العربي الإسلامي في الأندلس مجردا عن كل أثر؟ أم أنه كان (انسياحاً حضارياً) لغة وثقافة وعقيدة؟

وإذا كنا قد نشرنا عن تاريخ الأندلس الأدبي والثقافي والعلمي من قبيل ما مضى وانقضى، فلم لا نكتب عن الأندلس حاضراً ومستقبلاً؟

شهد العام 1992 مسيحي وقفة متميزة أمام أحداث تاريخية لم ولن يتبلور حيالها رأي موحد، ولذلك فإن المؤلف اختار نشر هذه الأوراق الأندلسية التي تربط بين ماض عريق وحاضر متوثب ومستقبل يحتاج لتحديد ملامحه حتى لا تضيع خلاله ملامحنا .

رحلة إلى الكفرة

تقارير الرحالة الألماني غيرهارد رولفس
عن رحلته من طرابلس إلى الكفرة
دراسة وترجمة : الدكتور عماد الدين غانم
منشورات : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية / طرابلس
600 صفحة / قطع متوسط



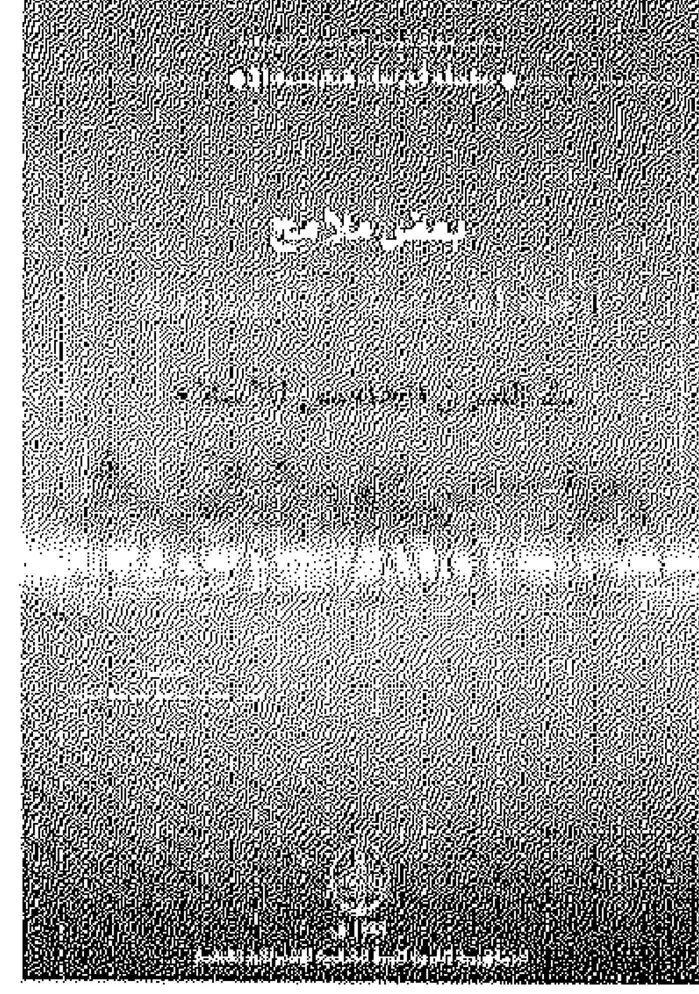
إذا كان الرحالة والجغرافيون العرب قد أمدونا بمعلومات مبكرة عن العديد من مناطق القارة الإفريقية ؛ فإن الأوربيين قاموا في القرنين الأخيرين بتكثيف اهتمامهم بها، وتمتلئ كتب الرحالة الأوربيين بمعلومات متفاوتة القيمة حول طبيعة هذه البلدان وشعوبها وأوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . والتاريخ الليبي الحديث يحفل بعدد لا بأس به من مؤلفات الرحالة الأوربيين الذين قصدوا ليبيا للتوجه إلى مناطقها المختلفة، الساحل والداخل، أو للإنطلاق منها إلى البلدان الواقعة ما وراء الصحراء . ومن بين هؤلاء الرحالة الألماني غيرهارد رولفس، الذي لقيت رحلته إلى الكفرة اهتماماً كبيراً في أوربا، وما إن صدر كتابه بالألمانية عام 1881 مسيحي حتى تمت ترجمته إلى لغات أوربية أخرى . ويقع الكتاب في قسمين، يتضمن الأول تقارير رحلة رولفس وتشكل حوالي ثلثي الكتاب،ويشتمل على وصف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية . أما القسم الثاني فيتضمن النتائج العلمية للرحلة التي استعان لوضعها بمجموعة من مشاهير العلماء المتخصصين . ولعل أبرز ما يميز الكتاب ومادته أن مؤلفه أمضى قرابة عقدين من الزمن في مجال الرحلة، ونضجت تجربته في هذا المجال، ويعتبر هذا الكتاب هو الأهم من بين مؤلفاته .

بعض ملامح أزمة إفريقية الاقتصادية في القرن الخامس للإسلام

تأليف : لمياء محمد سالم شرف الدين

منشورات : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية / طرابلس

403 صفحات / قطع متوسط



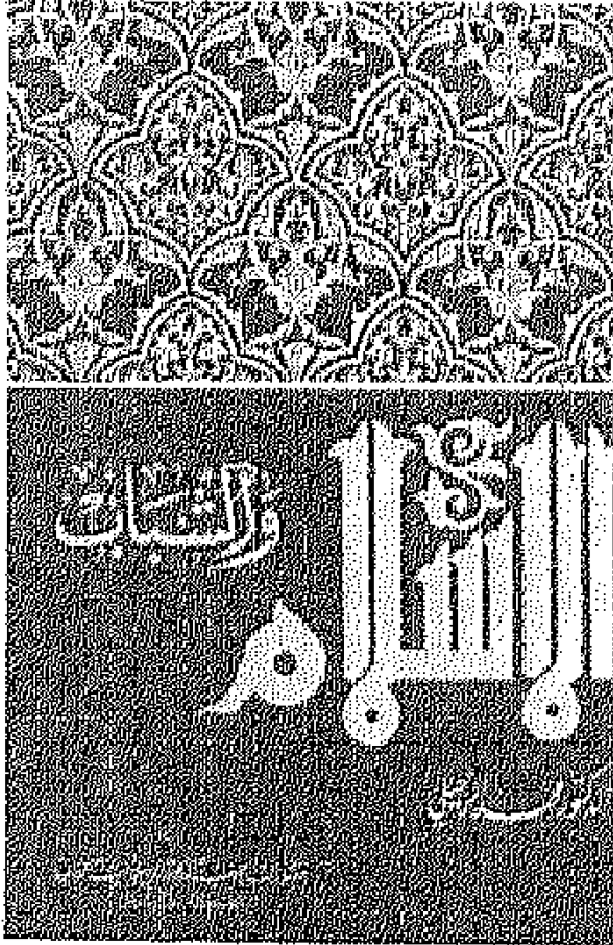
بالرغم من أهمية ما فسَّر به الدارسون أزمة إفريقية الاقتصادية في القرن الخامس للإسلام ؛ فإن تفسيراتهم لم تكن لتضع الأزمة في إطارها المحدد، ذلك أن كلا منهم فسرها من خلال جزئية معينة . ونتيجة لأهمية هذا الحدث (أزمة إفريقية الاقتصادية في القرن الخامس) ولجزئية التفسيرات، وتبعيتها في الأغلب للرؤى الاستشراقية؛ تدرس الباحثة هذا الموضوع من منطلق مغاير، ولكنه لا يتجاهل التفسيرات الأخرى . والاهتمام بهذا الموضوع لا يكمن في تسليط الضوء على الأطروحات التقليدية اللصيقة به فحسب ؛ بل وفي اعتباره مرحلة فاصلة بين حقبة كان الاعتقاد بأنها تمثل فترة البناء والتشييد وبين حقبة عمت فيها الفوضى والتخريب، لذلك فإن الباحثة تعرض تلك التفسيرات وتقدم نقدا لها، وتضيف بعدا آخر يتمثل في دور القبيلة والعقيدة وعلاقتهما بالسلطة المركزية، فثالوث القبيلة والعقيدة والسلطة المركزية ظهر جليا في المصادر العربية الأولى. الباب الأول من الكتاب يتناول المغرب في القرن الثالث للإسلام من التجزئة إلى الوحدة، والباب الثاني يبحث في موضع إفريقية بين المد الحضري والمد البدوي، أما الباب الثالث فيتعلق بدراسة أزمة إفريقية الاقتصادية في القرن الخامس للإسلام، ومحوره النصف الثاني من ذلك القرن، أي منذ تاريخ دخول بني هلال إلى إفريقية.

الإسلام والشباب

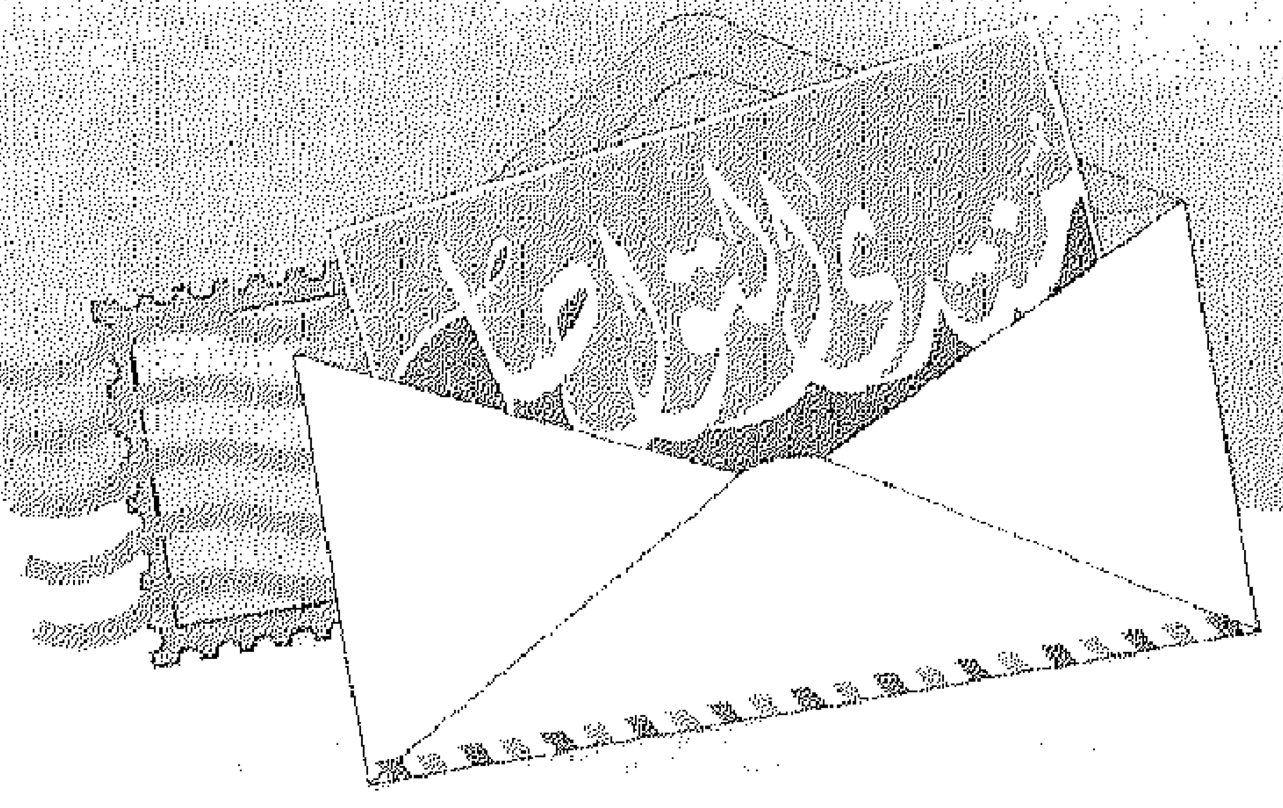
تأليف : الدكتور محمد الزحيلي

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

143 صفحة / قطع صغير



اهتم الإسلام بالنفس الإنسانية، وأولاها الرعاية الكاملة بالتربية التي تشمل الفرد والمجتمع، وتتناول جميع مراحل الإنسان، واهتم اهتماماً خاصاً بالأطفال والشباب، لأنهم عدة الحاضر وأمل المستقبل لكل أمة، وقد أثبت التاريخ أن دعوات الإصلاح وثورات التحرر، ومحاربة الظلم والطغيان، قامت على أيدي الشباب . ولا يخفى أن شباب اليوم هم الامتداد الطبيعي لمرحلة أساسية ومهمة، هي مرحلة الطفولة التي يتوجب الالتفات إليها، ورعايتها، والعناية بها، ودراستها، ومعرفة سبل إعدادها وإصلاحها، وتربية الأبناء هي التي تحدد المعالم الحقة للشباب، وهي القوة الذاتية التي يجب الاعتماد عليها، وإلا كانت الجهود ضائعة، وتفقد القاعدة التي ترتكز عليها. ولذلك اتجه الإسلام أولا إلى تربية الأطفال ورعايتهم والعناية بهم حتى يشبوا على منهج قويم يمنع الانحراف مستقبلاً. ومسئولية التربية في الإسلام تقع على ثلاث جهات : البيت والمجتمع والمدرسة، يضاف إليها مسئولية الشاب عن نفسه بعد النضج والبلوغ، ليرعى شئون نفسه، وينمي ما غرسه الاباء والمعلمون.



إخوتنا في مجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إننا نغتنم هذه الفرصة الذهبية لنكتب إليكم ، أنا وأعضاء مجالس الفتاوى والبحوث الإسلامية، لنعبّر لكم عن مدى سرورنا وابتهاجنا لما نجنيه من منافع وفوائد من مجلتكم (التواصل) التي تخاطب جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وانتماءاتهم. لقد اطلعنا على العددين الثالث والرابع من مجلة (التواصل) في إحدى المكتبات الإسلامية بمدينة أكرا عاصمة غانا، ولنا أمل ورجاء في أن تبعثوا إلينا بالعددين الأول والثاني، وكذلك الأعداد اللاحقة التي صدرت والتي ستصدر من هذه المجلة الرائعة، والله يحفظكم ويسدد خطاكم.

عبد الحميد محمد جال
مدير مجلس الفتاوى والبحوث العلمية
أكرا / غانا

المحرر: نشكركم على المبادرة بالكتابة إلى أسرة التواصل، ونكبّر فيكم هذا الشعور الفيّاض والانطباعات الطيبة التي عبرتم عنها حول مجلة التواصل. ونفيدكم علما بأن الأعداد الأولى من المجلة قد نفذت، وبالتالي فإننا نعتذر عن عدم إرسالها إليكم ، ونعدكم بأن أعداد المجلة التالية ستصلكم تباعاً.
نشكركم مرة اخرى، مع الأمل بدوام التواصل.

الأخ أمين تحرير مجلة التواصل الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسرنا ان نشعركم بأن المسلمين في الهند يقومون بنشاطات دينية وعلمية وثقافية، ويشكلون لها هيئات ولجانا منظمة في إطار الحرية التي يبيحها النظام السياسي في البلاد، ومن هذه الهيئات: مجلس الدراسات والبحوث الإسلامية، ومقره في ولاية كيرالا، التي يذكر التاريخ أن الإسلام انتشر فيها في عصر النبي ﷺ، وآمن به ملكها الهندوكي الذي سافر إلى مكة المكرمة وتوفي في الطريق عند عودته. وهذا المجلس يضم علماء الدين وأساتذة الكليات والأطباء والمثقفين وعلماء الاقتصاد والصحفيين والخبراء في مختلف العلوم والفنون ، ومن أهم أعمال هذا المجلس إجراء البحوث والدراسات في مختلف الموضوعات، واستنباط الأحكام الفقهية في القضايا العصرية، وتسليح العلماء والدعاة بالعلوم الإسلامية الأصيلة لمواجهة الغزو الثقافي والفكري، ونشر الوعي الديني والتعليم الإسلامي الأصيل.

ومن هنا فإنه لا يخفى عليكم أن اعمال المجلس تتطلب لنجاحها أن يكون المشتغلون بها على اتصال دائم بمنابع وروافد الثقافة الإسلامية الأصيلة ، وعلى اتصال وتواصل بالعلماء والكتّاب ، ومطلعين على ما يصدر في مجال الثقافة والفكر الإسلامي الأصيل في مختلف ميادينه وتوجهاته ، وحتى نتمكن من تحقيق ذلك ، وللوصول إلى ما نطمح إليه؛ نرجو منكم التكرم بتزويدنا بشكل منتظم بأعداد مجلة التواصل، كعون ثقافي منكم لنشاطات مجلس الدراسات والبحوث الإسلامية، ونشير بكل تواضع إلى أن إخوتكم المسلمين في الهند يستحقون كل دعم وتشجيع منكم.

والله ولي التوفيق

المخلص: محمد كوتاشيري
أمين مجلس الدراسات والبحوث الإسلامية
فاروق / كاليكوت / كيرالا / الهند

المحرر: نشكر لكم جهودكم الطيبة في سبيل الارتقاء بالمسلين إلى مستوى حضاري إيجابي ، ونشكركم على رسالتكم الرقيقية، ونعدكم بعون الله أن تصلكم التواصل بانتظام على أمل أن تصلنا مساهماتكم ومساهمات العلماء لتأخذ مكانتها في مجلة التواصل.

الأستاذ / الصديق بشير نصر

مجلة التواصل - تحية وبعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سرني جداً مقالكم الأخير عن الخط العربي «الحرف الناطق.. الرسم بالكلمات» وهو ينم عن تقديركم العالي وتذوقكم الجمالي لهذا الفن الإسلامي الجميل، غير أني استوقفتني بعض الملاحظات وهي: عن مسابقة الخطاط سيد ابراهيم كانت سنة 2000 وليس 2002، وآخر مسابقة سنة 2003 باسم مير عماد الحسيني حامد الآمدي وليس كما ورد، وخط الطغراء اشتهر به الخطاط الكبير مصطفى رقم ولم يكتب به أو لم يعرف به الخطاط المصري سيد ابراهيم كما في مصور الخط العربي.

هذه ملاحظتي وهي بدافع تجميل لهذا المقال الجميل.

وتفضلوا بقبول تحياتي وتقديري

حسن العويتي

طريق السواني ص.ب./ 71448- ليبيا

المحرر:

الأستاذ الخطاط حسن العويتي

شكراً على رسالتكم الرقيقة التي تفصح عن ذوق رفيع وإحساس بالجمال مرهف..

ونحن نقدر كلّ التقدير الملاحظات القيّمة التي وردت في رسالتكم، وإنّ أيّ تصويب أو استدراك يصلنا من القارئ الكريم هو مبعث سعادتنا وانشراحنا لأنّ أقلّ ما يُفسّر به ذلك أننا نجحنا في إقامة جسور التواصل مع قرائنا الأعزاء.. وأننا كسبنا برسالتكم قارئاً متميزاً ذواقة مثلكم.

وبخصوص الملاحظات التي أبديتموها عن مقالنا عن الخط العربي (الحرف الناطق)، ومنها أنّ المسابقة الخامسة الدولية للخط العربي التي تجري في استانبول والتي تحمل اسم الخطاط المصري الشهير سيد إبراهيم قد انعقدت في سنة 2000 وليس في سنة 2002 كما ذكرنا . ونحن إذ نشكركم على هذه الملاحظة نؤكّد لكم أنها انعقدت في سنة 2002 كما هو مثبت على غلاف كاتلوج اللوحات الفائزة في تلك المسابقة التي يسعدنا أن نرفقها هنا.





وأما أن خط الطغراء لم يشتهر به سيد إبراهيم فهوكما قلتم، وذلك صواب لأن الخطاطين قلما يتفرغون لهذا الخط، والمشهورون به لهم لوحات قليلة.

كما نشكرك على هديتك اللطيفة وهي لوحة مكتوبة بخطك الجميل، وتعبيراً عن إعجابنا يسعدنا أن ننشرها في هذه الصفحة.

رب يسر ولا تعسر
رب تمم بالخير وبه العون

حصاد عامين

خدمة للقارئ الكريم نقدم هذا الثبت لما نشرته مجلة التواصل في أعدادها الثمانية التي صدرت خلال السنتين الماضيتين 1372 ـ 1373 من وفاة الرسول ﷺ 2004 ـ 2005 مسيحي

الافتتاحية

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
دون عنوان	التحرير	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	1
دون عنوان	التحرير	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	1
دون عنوان	التحرير	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	1
دون عنوان	التحرير	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	1
❖ للتواصل حكاية	علي محمد الويفاتي	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	1
❖ الحياة تجدّد	إبراهيم علي الربو	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	1
❖ الإعلام في الدول المتخلفة	د. عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	1
❖ الإعلام في الدول القوية	د. عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	1

مقالات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ رؤية إسلامية في مفهوم الإرهاب	أ. التيجاني عمر محمد	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	20 ـ 23
❖ الإسلام بين العولمة والعالمية	فوزي فاضل الزفزاف	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	24 ـ 31
❖ الإسلام وحقوق الإنسان بين التأصيل ودعاوى التأويل	د. دهام العزاوي	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	32 ـ 36
❖ الوسطية والتوازن في الإسلام	محمد أحمد شفيع	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	37 ـ 42
❖ نظرة في مرتكزات الثقافة العربية الإسلامية	أ. بسام رجا	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	43 ـ 46
❖ الإسلام والإعلام الغربي: سوء فهم أم إساءة مقصودة؟	د. باسل حسين	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	47 ـ 51
❖ تأملات في مضمون النص القرآني	د. عبد الأمير زاهد	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	52 ـ 54
❖ القرآن الكريم وحركة الإرادة	د. سعيد فاندي	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	55 ـ 59
❖ اللغة العربية والتقدم العلمي والتكنولوجي في نيجيريا	د. حمزة أشولا عبد الرحيم	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	60 ـ 66
❖ العروبة والإسلام: الترابط الجدلي والتكامل الحضاري	د. خالد ناجي	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	67 ـ 69
❖ الأدب الإسلامي: تصور وكلمة	أ. طلعت سقيرق	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	70 ـ 72
❖ الإتجاه الإسلامي في شعر القروي	محمد صالح يونس	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	73 ـ 78
❖ تولستوي كان يحلم بالعيش في بلد إسلامي	د. محمود علي التائب	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	79 ـ 82
❖ الإنسان أمانة بين سطور الإبداع	د. عبد الفتاح أبو زائدة	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	83 ـ 84
❖ نحو عالم أكثر تسامحاً	د. إسماعيل نوري الربيعي	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	26 ـ 31
❖ الإنسان المعاصر أمام حركة الواقع والاجتهاد	د. أبو زيد الإدريسي	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	32 ـ 38
❖ كيف تعاونت الصهيونية مع النظام النازي؟	د. عبد الله الزيات	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	39 ـ 47
❖ الصحوة الإسلامية.. رؤية مستقبلية	أ. محمد أحمد شفيع	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	48 ـ 53

مقالات				
الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ الشباب المسلم والتنمية	د. سامي ماغاسوبا	العدد الثاني	الصيف 1372و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	54 ـ 57
❖ التنوع الثقافي وانعكاساته	د. محمد السماك	العدد الثاني	الصيف 1372و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	58 ـ 61
❖ الكتاب وثقافة الطفل الصيني	د. مفتاح محمد دياب	العدد الثاني	الصيف 1372و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	62 ـ 66
❖ البعد الديني لمفهوم الإرهاب في السياسة الصهيونية	د. دهام العزاوي	العدد الثاني	الصيف 1372و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	67 ـ 72
❖ الشيخ عبد الواحد يحيى والنهضة الروحية في الغرب	د. عبد الإله بنعرفة	العدد الثاني	الصيف 1372و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	73 ـ 80
❖ ثورة الفاتح وإسهاماتها في العالم الإسلامي	علي محمد الأحمر	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	20 ـ 36
❖ الإسلام وثقافة الحوار	د. دهام العزاوي	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	37 ـ 39
❖ مفهوم الإنتظار في الثقافة الدينية	د. حسن الباش	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	40 ـ 48
❖ حوار الأديان في ظل العولمة	د.عودة سليمان الصويص	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	49 ـ 54
❖ حديث الفردوس الموعود	د. عبد الله محمد الزيات	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	55 ـ 63
❖ أهمية نقل المصادر الإسلامية إلى اللغة الصينية	د. مافود يوسف سراج	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	64 ـ 70
❖ ملاحم الحضارة الإسلامية ومدى اختلافها مع الحضارة الغربية	د. مفتاح السنوسي بلعم	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	71 ـ 73
❖ التحدي النفسي المعرفي التربوي: خطوة عريضة	د.عبد الحميد أحمد أبو سلمان	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	74 ـ 79
❖ المسلم المعاصر والتحديات	طلعت سقيرق	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	16 ـ 24
❖ التفوق الثقلي المزعوم	أ.د. بدور مارتينث مونتابث	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	25 ـ 27
❖ المصطلحات العلمية العربية :تعريب أم تغريب	عمر لطفي العالم	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	28 ـ 34
❖ مفردات في أشكال الثقافة والهوية	د. محمد سالم المقيد	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	35 ـ 39
❖ الإسلام والعولمة : جدل أم هيمنة ؟	د. وسام رجا	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	40 ـ 48
❖ مضى من التواصل عام	د.عبد الفتاح أبوزايدة	العدد الخامس	الربيع 1372و.ر/ مارس 2005 مسيحي	18 ـ 21
❖ من أجل ثقافة وحوار ..	جوزيف إلّول	العدد الخامس	الربيع 1372و.ر/ مارس 2005 مسيحي	22 ـ 28
❖ أوروبا اليوم بين الانفتاح وهاجس القلق من الإسلام	كريمة أم عبد الله	العدد الخامس	الربيع 1372و.ر/ مارس 2005 مسيحي	29 ـ 32
❖ لغز التراث وشروط الاستمرار	عمر لطفي العالم	العدد الخامس	الربيع 1372و.ر/ مارس 2005 مسيحي	33 ـ 37
❖ الخطر الأقسى على المسجد الأقصى	د. محمد السماك	العدد الخامس	الربيع 1372و.ر/ مارس 2005 مسيحي	38 ـ 45
❖ مقاومة الإسلام للاستعمار الثقافي الغربي بمنطقة غرب أفريقيا	محمد أحمد شفيع	العدد الخامس	الربيع 1372و.ر/ مارس 2005 مسيحي	46 ـ 50
❖ أين يكون موقع الإسلام في أوروبا الجديدة ؟	د. محمد بشاري	العدد السادس	الصيف 1373و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	30 ـ 35
❖ الأدب العربي والمستعربون الأوروبيون	عمر لطفي العالم	العدد السادس	الصيف 1373و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	36 ـ 42

مقالات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ ثاباتا والعرب	د.علي حسين الحلو	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	43 ـ 47
❖ إيطاليا وتاريخ الدراسات العربية والإسلامية	محمد القاضي	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	48 ـ 54
❖ آل بوش ووهم النهايات	د.سالمة عبد الجبار	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	55 ـ 62
❖ العلم والبعد الروحي للدين	د.صلاح الجابري	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	63 ـ 67
❖ منهجية الإسلام	محمد رجا حنفي	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	68 ـ 74
❖ فضاءات التخييل وتأويلاته	د. مشكور كاظم العوادي	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	75 ـ 78
❖ الكتاب والمكتبة وثقافة الطفل المسلم	د. مفتاح محمد دياب	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	79 ـ 84
❖ الشيخ عثمان بن محمد فودي	د.محمد أول أبو بكر	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	85 ـ 89
❖ التراث العربي المخطوط ودوره في ترسيخ العلاقات بين شعوب جانبي الصحراء الكبرى	سامبي خليل ماغاسوبا	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	90 ـ 98
❖ الثقافة العربية الإسلامية تجاه العولمة	علي جنك صمب	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	99 ـ 106
❖ ملامح تجربة الشريط الديني في السينما العربية	رمضان سليم	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	107 ـ 116
❖ الخطاب الإسلامي بين الأصالة والتطوير	عبد الحميد حقيق	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	6 ـ 10
❖ علم مقارنة الأديان ..نشأته وأهدافه	عمر لطفي العالم	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	11 ـ 16
❖ المسيحيون الفلسطينيون في مواجهة الاحتلال	د.حسن الباش	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	17 ـ 26
❖ الإنجيلية ..طائفة تسعى للسيطرة على العالم	صوفي دي ديزير	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	27 ـ 33
❖ البحث عن مملكة السماء!!	رمضان سليم	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	34 ـ 40
❖ الآثار الاجتماعية للعولمة	غازي دحمان	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	41 ـ 50
❖ تقرير عن حالة الأمة	د. محاضر بن محمد	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	6 ـ 11
❖ المتغيرات العالمية والثوابت الإسلامية	د. محمد السماك	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	12 ـ 18
❖ إعجاز القرآن .. رؤية جديدة	عمر لطفي العالم	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	19 ـ 24
❖ الوقف وفلسفته التنمويّة	عطية فتحي الويشي	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	25 ـ 29
❖ المعرفة أساس رقي المجتمعات	د أحمد عبد الرحيم السائح	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	30 ـ 38
❖ المغامر دومنغو باديًا في مكة وفلسطين	د. علي حسين الحلو	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	38 ـ 42

دراسات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ العنف والإرهاب وأزمة العقل المسلم	د. أبو زيد المقري الإدريسي	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	146 ـ 164
❖ الإسلام والغرب	د.صلاح الجابري	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	165 ـ 182
❖ لا إله إلا هو : تنوع دلالاتها في السياق القرآني	د. عبدالله محمد النقراط	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	183 ـ 192
❖ الوقف ودوره الحضاري	عطية فتحي الويشي	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	112 ـ 125
❖ كتابة تاريخ الأمة سبيل لتحديد الهوية والتعارف	د.سهيل زكار	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	126 ـ 136
❖ العربية والعولمة .. استنهاض أم استنزاف؟	حسن سعيد جالو	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	137 ـ 150
❖ الدين وعلوم المستقبل	عمر لطفي العالم	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	151 ـ 162
❖ مكانة تحفيظ القرآن الكريم في المجتمع التشادي المعاصر	د.محمد صالح أيوب	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	132 ـ 162
❖ الخطاب الإسلامي المعاصر	د.محمد مصطفى بن الحاج	العدد الرابع	الكانون1372 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	50 ـ 68
❖ التلاحم الثقافي العربي ـ الإفريقي في مواجهة العولمة	د.علي الطاهر عريبي	العدد الرابع	الكانون1372 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	69 ـ 78
❖ المضامين العنصرية للخطاب الدعائي الصهيوني حول العرب	إبراهيم عبد الكريم	العدد الخامس	الربيع1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	51 ـ 64
❖ أوروبا والإسلام : تلميع الهلال وصدام الثقافات	تيموثي م.سافيج	العدد السادس	الصيف1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	118 ـ 139
❖ الإسلام والتعددية الفكرية ..مقاربة في شرعية الاختلاف وثقافة الحوار	د.عبد الحكيم الكعبي	العدد السادس	الصيف1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	140 ـ 150
❖ الحملة الإعلامية الغربية على الإسلام	د.صلاح الدين الجعفراوي	العدد السابع	الفاتح 1373و.ر/ سبتمبر 2005 مسيحي	52 ـ 59
❖ نظرة على المشهد العمراني في القدس خلال العهد العثماني	إبراهيم عبد الكريم	العدد السابع	الفاتح 1373و.ر/ سبتمبر 2005 مسيحي	60 ـ 78
❖ الإسلام والغرب والهوية العربية الإسلامية	محمد الحبيب بلخوجة	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	44 ـ 60
❖ النظام العالمي الجديد وصورة الإسلام في الإعلام	الشيخ محمد علي التسخيري	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	61 ـ 72

قضايا وآراء

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ رأي في الحوار	التحرير	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	86 ـ 87
❖ قراءة في ندوة الحوار الإسلامي ـ المسيحي في عصر العولمة	التحرير	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	88 ـ 91
❖ العلاقة بين الإسلام والغرب ،تأملات في رؤية غربية	الشيخ محمد علي التسخيري	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	92 ـ 97
❖ المفهوم الإسلامي للحوار بين الحضارات	د. حسن الباش	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	98 ـ 100
❖ حول العقائد: هل يوقف صراع الحضارات أو يحول دون صدامها؟	د.عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	101 ـ 103
❖ حوار الثقافات ..حوار الحضارات مبادئ أولية:	د.حسن مصطفى	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	104 ـ 106
❖ حتى يكون للحوار جدوى	أ.إبراهيم علي الربو	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	107 ـ 108
❖ صراع الحضارات وحقيقة المواجهة	أ . جعفر حسن الطائي	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	109 ـ 112
❖ موقف الإسلام من صراع الحضارات	أ. غازي دهمان	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	113 ـ 118
❖ حوار الثقافات: تحرير المصطلح والمنهج	د. ناصر الدين الأسد	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	119 ـ 127
❖ موقع الكيان الصهيوني من صراع الحضارات	أ. عمر سعادة	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	128 ـ 130
❖ الخطأ التاريخي وثوابت الصراع	أ. إبراهيم عبد الكريم	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	131 ـ 134

قضايا وآراء

ملفـــات

ملفـــات

ملفـــات

محاضرات

حوارات

الضيف	المحاور	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ د. محمود مصطفى أيوب: الإسلام ليس دين المسجد والمنزل فقط	محمد حسن جحا	العدد الخامس	الربيع1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	132 ـ 142
❖ د.أكمل الدين إحسان أوغلي :الإسلام ليس جغرافيا واحدة	د. عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	162 ـ 168
❖ الشيخ محمد على التسخيري : الحوار هو المنطق الإنساني السليم	محمد حسن جحا	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	166 ـ 174
❖ د. محمد الدسوقي: ليست المشكلة في وسيلة التبليغ ولكن في من يقدم هذا البلاغ	محمد حسن جحا	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	73 ـ 82

استطلاعات

الضيف	المحاور	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ مسجد غرناطة	د. عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/مارس 2004 مسيحي	136 ـ 144
❖ القبة .. حوار السماء والأرض	أ. الصديق بشير نصر	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	176 ـ 187
❖ تومبكتو	علي محمد الويفاتي	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	188 ـ 208
❖ شجرة مباركة .. يكاد زيتها يضيء	محمد حسن جحا	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	179 ـ 195
❖ الخط العربي .. الحرف الناطق	أ. الصديق بشير نصر	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر2004 مسيحي	196 ـ 202
❖ الماء..الصحة..العلم: ثلاثية الأفريقي في عالمه	علي محمد الويفاتي	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	184 ـ 204
❖ المالديف ..إكليل الجزر	محمد أحمد زمياط	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	144 ـ 173
❖ تسونامي .. الموت الأزرق	أ. الصديق بشير نصر	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	174 ـ 194
❖ ميورقة .. الجزيرة ذات الألف وجه	د. عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	170 ـ 196
❖ سورينام : تاريخ .. وواقع	مصطفى أبو بكر لاغة	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	176 ـ 190
❖ أطفال المالديف يرسمون للتواصل	محمد أحمد زمياط	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	151 ـ 162

تقارير

الضيف	المحاور	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ أفريقيا والدعوة الإسلامية	التحرير	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/مارس 2004 مسيحي	6 ـ 12
❖ الحوار الإسلامي ـ المسيحي: ندوات ومؤتمرات نظمتها الجمعية	عبد الحكيم مختار الورفلي	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/مارس 2004 مسيحي	13 ـ 18
❖ ملتقى إسلامي في رواندا	أحمد البكوش	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	6 ـ 11
❖ قرية الهنود التي قهرت الوثنية والظلام بنور الإسلام	مصطفى أبو بكر لاغة	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	12 ـ 16
❖ الدورة الخامسة عشر للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية	التحرير	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	17 ـ 24
❖ الإسلام واللجوء	علي الويفاتي	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	8 ـ 12
❖ قوافل الخير تجوب المعمورة	أحمد البكوش	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر 2004 مسيحي	14 ـ 18
❖ استجلاء صورة الإسلام المضيئة	التحرير	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ديسمبر 2005 مسيحي	5 ـ 14
❖ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمات الدولية	التحرير	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	5 ـ 16

تقارير

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ جهود جمعية الدعوة الإسلامية في تعليم اللغة العربية في أفريقيا	محمد حسن جحا	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	6 ـ 19
❖ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمات الدولية للتربية والثقافة والعلوم (تعاون من أجل أفريقيا)	علي محمد الويفاتي	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	20 ـ 28
❖ الدورة 16 للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية	التحرير	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/ سبتمبر2005 مسيحي	192 ـ 198
❖ أطفال كوسوفو	محمد عبد السلام شاهين	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	164 ـ 168
❖ مسابقة (واعتصموا) النسائية العالمية الأولى لحفظ القرآن	زهرة سليمان	العدد الثامن	الكانون 1373 و.ر/ ديسمبر2005 مسيحي	169 ـ 198

الواحة

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ أصداء شرقية في كتابات غربية	أ. الصديق بشير نصر	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	206 ـ 210
❖ تساؤلات جنين	فراس عبد الحميد	العدد الأول	الربيع 1372 و.ر/ مارس 2004 مسيحي	211 ـ 212
❖ الشاعر الأمريكي المسلم عبد الحي دانيال مور	منير العكش	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	202 ـ 203
❖ مختارات من (سونيتات رمضان)	أ. الصديق بشير نصر	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	204 ـ 207
❖ اختيار الإسلام .. حكاية رجل	أ. الصديق بشير نصر	العدد الثاني	الصيف 1372 و.ر/ يونيو 2004 مسيحي	207 ـ 208
❖ أبو الوليد (إلياس عبد الله طعمة) الشاعر العبقري . هل كان مسلماً ؟	أ. الصديق بشير نصر	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر2005 مسيحي	204 ـ 210
❖ زارادشت نيتشة وأسد الصحراء	أ. الصديق بشير نصر	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر2005 مسيحي	
❖ بساطة الرسول محمد وصدقه	(المهاتما غاندي)	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر2005 مسيحي	
❖ الإسلام .. الحيوية الرائعة	(جورج برناد شو)	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر2005 مسيحي	
❖ شهادة الإسلام	(إدوارد جيبون)	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر2005 مسيحي	
❖ من يجرؤ على المقارنة ؟	(الفونس دي لا مارتين)	العدد الثالث	الفاتح 1372و.ر/ سبتمبر2005 مسيحي	
❖ من أسس التسامح في الإسلام	أ. الصديق بشير نصر	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	206 ـ 208
❖ تسامح الإسلام في عيون مفكرين غربيين	أ. الصديق بشير نصر	العدد الرابع	الكانون 1372 و.ر/ ديسمبر 2005 مسيحي	209 ـ 210
❖ مولد الرسول صلى الله عليه وسلم	حليم دموس	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	196 ـ 198
❖ الإستبداد .. آفة الحضارات.. من جان جاك روسو إلى عبد الرحمن الكواكبي	التحرير	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	199 ـ 200
❖ عظمة النبي ﷺ	توماس كارلايل	العدد الخامس	الربيع 1373 و.ر/ مارس 2005 مسيحي	201 ـ 202
❖ من آثار عبقرية المسلمين في إسبانيا عند جوزيف ماكيب	أ. الصديق بشير نصر	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	198 ـ 199
❖ القابض على الجمر في رحلة البحث عن الذات	أ. الصديق بشير نصر	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	200 ـ 203
❖ وامعتصماه!!	شعر: عمر أبو ريشة	العدد السادس	الصيف 1373 و.ر/ يونيو 2005 مسيحي	204
❖ الأدب الجغرافي الإسلامي المعين الأول للمستعمرين	اغناطيوس كراتشكوفسكي	العدد السابع	الفاتح 1373 و.ر/سبتمبر2005 مسيحي	200 ـ 202

..ونتواصل

❖ إبراهيم علي الربو(*)

شكراً على الصبر الجميل

وليس يَصح في الأذهان شئ إذا احتاج النهار إلى دليل

لقد قفز هذا البيت إلى ذهني دون سواه في اللحظة التي خنقت فيها أصابعي عنق قلمي، وأجبرته على أن يصب بعض ما في جوفه من مداد على هذه الصفحة البيضاء، لأقنعكم بأهمية التواصل الذي اخترناه عنواناً لهذه الدورية... فاستجاب قلمي الهزيل لضغط أصابعي التي أحاطت بعنقه من كل جانب، دون أن يسمح لي كبريائي أن أعَلِّمَه ماذا أنا فاعل به، أو قائل على لسانه كما هو الحال في كل مرة، ودون أن يسمح له ضعفه وهوانه على الناس بأن يسألني هو عن ذلك، فذكرتني حاله بحال بعض أنظمة الحكم في أمتنا العربية والإسلامية في علاقتها التواصلية مع بعض القوى الغربية.. عموماً استجاب القلم – وما كان له خيار في ذلك ـ وبدأ رحلة صراع يومية مع «كُويتِبٍ» تتجاذبه أفكار ورؤى، بعضها كانت للقلم مألوفة، وبعضها الآخر كانت في نظره هرطقة ما أنزل الله بها من سلطان، لكنه تحت استخدام القوة والتهديد بها ملزم بأن يترجم هذه، ويتحدث عن تلك، وكأنه بها من المؤمنين، ويدفع ثمن ذلك في كل مرة مداداً من جوفه، ومزيداً من الضغط على عنقه النحيل بفعل عدوان ثلاثي تقوده الإبهام، وتسنده السبابة والوسطى.. فتجره ذات اليمين تارة، وذات الشمال أخرى، وتعلو به في أعلى عليين حينا، وتضعه أسفل سافلين حيناً، وهو صابر محتسب، ينقل المشاعر ويترجم الأحاسيس، ويتحمل الارتدادات العصبية لفكر شارد أحيانا، ورؤية حيرى حيال قضايا الحياة أحياناً أخرى، وما أن يفرح بإتمام سطر والشروع في آخر ـ على اعتبار أن ذلك خطوة في اتجاه الخلاص ولو إلى حين ـ حتى تجره أطراف العدوان الثلاثي بلا هوادة يمنة ويسرة عدة مرات، فيأتي على ما كتبه في دقائق، وربما في ساعات ليحوله إلى ظلمات بعضها فوق بعض في ثوان لا تتجاوز في عددها عدد المشاركين في العدوان، ليبدأ صراعه مع الأفكار مرة أخرى، ويستأنف رحلة جديدة قد تطول فيها الآلام أو تقصر، حسب حضور الذهن وشروده، واستغلاق الموضوع ووضوحه.. ولأنني أدركت بعد معركة مع قلمي ـ قدمت لكم قطاعاً طولياً منهاـ بأن التواصل لا يحتاج إلى كل ذلك الصراع للتدليل على أهميته، وتبيان منزلته في مسيرة الحضارة الإنسانية، فكل ما يقع بين دفتي هذه الدورية هو تواصل معك أخي القارئ، فالمقال تواصل، والتواصل تأثر ليس بالضرورة أن يكون إيجابياً، والتقرير تواصل قد يغمرنا عنه الرضا، وقد نكون عنه من الساخطين، والقضية تواصل سواء أأدركت عمق طرحها أم لامسته على استحياء، والأمر ينسحب على كل أبواب هذه المطبوعة.. لكن ما كان كل ذلك ليتم لولاك أيها القلم، فأنت الحاضر في كل تواصل، وإن كثر الغائبون، وأنت الأداة في كل صلة، وإن كانت أضعف من بيت العنكبوت... وتأسيساً على هذا الإدراك، واعترافاً بالأذى الذي ألحقته أصابعي بك يا قلمي العزيز، فإنني أعتذر منك لسوء المعاملة، وما تحملته مني من ضنك في العيش، وعنجهية في المعاملة، وقسوة لا زالت آثارها واضحة على عنقك، في محاولة مني لأن أُبيِّن للقارئ أهمية التواصل، لكنني لو كنت عاقلاً لاكتفيت وإياك ببيت الاستفتاح..

وليس يَصح في الأذهان شئ إذا احتاج النهار إلى دليل

وأرحتك بذلك، وأرحت نفسي، وأبقيت على بعض المداد في جوفك لمناسبة أخرى، لكنه أمر أمين هيئة التحرير، واستجابة لأمره كانت هذه الخواطر في خاتمة العدد الثامن في مسيرة التواصل، تململ القلم بين أناملي، وقال : لا تثريب عليك، إفعل ما تُؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين...!!

* كاتب / ليبيا

التواصل

AT-TAWASUL

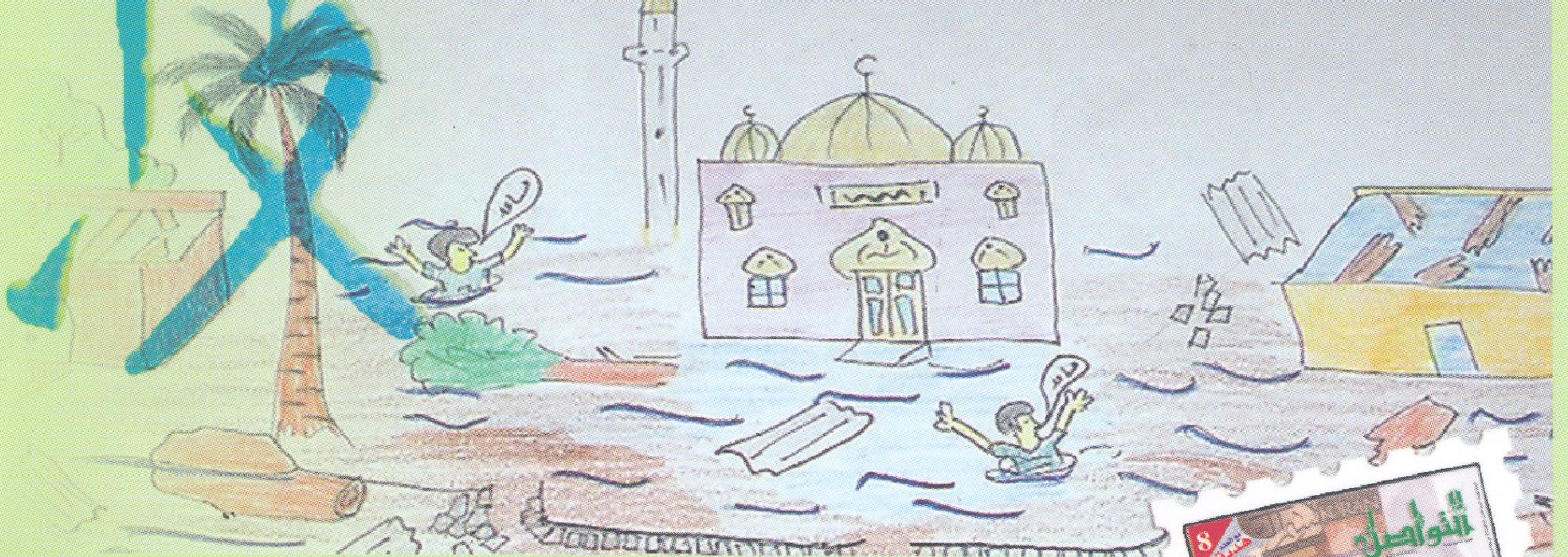
فصلية ثقافية شاملة



津波



أطفال المالديف رسموا لـ(التواصل)





مع تحيات مجلة التواصل

تنفيذ وطباعة: شركة الآن للطباعة والنشر